



شؤون اجتماعية

العدد التاسع والعشرون - السنة الثامنة - ربیع - ١٤١١ م - ١٩٩١ هـ

- * نحو تكامل تربوي بين البيت والمدرسة.
د. عادل عبدالحسين شكاره.
- * تحليل النخبة وأمكانية تطبيقه لدراسة
النظام السياسي في الإمارات.
د. عبدالله جمعه الحاج.
- * الأبعاد الانمائية في اقتصاد دولة الإمارات
(١٩٧٥ - ١٩٨٨).
د. عبدالله ناصر السويفي.
- * آثر الهجرة في دور الشباب العربي في التنمية.
د. فيصل غرابيه.
- * جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة
الاعدام بالحدث الجانح.
أ. د. محمد رياض الخاني.
- * الأبعاد الحضارية للتنشئة ونظرية المعرفة في
الفكر التربوي الإسلامي.
د. محمد فريد حجاب.
- * بعض العوامل الاجتماعية الاقتصادية المؤثرة
في اتجاهات المستهلك السعودي.
د. محمود عبدالحميد حسين.
- * التنمية البدوية الريفية في مجتمع الإمارات.
د. موزه غباش.

تصدر عن جمعية الاجتماعيين

جمعية الاجتماعيين (منبر اجتماعي ثقافي ووطني)

جمعية ذات نفع عام أشهرت بالقرار الوزاري رقم ٢/٧٦ لسنة ١٩٨١ وبدأت نشاطها في ١٩٨١/١١/٩ وتحدف إلى:

- رعاية مصالح العاملين في الميدان الاجتماعي.
- العمل على رفع المستوى المهني للعاملين في المجال الاجتماعي بشتى الوسائل والأساليب والعمل على تطوير المهن الاجتماعية لخدمة الأهداف الاجتماعية للمجتمع.
- نشر التوعية والثقافة الاجتماعية بين جميع فئات المجتمع بشتى الوسائل المتاحة بغرض تحقيق أفضل قدر من التماسك والاستقرار والتكميل الاجتماعي بالتعاون مع الهيئات الرسمية والتطوعية الأخرى.
- تعنى الجمعية بإجراء البحوث والدراسات بهدف تحديد حجم المشكلات والظواهر الاجتماعية التي قد تعيق سبل التطور الاجتماعي لمجتمعنا وتبني السياسات التي تعين في التغلب عليها واقتراح الوسائل والحلول المناسبة لها.
- الإسهام في تقديم وجوه الرعاية الاجتماعية للأفراد والجماعات الذين لا تسمح لهم ظروفهم بالاستفادة الكاملة من الخدمات الحكومية أو الذين يحتاجون إلى رعاية أعلى مستوى وأكثر تخصصاً كالمعاقين والمسنين والأحداث والأيتام ومجهولي الأبوين.
- تقديم الخدمات المالية والاجتماعية والثقافية للأعضاء.
- تبادل المعلومات والخبرات المهنية مع الجمعيات المشابهة الدولية والعربية والجمعيات المختصة في المجالات الاجتماعية بشتى الوسائل والسبل ومنها إقامة المؤتمرات المحلية وحضور المؤتمرات العربية والدولية وإصدار الكتب والمجلات وغير ذلك بإقامة الندوات والحلقات الدراسية.

شُوُون اِجْتِمَاعِيَّة

الاشتراكات

للأفراد سنوياً

| | |
|------------|-----------------|
| ٢٥ درهماً | في الامارات |
| ١٠ دولارات | في الوطن العربي |
| ١٥ دولاراً | في الخارج |
| ١٠٠ درهم | للمؤسسات سنوياً |
| ٤٠ دولاراً | في الامارات |
| | في الخارج |

الاسعار : الامارات ٥ دراهم، البحرين ٥٠٠ فلس، الكويت ٥٠٠ فلس، قطر ٥ ريالات، السعودية ٥ ريالات، عمان نصف ريال، اليمن الشمالي ٧ ريالات، اليمن الجنوبي ٧٠٠ فلس، ج.م.ع. ١ جنيه، لبنان ١٥٠ ليرة، سوريا ١٥ ليرة، السودان ٣ جنيهات، ليبيا ٤٠ فرشاً، الجزائر ٧ دنانير، تونس ٧٠٠ ملليم، المغرب ٥ دراهم، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلسماً.

٣٧٤٥ - ص . ب . جمعية الاجتماعين
٥٤٨١٦١ هـ (الشارقة) - دار المعرفة - دعوى اجتماعية

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير - ص . ب . جمعية الاجتماعين
الامارات العربية المتحدة (الشارقة) هـ ٥٤٨١٦١

جميع الأراء الواردة في هذه

المجلة تعبر عن رأي كاتبها

- د. باهر محمد عتم
د. شفيقة عباس
د. عبدالوهاب خياط
د. علي الشرهان
د. فوزية العلي
د. محمد حور
د. محمد المطوع
د. موزه غباش

بلال محمد بلال
طه حسين حسن
محمد كامل المعيني

شئون اجتماعية

مجلة فصلية علمية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

العدد التاسع والعشرون - السنة الثامنة - ربیع - ١٤١١ م - ١٩٩١ م

* الافتتاحية -

٢

* بحوث ودراسات

- ١ - نحو تكامل تربوي بين البيت والمدرسة د. عادل عبدالحسين شكاره.
- ٢ - تحليل النخبة وإمكانية تطبيق دراسة النظام السياسي في الإمارات د. عبدالله جمعه الحاج.
- ٣ - الأبعاد الانسانية في اقتصاد دولة الإمارات (١٩٧٥ - ١٩٨٨) د. عبدالله ناصر السويفي.
- ٤ - أثر الهجرة في دور الشباب العربي في التنمية د. فيصل غرابي.
- ٥ - جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجانح أ. د. محمد رياض الخاني.
- ٦ - الأبعاد الحضارية للتنشئة ونظرية المعرفة في الفكر التربوي الإسلامي د. محمد فريد حجاب.
- ٧ - بعض العوامل الاجتماعية الاقتصادية المؤثرة في اتجاهات المستهلك السعودي د. محمود عبدالحميد حسين.



تصدر عن جمعية الاجتماعين

- ٨ - التنمية البدوية الريفية في مجتمع الامارات د. موزه غباش .
١٣٧

* آراء وأفكار

- ١ - منجزات معهد التنمية الادارية ومشكلاته في دولة الامارات العربية المتحدة د. اسكندر بشير .
٢٦٧
- ٢ - مستقبل الهوية الوطنية في الامارات أ. عبدالرحمن الجروان .
٢٨٣

* عروض كتب

- ١ - عالم من الأفكار (بل موينز)
عرض الدكتور أحمد بدر
٢٩٣
- ٢ - العمل في محو الأمية (علي حمداش ودانيل مارتن)
عرض وتحليل الدكتور - محمد سيد حافظ
٢٩٩

* تقارير وندوات ومؤتمرات

- ١ - نداء عمان حول تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين
٣١٧

* ببليوغرافيا

- ببليوغرافيا مختارة
إعداد / أ. محمد عبد الحميد عدوی
٣٢٣

الافتتاحية

يصل هذا العدد من مجلة شؤون اجتماعية إلى قارئنا العزيز والأمة العربية مازالت تعيش ذيول فترة كانت حالكة السواد في تاريخها المعاصر. فترة بدا فيها أن العقل العربي أوشك أن يفقد اتزانه. إلى الدرجة التي لم يعد البعض يميز بين ما هو في مصلحة الأمة وما هو غير ذلك، لم يعد يميز بين ما يخدم مصلحة الوحدة والديمقراطية والبناء الحضاري، وبين ما يؤدي إلى غير ذلك مهما حسنت النوايا.

لقد اختلطت الأوراق اختلاطاً بات فيه من المعتذر فرزها و إعادة ترتيبها لكي تعود الأمة فتسلك الطريق الأمثل لتحقيق مشروعها الحضاري المستقل، وتحقيق حريتها وبالمحصلة النهائية تحقيق وحدتها، لقد أحدث هذا الظرف العصيب الذي عشناه جميعاً شرخاً عميقاً في صفوف الأمة الواحدة.

واليوم وقد انتهت الغزو الغاشم للكويت، وأبناء الكويت في طريقهم للعودة إلى وطنهم، فإن الأمل يراودنا جميعاً أن يلتئم هذا الشرخ وأن تستطيع شعوبنا أن تتخلي المحتنة وتتطلّق نحو آفاق أفضل. فالتجارب علمتنا أن الشعوب العربية عظيمة الافادة من التجارب المرة التي تمر بها أحياناً لأنها شعوب حية ومتقددة ومتعددة القدرات والطاقات.

وفي هذه العجلة ليس في وسعنا الخوض في جميع الأسباب التي أدت إلى هذه المحتنة وبهذه الصورة الجنونية التي لم يتوقعها العرب جماهيرأً وسلطة. إلا أننا نستطيع أن نلخص ذلك في سبب رئيسي واحد هو غياب المؤسسة التي تعتبر في تقديرنا معياراً مهماً من معايير الانتفاء إلى نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين. فمن المعروف أن وجود المؤسسات ضارب في عمق التاريخ البشري

ولكن التطور الطويل للدولة وتحولها ذاتها إلى مؤسسة بمعنى انفصال سلطتها عن أشخاص أولئك الذين يحكمون واكتساب تلك السلطة للشرعية القانونية يعتبر إنجازاً رائعاً لعصرنا.

إن القرن الواحد والعشرين يطرق أبوابنا بشدة، وإن العالم من حولنا شرقه وغريبه يتتطور ويدخل عالم جديدة أوسع رحابة وديمقراطية ونحن مطالبون أن تكون جزءاً من هذا العالم الجديد لا أن نعيش على هامشه وإن يكون ذلك متاحاً إلا إذا أخذت المؤسسة نورها في حياتنا على جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وكل ماتمناه الآن هو أن نتمكن من جعل الدول القائمة على أرضنا العربية دول مؤسسات حتى نتفادى مطبات شائكة من قبيل ذلك الذي عشناه ومازالت نعيش ذيوله الآن. وإن يكون ذلك إلا بأن نسعى جميعاً لترسيخ دولة المؤسسات ورفض الاستبداد بكافة أنواعه وأشكاله.

وجريدة على عادتنا في مجلة شؤون اجتماعية فإن هذا العدد يحمل بين يديه عدداً من البحوث التي تدور حول مجالات شتى محلية وعربية.

فالاستاذ الدكتور/محمد رياض الخاني استاذ القانون الجنائي وعلمي الاجرام والعقوب في كلية الشريعة والقانون بجامعة الامارات العربية المتحدة يحدثنا عن جواز أو عدم جواز تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجانبي. ويطرق في دراسته هذه إلى تعريف الحدث الجانبي وسن المساءلة الجزائية، وسن الرشد، والحدث الجانبي وعقوبة الاعدام في قوانين وأنظمة الأحداث الجانحين وفي قوانين العقوبات وفي الاعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٢/١٩٤٨م. ثم يتعرض لجواز أو عدم جواز تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجانبي في الاتقاقيات والمعاهدات الدولية والاقليمية والعربيه والاسلامية. وينتقل بعد ذلك للحديث عن جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين. وأخيراً يزورنا بملخص شامل للموضوع يقدم لنا فيه النتائج التي توصل إليها.

وفي بحثه «الطويل» يحدثنا الدكتور/محمد فريد حجاب المدرس بقسم العلوم السياسية بجامعة الامارات العربية المتحدة عن الأبعاد الحضارية ونظرية المعرفة في الفكر التربوي الاسلامي، حيث يتعرض لمواضيع من قبيل تصنيف العلوم في الفكر التربوي الاسلامي بين عصرين وعن بيئة الحضارة وبين التخلف وعن الانفتاح والانطواء على الذات وعن التصرف الإيجابي والتصرف السلبي وعن التفكير والتلقين.

وأخيراً يصل إلى خاتمة لكتي يحثنا عن الثوابت والمتغيرات موضحاً أن الأمر المبني الذي من واجبنا أن ندركه حول التربية الإسلامية أن الإسلام كان القوة الحقيقة التي نسقت بين أفكار المربين المسلمين في كل العصور وكانت هذه القوة هي مصدر اوجه الشبه العديدة بين رواد التربية الإسلامية.

أما الدكتورة/موزه غباش من قسم الاجتماع بجامعة الامارات العربية المتحدة فتحدثنا عن التنمية البدوية - الريفية في مجتمع الامارات العربية المتحدة. وفي هذا الاطار تناقش الكاتبة مواضيع تتعلق بالبدو والبداوة ويتقطعن البدو وبالتنمية الريفية وبالبناء الاجتماعي لمجتمع الامارات وبالتركيب القبلي ونمط الانتاج. ثم تنتقل لتناقش البناء القيمي للمجتمع البدوي في الامارات وبالتنمية البدوية الريفية في مجتمع الامارات حيث تخصص حيزاً لدراسة حالة مركزة بذلك على دراسة المنطقة الشرقية لامارة أبوظبي. وتصل الباحثة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات خاتمة بحثها بالقول بأنه لابد من بذل الجهد لتوسيع القاعدة الاقتصادية للاقتصاد البدوي والريفي في دولة الامارات وذلك من خلال وضع برامج مصممة بصورة علمية للتنمية الريفية المتكاملة.

وتتحدث الدكتور/ عبدالله ناصر السويدي من قسم الاقتصاد بجامعة الامارات العربية المتحدة حول الأبعاد الانمائية في اقتصاد دولة الامارات في الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٨ على تبع مسار المتغيرات الاقتصادية وما يعكسه تطور هذه المتغيرات من مؤشرات مهمة لحركة سير الاقتصاد القومي وذلك من أجل فهم واستيعاب الأبعاد النامية في اقتصاد الدولة. وفي هذا السياق يحدثنا الباحث عن مواضيع تدور حول مسار المتغيرات الكلية ونمط تخصيص الموارد ومكونات التجارة الخارجية والسكان والعماله. ثم ينتقل إلى مناقشة الخصائص الأساسية لاقتصاد دولة الامارات حيث يتحدث عن سيادة قطاع النفط وعن اختلال الهيكل الانتاجي والاعتماد على الاستيراد وعن ضيق حجم السوق وضعف الطاقة الاستيعابية وعن الاعتماد على العمالة الوافدة.

أما الدكتور/ عبدالله جمعة الحاج من قسم العلوم السياسية بجامعة الامارات العربية المتحدة فيكتب لنا عن تحليل النخبة وإمكانية تطبيقه لدراسة النظام السياسي في الامارات العربية المتحدة. ويعد الباحث مقارنة بين مقولتي النخبة والصراع الظبقي مفرداً عنوانين فرعية لدراسة مفاهيم الصراع الظبقي ومقدمة الصراع الظبقي

ذاتها والتطور الاجتماعي الخليجي ومفهوم النخبة. ثم يتطرق لما تحتويه مقوله النخبة من ميزات وفوائد ويحاول بعد ذلك الربط بين تحليل النظام السياسي الاماراتي ومفهولة النخبة السياسية. ويختتم بحثه قائلاً بأنه إذا ما استعرضنا مقوياتي الصراع الطبقي وتشكل النخبة السياسية في إطار من المقارنة بينهما حول أنفسهم وقابلية تطبيق واستعمال أحداً هما دون الآخر فلن فكرة تشكل النخبة في مجتمع الامارات تبقى اداة ناجعة وفاعلة ومفيدة لتحليل وفهم العملية السياسية والنظام السياسي.

ويحدثنا الدكتور/ فيصل غرابية عن أثر الهجرة في دور الشباب العربي في التنمية متلاؤاً موقع الشباب العربي في ظاهرة الهجرة العربية - العربية. وفي هذا السياق يعرفنا الباحث على الظاهرة وتقدير ما يصيب شريحة الشباب منها وعلى انعكاسات الهجرة في بعديها الاقتصادي والاجتماعي، ثم يحاول أن يستخلص من جملة تلك الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية أثر الهجرة في دور الشباب في مسيرة التنمية على المستويين القطري والقومي.

أما الدكتور/ محمود عبدالحميد حسين فيبحث في بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة على اتجاهات المستهلك السعودي ويشير إلى أن بحثه يهدف إلى التعرف على درجة قبول ذلك المستهلك لكل من المنتجات الغذائية الوطنية والمستوردة ومستوى تفضيله لكل منها والعوامل المؤثرة على هذا التفضيل ويقسم بحثه إلى أربعة أقسام بما في ذلك الخاتمة. ففي القسم الأول يبحث موضوع مدى الاقبال على شراء المنتجات الغذائية بشكل عام، وفي القسم الثاني يتطرق لمستويات التفضيل لاصناف المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، وفي القسم الثالث يبحث في العوامل المؤثرة في الاقبال على شراء المنتجات الغذائية. وفي الخاتمة يتوصل الباحث لمجموعة من النتائج أهمها أن المنتجات الوطنية تحظى بقبول المستهلك السعودي بدرجة أكبر عن مثيلتها الأجنبية. وبناء على ذلك يسوق عدداً من التوصيات التي تتركز على حد المنسسات الوطنية للمحافظة على الوضع المتميز الذي تجده سلعها لدى المستهلك.

ويقدم لنا الدكتور/ عادل عبدالحسين شكاره من قسم الاجتماع بجامعة بغداد بحثاً بعنوان «نحو تكامل تربوي بين البيت والمدرسة» بهدف دراسة دور الأسرة في تنمية الطفل وتوضيح أهم الملامح الأساسية المؤثرة في حياته ودراسة دور المدرسة في تنمية الطفل وأهم الخصائص المؤثرة في حياته وإلى اظهار دور بقية المؤثرات الثقافية في التكامل التربوي وإلى رسم صورة للتكميل التربوي بين الأسرة والمدرسة من أجل

تنشئة الطفل تنشئة سليمة وبناء شخصيته على أسس واضحة وسليمة. يقسم الباحث موضوعه إلى ثلاثة أقسام يخصص الأول منها لمناقشة الواقع التربوي بين البيت والمدرسة والمجتمع. ويخصص الثاني لمناقشة التكامل التربوي بين البيت والمدرسة. أما الثالث والأخير فيناقش فيه بعض مجالات التعاون بين البيت والمدرسة لسد حاجات الطفل. وفي نهاية البحث يصل إلى خلاصة مفادها أن بحثه هذا كشف بعض الحقائق الاجتماعية والثقافية والتخطيطية المتصلة بوضع الطفل بين التربية الأسرية والتربية المدرسية. ثم يقدم لنا مجموعة من المقترنات مستنداً إلى تنتائج دراسته.

وبالاضافة إلى تلك البحوث الرئيسية فإن هذا العدد يحتوي أيضاً على أبواب ثلاثة أخرى. فتحت باب آراء وأفكار يتعرض الدكتور / اسكندر بشير للحديث عن منجزات معهد التنمية الادارية ومشكلاته في دولة الامارات ويطرح لنا السيد / عبد الرحمن الجروان وجهة نظره حول مستقبل الهوية الوطنية في الامارات.

خلاصة القول فإن هذا العدد جاء شاملاً من حيث احتواه على مواضيع ذات منفعة مجتمعية متعددة. ولكن مايمكن ملاحظته بوضوح أن هناك مجموعة لاباس بها من المواضيع التي تبحث في شؤون الامارات بالذات مما يشير إلى قفزة نوعية للمجلة في مجال سد النقص الملحوظ في المكتبة العربية فيما يتعلق بالمواضيع الاجتماعية العلمية التي تتحدث عن خصوصية مجتمعنا. من هذا المنطلق نرجو أن يكون هذا العدد مرتكزاً ونقطة انطلاق ثابتة لنقفي الامارات لكي يسهموا بشكل أكبر في مناقشة مواضيع مجتمعهم من خلال مساهماتهم في الكتابة على صفحات هذه المجلة التي تحاول هنا في جمعية الاجتماعيين جاهدين لجعلها ملكاً لجميع فئات المجتمع العربي بشكل عام ومجتمع الخليج والامارات العربية المتحدة بشكل خاص.

شئون اجتماعية

بحوث ودراسات



نحو تكامل تربوي بين البيت والمدرسة

دكتور

عادل عبدالحسين شكاره *

تمهيد في مفهوم وأهمية الطفولة :
الطفل في علم اللغة هو الصغير حتى البلوغ، أما في علم النفس فيطلق على الأفراد منذ الولادة حتى مرحلة النضج الجنسي، أو أن يطلق على الأعمار من فوق سن المهد حتى مرحلة المراهقة.

إن تقسيمات علم النفس لتحديد مراحل للطفولة تأخذ المراحل العمرية على الشكل الآتي :

- ١ - مرحلة ما قبل الميلاد.
- ٢ - مرحلة المهد من الميلاد إلى السنة الأولى.
- ٣ - الطفولة المبكرة من السنة الثانية إلى السنة السادسة.
- ٤ - الطفولة الوسطى من السنة السادسة إلى السنة العاشرة.

* قسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة بغداد.

٥ - الطفولة المتأخرة من السنة العاشرة إلى السنة الثانية عشرة، وقد يطلق عليها ماقبل المراهقة، ويتجه البعض للوصول بها إلى الخامسة عشره^(١). وقد جاء تعريف الصغير والحدث والصبي في قانون رعاية الأحداث^(٢) حسب الأعمار على الشكل التالي.

- ١ - يعتبر صغيراً من لم يتم التاسعة من عمره.
- ٢ - يعتبر حدثاً من أتم التاسعة من عمره ولم يتم الثامنة عشره.
- ٣ - يعتبر الحدث صبياً إذا أتم التاسعة من عمره ولم يتم الخامسة عشره.
- ٤ - يعتبر الحدث فتى إذا أتم الخامسة عشره من عمره ولم يتم الثامنة عشره.

والطفولة بداية لراحل اخرى وتدخل معها ولهذا نجدها عند الدكتور ميخائيل معرض تصل إلى سن ١٦ وهي عنده مرحلة الطفولة المبكرة (٢ - ٦) سنة ومرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة (٦ - ١٢) سنة وهذه المرحلة تتدخل إلى حد كبير مع مرحلة المراهقة المبكرة (١٢ - ١٦) سنة^(٣).

وهناك تناغم بين المراحل العمرية والمراحل الدراسية للطفل فالطفولة هي بداية لراحل لاحقة، ولهذا نجد العلماء يقسمونها على الشكل التالي:

- ١ - مرحلة الحضانة وأمدها ست السنوات الأولى من حياة الطفل.
- ٢ - مرحلة الدراسة الابتدائية وهي مرحلة ست السنوات الثانية (٦ - ١٢) سنة، وتسمى بالطفولة الوسطى.
- ٣ - مرحلة الدراسة الاعدادية والثانوية وهي مرحلة ست السنوات الثالثة (١٢ - ١٨) سنة وهي ماتسمى بالمراهقة المبكرة.

والملاحظ من هذا أن الفرد يمر في مرحلة من المراحل الثلاث بما يقابلها من المراحل الدراسية من الاعداد التربوي مرتبطة بقدر معين من المعرفة^(٤).

والتعريف الاجرائي للطفل في هذه الدراسة سوف يقتصر على مرحلة ماقبل الدراسة الابتدائية وبعدها، ومرحلة الدراسة المتوسطة من الدراسة الثانوية أي ما يصل إلى مايقرب الخامسة عشره من عمره حيث يبدأ بعد هذه المرحلة مرحلة المراهقة، ولو أن هناك تداخلاً كبيراً فيما بينهما.

أهمية الطفولة :

أطفال اليوم هم شباب الغد، وعلى اكتافهم يقوم التقدم، وياستعدادهم وقدرتهم تنهض البلاد لتواكب حياة العصر، ويقدر الاهتمام بالطفولة ورعايتها، وحسن تشتيتها وتنمية مواهبها ومهاراتها يتحقق المستقبل المشرق الذي نصبو إليه.

والطفولة كانت ومازالت الدعامة الصلدة التي يبني عليها مستقبل الفرد القريب والبعيد، والطفولة من الموضوعات التي اتفق عليها أغلب العلماء وقاده المجتمعات على اختلاف فلسفاتهم واتجاهاتهم على أهمية الطفولة ومستقبلها بالنسبة لمستقبل الفرد ومستقبل الأمة.

إن أهمية الطفولة تتجلى فيما يلي^(٥):

- ١ - على مستوى الفرد : فإن فهم الطفولة وخصائصها يؤدي إلى ما يلي:
 - مساعدتنا على التنبؤ بخصائص الشخصية في المستقبل اعتماداً على الخبرات الأولى المبكرة في حياة الطفل.
 - إن دراسة الطفولة تعتبر أساساً لدراسة المراهقة وشخصيتها ومن ثم دراسة الراشدين وشخصيتهم، فإن كثيراً من مقومات الشخصية وسلبياتها عند بعض الأشخاص في الأعمار المختلفة قد ترجع في الغالب إلى خبراتهم المبكرة التي عاشهما في طفولتهم، بالرغم من أن تراكم الخبرة والمعرفة خلال نمو حياة الفرد، لها أثراًها في بلورة الشخصية وتدعم مقوياتها الإيجابية.
- ومن هذا فإن بعض الباحثين يؤكدون أن سوء التوافق في شخصية الكبير هو نتيجة لطفولته التي عانى فيها من الحرمان والتعسف التي لها أثراًها الكبير في بلورة شخصية الفرد.
- ٢ - على المستوى القطري والقومي : إن الأمة العربية التي عانت ومازالت تعاني من وطأة التمزق والتخلف الذي أوجده الاستعمار مدعاة إلى أن تعيد النظر في تنشئة ابنائها تنشئة تحقق أهدافها وبناء شخصيتهم بما يتناسب والمرحلة التي يمر بها الوطن العربي، فالطفل الذي تسعى إلى رعايته وعنايتها واعداده هو الطفل الذي ينجبه مجتمعنا وفق ظروفنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إننا نحتاج إلى تنشئة وبناء شخصية الطفل لتكون ضمن إطار المجتمع العربي وفي خدمة أمته بحيث تولد لديه وعيًا عميقاً لظروف المجتمع وسبل تطويره لبلوغ طموحاته وفق هذه التنشئة الاجتماعية والشخصية المستibleة لشبابنا في المستقبل.

إن أهمية هذه الدراسة هي بتركيزها على دور المؤسسات الاجتماعية الرئيسية التي تؤثر في اعداد وتكوين شخصية الطفل وتتأتي في مقدمتها الأسرة والمدرسة بالدرجة الأولى والمؤثرات الثقافية الأخرى بالدرجة الثانية.

أهداف الدراسة : تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- ١ - دراسة دور الأسرة في تنشئة الطفل وتوضيح أهم الملامح الأساسية المؤثرة في حياته.
- ٢ - دراسة دور المدرسة في تنشئة الطفل وأهم الخصائص المؤثرة في حياته.
- ٣ - اظهار دور بقية المؤثرات الثقافية الأخرى في التكامل التربوي.
- ٤ - رسم صورة للتكامل التربوي بين الأسرة والمدرسة من أجل تنشئة الأطفال تنشئة سليمة وبناء شخصياتهم بناء سليماً.

الفصل الأول

الواقع التربوي بين البيت والمدرسة والمجتمع :

التنشئة الاجتماعية هي التي يتم فيها تشكيل شخصية الطفل الإنسانية والاجتماعية من خلال تفاعله مع المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه ليكون اجتماعياً، وخلال هذه العملية التربوية يكتسب الفرد ثقافة ولغة مجتمعه. وأن أهم المؤسسات المسؤولة عن تربية وتنشئة الطفل هي الأسرة والمدرسة بصورة عامة.

إن تدرج نمو الطفل بين هاتين المؤسستين ومدى اشباع حاجاته النفسية والاجتماعية والعضوية خلال عملية النمو يؤثر تأثيراً كبيراً على نمو شخصية الفرد ومظاهر سلوكه. وهنا يتضح خطورة الدور الذي تقوم به كل من الأسرة والمدرسة في عملية تنشئة الطفل وضمان نموه من النواحي العقلية والنفسية والاجتماعية والصحية.

المبحث الأول : الطفل في البيئة البيتية :

الأسرة هي الوحدة الأولى التي يحتك بها الطفل احتكاكاً مستمراً ومحتوى الذي تنمو فيه أنماط التنشئة الاجتماعية، وتعد الأسرة من أكثر مؤسسات التنشئة الاجتماعية أهمية. صحيح أن أسرة اليوم لا تعد شاملة لجميع مظاهر التنشئة كما كانت حالها في العصور الماضية، حيث تشاركتها الآن مؤسسات أخرى مثل المدرسة والمؤسسات الإعلامية والثقافية والشبابية والدينية وغيرها.

فالأسرة تتضع الطفل في البيئة والمجتمع، وهذا يعني أن تقوم بتحويله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، ويبعدأ حياته الاجتماعية عن طريق التعرف على مركز أسرته ويبقى على هذا المركز خلال سني حياته الأولى، فإن ميلاد الطفل في أسرة معينة يعني اكتسابه لمركزها في البيئة والمجتمع، فإن الأسرة التي تتصف بالاستقامة

والعراقة وحسن الخلق وغيرها من الاعتبارات الاجتماعية ستعطي مركزاً للطفل ضمن هذه البيئة الاسرية، حتى إن بعض الدراسات توصلت إلى (أن الأسرة التي يولد فيها الإنسان تقوم بالتأثير تأثيراً عميقاً على مستقبله المهني، لأن حياته المهنية مشروطة بتعليمه، ويعتمد تعليمه، إلى مدى ملحوظ على «أسرته»)^(١).

فالأسرة هي البيئة الأولى التي ينشأ فيها الطفل حيث يقضى السنوات الأولى من حياته في كفها، ويؤكد علماء الاجتماع والتربية وعلم النفس على أهمية السنوات الأولى على تكوين شخصية الطفل، ومحاولة الأسرة في أي مجتمع من المجتمعات لا يتعدى تحقيق أهدافها الرئيسية لطفلها الوليد بما يلي:

- ١ - اكتسابه العادات والقيم والتقاليد الاجتماعية السائدة والمرغوبة.
- ٢ - تزويده بالأنمط السلوكية الفاعلة لتكيف أفضل مع بيئته الاجتماعية والثقافية.
- ٣ - العمل على تأمين مستقبل له يجعله عنصراً (نافعاً) لنفسه فاعلاً في مجتمعه^(٢).

يتعلم الطفل من خلال الأسرة اللغة والعادات والخبرات والاتجاهات، كما يتعلم كيفية اطلاق الأحكام بالخطأ والصواب، كما أنه يبدأ بتكون ذاته والتعرف على نفسه من خلال تعامله مع أفراد أسرته.

إن العلاقة الأسرية دوراً بارزاً في نمو شخصية الطفل وتحديد ملامحها، كما أن نوع التفاعل الذي يتعرض له الطفل خلال العلاقات الأسرية ينعكس فيما بعد على أنماط سلوكه مع جماعة اللعب والمدرسة^(٤). والأسرة لم تبق على حالة واحدة، حيث تعرضت الأسرة إلى الكثير من التغيرات، وبعد أن كانت أسرة متعدة أصبحت في الوقت الحاضر أسرة نوبية خاصة في المناطق الحضرية، ونتيجة لهذه التغيرات فقدت الأسرة الكثير من وظائفها التقليدية والتي كانت تقوم بها، وهنا أصبحت الحاجة ماسة في الوقت الحاضر إلى أن تأخذ مؤسسات أخرى كثيرة من وظائف الأسرة.

العامل التي تؤثر على حياة الطفل والتحديات التي تواجهه :
بالرغم من أن الأسرة تؤدي وظائفها الأسرية من حيث إعداد الطفل وتنشنته، لكن هناك بعض العوامل التي قد تؤثر على مكانة الطفل داخل الأسرة (بدرجات متفاوتة) ومن هذه العوامل ما يلي:

- ١ - عدد أفراد الأسرة : فكلما زاد عدد أفراد الأسرة من حيث عدد الأبناء أو الأقارب وخاصة الأسرة المتعدة، فإن هذه الكثرة قد تؤثر على تنشئة الأطفال، خاصة إذا لم يتتوفر لدى الأسرة متسع من الوقت للاهتمام بجميع أفرادها لكثرتهم.

- ٢ - ترتيب الطفل بين اخوته : هل هو الاكبر أم الاخير أم المتوسط أو هو طفل وحيد.
- ٣ - مدى العلاقة بين الآبوبين : من حيث الانسجام العائلي والمحبة الاسرية أو المشكلات بينهما والشجار الذي قد ينعكس على حياة الأطفال وغيرها.
- ٤ - ضيق المنزل أو سعته : بالنسبة لحركة الطفل والعابه مع اخوته، وأثر ضيق المنزل في خروجه إلى الشارع واللعب خارج البيت، وأثره أيضاً على تنظيم أموره في البيت.
- ٥ - مدى توفر الجو الملائم للدراسة : هل له اخوة يشاركونه في غرفته؟ وكيف يتدارس؟ ويتعلمن مع اخوته في تكملة واجباته المدرسية، وينظم غرفته معهم.
- ٦ - مدى رعاية الوالدين ومتابعتهما لدراسة الطفل وحياته المدرسية : هل يساعد الأب والأم أو الاخوة الكبار الطفل؟ أم يعتمد على نفسه ولا يجد متابعة من الآبوبين أو من ولی أمره في حالة عدم وجودهما؟ وهل يتبع الآبوبان حياته المدرسية ويراجعون الادارة بشأنه.
- ٧ - بعض المشكلات الأسرية : وفاة أحد الوالدين أو كليهما، الطلاق، الهجر، وأثر ذلك على حياة الطفل البيتية والمدرسية.
- ٨ - المستوى الثقافي والتعليمي للأبوبين : وأثره على التعامل مع أولادهما ومتابعتهما لحياتهم المدرسية واصحاحتهم العامة ولنمو شخصياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.
- ٩ - المستوى الاقتصادي للأسرة : وأثر هذا المستوى على حياة الطفل سواء من حيث تدليله (وشعوره وبالتالي بالتمايز عن أقرانه) أو من حيث حرمانه (وشعوره بالحيف والغيرة من أقرانه) أو بمعاملته معاملة تربوية تساعده على التطلع إلى الحياة بنظرية واقعية غير متطرفة أو شاذة.
- ١٠ - مهنة الوالدين : وأثرها على مدى تفرغهم لمتابعة الطفل وادارة شؤونه.
مستخلصات عن الطفل في البيت :
 - ١ - يتضح أن المستوى الثقافي والتعليمي للأبوبين له الأثر الأكبر في متابعة الطفل في دراسته داخل المدرسة أو نشاطاته خارجها، وبشكل عام فإن أبناء الموظفين هم أكثر الأطفال الذين ينالون رعاية وتوجيهها ومتابعة من أولياء أمورهم. وقد يجيئون

تعاوناً بين أولياء أمورهم وإدارات مدارسهم مقارنة بغيرهم من الأطفال، وبالمقابل فإن أكثر الأطفال من ليس لأولياء أمورهم حظ من التعليم والثقافة قد يفتقدون هذا الجانب الهام من جوانب نومهم المعرفي وتكوين شخصياتهم.

٢ - يبيو أن نسبة من الأطفال يعيشون في أسر كبيرة العدد وقد لا يجدون الجو الملائم للدراسة أو الوقت الكافي (الذى يحتاجونه في هذه المرحلة) للتوجيه والإرشاد من قبل الكبار فضلاً عن أهمية متابعة الكبار لسيرهم الدراسي. وهذا ما يقتضى سلباً (في أغلب الأحوال) على اندماجهم مع الدراسة ومع الأنشطة الصحفية واللامتحافية. وبالمقابل قد نجد نفراً (يكثرون أو يقل حسب المستوى الثقافي والاقتصادي لأسرهم) يحظون برعاية وعناية كاملة لاتتنسى للجميع، وبالتالي فإن حظ هؤلاء في مستقبلهم الدراسي (بالأخص) يمكن أن يكون أوسع.

٣ - يتبعين أن العلاقة ما بين البيت والمدرسة لازالت دون مستوى الطموح، وقد يرجع هذا إلى عدة أمور منها أن البيت (بصورة عامة) يعول على المدرسة في تربية ابنائه. والمدرسة (بواقعها الحالى) عاجزة عن أداء التوين معًا (دور البيت والمدرسة) كما يرجع إلى بعض الشكليات التي تطفو على أعمال مجالس الآباء والمعلمين أو الأمهات والمعلمات بحيث تفقد جديتها بعد اجتماعين أو ثلاثة دون متابعة واعية من قبل الطرفين معًا.

٤ - إن الاهتمام بشخصيات الأطفال وبخصائص نومهم الجسمى والعقلى والاجتماعي والوجدانى، و حاجتهم الاجتماعية والنفسية في هذه المرحلة العمرية، لازال بعيداً عن ساحة اهتمامات أغلب أولياء الأمور فلا زال الكثير منهم يقرنون الرعاية الكاملة لأطفالهم بالماكل والمشرب والملبس دون تجاوز ذلك إلى الجوانب الاجتماعية والنفسية والخلقية والتي يتربونها أو يؤجلونها إلى المستقبل، سواء بسبب جهل أغلبهم أو كسلهم أو ارهاقهم في أعمالهم، وكل ذلك يعكس عند الأطفال بازدياد حاجاتهم إلى الكبار، وقد ينشدون اشباع هذه الحاجات عند الآخرين في الوقت الذي يتبعون فيه أن يكون آباءهم وأمهاتهم ومعلمون أولى وأجدر بهذه المهمة.

٥ - قد نجد تعارضاً أو في الأقل (عدم تطابق) بين أساليب التربية المستخدمة في البيت وتلك التي تستخدم في المدرسة، سواء من حيث التعامل مع الأطفال ، أو طرق تلبية احتياجاتهم أو طرق الثواب والعقاب، أو أساليب التوجيه والإرشاد وغيرها، وحينذاك لا التربية البيئية تحقق أغراضها ولا التربية المدرسية تحقق

أهدافها، ويبقى الطفل ينشد توجيهه من خارج هاتين المؤسستين. وفي هذا محاذير كثيرة كما هو معروف.

فالانتباه إلى أهمية وضرورة التوافق بين التربية في البيت وفي المدرسة هو انتباه واهتمام تستدعيه متطلبات النمو المتوازن لشخصيات الأطفال ومستقبل حياتهم.

٦ - تظهر بعض آثار التربية الخاطئة على الأطفال عن طريق الإيحاء (وليس القصد) فاستخفاف أولياء الأمور بتوجيهات المعلمين أو بتعليمات المدرسة قد ينعكس على سلوك الأطفال نحو الاستخفاف بمدرستهم أو بمعلميهم وهذا يعني بالمقابل أن احترام الأطفال للمعلمين والإدارة المدرسية يمكن أن يبدأ من البيت ومن أولياء الأمور. وكذا الأمر بالنسبة للانسجام مع الجو المدرسي والتكيف الدراسي وحب العلم والمعلم وغيرها.

٧ - قد تكون بعض الوسائل والأجهزة المنزلية أو لطريقة استعمالها آثار سلبية على الأطفال كالمسلسلات والفيديو وجهاز السينما) في علاقاتهم المدرسية وعلى (حسن أو سوء) تكيفه مع الأصدقاء في المدرسة أو خارجها، فضلاً عما يثيره سوء استعمال هذه الأجهزة (بدون مراقبة الكبار أو توجيههم) من شعور التمايز بين الأطفال والمفاخرة الفارغة التي تترك شروخاً في النفس والأخلاق لدى الأطفال الآخرين.

المبحث الثاني : الطفل في البيئة المدرسية .

حينما يلحق الطفل بالمدرسة، فإنه يأتي إليها محملاً بانطباعات بيته الأولى والخبرات الانفعالية والادراكية التي يمر بها وبالاتجاهات والميول التي اكتسب بواسطتها وأولوياتها، فضلاً عن القيم والمعايير الأخلاقية.

وفي الإطار المدرسي نجد الأطفال يختلفون فيما بينهم اختلافاً واضحأ، ثم تبدأ الفروق الشاسعة بينهم بالضعف تدريجياً، حالما يبدأ بعضهم في التأثير بالبعض الآخر، والتأثر به، وحينما يتعرضون جميعاً لنفس المؤثرات التي تحتوي عليها بيته المدرسة، وذلك لأن الأطفال في المدرسة الابتدائية يمثلون المجتمع بكافة ملبياته وفناته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وبعد التحاق الطفل بالمدرسة يرى نفسه في حاجة إلى تلمس المساعدة والعون من الآخرين من أقرانه ومن معلمه (الذين سيصبحون فيما بعد قدوة له) ويفيداً بتوسيع

أفقه الحياني وخبراته المعرفية والاجتماعية، وباكتساب اصدقاء جدد يهتم بهم وبيارائهم، كما يبدأ بالتعرف على آراء الكبار (المعلمين والمعلمات والمرشدين).

ومن هنا يبرز دور المدرسة في تكيف الطفل للمحيط الجديد ذي (التنظيم الخاص) بالنسبة للطفل، ويتبين من خلال ذلك دور المعلم في توجيه الأطفال في الحياة بكافة نواحيها ومقاصدها الاجتماعية والثقافية والوجدانية فضلاً عن التوجيه العلمي والأخلاقي.

إن الامتنام بهذا الطفل ودراسة سلوكه وحسن توجيهه وتنمية شخصيته أمر يتطلب تعاوناً جدياً بين المعلم وأولياء أمور تلاميذه والإدارة المدرسية وكذلك التلاميذ أنفسهم.

إن مثل هذا التعاون الهداف البناء يعتبر سلوك المعلم مع الطفل حجر الزاوية في قيامه، وان عملية رعاية الأطفال وتنميتهم وتفتيق طاقاتهم وتوجيهها عملية معقدة تتطلب من المعلم (بالدرجة الأولى) أن يبذل كل طاقاته وإمكاناته في تحقيق هذا الهدف. ومهما يكن من أمر فإن من غير المشكوك فيه أن المدرسة (كمؤسسة تربوية ذات أهداف مقصودة) يعول عليها في صقل الطفل بشخصية جديدة وابراجه إنساناً جديداً متنجماً في المجتمع. وهذه المهمة ليست باليسيرة على مثل هذه المؤسسة التربوية مالم يكن هناك توازن وانسجام في أهداف المدرسة التربوية وأهداف برامجها ومناهجها وفي سلوك معلميها ومعلماتها في حياتهم التعليمية وطرائق تدريسيهم وبين مجلل الأهداف التنموية في المجتمع، وما يتطلبه ذلك من تعاون مشترك بين المدرسة والبيت والمجتمع^(١).

وقد أكد المختصون في التربية وعلم النفس والاجتماع على أهمية التربية الصحيحة في البيت والمدرسة وإلى رعاية جميع مظاهر النمو بحيث تمهد السبيل إلى تنشئة الطفل تنشئة سوية تستقيم وتعزز مميزات طفولته والأهداف القريبة والبعيدة. والمجتمع الذي يحيا في إطاره. فعلينا إذن أن نهيئ له الجو الفكري الصالح الذي يساعد على تكوين مفاهيمه تكونيناً واضحاً ومنتظماً وفعلاً بحيث يؤدي به إلى معالجة مشاكله بصورة جدية وإلى استمتاعه بتفكيره وهو يسلك طريقه نحو أهدافه التي يسعى إليها مستعيناً بالمعاني والمفاهيم التي اكتسبها في البيت والمدرسة^(٢).

وعلى هذا الأساس كانت الدراسات الحديثة تؤكد على أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل وتأثيرها البالغ في نموه وبناء شخصيته بشكل متكمال قبل التحاقه بالمدرسة، ويأتي بعدها دور المدرسة التي تأخذ دورها في حياة الطفل. يقول (دور كايم)

عندما يتحدث عن المدرسة وهو صغير فيقول (ف تلك أرض بكر يمكننا أن نغرس فيها بنورنا التي تنمو من تلقاء نفسها حالما ثبّت جنورها في تلك الأرض) (١١).

أما ما هو الغرس الذي تغرسه المدرسة في حياة الطفل؟ فإنه في الواقع كثير ويأخذ مسارات متعددة. وقد تكون مشتركة فيأغلب مدارس رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والتي يمكن اجمالها بشكل عام بأنها تقوم بغرس الروح الاجتماعية وتنميتها في نفس الطفل، والاهتمام بالميل الاجتماعية وتنميتها وهذا لا يعني تفضيل المدرسة على البيت وإنما الغرض هو أن تكون البيئة المدرسية نوعاً مكملاً أو متحسناً من الحياة الأسرية، إضافة إلى أنه لابد أن تأخذ المدرسة دورها الفعال في عصر العلم والتكنولوجيا وتطبيقاتها، بما ينفع الناس والمجتمع ببناء الشخصية على أسس سليمة (١٢) ويقول سمسلر بهذا الصدد سمسلر : (يتطلب المجتمع الحضري المتقدم مهارات تقنية اعقد من أن توفرها له الأسرة، ومن ثم فإن الأسرة تتجه إلى التنازل عن كثير من وظائفها التدريبية إلى الأسواق التربوية الرسمية، فالأسرة النامية تفقد خصيتها لأطفالها في سن مبكرة جداً، وتسلمهم للمدرسة الابتدائية، بل حتى المدرسة الخصانة) (١٣).

و ضمن الاطار الخاص لمسارات المدارس الابتدائية للطفل، فإن أغلب هذه المدارس في رأي الدراسات الحديثة تؤكد على ما يلي:

- تنمية الاحساس بالثقة في النفس وفي الغير.
- تنمية الاحساس باستقلال الذات.
- تنمية المبادرة والاستعداد الابتكاري.
- تنمية القدرة على التفكير.
- تنمية استكشاف البيئة والمحيط.
- تنمية روح الجماعة والمشاركة الجماعية.
- تنمية التعبير عن أحاسيسه وشعوره.
- التهيئة والإعداد للحياة المدرسية المقبلة.
- المساعدة على التكيف الاجتماعي.
- تنمية الجانب الجمالي في الطفل.
- تنمية العادات الصحية.
- تنمية الحواس والقدرة على التعبير (١٤).

العوامل المؤثرة في تكيف الطفل والتحديات التي تواجهه :

إن مؤثرات البيئة المدرسية كثيرة وقد يكون بعضها غير منظور، مثل العلاقات

- الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي، ولكن يمكن حصر أهم العوامل المؤثرة التي تخص تكيف الطفل مع المدرسة والتي لها أثرها في نمو شخصيته في المستقبل فيما يلي:
- ١ - **بيئة المدرسة المادية :** ويقصد بها بناء المدرسة من حيث السعة والشكل وما تحتويه من غرف وصفوف وساحات وأماكن أخرى لمجالات الأنشطة والفعاليات المدرسية المتعددة الصافية واللاصفية، وعدد التلاميذ والزيادة التي لا تستوعبها المدرسة وتؤدي إلى الإزدحام ف تكون سبباً في تحديد حرياتهم في الحركة والانتقال وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى احتمام المنازعات والشجار وغيرها^(١٠).
 - ٢ - **الادارة المدرسية :** إن طريقة تعامل الإدارة المدرسية مع الأطفال أو مع أولياء أمورهم ومدى انسجامها مع المعلمين ومدى شعورها بالدور الكبير في التعويض التربوي والتوجيهي عن أولياء الأمور تعتبر من الأمور المهمة لتكيف الطفل مع مدرسته وقبوله إياها كمؤسسة يحترمها وينشد إليها.
 - ٣ - **المعلمون ومدى كونهم قدوة صالحة :** إن آثار المعلمين في التلاميذ لاتمحى بل إن من المعلمين من يكون سبباً وعاملأً رئيسياً في انضاج إنسان وتكامل شخصيته، أو في تحطيم نفسية إنسان وتبدل جذوة التفاعل في نظرته إلى الحياة إلى تشاؤم يستمر ويؤثر حتى في مستقبله. وهناك دراسات عديدة تبين مقدار العلاقة بين قسوة المعلمين وسخريتهم بالتلاميذ وبين أعمال غير قانونية وعدوانية أحياناً يرتكبها تلاميذهم نتيجة لهذه العلاقة.
 - إن طبيعة أداء المعلم لواجباته وأسلوب تفاعله مع الأطفال وطريقة ارشاده وتوجيهه هي التي تجعل من موقعه كقدوة لتلاميذه ويقدر سموه في أداء رسالته يكون مقدار سموه كقدوة وكتابه تربوي^(١١).
 - ٤ - **قابلية الطفل للتكييف والتفاعل مع الآخرين :** حيث يكون الطفل في تفاعل مستمر، خلال ساعات طويلة من النهار، والأطفال في المدرسة يتباينون بتباين واختلاف في بيئتهم الاجتماعية والاقتصادية والتي تنعكس في أنماط سلوكهم وطرق تعاملهم مع الآخرين، بالإضافة إلى توافقهم وطموحاتهم، وهذا

التفاعل بدون شك يمثل جوانب سلبية وذات أثر سلبي على حياة الطفل وبالتالي في نموه وتكون شخصيته وفي الأعمال التي تصدر عنه. وهناك عدد من الدراسات التي أكدت دور الأصدقاء والزملاه في المدرسة على سلوك الطفل وعدم تكيفه مما يؤدي أحياناً إلى انحرافه^(١٧).

٥ - **مواد المنهاج الدراسي :** وما تتضمنه من معارف ومهارات وسلوك وما تتطلبه من قدرات وجهود تتبدل لاكتسابها وأداء المهام التي يستدعيها وفق معايير محددة تحددها وسائل التقييم كالامتحانات وغيرها، وما قد تسببه له من انفعالات قد تجعله يتصرف بصورة غير صحيحة، وقد اظهرت بعض الدراسات أن الصعوبة التي يلقاها الطفل في تعلم القراءة والكتابة وعدم قدرته على ادائها قد تؤدي إلى سلوك الطفل لأنماط عديدة من السلوك غير السوي لكي يبعد انتباه بقية الأطفال عن عدم قدرته على القراءة^(١٨).

٦ - **الأنظمة والتعليمات المدرسية الموضومة لتنظيم أمور المدرسة**
والعلاقات الموجودة فيها والتي عليها اطاعتها والسير بمحبها. وقد يجد قسم من التلاميذ أنها صارمة ومقيدة لحرياتهم، وإذا مخالفتها التلميذ وخرج عن طاعتها قصداً أو بدون قصد، فإنه يتعرض لعقوبات مختلفة قد تترك آثاراً نفسية وتعلمية وتعطيف صفة المخالف، وهذه الحالة قد تؤدي إلى التمايي في المخالفة ومضاعفتها والخروج بها من نطاق المدرسة^(١٩).

وهناك عوامل غير مباشرة تترك أهميتها على الطفل ومدى تكيفه منها ما يلي:

- **مدى فاعلية الاشراف التربوي في توجيه المعلمين ورفع كفالتهم المهنية والتربوية:** إن علاقة الاشراف التربوي بنمو الطفل (معرفياً وسلوكياً) هي علاقة غير مباشرة، إذ إن الاشراف التربوي يهدف إلى تقويم أداء المعلمين وحسن توجيههم ودفع كفایتهم المهنية والتربوية، وهذا الهدف لا يتحقق إلا من خلال مانجده على الطفل من آثار في سلوكهم ومعرفتهم وتعلمهم العلمي، فسلوك التلاميذ ومستواهم المعرفي هي الأداة الأولى في تقويم المعلم، لذلك فإن مهام الاشراف التربوي تلتقي مع المهام المدرسية في تذليل كثير من صعوبات الطفل المدرسية والدراسية.
- **مدى استخدام المكتبة المدرسية :** إن المكتبة المدرسية تعتبر المنفذ الأولى التي يتطلع من خلالها الطفل إلى المعرفة العامة والثقافة المتعددة خارج إطار المناهج، وبقدر الاستخدام الفعال لهذه المكتبة من قبل المعلمين وتوجيهه تلاميذهم إلى استخدام المكتبة في إنماء معارف التلاميذ، يكون اقبالهم على الحياة المعرفية

واشباعهم لحب الاستطلاع والفضول العلمي الذي يعتبر البناء الأولى في تفتيق طاقاتهم الفكرية وابداعاتهم وقدراتهم الابتكارية.

واستخدام المكتبة واستثمار طاقات الأطفال وأوقات فراغهم أو تنويع نشاطهم الذاتي من خلال المكتبة، يمثل جانباً متطرفاً من جانب تنمية شخصيتهم وتوسيع آفاقهم الحياتية.

- مدى استخدام الحديقة المدرسية : إن تعويد الطلبة على العناية بالحديقة المدرسية لا تقتصر أثاره الإيجابية على الحديقة المدرسية بل يتعدى ذلك إلى عنايتهم بحدائقهم البيئية ويزرع فيهم حب الجمال والتنوّق كما يعودهم على الصبر والنظام والثقافة فضلاً عن تربية النونق وحب العمل الجماعي وتطبيق الكثير من المعلومات النظرية ومعرفة تطبيقاتها العملية، وغيرها من النتائج المهمة في التربية .

- مدى استخدام الوسائل التعليمية : إن من العوامل المؤثرة على مدى الانشداد للدرس والمادة العلمية هو الاستخدام الأمثل للوسائل التعليمية، فهي وسائل تعين المعلم على الشرح والتوضيح والتطبيق وتعين الطالب على الفهم والاستيعاب والإدراك الأفضل للعلاقات. ومن هنا فإن استخدام الوسائل التعليمية قد يكون عاملاً مشجعاً لتكييف الطفل مع المادة الدراسية وبالتالي مع حياته المدرسية، كما قد يكون افتقاره في الدرس عاملاً من عوامل الفتور والأهمال والشرود.

- النشاطات الlassificية : والنشاط الlassificي محك مهم من المحكات التي تظهر قدرات وقابلية الطفل في هذه الفترة العمرية وقد يكون بداية لظهور موهبة أو تطويراً لقابلية ابداعية، فمثل هذه الأنشطة تعتبر بدايات جيدة للتمايز في القدرات ولتطوير القابليات فضلاً عن كونها مجالاً أوفر لاستثمار الطاقات استثماراً علمياً ومعرفياً.

- أساليب التقويم والامتحانات : إن تقويم الطفل (سلباً أو إيجاباً) واسلوب مكافاته وطريقة عقابه (في المستوى السلوكي) وطرق الامتحانات وأساليب التصحيح ومدى العدالة والدقة في هذه الامتحانات (في المستوى المعرفي) يلعب دوراً كبيراً في مدى تعلقه بالمدرسة وانشداده للمادة العلمية فكم من طالب ترك المدرسة أو اخفق في دراسته لهذا السبب وكم من طالب تفوق في دراسته وطور قدراته للسبب ذاته.

فالتصوييم والامتحانات وسيلة وليس هدفاً، فهما وسيلة للكشف ومن ثم التوجيه

وليس وسيلة للعقاب، وبهذا الاعتبار فإن التعويم وال العلاقات وأساليبها تعتبر من العوامل المهمة في تكيف الطفل مع بيته المدرسية.

- العلاقة بين البيت والمدرسة : إن العلاقة والتعاون بين المدرسة وأولياء الأمور تمثل إطاراً حقيقياً لضمان النمو السليم للشخصية وضمان ارتقاء معارف الطفل ومداركه الحياتية، وقدر مثانته هذه العلاقة وديمومتها تكون ضمانة المسيرة السليمة لحياة الطفل سواء في البيت أو المدرسة.

مستخلصات عن الطفل في البيئة المدرسية :

١ - يلاحظ أن أغلب المدارس تعاني من الازدحام في الصفوف ومن التوزيع المتبع للمدارس نسبة إلى بيوت الطلبة.

إن ازدحام الصفوف والاقبال الكبير على التعليم، يؤدي إلى ظواهر غير مرغوبية سواء لسير التدريس أو حسن متابعة الطلبة وارشادهم أو حتى على حسن الحفاظ على الممتلكات داخل الصالن.

٢ - وجود مدارس نموذجية (قليلة) تتوفر فيها الشروط المتكاملة للمدرسة، وعدم استطاعة أغلبية الأطفال الالتحاق بها أو عدم إمكانية الجهات المختصة توفير نفس الشروط للمدارس كافة ومن ثم يلحق أغلب الأطفال بمدارس غير نموذجية.

٣ - قصور بعض المعلمين (على أقل تقدير) عن ادراك أهمية رسالتهم السامية وانخفاض مستوى تأهيلهم المهني والتربوي، إن مستوى الكفاية النوعية للمعلمين له أثر مباشر في مستويات الأطفال.

ومن هنا فإن رفع المستوى التربوي والمهني للمعلمين أمر تتطلبه ضرورات تطور المجتمع وتعقد الحياة وتطلعاتنا نحو المستقبل.

٤ - ظاهرة الرسوب والتسرب : إن الرسوب والانقطاع عن المدرسة لا بد أن ينالا اهتماماً كافياً، أما الرسوب فلازال ظاهرة غير صحيحة في المدارس، إذ أن آثاره التربوية والاجتماعية والاقتصادية قد تظهر بشكل مباشر أو غير مباشر في المستقبل.

٥ - ازدواجية المدارس أو عدم وجود يوم مدرسي كامل : إن ازدواجية المدارس له آثاره في انحسار الأثر المدرسي على التلميذ.

فانتهاء اليوم المدرسي بعد عدة ساعات قليلة يترك فراغاً طويلاً وقد يكون سلبياً للأطفال.

وقد امتهن الكثير من الآباء والأمهات العمل في دوائر الدولة مما يجعلهم قلقين على ولادهم طيلة ساعات طويلة بعد انتهاء دوامه المدرسي حيث يمكث عند الجيران أو في البيت وحده أو في خارج البيت فضلاً عن كون الإزدواج في المدارس يمنع الممارسة الطبيعية للكثير من الأنشطة المدرسية الصافية واللاصفية، وبالتالي فإن اليوم الدراسي الكامل يتبع للطفل فرصة أوفر للتعلم واللعب والنشاط المثر والتوجيه السليم.

- يبدو أن مجالس أولياء الأمور والمعلمين، لم ترق إلى مستوى الفاعلية المطلوبة لها. فما زال الاهتمام بها في أغلب المدارس شكلياً أو موسمياً لا يتحقق منه إلا اجتماعات طارئة أو تقليدية وتقتصر المتابعة في قراراتها كما تقتصر في أغلبها على الاهتمام بالجانب الدراسي دون الجوانب التربوية والنفسية والأخلاقية الأخرى.
- إن قلة وجود (أو قلة استخدام) الوسائل التعليمية في المدارس، وقلة الاهتمام بالنشاطات اللاصفية، يجعل هذا الاهتمام موسمياً أو لمجموعة من الطلبة دون أخرى.
- لا ريب أن القصور في كفاية المعلمين له آثاره، وقد يكون القصور في مناهج إعداد المعلمين التي لا تكفي لانتاج معلم له دور ورسالته، كما أن ابعاد كثير من المعلمين عن متابعة التطور التربوي والمستحدثات في المجال التربوي والنفسى، أدى إلى بقاء هذه الأكثريّة في مستوى خبرات المهد الذي تخرج منه دون متابعة ثقافية أو علمية أو تربوية.

كما أن انشغال قطاع كبير من المعلمين في شؤون الحياة وشعورهم بانخفاض مستواهم الاقتصادي كان سبباً في انجذابهم إلى أعمال أخرى خارج التعليم، مما يقترب بيوره على أن يكون للتعليم عندهم في الدرجة الثانية من الأهمية.

المبحث الثالث : الطفل في المجتمع (خارج البيت والمدرسة)
يتأثر الطفل بعد البيت والمدرسة بمؤثرات أخرى تقع ضمن حياته في المجتمع ويمكن إيجاز هذه المؤثرات بما يلي:

أولاً : العوامل الثقافية :

إن العوامل الثقافية المتمثلة في التلفزيون والسينما والمطبوعات والراديو والمسرح لها تأثيرها الكبير على سلوك الطفل، ولكن هذا التأثير لا يمكن عزله عن تلك التأثيرات ^(٢٠) للعوامل الأخرى ويمكن إيجاز دور هذه المؤثرات الثقافية والاعلامية فيما يلي:

١ - **أثر التلفزيون**^(٢) : يكتسب الطفل من خلال عملية الاتصال وتدفق البرامج التلفزيونية بصورة متعاقبة، ثقافة جديدة تضاد إلى رصيده الثقافي الذي اكتسبه من خلال واقعه الاجتماعي من الأسرة والمدرسة أو الوسط المحلي، والتلفزيون في هذا المجال يقدّي نوراً مهماً في حياة الأطفال، حيث نجدهم يقضون الساعات الطويلة لمشاهدة التلفزيون تعادل أو تزيد عن الوقت الذي يقضوه في المدرسة أو مع أسرهم أو رفاقهم في الشارع. ولهذا فالطفل يتعرض للآثار التي يتركها التلفزيون عليه وهي آثار سلبية إن لم يحسن التخطيط لها، وأثار إيجابية إن أحسن وضع الخطط الهدافلة لها.

وتشترك الأسرة في تعميق الآثار السلبية، إذ لا يفطن الكبار لما في فيلم تلفزيوني أو برنامج معين من سلبيات في سلوك الأطفال، إذ وحسب اعتقادهم فإنّ أطفالهم لن يتاثروا سلبياً بهذا الفيلم أو البرنامج، ولكنهم في الواقع يلتقطون من العادات والأنماط السلوكية المختلفة مما لا يفطن إليها الكبار ثم إن التلفزيون قد يعرض بعض البرامج أو المسرحيات التي فيها سلوك مدان قد ينتبه إليه الكبار، ولكن الأطفال قد يتاثرون بهذا السلوك ويقلدونه ويفعلون الهدف الرئيسي من هذا البرنامج على اعتبار أنّهم يعتقدون بأن كل ما يعرض فيه هو مقبول وشائع، وهذا أمر خطير إذا افتقد هذا الطفل التوجيه والإرشاد من لدن الوالدين أو الكبار في الأسرة.

ويجب أن لاننفل أن التلفزيون يعرض برامج هادفة للأطفال، ومع هذا فإن الطفل بحاجة إلى توجيه الكبار نحو كيفية الإفاداة من هذه البرامج لكي لا تبقى هذه البرامج في إطار التسلية فقط مع أنها مطلوبة لتشويق الطفل وإثارة حماسه وانتباذه وتحفيز ميله واتجاهاته.

كما يجب أن لاننفل أن بعض تصرفات الكبار خلال مشاهدة البرامج التلفزيونية قد ينعكس على الصغار أيضاً كرأي الكبار في أحد البرامج أو تعليقاتهم وتعقيباتهم على بعض البرامج، أو الميل إلى برامج معينة مسلية أكثر من مشاركة الطفل في متابعة برنامج علمي أو عملي هادف.

٢ - المطبوعات :

إن الطفل لا يتأثر بالمطبوعات الخاصة بالأطفال فقط بل قد تكون المطبوعات الأخرى ذات أثر عليه أيضاً. ولكننا هنا بصدد تلك المطبوعات الخاصة بهم (المجلات والقصص).

ولاشك أن أثر هذه المطبوعات كبير في تنمية شخصية الطفل في هذه المرحلة وتبصيره إلى أهميته وأهمية تاريخه وتراثه، فضلاً عن دور المطبوعات في نزع القيم والعادات وتنشيط الميل وتشجيعها وتقويم اللسان ونمو المعرفة العامة والخاصة.

مع أن ثقافة الأطفال مشاعة وفي متناول أيديهم إلا أن الطفل لا يستغني عن التوجيه والإرشاد في كيفية الاستفادة من هذه المطبوعات وكيفية تنمية مواهبه وكيفية تشجيعه لإنشاء مكتبة الخاصة كنواة لمكتبه أوسع عندما يكبر.

ومعنى العلاقة بين الطفل والكتاب هي بداية فتح الطريق أمام الطفل للثقافة والتزود بالخبرة والعلم والكتاب مكان الميل والمواقف وتشجيعها.

ولعل من الأمور المهمة التي نذكرها هنا هو كون هذه المطبوعات رافداً مؤثراً لثقافة الطفل مع الرافد المدرسي. وقد يكون أحدهما قاصراً عن الآخر، وبهذا يبقى ينشد نمواً متكاملاً في الجانب الثقافي إلا أنه قد لا يجد العون الكافي على مواصلة مسيرته الثقافية بنفس الإنسانية التي تتحقق عندما تتكامل آثار الثقافة وأثار هذه المطبوعات وغيرها من وسائل الثقافة والاعلام.

٣ - السينما :

اصبحت السينما قوة تأثيرية لا يستهان بها، يتأثر بها الطفل والشاب والرجل والكهل، ولذلك يجب أن تكون للسينما رسالة هادفة. ولكن مع الأسف قد نجد (أحياناً) التقيض. فقد تكون لهذه الأفلام آثار ضارة على بعض الأطفال وبخاصة إذا افتقدوا التوجيه والإرشاد حيث يكون الفيلم مستمراً في ذهن الطفل حتى بعد انتهائه في دار السينما، بخاصة وأن هناك أفلاماً تمجد قانون الغابة في الإنسان المفترس للعنصري والذى يتحكم في مصير أخيه الإنسان، فكائننا تلقن الأطفال والشباب أن قوة العصبية هي السلاح الوحيد، وهناك أفلام أخرى عن اللصوصية والإجرام تمجد اللص وال مجرم طيلة الفيلم وفي النهاية ينتهي المجرم ولكن صورة المجرم البطل تتغلب في أذهان المشاهدين، حتى إن بعضهم يتالم على قتله أو تقديميه للعدالة، فترسخ في أذهانهم آنذاك تلك البطولة الكاذبة الخطرة على الأمن والإنسانية وقد يحاول بعض الأطفال والشباب تقليدها. وكذا الحال بالنسبة لأفلام الأغراء والفتنة وما فيها من آثاره الغرانز، حيث إن هذه الأفلام تهدى الأدب والأخلاق والنظام العام وتكون عاملًا من عوامل الوبن الخلقي لا الإصلاح الاجتماعي. فضلاً عن رؤية الطفل للمناظر

البشرة كمناظر الجريمة واقترافها وهذا من شأنه أن يؤدي بالطفل إلى تحرير عواطفه بحيث يصبح غير قابل للتاثير بما يصيب الآخرين من آلام، كما يؤدي إلى انحراف في نزعة المشاركة الوجاذبة لديه^(٢٢).

٤ - المسرح :

إن أثر المسرح على الأطفال لا يواني بطبيعة الحال أثر التلفزيون أو السينما، لأنّه عادة يعرض مسرحيات شعبية ومن نفس بيته الطفل إلا أنّ الأثر الذي يتتركه الحوار (وميل الطفل إلى نقل الحوار إلى حديثه العام) وأثر تصرفات الممثلين قد تنتقل إلى سلوك الطفل.

أما مسرح الطفل فلاشك أنه منيد ويعرض مسرحيات هادفة يميل إليها الأطفال، وإن كان الطفل يائس أيضاً إلى المسرحيات الأخرى التي تعرض للكبار (أو الكبار والصفار معاً)، علماً أن مثل هذا النشاط لازال متصرراً على قليل من المدن مثلاً ومازال الوعي المسرحي قاصراً عن استيعاب دوره وأهميته في أغلب الأحوال.

٥ - الراديو :

إن البرامج الإذاعية الخاصة بالأطفال سواء كانت تمثيلية أو ارشادات أو مسابقات، تؤثر على مدى متابعة الأطفال لها، أي أنّ أثر هذه البرامج يقترب بعدى متابعة الأطفال لها، فإن كانت المتابعة معدومة (وجود التلفزيون أو لقلة استعمال الراديو) فإنّ الأثر يخف وقد يزول، إما إذا كان الطفل متابعاً لها فإنّ أثارها تظهر في سلوكه أو في مشاركته في هذه البرامج.

ثانياً : العوامل الاجتماعية .

إن الطفل خارج البيت والمدرسة لا يتأثر فقط بالمؤثرات الثقافية والاعلامية، بل هناك مجالات ومصادر للتاثير نوجزها فيما يلي:

١ - أصدقاء الطفل : إن مجموعة الأقران والاتراب أثراً كبيراً في التطلع الاجتماعي لدى الطفل، وهم يعتبرون محكّات جيدة لقياس مدى تكيفه الاجتماعي ومدى اتساع علاقاته الاجتماعية، كما تعتبر جماعة الأصدقاء والأقران من الجماعات الأولى التي يتطلع الطفل من خلالها إلى المجتمع الكبير وهي العتبة الأولى التي يتعلم الطفل من خلالها كيفية الدخول إلى المجتمع الكبير والتكيف مع معاييره وتقاليده.

ولهذا تعد مجموعة الأقران المصدر الذي تنتشّق منه النزعات الاجتماعية تدريجياً وال المجال الذي يتدرّب فيه الطفل على التبادل الاجتماعي بصورة أولية.

إنّ الطفل يخرج إلى الأطفال الآخرين سواء كانوا أولاد الجيران أو الأقارب في المحلة أو الأتراب في رياض الأطفال حاملاً معه خبرة قليلة في كيفية التعامل والتكيّف معهم. وهنا تأتي أهمية اختلاط الطفل مع أقرانه لأنّ هذا الاختلاط يزود الطفل بمجموعة من الخبرات والمارسات والمعلومات والتوجيهات التي يستطيع الطفل بواسطتها التوافق والتكيّف مع الآخرين مكوناً علاقات صداقة معهم حيث يكون اختلاط الطفل مع أقرانه عاملاً لتهيئة الأجواء النفسية والاجتماعية المناسبة للطفل التي قد تعجز الأسرة النووية بخاصة من تهيئتها^(٢٣).

ولهذا يعدّ لجامعة الأصدقاء هذه أثراً كبيراً على سلوك الطفل قد يفوق أحياناً تأثير الأسرة والمدرسة، لأنّ الطفل يتأثر بنوع السلوك السائد المفروض من جماعات الأصدقاء وبالعادات والتقاليد السائدة والتي تفرضها الجماعة على أفرادها. وتفضيل الطفل لهذه الجماعة أو انسيابه إليها لأنّها تهيئ له الجو المناسب للتفاعل الاجتماعي مع غيره، وتبني لديه روح الانتساع وتبرز مواهبه الاجتماعية وتؤثر إلى حد كبير على نموه الخلقي من حيث قبوله للمعايير والقيم والتقاليد^(٢٤).

٢ - **الجيران :** الجيران وأولادهم على صلة مباشرة مع الطفل (خاصة إذا كان أولادهم من نفس العمر أو في نفس المدرسة) حيث يعتبرون من أقرب الأصدقاء ومن أكثرهم ترددًا على بيت الطفل ومن أكثرهم أثراً فيه وتتأثراً به.

وعلقات أولاد الجيران بأسرهم وبآبائهم تتعكس على علاقات الطفل بأبويه وأسرته، فكلما كان البون شاسعاً في طبيعة هذه العلاقات كان مدى الصراع الذي يعنيه هذا الطفل أكثر، والطفل الذي يعيش في ظروف عائلية قاسية أو صعبة، تكون آثار هؤلاء الأصدقاء من الجيران واضحة في مضاعفة شعوره بالأسى ونزعته نحو الانعزal وقد تؤدي إلى ظهور الغيرة والحسد على هذا الطفل وهو في غنى عنهم.

٣ - **العلاقات الاجتماعية :** ونقصد هنا العلاقات الاجتماعية للطفل بين أسرته وأقاربه أو مع الجيران والمعرف، والتي تترك أثراً لدى الطفل، إذ إنّ مثل هذه اللقاءات تكون مجالاً للمقارنة بين أساليب الرعاية والتربية وأساليب الثواب

والعقاب ومجالاً للتزود بالمعرفة الاجتماعية وبالخبرة الحياتية، والإطلاع على أحاديث الكبار ومزاجهم وتصرفاتهم، وغير ذلك من الأمور التي تجعل الطفل يوازن بين هذه التصرفات وبين أنماط السلوك التي تعلمها في المدرسة وأنماط السلوك التي يذكر الكبار على ضرورة التقيد بها.

٤ - اللعب : هو أي سلوك يقوم به الطفل بدون غاية عملية مسبقة، وهو محك آخر من محكمات الكشف والتعرف على ميل الأطفال واتجاهاتهم واللعب له أهميته النفسية في التعليم والتشخيص والعلاج، ويعتبر اللعب من أهم وسائل الطفل في تفهمه العالم من حوله.

يكون أصدقاء اللعب لهم أثر خاص في الطفل، فقد يكون الأطفال جماعات للعب تكون لها معايير خاصة (تختلف في كثير أو قليل) عن معايير الأصدقاء الآخرين، وقد يائس الطفل بأصدقاء اللعب فيتناول بهم وينساق إليهم، وليس في هذا ضير إلا إذا كان بين هؤلاء الأصدقاء من يشك في سلوكه أو من يتصرف بتصرفات سلوكيّة خارج حدود اللعب.

واللعب يختلف حسب البيئات الاجتماعية، فالطفل في القرية يلعب مع الطبيعة ومع الواقع، فهو يلعب بالحجارة والنبات، أما طفل المدينة فهو يلعب مع الأشياء غير الطبيعية أو الطبيعية المقلدة. والطفل في القرية يلعب في الخلاء بينما الطفل في المدينة يلعب داخل الغرف أو في الشوارع وأحياناً بين السيارات والطفل في القرية يلعب كل الوقت، بينما طفل المدينة يتلزم بالتقسيم بين وقت اللعب ووقت الدراسة.

وفي ضوء هذا فإن طفل القرية محظوظ أكثر من طفل المدينة في مجال اللعب، وكثيراً ما يلجأ طفل القرية إلى الابتكار والتخيل لكي يلعب بعكس طفل المدينة الذي يلعب بلعب صنعت خصيصاً لذلك^(٢٥).

إن خطورة جماعة اللعب الخاصة وال العامة منها، تكمن في مدى تماสک هذه الجماعة فيما بينها ومدى تمكّسها بالأداب العامة والمعايير السلوكيّة المرغوبـة، إذ إننا نعرف أن بعض العصابات تكون من مثل هذه الجماعات فتقدي تصرفاتهم البسيطة الأولى (دون مراقبة أو ردع) إلى جنوح لاتحمد عقباه.

٥ - العمل خارج المدرسة : ويأتي العمل خارج المدرسة عاملاً وتحديداً آخر من المؤثرات على الطفل (خارج البيت والمدرسة) إذ يضطر بعض الأطفال في عمر الطفل إلى العمل (أو يجبرون عليه) من قبل الآباء أو الأمهات أو أولياء الأمور،

فيعملون عمالةً بدائنين أو باعةً متجولين أو خدماً أو غير ذلك، وفي كل هذه الحالات يختلطون بمجتمع الكبار دون استعداد أو تهيز اجتماعي أو ثقافي أكمل، مما قد يولد بعض السلبيات في هذه العلاقات المبكرة مع المجتمع الكبير دون استعداد أو مراقبة أو توجيه.

الفصل الثاني : نحو تكامل تربوي بين البيت والمدرسة .

إن تعويد الطفل النظام والعادات الصالحة والانضباط في حياته لا يتوقف على جهود المدرسة وحدها، فلابد أن تسرى هذه الأنظمة والأساليب داخل بيوت الأطفال من قبل الوالدين ويسيرون عليها في تنشتهم لأطفالهم وبذلك يكون نوع من الثبات والتوحد في التربية. ولا يتحقق هذا إلا بتعاون كل من في البيت والمدرسة عند قيامهم بالدور التربوي والاجتماعي النفسي، إن هذا التعاون سيؤدي إلى تكامل تربوي بين البيت والمدرسة وبالتالي سيقود ذلك إلى رأي ونظام موحدين في رسم قواعد السلوك التي يسير عليها كل من في البيت والمدرسة، وبالعكس فإن هذا التنبذ وانعدام التعاون يعد من أكبر معوقات التربية ونمو الشخصية وتفتحها^(٢٦).

ومما يؤكد أهمية هذا التعاون بين البيت والمدرسة أن كلاً من المؤسستين تقومان بنفس الأنشطة (تقريباً) وبصيغ مختلفة وتمارس صيفاً غير متناسقة ومشتلة للجهود والإمكانات. مما يستوجب أهمية التعاون الذي أكدته اغلب المؤتمرات الدولية، حيث نجد مثلاً أن توصيات المؤتمر الدولي للتعليم العام بجنيف، أكد في البند السادس من التوصية رقم ١٧ لمؤتمر ١٩٢٩ على أن (التعاون مع الأسرة أمر هام طوال الحياة الدراسية بل انه يعتبر أمراً جوهرياً.... لذلك يجب أن تشع اجتماعات أولياء الأمور والزيارات في المنازل، واشتراك الآباء في الوان نشاط المدرسة)^(٢٧).

ويعود المؤتمر في عام ١٩٦١ ليؤكد في البند السادس والعشرين التوصية رقم ١٥٣ على أن (التعاون مع الأسرة ضروري.... والهدف من هذا التعاون إشعار الوالدين بمسؤولياتهم التربوية ومساعدتهم على الاضطلاع بها، وينبغي ألا يقتصر هذا التعاون على مجرد مقابلة الآباء الذين يحضرون إلى المدرسة، بل يجب أن يشتمل على المقابلات التورية والأحاديث الخاصة، وعقد الحلقات للمناقشة، وكذلك مشاركة الآباء لأبنائهم في الوان النشاط المدرسي، وزيارتهم للمدرسة أثناء سير الدراسة كذلك زيارة المعلمات للأسر)^(٢٨).

إن هذا التوجه العلمي إلى ضرورة التعاون بين البيت والمدرسة يقتضي الأخذ بسياسة تخطيطية شاملة، وليس الاعتماد على صيغ متعددة للتعاون ينقصها بالأساس

التخطيط المسبق وتحديد الهدف والمتابعة اللازمة، حتى لا تكون هذه الصيغة لحساب احدى المؤسسات على الأخرى، فمن أجل إبراز مكانة دور المدرسة واظهار الانجازات التي تقدمها أمام المسؤولين، يكون إبراز دور المدرسة على حساب البيت، بينما العملية التخطيطيات تهدف إلى تحقيق أهداف محددة ولا يتم ذلك إلا بعملية تأخذ بعين الاعتبار جميع الجهات المعنية.

إن عدم التعاون المسبق حسب أسس ومبادئ تخطيطية واضحة سيؤدي إلى قلة أو (انعدام) صيغ التعاون والتنسيق بين البيت والمدرسة وبالتالي إلى بروز العديد من الظواهر السلبية منها.

- ١ - التداخل في بعض النشاطات الخاصة بالطفل.
- ٢ - الهدر في الإمكانيات الأسرية والمدرسية.
- ٣ - تعدد مراكز التوجيه داخل المدرسة أو داخل الأسرة أو عند كليهما.
- ٤ - هبوط مستوى الأداء والإنجاز للطفل.
- ٥ - تشتيت الجهد وتعذر الخدمات المقدمة للطفل.

إن هذا كلّه يستوجب ضرورة الأخذ بسياسة تخطيطية في مجال التعاون بين الأسرة والمدرسة من أجل تحقيق التكامل التربوي بين البيت والمدرسة وهي كما يلي:

١ - في مجال الأهداف :

لابد أن تكون أهداف كل من البيت والمدرسة مكملة الواحدة للآخر، بحيث لا يكون هناك تقاطع أو تضارب أو تداخل في كل منها، ولهذا لابد من تحديد الأهداف بالنسبة للبيت والمدرسة حسب المراحل العمرية للطفل سواء قبل المدرسة وبعدها وأساليب التعاون والتنسيق بينهما، لأن كلاً منها يهدف إلى هدف واحد وهو تربية الطفل واعداده ونمو شخصيته، في حين تختلف وسائل التنفيذ خاصة بالنسبة للمدرسة لما تحتويه من إمكانات تدريسية مهيئة لهذه العملية ومنهاج وإعداد، بينما البيت يمكن أن يأخذ أنواراً أخرى مكملة وحسب الأهداف التي تحدد له.

بهذا أكد التربويون على أهمية التعاون بين البيت والمدرسة عن طريق تنسيق الوسائل التربوية في ضوء التفاهم والتحديد الواضح للأهداف التربوية في إطارها الشامل. فليس من المعقول أن يكون الهدف الأساسي للأسر من ذهاب ابنائهم إلى المدرسة هو تحصيل العلم والنجاح في الامتحانات النهائية آخر العام، وأن أي نشاط آخر هو غير ضروري وأنه مضيعة لوقت والجهد. وبمعنى آخر شيع النظرة الجزئية بدلاً من النظرة الشاملة للأهداف التربوية، وبالتالي سيكون الاختلاف في الضوابط

والتوجيهات التي يتلقاها الأبناء من المدرسة والأسرة. وبهذا يعيشون في حيرة وقلق نفسي واجتماعي، ضوء هذا يكون التعاون بين البيت والمدرسة في سبيل تحقيق الأهداف التربوية ضرورة ماسة من أجل بناء جيل سليم وفاعل^(٢٩).

٢ - في مجال الأنشطة :

إن غياب التخطيط للأنشطة العلمية والثقافية والبدنية والفنية للأطفال والشباب سيقود إلى ظاهرة التجزئة وسينعكس سلباً على مزاولة الطفل لأنشطته، ولهذا تبرز الحاجة إلى إقرار صيغة تضمن التنسيق والتعاون والتكامل بين الأنشطة المختلفة للأطفال.

الإشراف المركزي وتحديد مساراته : (المبادئ والأسس).

لابد إذن من اعتماد صيغة من الإشراف المركزي على حركة الطفل في المدرسة والبيت تقوم على مبادئ وأسس من أجل تحديد مسارات هذه الصيغة وضمان التعاون والتنسيق بينهما بشكل إيجابي وأهم هذه المبادئ هي :

١ - الاتساق في الهدف :

المقصود أن يكون الهدف العام في التكامل التربوي بين البيت والمدرسة واضحاً لكل منها مع احتفاظ كل منها بأهدافه الخاصة سواء في الاعداد أو التربية أو البناء بحيث لا يكون هناك تناقض بين الأهداف الخاصة لكل منها وبين الأهداف العامة، لأن مثل هذا التناقض يؤدي إلى نوع من البعثرة للجهود وانقسام التوجيه أو تكرار للجهود دونما مبرر.

٢ - الاتساق في وسائل تحقيق الهدف .

ليس المقصود أن تكون الوسائل واحدة، بل أن يكون هناك نوع من التخصص في وسائل تحقيق الأهداف بما لا يتعارض مع الوسائل المستخدمة الأخرى لتحقيق أهداف خاصة للجهة الثانية. وأن يكون هناك تناقض وتبادل الخبرات بين البيت والمدرسة في المجالات الخاصة لكل منها سواء باعداد وتنمية وبناء شخصية الطفل بحيث لا يتعارض ذلك مع الأهداف الخاصة لكل جهة.

٣ - الاتساق في وحدة التوجيهات :

المقصود هو أن الاختلاف في الوسائل والإجراءات في اعداد الطفل بين البيت والمدرسة يستدعي بالضرورة ضمان عدم تأثير الاختلاف (في الوسائل والأساليب والإجراءات) على الخط العام للتوجيهات الأصلية والأهداف المشتركة في تربية واعداد الطفل، إذ إن اختلاف الوسائل لا يعني اختلاف الأهداف.

٤ - التنسيق بين حرية الحركة في الساحة للأطفال وبين وحدة الهدف :

وقد يظهر أن هذه الفقرة مكملة للفقرة التي سبقتها، ولكننا نرى أن حرية الحركة في الساحة أو الميدان لا تقتصر على الوسائل واختلافها بل تشتمل حتى أساليب تطوير هذه الوسائل وتغييرها وتطويع المستلزمات المتوفرة باستمرار في إنجاز المهام وتوظيف الإمكانيات المتاحة لتحقيق الأهداف المشتركة بين البيت والمدرسة. وعدم التقييد الحرفي بالإجراءات إذا كانت المرونة في التنفيذ تستدعي ذلك، كل ذلك دون المساس بالأهداف المشتركة دون تقصير في تحقيقها.

الفصل الثالث : بعض مجالات التعاون بين البيت والمدرسة لسد حاجات الطفل.

لكي ينمو الطفل بشكل متوازن في مظاهر شخصيته المختلفة الجسمية والنفسية والاجتماعية، لابد من مراعاة حاجات الطفل وقد تقسم هذه الحاجات إلى مجموعتين أساسيتين وهما:

١ - حاجات النمو الجسمي والعقلي :

أ - حاجات النمو الجسمي : والتي تتمثل في :

- الحاجة إلى اللذاء الصحي.
- الحاجة إلى النوم.
- الحاجة إلى اللعب.
- الحاجة إلى مسكن مناسب.
- الحاجة إلى الوقاية والعلاج من الأمراض.

ب - حاجات النمو العقلي : والتي تتمثل في :

- الحاجة إلى البحث والاستطلاع.
- الحاجة إلى اكتساب المهارة اللغوية.
- الحاجة إلى تنمية القدرة على التفكير.

٢ - حاجات النمو الوجداني والاجتماعي : والتي تتمثل في :

- الحاجة إلى الأمان.
- الحاجة إلى التقبل.
- الحاجة إلى التقدير.

- الحاجة إلى النجاح.
- الحاجة إلى تكيد الذات.
- الحاجة إلى الاستقلال.
- الحاجة إلى سلطة ضابطة أو مرشدة.
- الحاجة إلى الرفاق.

وهذه الحاجات بشكل عام حاجات ضرورية لابد من اشباعها على خير وجه ممكن بين الأسرة والبيت حتى يتحقق نمو شخصية الطفل نمواً سليماً متزناً.

الواقع إن هناك تشابكاً وتدخلاً وتفاعلًا بين هذه الحاجات فلا يعني إن توفير حاجة معينة الاستغناء عن بقية الحاجات الأخرى أي لابد من اعتماد صيغ تخطيطية حسب الأسس والمبادئ السابقة، لأن عدم اشباع أية حاجة يؤثر في حاجة أو حاجات أخرى فيحيطها، فمثلاً إذا لم تشبع حاجة معينة مثل الحاجة إلى الغذاء فإن ذلك يسبب احباطاً لحاجة أساسية من حاجات النمو الوجداني والاجتماعي ألا وهي الحاجة إلى الأمان^(٢٠).

بعض مجالات التعاون :

هناك مجالات عدة للتعاون بين البيت والمدرسة والتي تحقق للأطفال استثماراً لطاقتهم وضمن الحاجات الضرورية لهم، ولابد أن تتعاون المدرسة والبيت في سبيل تحقيق ذلك.

وأهم هذه المجالات مايلي :

١ - الأطفال وأوقات الفراغ :

إن الطفل يحتاج إلى مزيد من الوقت ليقضيه في اللعب والترفيه مع أصدقائه كلما ترسج في النمو، وبالتالي فإن وقته الذي يقضيه مع أسرته يقل يوماً بعد يوم وحيث تتسع دائرة الاجتماعية وتضيق دائرة الأسرية.

إن استثمار وقت الفراغ هو ممتع ومفيد ومرير ويضيف للطفل خبرة جديدة بموروث الزمن، وقد يتعدى على بعض الأنشطة وقد تتسع دائرة هذه الأنشطة وربما ستكون مجالاً لشخصه في المستقبل.

ولابد أن تتعاون كل من الأسرة والمدرسة لاستثمار أوقات الفراغ المفید الذي يمكن أن يتطور بالمستقبل.

إن دور المدرسة وكذلك الأسرة هو رصد النشاطات خلال الفراغ وتقديم

الخيارات للطفل بكيفية استثمار وقته بما يناسب رغبته و هوايته بحسب مستواه الثقافي و مرحلته العمرية ومستوى نضجه.

يكون دور المدرسة والأسرة التعاون على اكتشاف هوايات ورغبات الأطفال دون أن يترك الطفل أن يكتشف نفسه لوحده، وبهذا تزيح الوقت والجهد والطاقة للأطفال والشباب.

ومن خلال البرامج والأنشطة والمناهج التي تتعاون المدرسة مع البيت في وضعها في إطار خطة مشتركة تستطيع أن تستثمر هذه الطاقة ونجعل الطفل يتقنع منها ويفيد الآخرين بها. إذ إن إقامة التوازن في حياة الطفل والشباب بين التعليم المدرسي وأنواع النشاط الابتكاري والفنى والرياضي والتواصي الانتاجية هي من الأهداف المشتركة التي بالامكان أن تتعاون في مجالاتها كل من المدرسة والبيت.

٢ - الأطفال والعمل :

العمل وسيلة من وسائل التعبير عن الذات، والعمل مهم في تكامل الشخصية، فالأطفال والشباب في أثناء التفاعل مع الوسط الذي يعملون فيه، فإنهم ينمون ويتکامل شخصياتهم وتحقق نواتهم ويشعرن بقيمتهم وانسانيتهم.

إنه يتوجه الطفل أو الشاب نحو أنواع العمل يستطيع أن يشارك المجتمع من خلاله ويكتشف نفسه ويكون شخصيته من خلاله أيضاً، فبعض النشاطات تعتبر أ عملاً يستدعي انجازها متابعة وجدها يطول ل أيام أو لأسابيع ومثل هذه تعتبر شواهد على قدرات الأطفال أو الشباب الذين ينجزونها، فضلاً عن ذلك فإن التوجيه المهني وارشاد الأطفال والشباب نحو بعض الاختصاصات التي يحتاجها المجتمع في حياته دون أن يرغب بها في تقاليده وعرفه القديم، يعتبر جهوداً مضافة لجهود المدرسة أو البيت في البناء الاجتماعي والتوعية الاجتماعية بأهمية هذه الأعمال وحاجة المجتمع إليها.

ثم إن العمل (كتنشاط مستثمر) يعتبر عنصراً من أهم عناصر تكوين الشخصية، حتى إن بعض الصيانة البسيطة وبعض واجبات الدفاع المدني أو مساعدة رجال شرطة المرور كلها تعتبر وسائل مناسبة لتعويذ الأطفال والشباب على العمل الجماعي والمشاركة الاجتماعية المشرفة والمنظمة.

ويمكن للمدرسة والبيت أن ينظموا جهودهما في هذا الإطار لاستثمار هذه الجهود وتطويرها.

٣ - الأطفال والبناء الفكري :

من المظاهر التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنواحي النمو العقلي والاجتماعي وتعتمد عليهما، محاولة الأطفال أو الشباب أن يستخلصوا لأنفسهم وجهة نظر حياتهم أو تكون فلسفة الحياة وهي لا تخرج عن كونها مجموعة من المبادئ أو القيم التي يحاولون أن يحيوا بمقتضاهما حيث يبدأ الأطفال والمرحلة التي تلتها في التفكير جدياً بالقيم الاجتماعية والتفسيرات الأخلاقية وقواعد السلوك وصولاً إلى تكوين نظام قيم خاص بهم.

والمرحلة العمرية من الأطفال والشباب تستدعي اهتماماً خاصاً من قبل المعنين في المدرسة والبيت بضرورة توجيه الأطفال والشباب ومساعدتهم لتكوين هذه الفلسفة الحياتية بما لا يتعارض مع انتظامهم لتراثهم وبما يغنى ويشبع حاجتهم إلى الشباع الفكري وشعورهم باكمال نضجهم.

فالتوجيه الفكري في المدرسة يتم من خلال الدروس ومن خلال اللقاءات والندوات وغيرها من النشاطات المدرسية. وكذلك يمكن للبيت أن يقوم بتوعية الأطفال والشباب وتنشتهم حسب الخط العام وبما لا يكون هناك تعارض بين التوجيه الفكري بين البيت والمدرسة وهذا بالضرورة يتطلب توحيداً في الغاية والأسلوب والإجراءات من قبل المدرسة والبيت.

وتلعب (القنوة) دوراً كبيراً في نضج الأطفال والشباب الفكري واقتدائهم بالمثل الأعلى في الشخصية. ولذلك فإن السلوك المدرسي (الذى يتجلى من خلال المعلمين والأولاد) له دور مباشر في توجيه الأطفال وصقل شخصياتهم وبالتالي يساعد مستقبلاً على نومهم الفكري. وكذلك فإن السلوك اليومي للمسؤولين في البيت والمدرسة يؤثر في الأطفال الذين يتلقون التوجيه الفكري من البيت والمدرسة من خلال فعالياتهم وانشطتهم المختلفة.

٤ - الأطفال والنمو المعرفي والثقافي :

لاشك أن المدرسة تعتبر مصدراً رئيسياً للثقافة الأطفال ومصدراً مهماً من مصادر خبراتهم الثقافية، وكذلك البيت. إلا أننا نجد الأطفال والشاب قد لا يشعرون غايتها الثقافية من خلال المنهج الدراسي وقد لا تساعده المكتبة في المدرسة على

اشياع حاجته الثقافية في بعض نواحي المعرفة فيبقى خلمناً إلى المعرفة والتواصل الخبرى ولمثل هؤلاء الأطفال والشباب يفترض أن يتحرك البيت وأحياناً بالتعاون مع المدرسة في توفير مصادر الثقافة والمعرفة وعدم الاقتصار على مكتبة المدرسة. وقد يساعد البيت والمدرسة في رصد بعض النواحي المعرفية التي يرغب الأطفال والشباب بالإطلاع عليها لتقوم المدرسة بتوفيرها.

٥ - الأطفال والنشاط الفني الرياضي :

إن طاقات الأطفال والشباب قد افصحت عن نفسها بشكل بارز في المجتمع من خلال الفنانين الشباب من الرسامين والشعراء والرياضيين. مما يجلب الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بهذه الناحية وتطوير مثل هذه القابليات تضامنياً دون أن يترك ذلك للجهود الفردية والاتجاهات الاحادية في تنمية هذه القابليات وتطويرها.

ومناك مجالات أخرى ترى ضرورة الإيمان بأهمية التكامل التربوي بين البيت والمدرسة في إعداد الأطفال والشباب وفق خطة مدرسية ذات أبعاد تنفيذية واجراءات واضحة المعالم توسيع لكل جهة دورها التكامل مع الجهة الأخرى دون الاكتفاء بالجهود المدرسية للأطفال والشباب.

المقترحات والتوجيهات

- ١ - دراسة الأسرة العربية في الوقت الحاضر نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتحديد دورها ومكانتها بالنسبة لبقية المؤسسات الأخرى.
- ٢ - دراسة التحديات الحضارية والاجتماعية والثقافية التي تواجه الأسرة العربية.
- ٣ - إتنا في حاجة إلى صياغة نمط لأسرة المستقبل، وهل هي أسرة نوبية أم أسرة متعددة أو بين بين.
- ٤ - لابد من وضع سياسة محددة للأسرة، فعندما نتكلم عن سياسة الأسرة نجد أنها في الواقع هي قرارات لاتجمعها مع المدرسة أهداف موحدة أو وسائل تنفيذ موحدة، وحتى المتابعة وساحة العمل.
- ٥ - لابد من وضع استراتيجية محددة للتعاون بين الأسرة والمدرسة وبقية المؤسسات الأخرى تتبع من السياسة الاجتماعية الواجب اتباعها لكي تسهل وبالتالي دور التخطيط.

- ٦ - لابد أن تكون الموضوئية والواقعية من الأسس العلمية لدراسة التعاون والتنسيق بين المؤسسات الاجتماعية، بحيث لا تخضع للأهواء والرغبات أو الأخذ بالصيغة الجاهزة المستعارة من مجتمعات أخرى.
- ٧ - لابد من التأكيد على تراثنا وحضارتنا العربية لبناء الأسرة وتنظيمها مع المعاشرة بين التراث والمعاصرة لطبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها المؤسسات الاجتماعية.

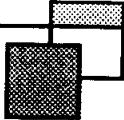
الهوا ملش

- ١ - معجم العلوم الاجتماعية، تصدر ومراجعة الدكتور ابراهيم بيهمي موكيد، الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٣٦٩.
- ٢ - وزارة العدل (الجمهورية العراقية) قانون رعاية الأحداث، دار العريبة للطباعة، بغداد، ١٩٨٢، ص ٥.
- ٣ - الدكتور ميخائيل موسن، سيكولوجية النمو، الطفولة والراهنة، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٠١.
- ٤ - الدكتورة فوزية نياپ، نمو الطفل وتنشته بين الأسرة ودور المضانة، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٠.
- ٥ - جمال حسين الألوسي، مشكلات الطفل في مرحلة الابتدائية، أسبابها وطرق علاجها، من بحوث الحلقة الدراسية للاتحاد العام لنساء العراق عام ١٩٧٩، ص ١-٢.
- ٦ - فريديريك الكين وجيرالد هاندل، الطفل والمجتمع عملية التنشئة الاجتماعية، ترجمة الدكتور محمد سمير حسانين، مؤسسة سعيد للطباعة بطنطا، القاهرة، سنة ١٩٧١، ص ١٢٥.
- ٧ - الدكتور نزار العاني، أساسيات الرعاية والتنشئة الاجتماعية والت نفسية للطفولة، من بحوث الدورة العلمية حول رعاية الطفولة - الواقع والاتفاق، ٥/٢٠، ١٩٨٩، ص ٥.
- ٨ - منير المرسي سرحان - في اجتماعيات التربية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٨٥ - من ١٨٧.
- ٩ - نجدة الصالحي، دراسة حول ساحة عمل الطالع (بحث غير منشور).
- ١٠ - دكتور فؤاد البهبي السيد، الأساس النفسي للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي، مصر ١٩٥٧، ص ١٥٩.
- ١١ - أميل دور كايم، التربية الأخلاقية، ترجمة السيد محمد بدوي، مكتبة مصر، القاهرة بين تاريخ، ص ٢٢١.
- ١٢ - الدكتورة فوزية نياپ، نمو الطفل وتنشته بين الأسرة والمضانة، الطبعة الثالثة، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٧٩، ص ١٧٢.
- ١٣ - Neilj. Sumelser (edr), sociology : An Introduction John wiely Sons, Newyork, 1967m P.721.
- ١٤ - الدكتورة فوزية نياپ، دور رياض الأطفال في تنشئة الطفل، مجلة شرين اجتماعية، العدد الحادي عشر سنة ١٩٨٦، ص ٤٤.
- ١٥ - الدكتورة انتيسة محمد حسن المنشى، التحصيل الدراسي يارتباته بجذب الأحداث، من بحوث الحلقة الدراسية للاتحاد العام لنساء العراق عام ١٩٧٩، ص ٧-٨ (غير منشور).
- ١٦ - الدكتورة انتيسة محمد حسن المنشى - المصدر السابق ص ٦.

بحوث ودراسات

- RICHARD Suinn, Fundamental of Behavior Pathology, Harfer and Raw Publishers, Newyork, 1971, P.22. - ١٨
- .١٩ - الدكتور أنيسة محمد حسن المنشىء، المصدر السابق، من ٧.
- .٢٠ - السيد رمضان، الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، سنة ١٩٨٥، من ١٦٨.
- .٢١ - سوسن نايف علوان، أثر التلفزيون في سلوك الأحداث، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، سنة ١٩٨٤، ص ١٨٢ (رسالة غير منشورة).
- .٢٢ - الدكتور أحمد الشاب، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٧١، من ٥٨٦ - ٥٨٧.
- .٢٣ - الدكتور نزار العاني، أساسيات الرعاية والتثقيف الاجتماعية النفسية للطفلة، بحث مقدم للتنمية العلمية لميحة رعاية الطفولة في العراق، ٢٠ مارس ١٩٨٩ من ٩.
- .٢٤ - الدكتور انتصار ينس، السلوك الانساني، دار المعرفة، مصر سنة ١٩٧٨، من ١٩٤ - ١٩٥.
- .٢٥ - الدكتور زيدان عبدالباقي، الأسرة والطفولة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨١، من ٣٣٧ - ٣٣٨.
- .٢٦ - فوزية بياب، نمو الطفل وتتشتته بين الأسرة ودور الحضانة، من ١٧٤ - ١٧٥.
- .٢٧ - من توصيات المؤتمر الدولي العام من عام ١٩٣٤ - ١٩٥٩، من ٢، د.فوزية بياب، نمو الطفل وتتشتته بين الأسرة ودور العضانت من ١٧٧.
- .٢٨ - اليونسكو، التوجيه رقم ٢٠ بشأن تنظيم التعليم قبل المراحل الأولى، من ٢١ - د.فوزية بياب، نمو الطفل وتتشتته بين الأسرة ودور الحضانة من ١٧٨.
- .٢٩ - منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨٢، من ٢٢٢ - ٢٢٣.
- .٣٠ - الدكتور فوزية بياب، نمو الطفل وتتشتته بين الأسرة ودور الحضانة من ٦٢ - ١٠٦.

بحوث ودراسات



تحليل النخبة وإمكانية تطبيقه لدراسة النظام السياسي في الإمارات العربية المتحدة

دكتور
عبدالله جمعة الحاج *

مقدمة :

تهدف هذه الدراسة القصيرة إلى توضيح واثبات أن مقوله النخبة Elite Concept هي أ新颖 المنهجيات العلمية لتحليل وفهم العملية السياسية والنظام السياسي في دولة الإمارات العربية المتحدة، ولكن قبل الخوض والاسهام في هذا الحديث وجب علينا التنوية إلى أن دراسة وتحليل وفهم العملية السياسية والنظام السياسي لدولة الإمارات يمكن أن تطرق من أكثر من زاوية وأن تعالج بأكثر من منهجية - فبعض الدارسين نظر إليها من منظور التخلف والتنمية، وبعض الآخر طرقها من زاوية التبعية^(١)، وهناك من يجد معالجتها عن طريق استعمال إنموذج Gabriel Almond^(٢) القائم على افتراض وجود المدخلات والخرجات Input - out put.

* قسم العلوم السياسية - جامعة الإمارات

ويرى آخرون أن هناك إمكانية للتحليل عن طريق الاعتماد على مقولات ماركس وانجلز في القرن التاسع عشر حول الصراع الطبقي ووجود طبقات اجتماعية متنافسة في المجتمع، وهناك من طرقها من زاوية تشكل النخبة Elite Formation مفترضين وجود نخب تسيطر على مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية.^(٣) كما وأن البعض يفضل دراستها من خلال استقراء التاريخ البشري وتطور ذلك التاريخ. واستناداً إلى ذلك الحديث فإنه يمكننا أن نخلص إلى حقيقة مفادها أن الوسائل المنهجية لدراسة وفهم العملية السياسية في الإمارات بشكل خاص ودول الخليج بشكل عام كثيرة متشعبة ولكننا هنا معنيون أساساً بالنظر إلى مقوله النخبة السياسية واستكشاف إمكانية استعمالها كمنهجية مثلى وتطبيقها على دول الخليج العربية بما في ذلك دولة الإمارات العربية المتحدة التي نرى أنها معنيون بها أساساً في هذا البحث. وفي إطار هذا السياق فإنه لابد من عقد مقارنة بين مقولتي النخبة والصراع الطبقي وذلك لوجود بعض التداخل بين الأطروحات التي تقدمها كلتا المنهجيتين، وامكانية أن تحل بعض مفاهيمهما محل بعضها البعض. ولذلك فإنه من الطبيعي أن يكون اسلوبينا في عرض الموضوع هو استعراض المقولات التي سيدور حديثنا حولها كأنماط من الوسائل المتاحة لدينا لتحديد منهجية علمية تدرس من خلالها وتفهم التفاعلات السياسية في مجتمعنا. والقصد من هذا الاستعراض نو شقين :

الأول هو إيجاد قاعدة أساسية تنطلق منها في سبيل التوصل إلى إطار محدد يدور حوله الحديث، والثاني هو وضع القاريء في صورة واضحة لما سنسوقه من إطروحات وبما نقصده تحديداً من استعمال المصطلحات. وسيخصص باقي الحديث لتوضيح الأمور التي تحدد ملء ما مقوله النخبة كمنهجية أمثل لدراسة العملية السياسية في دولة الإمارات.

ما بين النخبة والصراع الطبقي :

إنه لأمر جد محير بالنسبة لدارسي علم السياسة في دول الخليج بشكل عام وفي دولة الإمارات بشكل خاص أن يقروا بيسير وسهولة اختيار الوسيلة المثلثة التي يجب أن تتبع لتحليل وفهم عملية التفاعل السياسي والاجتماعي من بين مقولتي الصراع الطبقي Class Conflict وتشكل النخبة السياسية وذلك لكون المقولتين مترابتين. وفيما بين المنهجية الأولى والمنهجية الثانية يبقى دارس علم السياسة محترأ. ولكن وفي تقديرني فإن الاعتماد على إحدى المنهجيتين يبقى خاصعاً للظروف الموضوعية المتعلقة بكل مجتمع على حدة. ومن المهم أن نوضح هنا بأنه لا توجد طريقة واحدة معدة مسبقاً

ومتفق عليها بشكل قاطع وصالحة لكي تستعمل لتحليل العملية السياسية في جميع المجتمعات وبشكل شامل. وهذا يعني أن توظيف منهجية واحدة أو مقوله واحدة إن صح التعبير لتغطية جميع الحالات في المجتمعات المختلفة ينطوي على تسهيل مبالغ فيه من جانب، ومن جانب آخر يعتبر قول كهذا سوء استخدام للمادة العلمية الأساسية التي يتعامل معها الباحث. بالإضافة إلى ذلك فإنه حرى بنا وقبل تحديد الطريقة الناجعة لدراسة وفهم العملية السياسية في دول الخليج العربية بوجه عام والتي تتشابه تركيتيها السياسية وظروفها الاقتصادية والاجتماعية بشكل كبير وفي دولة الامارات بشكل خاص أن نشير بعض التساؤلات المهمة والحساسة.

بادئ ذي بدء دعونا نطرح سؤالاً مهماً وهو هل تعتبر مقوله الطبقة ذات مدلول منطقى إذا ما حاولنا استعمالها لتحليل التشكيل الاجتماعي والسياسي لدولة الامارات؟ بالإضافة إلى ذلك هناك تساؤل أيضاً عن طبيعة مقوله النخبة إذا ما أردنا أن نتوصل لفهم جيد حول قدرة الواقع السياسي والاجتماعي وحتى الاقتصادي للإمارات على استيعاب مقوله دون الأخرى، وهذا بدوره يقودنا إلى لزومية فهم النطاق والمدى الذي يستطيع دارسو سياسة الامارات أن يتعاملوا معه ومن خلاله مع هذه المقوله لاستخلاص النتائج والوصول إلى تعليمات تخدم تحليل وفهم التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الدائرة.

في حقيقة الأمر إن مقولتي الطبقة Class والنخبة استعملتا وطورتا في المجتمعات الغربية الرأسمالية كأنواع تحليل لتلك المجتمعات التي يعتمد فيها البشر على الصناعة كمصدر رئيسي للإرتزاق. والظروف والعوامل والخصوصيات التي صاحبت المقولتين هناك لم تتكرر في محيطنا الاماراتي أو لنقل الخليجي بشكل عام. يقول P. C. Lloyds إن مقولتي الطبقة والنخبة قليلاً ما استعملان سوياً أو مع بعضهما البعض. ورغم أن الواحدة منها ليست منفصلة جذرياً عن الأخرى إلا أن معظم دارسي السياسة المقارنة والاجتماع السياسي المقارن يلزمون أنفسهم باستعمال إحدى المقولتين دون الأخرى للمجتمعات محل البحث. بالإضافة إلى ذلك فإن الماركسيين الجدد قد صاغوا مقوله الطبقة الجديدة ليصفوا الشريحة العليا لبعض المجتمعات التي لاتزال في طور النمو والتي تعتمد على الفلسفه الاشتراكية في تشغيل اقتصادياتها في كل من آسيا وافريقا والشرق الأوسط وأوروبا الشرقية بشكل عام وإلى ما قبل التحولات الجذرية الأخيرة التي اجتاحتها. لقد قدم هؤلاء الدارسون مقولات من هذا النوع لاعتقادهم الراسخ بأن التقسيم الماركسي الكلاسيكي المعتمد على تقسيم المجتمعات إلى طبقتين

ما البورجوازية Bourgeoisie والبروليتاريا Proletariat ليس ذا نفع ولا يمت بصلة تامة إلى مجتمعات من هذا القبيل.^(٤)

حول مفهوم الصراع الطبقي :

ونقاً للتقسيمات السائدة في النظام الرأسمالي هناك طبقتان تقنان الواحدة في مواجهة الأخرى. يقول كارل ماركس في البيان الشيوعي إن هاتين الطبقةين هما البورجوازية وهي طبقة أصحاب رؤوس الأموال المحدثين ملاك وسائل الإنتاج ومشغلي العاملين بأجر، والبروليتاريا وهي طبقة أصحاب الأجور المحدثين الذين لا يملكون وسائل إنتاج خاصة بهم مما اضطرهم إلى بيع قوة عملهم في سبيل توفير وسائل معيشتهم.^(٥) وفي هذا السياق لا تستطيع البورجوازية العيش مالم تقم بتطوير وسائل الإنتاج بشكل جنري، وبالطبع يتبع ذلك تثوير علاقات الإنتاج، ومع تثوير العاملين الأساسيةين السابقين تثور جميع علاقات المجتمع. وعلى العكس من ذلك تماماً فإن المحافظة على وسائل الإنتاج القديمة كان الشرط الأول لاستمرارية جميع الطبقات الصناعية الأولى. ويعزى نور البورجوازية عن أنوار الطبقات السابقة لها رغبتها في تثوير الإنتاج بشكل جنري وخلخلة جميع الحالات الاجتماعية بشكل غير منقطع وعدم وضوح الرؤيا المستديمة. بالإضافة إلى ذلك فإن حاجة البورجوازية الدائمة لتوسيع أسواق منتجاتها يؤكّد رغبتها في الانتشار على مستوى العالم ما يؤدي إلى رغبتها في الإيذاء في كل مكان وإلى إقامة الارتباط في كل مكان.^(٦)

وما تجدر ملاحظته أن ماركس تبني مفهوماً للطبقة لا يختلف كثيراً عما قال به علماء التاريخ والاجتماع الذين سبقوه أو الذين عاصرهم حين بدأ دراساته الاجتماعية. واهتم ماركس بشكل كبير في وضع ذلك المفهوم في إطار أوسع لنظريته في التغير الاجتماعي وباستعمالها في تحليل تطور المجتمع. وبين ذلك بنفسه حين قال في مرحلة متقدمة بأنه ليس هناك سبق له في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع الرأسمالي الحديث وفي وجود الصراع بين تلك الطبقات، وبأنه في وقت مبكر قام المؤرخون البورجوازيون بوصف التطور التاريخي للصراع بين تلك الطبقات، وقام الاقتصاديون البورجوازيون بالتشريح الاقتصادي لتلك الطبقات.

ويذهب ماركس في أن مساهمته الشخصية في هذا الموضوع هي لبيان أن وجود الطبقات يتحدد بمظاهر تاريخية في تطور الإنتاج وبأن صراع الطبقات سيؤدي إلى انتحار الطبقة العاملة وفي يروع مجتمع اشتراكي لاطبيقي. فالجوانب المتميزة لنظرية ماركس إذا هي في تصور طبقات اجتماعية مرتبطة بنظام الإنتاج وفكرة التطور

الاجتماعي عبر الصراع الطبقي الذي يبلغ ذروته في بروز مجتمع خال من الطبقات^(٧) حيث إنه يقول إن الصراع بين البورجوازية الظالمه والبروليتاريا المظلومة سيؤدي حتماً إلى مجتمع لاطبقي. ومن ذلك فإن فكرة عدم المساواة بين الحكم والمحكمين تتبع من عوامل اقتصادية بحثة، وإن تهاء تلك العوامل الاقتصادية وبخاصة ملكية وسائل الإنتاج بالإضافة إلى الفروق الخاصة بالبني Structures سيؤدي إلى انتهاء الفوارق بين الحكم والمحكمين. غالباً ما يستأخذ الشكل الثوري العنف لتحقيق ذلك لأنه في كل مكان وذمة يكن الحكم متمسكين بشكل قوي بعوامل المحافظة على قوتهم وأمتيازاتهم ولكن المحصلة النهائية ستكون في وضع تستحق فيه تلك الفوارق ذلك النوع من الصراع العنفي وسيتحرك التاريخ بعنف باتجاه المساواة بين البشر وباتجاه مجتمع إنساني لن يكون فيه البعض يتمتع بأمتيازات أكبر من الكل وسينتهي عندها التطور الطويل للدولة.^(٨)

ويعتبر ماركس الدور الذي يؤدي في عملية الإنتاج وتداول الثروات وتوزيعها والإسهام في الصراع الاجتماعي الذي يتبلور في النضال من أجل السلطة السياسية والوعي الطبقي معايير إيجابية للدلالة على الطبقات الاجتماعية. وعلى ذلك فإن ماركس يأخذ في اعتباره معيار موقع الفئات Groups في عملية الإنتاج لتحديد الطبقات الاجتماعية. ومن هذا السياق فإن الطبقة الاجتماعية وفقاً للتحليل الماركسي لا تتشكل بصورة نهائية إلا عن طريق المصالح الاقتصادية المشتركة ووحدة الدور في عملية الإنتاج.

ومن هنا طبعاً تتطور العملية إلى ظهور نوع من التضامن أو الشعور الطبقي Class conscious ولم يختلف مفكرو الشيوعية اللاحقون مع ماركس حول هذه الفكرة. فلينين مثلاً حدد الطبقات الاجتماعية بسبعين، وأضاف أن الطبقات الاجتماعية في أساسها مجموعات بشرية هائلة تتميز بموقعها في نظام تاريخي معين. ويمكن تمييز تلك المجموعات عن بعضها البعض عن طريق علاقات كل مجموعة بوسائل الإنتاج ويدور كل مجموعة في التنظيم الاجتماعي ويقدّر كل مجموعة على الحصول على نصيبها من الثروة ويحجب الثروة المتراكمة لدى كل منها.^(٩)

ومن المعلوم أيضاً أنه في كل مجتمع تتصادم مطامح البعض مع مطامح البعض الآخر، وأن الحياة الاجتماعية مليئة بالتناقضات وأن التاريخ يكشف لنا عن الصدام الذي يقوم بين الشعوب والمجتمعات، كما يقوم في داخل تلك الشعوب، والمجتمعات ذاتها، وأنه يبيّن لنا أيضاً مراحل متعاقبة من الثورة والرجعية، من السلم والحروب، من

الركود والإنهضاط ومن التقدم السريع والرقي. ودراسة مجمل المطامع لدى جميع أعضاء مجتمع ما، أو لدى عدد من المجتمعات تسمح بتحديد نتيجة هذه المطامع تحديداً علمياً، هذا مع العلم أن المطامع المتناقضة يولدتها تباين الأوضاع وشروط الحياة لدى الطبقات التي ينقسم إليها كل مجتمع، يقول ماركس إن التاريخ إلى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ صدام بين الطبقات، فالحر والعبد، والتليل والعامي، والسيد الإقطاعي والقن والمهني وغلمه، أي باختصار المضطهدون والمضطهدون كانوا في تعارض دائم، وكانت بينهم حرب مستمرة، تارة ظاهرة وتارة مستترة، حرب كانت تنتهي دائماً إما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره وإما بانهيار الطبقة المتصادرين معاً. أما المجتمع البورجوازي الحديث الذي خرج من أحشاء المجتمع الإقطاعي الحالك فإنه لم يقض على التناقضات بين الطبقات، بل أقام طبقات جديدة محل القديمة وأوجد ظروفاً جديدة للإضطهاد وأشكالاً جديدة للنضال بدلاً من القديمة. إلا أنه وفقاً للتحليل الماركسي فإن ما يميز هذا العصر وهو المسئ من قبل ذلك التحليل بعصر البورجوازية هو أنه جعل التناحر الظيفي أكثر بساطة، فالمجتمعات الحديثة - وخاصة الغربية الرأسمالية منها - أخذة في الإنقسام بشكل سريع إلى مجموعتين كبيرتين متعارضتين أو بشكل أكثر تحديداً إلى طبقتين كبيرتين الصراع بينهما مباشر وهمما طبقتا البورجوازية والبروليتاريا.^(١٠)

ويضيف ماركس بأن وجود الطبقات محدد بأوجه تاريخية معينة في تطور الانتاج وأن الصراع الظيفي يقود بالضرورة إلى ديمقراطية البروليتاريا، وأن تلك الديكتatorية بحد ذاتها تؤسس الانتقال إلى محو جميع الطبقات وإلى المجتمع اللاظيفي.^(١١)

مقدمة الصراع الظيفي والتطور الاجتماعي الغليجي :

يبين أن التطور الاقتصادي - الاجتماعي الذي ارتبط بظاهرة اكتشاف النفط في الإمارات ودول الخليج الأخرى قد ساعد كثيراً على تأكيد اطروحة أن المجتمع يسير في اتجاه التشكل في مجموعتين رئيسيتين. المجموعة الأولى هي التي تضم أولئك القلة الذين أصبحوا نوبي غني فاحش بين ليلة وضحاها، والمجموعة الثانية والتي تضم أغلبية تنمو وتنسخ ولكنها في الوقت نفسه بقيت فقيرة وفي بعض الأحيان شبه معدمة مقارنة بالمجموعة الأولى وتضم في صفوفها جميع متلاذاتي الأجر من موظفين وكتبة ومهندسين وعمال يعمل معظمهم لدى الحكومة مباشرة أو في المؤسسات التابعة لها بشكل مباشر أو غير مباشر. وتبين على هامش تلك الظاهرة فجوة واسعة ازدادت اتساعاً في الأعوام الأخيرة التي شهدت انحسار الطفرة النفطية التي جاءت نتيجة

بحث ودراسات

للارتفاع الهائل في أسعار النفط الخام وما تلا ذلك من اطروحات وممارسات لترشيد الإنفاق عن طريق تقليص الإنفاق الحكومي على المشاريع التنموية التي تمس حياة المجموعة الثانية بشكل مباشر، وعلى أية حال – فنحن لستنا بصدد الحديث عن ذلك الأمر بالتفصيل ولكن ما أردنا قوله هو أن وجود مجموعتين اجتماعيةين بذلك التشخيص قد يعطي القارئ إنطباعاً مفاده أن مقصدهما هو القول بتشكيل طبقي حقيقي واضح نتاج عن اكتشاف النفط. في حقيقة الأمر لم أورد تلك الفكرة لكي أصل إلى نتيجة من ذلك القبيل وبهذا الأسلوب القفزى لاستخلاص المحصلات والنتائج. كل ما أردت قوله هنا هو سياسة مثال لما قد يتضمن عن تطورات وظواهر اقتصادية معينة في بلورة وإظهار مجموعات اجتماعية قد تبدو للوهلة الأولى بأنها طبقات اجتماعية ولكنها في حقيقة الأمر أبعد ماتكون عن ذلك.

إذا ماسلمنا بحقيقة كون مجتمع الامارات بشكل خاص والمجتمعات الخليجية بشكل عام جزء من تلك المجموعة من المجتمعات التي لا تزال في طور النمو فإن التحدث عن ملاءمة التحليل الظبقي المعتمد على نظريات ماركس وإنجلز في القرن التاسع عشر حول الصراع الظبقي لتحليل وفهم العملية السياسية والنظام السياسي هو قول يحتاج إلى الكثير من التوقف والتحميس والتروي وذلك لأن نظريات من ذلك القبيل تتلزم دارسي السياسة المقارنة بشكل عام أن يأخذوا في اعتبارهم بعض النقاط الهامة لكي يستطيعوا استعمالها بشكل علمي مفيد.

أولاً : بالنسبة لتلك المجموعة من الناس الذين يمكن القول بأنهم يشكلون طبقة – سواء كانت بورجوازية أو بروليتاريا – فإنهم يجب أن يكونوا مدركين ووعاءين لواقعهم الظبقي ومن ثم لا بد أن يكون بينهم تضامن طبقي بمعنى أن جميع أولئك الذين يعتبرون أنفسهم أعضاء في طبقة اجتماعية معينة يجب أن يظفروا شعورهم بل والتزامهم الظبقي وأن يكن لديهم نوع من المصالح الاجتماعية والاقتصادية في مواجهة الطبقات الأخرى في المجتمع.

ثانياً : بالنسبة للطبقة البورجوازية صاحبة السلطة يجب عليها أن تظهر بأن جميع أفرادها يحملون نفس الأيديولوجية بل بنفس التوجهات كأعضاء فاعلين في محيطهم الظبقي.

ثالثاً : يجب أن تكون هناك روابط أساسية معروفة تربط بين أولئك الذين يتمتعون بالسلطة مع أعضاء طبقتهم في خارجها.

رابعاً : بالنسبة لتوزيع الدخل في المجتمع فإنه يجب أن يضخ لصالح أعضاء

بحوث ودراسات

الطبقة البورجوازية المسيطرة على السلطة السياسية وهذا يجب أن ينعكس بشكل واضح من خلال ابراز وتوضيح أن الطبقة البورجوازية هي المستفيد الرئيسي من سياسات النظام الاقتصادية والاجتماعية.^(١٢)

إذا ما تتوفرت عوامل كالسابق ذكرها فإن المرء يستطيع بكل بساطة التحدث عن وجود تشكل مجتمع طبقي في آية بقعة من الأرض حيث تتواجد الborجوازية والبورجوازية الصغيرة والبروليتاريا وبحيث تكون البورجوازية هي الطبقة الحاكمة والسيطرة. ولكن ذلك الأمر لا يبيو واضحًا في المجتمع الإماراتي ومجتمعات الخليج بشكل عام. وفي خضم حديثه عن المجتمعات الشرق أوسطية يقول إيليا حريق :

«أنا لست على علم بأية دراسة تثبت النقاط السالفة الذكر بشكل واضح معزز بالبراهين، وعلى ضوء الظروف المتواجدة على أرض الواقع فإني أشك في أن أيًّا من تلك الدراسات تستطيع أن تقدم إثباتاً من هذا النوع». ^(١٣)

وفي سياق هذا الحديث فإننا يجب أن نستدرك بأن المرء لا يستطيع أن ينفي قطعياً بأنه في ظل الأنظمة التقليدية والتي تتمتع في الوقت الحاضر بوفرة اقتصادية - كمجتمع الإمارات مثلاً - أن تبرز فئات أو مجموعات سياسية من نوع ما، مثل تلك المجموعات أو الفئات لابد وأن تحمل معها لدى بروزها وتغلغلها في الهرم الاجتماعي نوعاً من الشعور بالرغبة في الضغط على النخبة الحاكمة الأصلية لأنه ومن خلال دراسة تطور المجتمعات الأخرى اتضح أن مثل تلك الفئات يتكون لديها نوع من التوجه السياسي الخاص بها وذلك في سبيل حماية مصالحها ومكتسباتها الاقتصادية والاجتماعية. ولكن هذه الظاهرة الجديدة لدى مجتمعات الخليج الحديثة لم تكن موجودة أو لنقل واضحة في المجتمعات الخليجية التقليدية. وبالنسبة لجميع المجتمعات الخليجية وقبل ولوج الطفرة النفطية فإن فئات الضغط مارست دورها من خلال وشائج القربى والتي اتضحت بصورة جلية من خلال العلاقات القبلية ورابطة الدم. ولكن ومع تطور تلك المجتمعات ونتيجة لاكتشاف النفط ووفرة عائداته أخذت تلك العلاقات تض محل بشكل تدريجي وبطيء. وتفاوت هذا الاختلال من مجتمع خليجي إلى آخر. وبعوضاً عن هذا وكما اتضح فيما سبق ذكره بدأت تلك العلاقات القبلية تتغير لتأخذ مظهر التبلور في بروز نوع من الفئات التي لا يزال تشكلها في طور التفاعل والنمو. ولكن لا يمكننا أن نطلق على تلك الفئات الاجتماعية وبشكل عشوائي مسمى التشكل الطبقي.

بحوث ودراسات

ومما يدعو للعجب أن بعض دارسي السياسة والمجتمع الخليجين بنوا تحليلاتهم لفهم العملية السياسية والاجتماعية في الخليج معتمدين على مقولات التشكّل الظبيقي.

يقول الدكتور محمد غانم الرميحي مثلاً إن الفئات القيادية في المجتمعات الخليجية التقليدية تحمل معها سمات مشابهة للمجتمعات الخليجية الحديثة التي بزرت ما بعد الطفرة النفطية، ويطلق على تلك الفئات مسمى الطبقة البرجوازية مضيفاً أنها تتسع الآن بشكل مطرد مع اتساع الإنفاق الحكومي على مشاريع التنمية.^(١٤) ويوصل تحليله قائلًا : إن السلطات الخليجية تواجه في الوقت الحاضر «طبقة» عمالية كبيرة ومنتظمة في بعض الأقطار ولكنها أقل تنظيمًا في أقطار أخرى. وتحمي تلك التنظيمات العمالية ممتلكاتها ضد ملاك وسائل الإنتاج عن طريق المظاهرات والإضرابات.^(١٥) وينذهب البعض إلى أكثر من ذلك ذاكرين في خضم تحليلهم السياسي لمجتمعات الخليج أنه يمكنهم الاستعانتة بفتنة أفراد القبائل البدوية كطبقة اجتماعية مستقلة وتمثل مجالاً للتحرك السياسي الحقيقي من جانب وأداة العمل السياسي والتغيير من جانب آخر وذلك باطلاق مسمى «طبقة البروليتاريا» على تلك الفتنة واستعمالها كبديل جيد لوجود طبقة بروليتاريا حقيقة.^(١٦)

تحليل من هذا القبيل فيه الكثير من التبسيط وحتى إنه يمكننا القول بأن فيه الكثير من المغالطة. ولكي نستطيع الرد على ذلك القول فإن من واجبنا أن نتحدث قليلاً عن المؤسسة القبلية في مجتمعات الخليج. كانت تلك المؤسسة هي التي تنظم شؤون أفراد القبائل التي كانت مقسمة إلى ما يعرف بالتمائم في الإمارات ومفرداتها تعبية وما يعرف بالعشائر في سائر أرجاء الجزيرة العربية، وكانت تلك القبائل تعتمد في حياتها الاقتصادية على الرعي في معظم جوانب الصحراء وعلى الزراعة البدائية في الواحات كمحاضر ليوا والنيد وواحات البريمي وفلج المعلا ومصفوت وحتى ومسافي وغيرها. أما في المدن والقرى الساحلية فقد كان الفوضى على اللائق وتجارته، والتجارة البحرية مع شبه القارة الهندية وإيران والعراق وساحل أفريقيا الشرقي بالإضافة إلى صيد الأسماك هي الحرف الرئيسية التي كان أفراد القبائل يمارسونها في نشاطهم الاقتصادي، وكانت المؤسسة القبلية وبخاصة الرعوية منها شبه مستقلة في تنظيم وادارة شئونها وتقرير سياستها فيما يتعلق بعلاقاتها مع الآخرين.

ودخلت معظم تلك القبائل في تحالفات واتحادات أملتها عليها مصالحها الأنانية في أوقات السلم وال الحرب. وكانت «ديره» كل قبيلة ملكية جماعية لجميع أفراد القبيلة. بمعنى أن ملكية الأرض ملكية جماعية ولكن فرد من أفراد القبيلة الحق في أن يستخدم

المرعى والآبار التي تقع ضمن حدود «ديره» القبيلة. بالإضافة إلى ذلك فقد شكلت المؤسسة القبلية آلـة الحرب التي اعتمد عليها الحكام كثيراً في الدفاع عن إماراتهم ضد مطامع جيرانهم ودخلوا في تحالفات مع تلك القبائل مما نتج عنه بروز أحلاف قبلية رئيسية في الساحل العماني كخلف القواسم الذي برع كقوة سياسية وحربية بحرية سيطرت على معظم الأجزاء الجنوبية الشرقية والغربية للخليج العربي إلى أنتمكن البريطانيون من القضاء عليها سنة ١٨١٩^(١٧) وخلف بني ياس الذي برع كقوة سياسية وحربية بريمة سيطرت على مساحات واسعة من أرض الساحل العماني اليابسة. واستطاعت أن تفرض سيطرتها ونفوذها على معظم القبائل القاطنة في الداخل دون منازع وأن تتمكن من المحافظة على سلامـة ووحدة تلك الأرضي ضد مطامع الطامعين^(١٨) إلى أن قامت دولة الإمارات العربية المتحدة بشكلها الحديث، وأدى قيام تلك الأحلاف إلى تبلور عدة أمور هامة كتأسيس وتوطيد مركز الإمارة وأضفاء جانب كبير من الشرعية على مركز الحكم في المدن الساحلية وإلى تأمين الطرق التجارية بين مدن الساحل كدبي والشارقة ورأس الخيمة والمناطق الداخلية للإمارات وبعض المناطق التابعة لعمان مما أدى بدوره إلى توحيد الأسواق التجارية المتفرقة مما جعلها سوقاً واحدة تقريراً رغم بعدها الجغرافي عن بعضها البعض. كما وساعدت تلك التحالفات القبلية على تمكن الحكام من منع امتيازات للتنقيب عن البترول في المناطق الصحراوية مما أدى إلى اكتشافه وتصديره لاحقاً وإلى دخول الإمارات عصر البترول من أوسع أبوابه مما قلب الكثير من الموازين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة قبل اكتشافه. وما يهمنا هنا تحديداً هو أن تلك العوامل سببت تقهراً واضحاً لحرفة الرعي كقاعدة اقتصادية هامة في حياة أبناء قبائل الإمارات بل وانقراضه في بعض المناطق معانـج عنه أمور هامة على رأسها أن الرعي أصبح مهنة ثانوية لدى أفراد القبائل مما يمكن معه القول إنه لم يعد هناك وزن حقيقي لهذه الحرفة التقليدية التي توارثها الآباء والأجداد في عصب الحياة الاقتصادية للبلاد والسيناريو الذي يمكن صياغته كالتالي :

أولاً : هاجر الكثير من أفراد القبائل البدوية إلى مدن الساحل كأبوظبي ودبي والشارقة وغيرها ليتركوا مناطق «ديارهم» خاوية تقريراً مما نتج عنه مشكلة في التوزيع الديموغرافي لمواطني الإمارات.

ثانياً : انضمت أعداد كبيرة من أبناء القبائل البدوية إلى القوات المسلحة والشرطة والأمن سواء على المستوى المحلي لكل إمارة أو على المستوى الاتحادي مما نتج عنه

ظهور مصادر دخل جديدة رفعت من مستوياتهم الاقتصادية أولًا، ثم إن وجودهم في تلك المؤسسات الهامة رفع من مستوياتهم الثقافية والاجتماعية أيضًا حيث إنها تتنظم لهم دورات تأهيلية لكي ترفع من مستوى المهني والتلفزي مما يعني في المصلحة النهائية أن تلك الفتنة قد استفادت من انحرافاتها في مؤسسات من هذا القبيل.

ثالثاً : قامت الدولة ببناء المدن الحديثة لاسكان وتوطين أبناء القبائل في «محاضرهم» واستقر الكثير منهم في تلك المدن النموذجية التي شيدت خصيصاً لتناسب ظروف معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم. ونبوت تلك المدن بالكثير من وسائل الراحة العصرية كشبكات الكهرباء والمياه والدارس والخدمات الصحية والطرق والمواصلات الحديثة والمراكم التجارية والإدارات الحكومية المتعلقة بادارة الخدمات والتي من مهمتها العناية بما هو موجود من تلك الخدمات وتطويره.^(١٩) وهذا يعني أن أفراد القبائل البدوية أصبحوا مستفيدين كثيراً من تلك المشاريع الخدمية وهي في صالحهم أولاً وأخيراً.

رابعاً : وعلى هامش استقرار أبناء القبائل البدوية في المدن القديمة كأبوظبي ودبى والشارقة. أو في «المحاضر» الجديدة التي شيدت لهم تفتحت أمامهم آفاق جديدة ساعدتهم على الدخول في معمعة المال والأعمال مما أدى إلى بروز مجموعات ناجحة منهم في مجال التجارة وأمتلاك وإدارة العقارات والبنيات السكنية التجارية.

إذاً فإنه فيما يتعلق بمقدمة إن الباحث السياسي يمكنه جوازاً اعتبار فئة أبناء القبائل البدوية كبديل لوجود الطبقة العاملة، وإطلاق مصطلح بروليتاريا عليهم فإنه قول مغلوط من أساسه ولا يستند إلى الحقيقة في شيء ولا يمكن لدارس علم السياسة الخليجي الملتزم أن يقبله بآية صورة من الصور لأن لا يمكن الدفاع عنه استناداً إلى التحليل العلمي لهذه الفتنة الاجتماعية وحقيقة موقعها في الهرم السكاني لدول الخليج. يقول أحمد الدين ناسفاً أطروحته الأساسية حول هذه الفتنة ما يلى :

إن فئة البدو فئة من الناحية الاجتماعية في طريقها للاضمحلال والاختفاء نتيجة لاختفاء الأسلوب الرعوي الذي على أساسه نمت هذه الفتنة وتكونت، وهي لذلك تنتصر في الأوضاع القائمة بلوضع طبقية جديدة، فلم تحافظ على وجودها الانتاجي كرعاة مثلاً. وهي لذلك لا تجمعها مصالح طبقية واحدة بقدر ما تجمعها ثقافة عشائرية متختلفة في طريقها أيضاً ضمن خط تطور المجتمع للانتهاء.^(٢٠)

ومن هنا فإن القول بأنه يمكننا في سياق تحليلنا لمجتمع الامارات أو أي مجتمع خليجي آخر أن نطلق مسمى بروليتاريا على أفراد القبائل البدوية باعتبارها طبقة اجتماعية قول لاقيمه له من وجهة نظر التحليل العلمي المستند على منهجية التحليل الظبيقي. وفي واقع الأمر ونتيجة للطفرة الاقتصادية التي صاحبت اكتشاف النفط وتسويقه والموانئ التي حصلت عليها الدولة وشكلت المصدر الأساسي للدخل القومي وماصاحب ذلك من إعادة توزيع لذلك الدخل فإن أفراد القبائل البدوية أبعد من أن يكونوا مستقلين أحذين بين الاعتبار المعنى الماركسي للاستغلال وهو سرقة فائض القيمة. إنهم في حقيقة الأمر من بين المستفيدين بقدر أكبر اقتصادياً وسياسياً ضمن الفئات الاجتماعية الأخرى خارج الشريحة العليا للنخبتين السياسية والاقتصادية من سياسات الرفاه التي تنتهجها الدولة على جميع الأصعدة وفي جميع دول الخليج بلا استثناء. لذلك فإنه يمكننا القول إن تلك الاستقدادة تضع فئة أبناء القبائل البدوية في موقع المدافع عن الأوضاع السياسية والاقتصادية القائمة وليس في موقع المضاد والمتصارع معها^(٢١) وذلك لأن تلك الفوائد والتحولات الاقتصادية في حياة البدو حولت ولاهم من ولاء مطلق للقبيلة والتيمية إلى ولاء مزنيج للمركز سواء كان حكمة الامارة المحلية التي ينتمي إليها الفرد أو للحكومة الاتحادية أياً كان مصدر رزقه وارتباطه العلني بالإضافة إلى الولاء للقبيلة والتيمية حيث إنه من الصعب أن يصبح هذا الولاء ولاه خالصاً للمركز بين ليلة وضحاها، وأن يمحو تراكمات السنين الطويلة التي رسخت الولاء المطلق للقبيلة وجعلتها أهم مافي حياة أبنائها.

وعودة إلى النقطة الأولى التي ذكرها الرمحي في سياق حديثه عن مسمى الطبقة البرجوازية فإن من حق المرء أن يتساءل بأنه إذا كانت هناك طبقة بورجوازية في المجتمعات الخليج فأين هي الطبقات الأخرى الموازية لها؟ وأكثر تحديداً وأهمية فإنه حرى بنا أن نتساءل ونقول أين هي طبقة البروليتاريا؟ إن المحيط الطبيعي والصحي الذي تستطيع أن تعيش وتنمو فيه أية طبقة اجتماعية لابد وأن يتشكل من نظام طبقي متتكامل وهو الأمر الذي يبدو أنه أبعد ما يكون عن المجتمعات الخليج. وتأسيساً على ذلك فإبني استطيع القول بأنه لايمكن أن تكون هناك بورجوازية في أي مجتمع كان من غير أن تكون هناك بروليتاريا والعكس بالعكس. وفي إطار خصائصها الموروثة وتجانسها ووعيها الظبيقي فإن الطبقات الاجتماعية يجب أن تعكس بعضها البعض.

ومما تقدم فإنه إذا كانت البرجوازية الخليجية وكما ذكرها أصحاب ذلك التيار تشكل طبقة اجتماعية عليا بالنسبة للبروليتاريا، فأين هي الطبقات الأخرى العليا منها

والدنيا؟ وإذا ماتحدثنا عن البروليتاريا تاركين جانباً الارستقراطية بمفهومها الغربي فإنه من الواضح جداً أن الفئات العمالية المواطننة في مجتمعات الخليج المعاصرة قليلة العدد وغير منظمة على الإطلاق في نقابات مهنية معترف بها حتى تستطيع أن تحقق مكاسب ملموسة لأعضائها بشكل جماعي. بالإضافة إلى ذلك فإن ملكية المؤسسات الصناعية الضخمة التي تضم أعداداً هائلة من العمال المواطنين غير موجودة أساساً وخاصة بالنسبة لدولة الإمارات. وفي حالة وجودها فإنها إما أن تكون ملكاً خالصاً للدولة أو للشركات الاحتكارية الأجنبية أو بشكل مشترك بين الدولة والقطاع الخاص الذي يكون في جوهره وفي أغلب الأحيان غير مواطن مائة في المائة. وجدير باللحظة هنا أن قطاع النفط الصناعة الرئيسية الأولى التي استوطعت ولاتزال تستوعب أعداداً لا يأس بها من العمالة المواطننة مسيطرًا عليها كلياً أو جزئياً من قبل الدولة وتدار أو تشغله من قبل الشركات الاحتكارية العالمية. وفوق هذا كله هناك حقيقة جوهرية تخص نوع قوة العمل التي تراكمت في دول الخليج كنتيجة مباشرة لاستخراج النفط. هذه النقطة تحتاج إلى شيء من التفصيل حتى يمكن استيعابها بشكل أشمل.

أخذين بعين الاعتبار كون منطقة الخليج ذات تاريخ طويل من الهجرة عبرها والذي ارتبط بشكل مباشر بكونها إحدى حلقات الخط التجاري الحيوي الرابط بين آسيا عبر المحيط الهندي والخليج بحراً وبين العراق وبلاد الشام ومن ثم أوروبا. وكذلك عبر الأنشطة الاقتصادية التي ارتبطت بطرق الحج السنوي إلى الأراضي المقدسة في الحجاز فإن الحاجة الفعلية للأعداد الضخمة من العمالة الأجنبية بدأت مع فلوج الثلاثينيات من هذا القرن حين اكتشف النفط في البحرين أولأ ثم في مناطق أخرى من الجزيرة العربية تباعاً. إن التنمية السريعة التي أرادت حكومات المنطقة تحقيقها استلزمت أعداداً ضخمة من الأيدي العاملة وهو الأمر الذي لم يكن، وليس في الإمكان مقابلته في المنظور القريب من قبل جميع دول الخليج ذاتياً. ونتيجة لذلك فإن جميع دول الخليج شرعت في توظيف العمال الأجانب إما من إيران في بداية الثلاثينيات كما حدث في البحرين أو من شبه القارة الهندية فيما بعد كما حدث في كل من الكويت وقطر والمملكة العربية السعودية وبباقي دول الخليج الواحدة تلو الأخرى. فعلى سبيل المثال فإن شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) وظفت ٢٤٣٠ هندية وباقستانية، و٥٢٤ عربياً غير سعودي في العام ١٩٥٢. وفي الكويت فإن شركة نفط الكويت وظفت ما يقارب ٣٠٠٠ هندي وباقستانى و١٨٠٠ عربي غير كويتي في العام نفسه^(٢٢) واستمرت تلك الظاهرة في التفاقم إلى يومنا هذا مما نظر إليه الكثير من المفكرين

بحوث ودراسات

وأصحاب الرأي الخليجيين والعرب على أنه ظاهرة تهدد الأمن والاستقرار والهوية الوطنية لجميع دول الخليج العربي.^(٢٣)

هذا الاستيراد للعمالة غير الخليجية زاد من كثافة السكان في جميع دول الخليج فعلى سبيل المثال فإن الكثافة السكانية في السعودية والتي قدرت بحوالي ٥٠٠٠٠٠٠ نسمة في عقد الثلاثينيات زادت لكي تصبح ٣٠٠٠٠٠٠ نسمة في العام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ و٥٠٠٠٠٠ نسمة في العام ١٩٧٤^(٢٤) وعلى الترتدة نفسها فإن عدد سكان الاماراتتين الاكبر ضمن سبع الامارات المكونة لدولة الامارات العربية المتحدة حالياً وهما أبوظبي ودبي كان قد قدر بحوالي ٨٠٠٠٠ نسمة في العام ١٩٦٢^(٢٥) ولكن بعد ٥ سنوات من ذلك العام أي في العام ١٩٧٧ قفز هذا الرقم ليصبح ١١٠٠٠٠ نسمة تقريباً.^(٢٦)

بالإضافة إلى ذلك فإنه في العام ١٩٨٠ أصبح العدد الاجمالي لسكان دولة الامارات حوالي ٩١٠٤٢٠٠٠ نسمة وحوالي ٧٨٠٠٠٠ نسمة من ذلك الرقم كانوا غير مواطنين، وهذا يعني أن ما يقارب ٧٥٪ من عدد السكان الاجمالي غير مواطنين.^(٢٧) ولذلك فإنه لا يوجد أدلى شك في أن هذه الظاهرة شيء عام في دول الخليج العربية جميعها.^(٢٨) وفي حقيقة الأمر فإن جميع العمال المهاجرين في دول الخليج لا يتمتعون بأية حقوق سياسية. غالباً ما يكون دخول أولئك العمال الأجانب خاضعاً لعقود قصيرة الأمد لاتزيد عن السنتين القابلة التجديد. كما ويُخضع جميع العمال لقوانين العمل المحلية التي لا تتيح لهم حتى القدر اليسير من الحريات السياسية والنقابية.^(٢٩)

من ذلك الاستعراض لنوعية القوة العاملة الموجودة على أرض الخليج بشكل عام يتضح لنا أنها قوى غير محلية وتعيش على هامش المجتمع الخليجي ولا تتفاعل بشكل ملموس مع أبنائه وقضياتهم مما يمكننا من القول بأن ظاهرة التشكيل الطبقي في المجتمعات الخليجية ليست ظاهرة واضحة وذلك لأسباب خلنجية خاصة من أهمها عدم وجود ما يعرف في الفكر الماركسي بالبروليتاريا المواطنـة التي يمكنها أن تصطدم وتتصارع مع الطبقات الأخرى إن وجدت. ثم انه تاريخياً كان حجم تلك المجتمعات صغيراً نسبياً من الناحية العددية مما كان يعني أن العلاقات الشخصية المباشرة ساعدت على حجب حقيقة عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية. ففي مجتمعات خليج ما قبل النفط كان لدى القوة العاملة المحلية خيارات محدودة، وكان الفائض الاقتصادي صغيراً إلى درجة أن الثروات المتراكمة لدى الأسر الحاكمة والأسر الثرية كانت

جدول رقم ١ يبيّن عدد العمال المهاجرين وغير المهاجرين في دول الخليج العربي*

| العمالة | | مجموع السكان | | | |
|---------|-----|---------------|-----|---------|---------|
| المجموع | % | غير المهاجرين | % | مهاجرين | % |
| ٥٥٩٩٦. | ٩٠٢ | ٥٠٥٠٤٥ | ٩٨ | ٧٣١ | ٢٩٠٥٤٤ |
| ٣٢٤٤٢٠٣ | ٦١ | ١١٨١٨١ | ٣٨٩ | ٢٩٥ | ٥١٠٦٧٥ |
| ٤٨٧٨٨. | ٧٧٦ | ٣٧٨٧١ | ٢٢٩ | ٥٨٥ | ٥٦٢٠٦٥ |
| ١٤٦٣١٧ | ٣٢٥ | ٤٧٥٥٣ | ٦٧ | ٣٤ | ٢٤٢٥٩٦ |
| ٢٥٣٧. | ١٥٤ | ١٣٧٢٠ | ٩ | ٢٩٤ | ٣٥٨٨٥٧ |
| ٥٠١٤١ | ٧٩٤ | ٣٩٨٠ | ٦٢ | ٢٦١ | ٦٣٥٣٢٨ |
| ٤٧٤٢٢٠١ | ٦٥٢ | ٣٠٩٠١١٨ | ٣٤٨ | ٣٧٩ | ٦٨٨٣٠٨ |
| المجموع | | ١٦٥٢٠٨٣ | ٢٧٩ | ٦٢١ | ١١٣٥٤٣٨ |

- All but U. A. E. figures : Roger Owen, 'Migrant Workers in the Gulf' :-
- * المصادر :
- U. A. E. figures : An informant: U. A. E. Ministry of Planning

بحوث ودراسات

صغيرة مقارنة بما هو سائد اليوم. وكان التعليم الحديث شبه معنوم مما ساعد بدوره كثيراً على اختفاء ظاهرة الوعي الاجتماعي بالموقع الطبقي. بالإضافة إلى ذلك فإن اعتماد السكان على موارد محدودة للدخل جعل من توقعاتهم لوجود نوع من الدخل الثابت والمستمر والمعتدل به أمراً مشكوكاً فيه. وفي ظل ظروف كهذه من الفقر والجهل والبيئة المحدودة اقتيد البعض إن لم يكن الكل للاعتقاد شبه التام أن استمرار تلك الظروف مرهون بالقضاء والقدر وليس قابلة للتغير السريع مما جعل تلك المجتمعات تعيش فترة طويلة من عدم التغير الاجتماعي والاقتصادي إلى أن أنت الحقيقة النفعية الحالية بجميع نتائجها.

من جانب آخر فإن الفئات الاجتماعية الجديدة التي برزت نتيجة لاكتشاف النفط وتوزيع عائداته في المجتمع كفته عمال النفط. والفئات المحدودة الدخل من موظفي الدولة بالإضافة إلى فئة الكومنبرانور لازالت تفتقد إلى الخلفية التاريخية كطبقات متماضكة.^(٢٠) فالفئة العمالية على سبيل المثال ليست لديها الخلفية التاريخية كطبقة عمالية ذات شعور عميق وتجربة حقيقة وذلك بسبب اكتساب أفرادها للقيم العمالية حديثاً. وعلى أية حال فإن معظم الفئات العمالية المواطنة العاملة في قطاع النفط تحظى بمرتبات وامتيازات خاصة مقارنة بالقطاعات الاقتصادية الأخرى.^(٢١) وما تجدر ملاحظته أن الفئات العمالية في جميع دول الخليج باستثناء البحرين لم تواجه مشكلة البطالة مطلقاً، وتتوافق تطلعات أفرادها حالياً مع رغبات وتطلعات مستخدميهما مما يساعد في تأخير التصادم بين الفتنتين على المدى المنظور.

وإذا أخذنا في اعتبارنا مسألة العلاقات الشخصية بين كافة الأفراد في مجتمع الإمارات فإننا نلاحظ أن تلك العلاقات كانت ولا تزال قوية بغض النظر عن المركز الاجتماعي أو المالي أو حتى السياسي. ولا زالت هذه العلاقات تربط المواطنين ببعضهم البعض بشكل إيجابي. ويمكنني تصوير تلك العلاقات من خلال منظورين أحدهما رأسى والأخر أفقى. ويتمثل المنظور الرأسى في العلاقات القبلية والأسرية. فطالما أن تلك العلاقات لازالت قوية وفاعلة جداً ومختلفة على صعيد الثقافة الاجتماعية فإن مقوله التشكل الطبقي بين هكذا أفراد تربطهم العاطفة وال العلاقة الشخصية وليس المصلحة الاقتصادية تبقى نوعاً من الأمر الذي يحتاج إلى وقفة طويلة متأملة قبل الخوض فيه وتعيم شكله كتشكل أو نشوء طبقة. المنظور الآخر وهو الأفقى يتمثل في علاقة زمة العمل بين أفراد المجتمع. تلك الزمة لازالت ضعيفة وغير فاعلة في ربط مصالح الأفراد الاقتصادية والاجتماعية ببعضها البعض وذلك لكون موظفي الدولة والقطاع

بحوث ودراسات

الخاص المواطنين يعيشون في وسط وظيفي غالبيته من غير المواطنين مما يجعل فرصتهم ضئيلة في التلامم القوي لخلق أو تشكيل نقابات أو حتى روابط عمل تتحدث نيابة عنهم وتعكس مشاكلهم ورغباتهم.^(٢٢)

تأسيساً على التحليل السابق فإن المرء يستطيع القول بأنه رغم محاولة بعض دارسي السياسة والمجتمع الخليجيين لتشييـت مقولات ماركس وانجلز حول الصراع الطبقي واستعمالها كمنهجية لفهم وتحليل العملية السياسية إلا أنها تبدو غير ملائمة إلى حد كبير. ومن جانب آخر لم يتمكن أولئك الدارسون من استعمالها بشكل ناجح في توضيـع بعض المفاهيم المتعلقة بعدم المساواة الاجتماعية. وفي تقديري يعود هذا الأمر في أساسه إلى الالتباس فيما يعنيه ماركس تحديداً باصطلاح طبقة Class وذلك لوجود استعمالين مميزين لكلمة طبقة في نظرية ماركس والتي تتضمن صعوبة التميـز بين الاستعمالين.

يوضح ماركس كلمة طبقة ليعني بها المجموعات الاجتماعية الرئيسية التي تكون في خلاف Conflict مع بعضها البعض في جميع أشكال المجتمع الإنساني ما بعد البدانية الأولى. وفي استعماله الكلمة في مكان آخر يناقض ماركس نفسه بشكل واضح وبخاصة عندما أراد التفريق بين النظام الطبقي ونظام الاقطاعيات. وكما أظهرت أعمال ماركس اللاحقة فإنه يبدو أنه ربط نفسه بشكل كبير لدراسة الطبقة بالمفهوم الأخير. ونتيـجة لذلك فإنه لم يكن مجبـراً على مواجهة الصعوبـات التي كانت تظهر عندما استعملـت نظرـيـةـ العامةـ حولـ الطـبـقـةـ لـشـرـحـ أـصـوـلـ وـتـطـورـ المـجـتمـعـاتـ الـاقـطـاعـيـةـ والـطـبـقـةـ الـمـنـفـلـقـةـ Casteـ والـشـكـلـ الـأـسـيـوـيـ للـمـجـتمـعـ Asiatic Formـ والتي ميزـهاـ مـارـكـسـ بيـنـهـ وـصـورـهـ بـشـكـلـ مـخـتـصـرـ.^(٢٣) والانتقاد هنا ليس موجـهاً لفشل ماركس ذاته في اختبار نظرـيـته بـطـرـيـقـ شـامـلـةـ شـافـيـةـ ولكنـ الـانتـقـادـ الـأـكـبـرـ يـجـبـ أنـ يـوـجـهـ إـلـىـ الـمـارـكـسـيـيـنـ اللـاحـقـيـنـ وبـخـاصـيـةـ أولـئـكـ الـذـيـنـ حـاـلـوـاـ تـطـبـيقـ مـقـولـاتـ مـارـكـسـ عـلـىـ مجـتمـعـاتـ الـخـلـيـجـ الـذـيـنـ لـمـ يـسـتـطـعـواـ فـيـ أـغـلـبـ الـأـحـيـانـ اختـبـارـ النـظـرـيـةـ جـيدـاـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـفـائـدـتهاـ وـمـحـبـودـيـتـهاـ عـنـدـاـ يـرـادـ تـطـبـيقـهـاـ عـلـىـ حـالـاتـ تـارـيـخـيـةـ معـيـنةـ.

وهـنـاكـ أـسـبـابـ كـثـيرـةـ تـدعـونـاـ لـقـولـ بـأنـ مـقـولـاتـ مـارـكـسـ وـانـجـلـزـ فيـ الـقـرنـ الـتـاسـعـ عـشـرـ حـولـ الـطـبـقـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ قدـ فـقـدـتـ إـمـكـانـيـةـ تـطـبـيقـهـاـ فـيـ عـالـمـاـ الـحـدـيثـ وـبـشـكـلـ عامـ.ـ فـيـ ظـلـ الـظـرـوفـ وـالـمـعـطـيـاتـ الـمـحـيـطةـ بـالتـغـيـرـاتـ فـيـ الـبـنـىـ الـاجـتمـاعـيـةـ الـتـيـ تـحـكـمـ مـنـ قـبـلـ قـرـاراتـ صـادـرـةـ مـنـ السـلـطـاتـ الـسـيـاسـيـةـ فـنـحنـ أـبـعـدـ مـاـنـكـونـ عـنـ طـبـقـةـ اـجـتمـاعـيـةـ كـمـ صـورـهـ مـارـكـسـ وـنـحنـ أـبـعـدـ مـاـنـكـونـ عـنـ طـبـقـاتـ تـتـصـورـ وـكـانـهـ مـجـمـوعـاتـ يـتـحدـدـ

بحوث ودراسات

موقعها عن طريق معرفة علاقتها بوسائل الإنتاج. ففي الحالات التي تستطيع فيها السلطات السياسية تغيير البنية الاجتماعية بشكل كبير ومؤثر، وفي الحالات التي تكون فيها الامتيازات مرتبطة بالموقع الاجتماعي بما في ذلك الحصول على نصيب أكبر من الدخل القومي وذلك عن طريق قرار من السلطة الحاكمة، وفي الحالات التي يكون فيها قطاع كبير من الشعب مصنفين كجزء من البيروقراطية الحكومية فإن مقولات ماركس حول وجود طبقات تصبح ليست ذات قيمة ويفسح معها الصراع الطبقي المجال لاستخدام منهجية لأشكال أخرى من الفصومة الاجتماعية مما يعني إفساح المجال لاستخدام منهجية أخرى لتحليل وفهم العملية السياسية في المجتمع. وفي هذا السياق تبقى معنا مقوله النخبة من أقوى المرشحين للاستعمال كمنهجية ناجحة تقى بعرض تحليل وفهم العملية السياسية في مجتمع الامارات. ولكن قبل القفز إلى خلاصة من هذا القبيل وجب علينا أن نستعرض ماهية مقوله النخبة، والجوانب الإيجابية التي تحملها والتي تدعونا للحماس لها ومحاولة استخدامها وتطبيقاتها على مجتمع الامارات وموقف التحليل الماركسي العدائي منها.

حول مفهوم النخبة :

يرى بعض دارسي النخب أن النخب بشكل عام قديمة قدم التاريخ، في حين يرى البعض الآخر أن النخب جديدة ولا يتعدى وجودها استخدام الآلة في حياة الإنسان. وتعتمد صحة أي من هذه المقولات على التعريف الذي يرغب الباحث في استخدامه في جميع خطوات بحثه، ولكن هذا القول لا يجب أن يجرنا بعيداً عن حقيقة أن لفظ «النخبة» أو «السراة» كما يحلو للبعض أن يسميها يعود أساساً إلى أقلية من الأفراد اختيارها أو وجدوا أنفسهم في موقع مهم يستطيعون من خلاله أن يخدموا بشكل جماعي وبطريقة ذات قيمة اجتماعية كذلك لا يجب أن يغيب عن بالنا أن النخب أقلية مؤثرة ومسؤولة. فهي مؤثرة من حيث ادائها لمسؤولياتها المتعلقة بالصلحة العامة وهي ذات أهمية بالنسبة للجماهير أو السوق Masses الذين تكون هذه النخبة في وضع متفاعل أو حساس Responsive بالنسبة لهم. والنخب المهمة اجتماعياً تكون مسؤولة وإلى حد كبير في تقدير ومعرفة حقيقة أهمية الأهداف الاجتماعية الهامة وفي استمرارية النظام الاجتماعي. والاستمرارية هنا تعني المشاركة في استمرار العملية الاجتماعية في الوقت الذي لا يكون فيه ترافقها مع البقاء أو الاستمرارية يحتوي على إمكانية التراجع أو الانضمام (٢٤).

وتكون القيادة الاجتماعية واحدة من القوى المؤثرة في تنظيم المجتمع حيث إنه بعد

بحوث ودراسات

أن يصل مجتمع ما إلى حجم معين يصل فيه الشعور بالرضا فيما يتعلق بحاجاته المادية والروحية في حاجة إلى نوع من التنظيم وإلى إيجاد نوع من القواعد والأئمـار المعززة بنظام من المعتقدات. وحين يصل إلى هذا المستوى من التنظيم تصبح مسؤولية الحياة العامة منوطـة باعـضاء قـليلـين من ذلك المجتمع. وتـخصـيـصـاً تكونـ فيـ يـدـ زـعـانـهـ وـرـمـوزـهـ وـحـكـامـهـ بماـ يـعـنـيـ فيـ يـدـ نـخـبـةـ الـحـلـودـةـ. وـفـيـ فـترـاتـ التـغـيرـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ السـريـعـةـ تكونـ موـاـقـفـ تـلـكـ النـخـبـ ضدـ أـيـةـ تـغـيـرـاتـ فيـ الـخـلـفـيـاتـ سـهـلـةـ الـمـلاـحظـةـ. أـمـاـ فيـ فـترـاتـ الـاسـتـقـرـارـ النـسـبـيـ فـتـتـاـخـلـ موـاـقـفـ النـخـبـ معـ الـأـهـدـافـ الـعـادـاتـ وـالـأـنـمـاطـ الـتـيـ تـسـوـدـ مجـتمـعـاتـهـ فـتـلـكـ الـمـراـحلـ وـتـبـدوـ الـأـهـدـافـ الـعـلـمـيـةـ غـيرـ المـحـدـدةـ زـمـنـيـاـ لـأـنـوـارـهـمـ مـنـقـصـلـةـ خـلـالـ فـترـاتـ التـحـولـ الـاجـتمـاعـيـ السـرـيعـ أوـ خـلـالـ الـأـزـمـاتـ.^(٢٥)

ومـاـ تـجـدـرـ مـلـاحـظـتـهـ أـنـ هـنـاكـ تـضـارـبـاـ فـيـ الـأـرـاءـ حـولـ تـحـدـيدـ تـعـرـيفـ مـتـقـعـ علىـ الـنـخـبـ فـيـقـولـ الـبعـضـ بـأـنـ أـفـرـادـهـ هـمـ مـتـخـنـوـ الـقـرـارـ Decision - Makersـ فـيـ الـجـمـعـمـ الـذـيـنـ لـاتـخـضـعـ قـوـتـهـ لـلـمـراـقبـةـ مـنـ أـيـةـ جـهـةـ أـخـرـيـ فـيـ ذـكـ الـجـمـعـ. وـبـالـنـسـبـةـ لـلـبعـضـ الـأـخـرـ تـعـتـبـرـ النـخـبـ هـيـ الـمـجـمـوعـةـ الـتـيـ تـشـكـلـ الـمـصـدـرـ الـأـسـاسـيـ لـلـقـيـمـ فـيـ الـجـمـعـ أوـ هـيـ الـتـيـ تـشـكـلـ الـقـوـةـ الـتـوـحـيدـيـةـ لـلـجـمـاعـةـ، وـالـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ يـنـفـرـطـ عـقـدـهـ بـدـونـ تـلـكـ النـخـبـ.^(٢٦) وـلـكـنـ بـغـضـ النـظـرـ عـنـ جـمـيعـ تـلـكـ الـأـرـاءـ الـمـتـضـارـبـةـ فـإـنـ الـفـرـضـيـةـ الـأـسـاسـيـةـ لـمـقـلـةـ النـخـبـ هـيـ أـنـ جـمـيعـ الـمـجـمـعـاتـ عـلـىـ وـجـهـ هـذـهـ الـبـسيـطـةـ مـقـسـمـةـ إـلـىـ مـجـمـوعـتـيـنـ الـقـلـةـ الـتـيـ تـحـكـمـ وـالـكـثـرـةـ الـتـيـ تـحـكـمـ. وـبـوـضـعـ عـالـمـ السـيـاسـةـ الإـيطـالـيـ Gaetano Moscaـ هـذـهـ الـفـرـضـيـةـ عـلـىـ النـحـوـ الـأـتـيـ :-

«في جميع المجتمعات - من المجتمعات غير النامية التي شهدت فجر الحضارة، نزواً إلى المجتمعات المتقدمة جداً والقوية - تظهر طبقتان من البشر - طبقة تحكم وطبقة تحكم الطبقة الأولى دانماً تكون أقل عدداً وتمارس جميع الوظائف السياسية، وتحتكر القوة، وتحتفظ بالميزانية التي تجلبها تلك القوة، في حين أن الطبقة الثانية ذات الأقلية العددية مسيطر عليها وتدار من قبل الأولى بطريقة أصبحت في الوقت الحاضر قانونية وفي نفس الوقت تعسفية وعنفوانية. وتقوم الطبقة الثانية بتزويد الأولى - على الأقل ظاهرياً بوسائل عيشها المادية وبالآلات الضرورية والهامة لحيوية واستمرارية النظام السياسي».^(٢٧)

إذاً بالنسبة لموسكا فإنه توجد حقيقة ثابتة مفادها أن النخب وليس السوقـةـ هيـ

التي تحكم جميع المجتمعات، والنخب ليست تتاجأً خاصاً بالرأسمالية أو الاشتراكية أو التصنيع أو التقدم التقني أو القبلية. جميع المجتمعات، اشتراكية كانت أم رأسمالية، قبلية كانت أم عصرية تحكم من قبل النخب وذلك لأن جميع تلك المجتمعات تحتاج إلى قادة والقادة لهم دور في المحافظة على تنظيم مجتمعاتهم وموقعهم في ذلك التنظيم. ذلك المحرك إذاً يعطي لمفهوم القادة معنى مختلفاً عن ذلك الذي يعطى لأعضاء المنظمات. فالنخبة إذاً مهمة موجودة في أي تنظيم اجتماعي.^(٣٨) ويقول عالم السياسة Robert Michels، إن من يقول بوجود تنظيم في أي مجتمع فإنه يعني بالأساس وجود حكم الأقلية التي تستطيع فرض ذلك التنظيم. وهذا القول يحمل الكثير من الصحة فيما يتعلق بالمجتمعات كل ذلك أن اتخاذ القرار فيما يتعلق بتنظيم أمور المجتمع يتخد عادة من قبل الأقلية التي تقود ذلك المجتمع. ويضيف عالم السياسة الأمريكي Harold Lasswell، قائلاً إن القرارات في جميع المجتمعات ذات الحجم الكبير تكون في يد عدد قليل من الناس مما يثبت الحقيقة الأساسية التي مفادها أن الحكومة دائمًا تكون حكمة أقلية سواء كانت باسم المجموع أو القلة أو الفرد.

وتؤكد مقوله النخبة أيضاً أن القلة التي تحكم لا تمثل صورة طبق الأصل للأكثرية التي تحكم حيث يسيطر أعضاء النخبة على موارد أكثر ولديهم قوة وثروة أكبر ويتمتعون بتعليم ومرافق مرموقة واحترام ومهارات قيادية ومصادر للمعلومات ومعرفة بالعملية السياسية وقدرة على الاتصال والتنظيم بقدر أكبر مما يتمتع به أفراد الشعب العاديين. وباختصار فإن النخبة تأتي من الشرائح الاجتماعية الأعلى في المجتمع، ومن أولئك الذين يسيطرون على قدر أكبر من المؤسسات الاجتماعية.

ولكن ومن جانب آخر فإن مقوله النخبة لا تعني بالضرورة أن الأفراد الذين يأتون من الشرائح الاجتماعية الدنيا في المجتمع لا يستطيعون الوصول إلى مراكز متقدمة في السلم الهرمي للنخبة.^(٣٩) وعلى العكس من ذلك فإن نظرية النخبة تفتح مجالاً للحرك الاجتماعي وتمكن أفراداً من غير أعضاء النخبة من أن يصبحوا أعضاء فيها. وهناك قدر معين من دوران النخبة Elite Circulation الذي يأخذ شكل الحراك من أسفل إلى أعلى الهرم الاجتماعي ويعتبر ضرورياً جداً لاستمرارية واستقرار نظام النخبة. ولكن كون أن مقوله النخبة تتيح مجالاً لصعود أفراد عاديين إلى مصاف النخبة لا يعني بالضرورة أن الجميع يستطيع ذلك، فمن غير الممكن مثلاً أن تضم القادة الثوريين العاملين لاسقاط النخبة الأصلية إلى صفوفها. أن من يُضمنون هم أولئك الأفراد

المهملون ذهنياً والطامحون للوصول إلى ذلك المستوى الاجتماعي والسياسي. وفي حقيقة الأمر يعتبر وصولهم عامل تقوية ودعم لوضعية النخبة في المجتمع ويحدد بشكل أو بآخر من دمائها^(٤٠). ولكن انتقال الأفراد من الوسط الخاص بغير أفراد النخبة إلى مراكز أفراد النخبة يجب أن يكون بطيناً ولكن بشكل مستمر عوضاً عن الانتقال السريع والعنيف أو الثوري. بالإضافة إلى ذلك فإن الأفراد من غير النخبة الذين يظلون التزامهم المطلق بنظام النخبة ذاته ولقيم السياسية والاقتصادية لذلك النظام هم الذين يمكن أن يضموا إلى مصاف أفراد المجموعة الحاكمة.

ويتقاسم النخبة الأجمع المشترك فيما يتعلق بالمعايير الأصولية للنظام الاجتماعي، ويتفقون غالباً على قواعد اللعبة السياسية الأساسية وعلى استمرار النظام الاجتماعي ذاته، لأن جانباً كبيراً من استقرار النظام وحتى استمراريته ذاتها تعتمد على ذلك النوع من الاتقاء ولكن أفراد النخبة أصحاب نفوذ فإنهم يتمتعون بامتيازات، ولكنهم يتمتعون بامتيازات فإنه يكون لهم موقف خاص من لزوم استمرارية النظام الذي تعتمد عليه امتيازاتهم^(٤١). ولكن التناغم بين أفراد النخبة لا يعني بالضرورة أنهم لا يختلفون مع بعضهم البعض أو أنهم لا يتنافسون فيما بينهم من أجل التفوق لأنه لا يمكن تصور أن يوجد مجتمع مالم يتواجد فيه نوع من التنافس بين أعضاء نخبته. ولكن نظرية النخبة تتضمن بأن يأخذ شكل التنافس حيزاً ضيقاً جداً وبأن النخبة تتفق فيما بينها على أمور أكثر من تلك التي تختلف حولها. والاختلاف عادة يكون حول الوسائل عوضاً عن النهايات^(٤٢).

من جانب آخر تقتضي نظرية النخبة ألا تكون السياسة العامة عاكساً لمطالب الشعب بنفس القدر الذي تكون فيه عاكساً لقيم النخبة. وتأخذ التغيرات مجالاً وحيزاً في السياسة العامة عندما تعيد النخبة تعريف قيمها الخاصة. وعلى أية حال فإن التحفظ العام للنخبة فيما يتعلق بالرغبة في التغيير يعني أن التغيرات المطلوبة في السياسة العامة يجب أن تكون هادئة وليس ثورية. وهذا يعني أن السياسات العامة النابعة أساساً من قيم النخبة يعاد النظر فيها ولكنها نادراً ما تتبدل جنرياً. وتحدث التغيرات الجوهرية في أي نظام سياسي عندما يشعر القائمون عليه وهم أفراد النخبة بأنه مهدد. عندما تقوم النخبة بتقديم بعض الإصلاحات في سبيل المحافظة على النظام القائم بشكل عام وعلى أوضاعهم وامتيازاتهم فيه بشكل خاص وذلك انطلاقاً من مصلحة ذاتية مستقرة. ولكن هذا لا يعني أن الواقع النخبة هي خدمة ذاتها بشكل خاص، فقد تكون قيم النخبة ذات اهتمامات شعبية وجماهيرية في نفس الوقت. وقد

تكون رفاهية الشعب عاملاً مهماً في اتخاذ النخبة للقرارات. فمقوله النخبة لا تعني أن السياسة العامة قد تتجاهل أو تعارض رفاهية العامة. ولكن النقطة الأساسية هنا هي أن رفاهية العامة تقع على عاتق النخبة وليس على عاتق الجماهير أنفسهم.

بالإضافة إلى ذلك فإن نظرية النخبة تفترض أن العامة سلبيون ومذعنون بشكل عام ولأماليين ولا تصلهم المعلومات بشكل منتظم، وارائهم مسيطرون عليها بشكل كبير من قبل النخبة وبشكل تكون فيه قيم النخبة متأثرة بشكل أقل بنفوذ آراء العامة أو الجماهير. وفي الجانب الأكبر فإن مسار الاتصال بين النخبة والجماهير يأخذ شكل التدفق من القمة إلى القاعدة حيث إن السياسات الحكومية نادراً ما تقرر من قبل العامة عبر المشاركة السياسية أو عبر تقديم بدائل سياسية وهذا يعني بشكل واضح أن الجماهير وفي أفضل الظروف ليس لديها سوى دور غير مباشر في التأثير على سلوك النخبة في اتخاذ القرار^(٤٣).

وهنا لا يجب على المرء أن ينتقد بسرعة التركيز على القوة السياسية التي يرى دارسو النخبة أنها ثابتة أو أكيدة في التاريخ. وقد يكون من الضروري تركيز السيطرة حتى يمكن تحقيق بعض المكاسب الاجتماعية كالامن والحماية والتعاون والتنسيق. ولا يجب علينا كذلك انتقاد الامتيازات التي تحظى بها النخبة لأن العوائد ضرورية لكي تصنف النخبة بعيداً عن السوق، ولكن تشتد انتباه بل وتجلب أحصان العقول النيرة إلى الأماكن المرموقة لعضوية النخبة. ويرى مفكرو النخبة التقليديون أن أعضاء النخبة يتمتعون بالكثير من الامتيازات التي لا يحظى بها الناس العاديين ولكنهم لا ينتظرون ذلك مطلقاً بل يرون أن تلك الامتيازات لا تعود كونها مكافآت لتحمل المسؤوليات الجسمانية عن المجتمع بأسره.^(٤٤) ولكن هذه الفكرة تثير سؤالين هامين مما هل النخبة تخدم أم تستغل؟ وهل الواجب علينا التركيز على وإيضاح امتيازاتها أم مسؤولياتها؟ ويصبح من الثابت هنا أنه توجد تفسيرات متضادة لهذا الأمر تتبع من كيفية اختيار الباحث للطريقة التي يرى أنه من الواجب الإجابة بها على ذلك النوع من الأسئلة. فينظر التقليديون مثلاً العلاقة بين الحكام والمحكومين على أنها علاقة مسؤولية أكثر منها علاقة امتيازات، ويقع التمييز الأدبي والفائدة المادية للمجتمع على اكتاف النخبة. ووجهة النظر تلك ماهي إلا جزء من كل ومن توجه أشمل مفاده أن المجتمع كان حي يكون فيه كل عضو معتمد بشكل تعاوني على الأعضاء الآخرين جميعها. وعلى ذلك فإن المجتمع بالنسبة للتقليديين ليس بالأساس محصلة للعنف والتناحر أو للخداع بل هو نتيجة للفائدة المشتركة التي يحصل عليها الأفراد المكونون له. وتقع النخبة في موقع

وسط في ذلك المجتمع^(٤٠) بحيث أنها تزود أفراده بالوحدة والترابط والتوجيه. ولا يجب أن يحصد القادة على القوة والامتيازات التي يحصلون عليها وذلك لأن مواقفهم العالية لا تكتسب عن طريق القوة ولكن عن طريق قدراتهم وصفاتهم الخاصة المتميزة وعملهم الدؤوب. والامتيازات التي لديهم ليست مسروقة بل أعطيت لهم بحرية تامة من قبل الجماهير كعوائد عادلة للمسئوليات التي يتحملونها، وسيكون من الإجحاف حجب تلك العوائد، وسيكون من غير العملي شد انتباه أصحاب العقول النيرة لكي يتوجهوا للسعى للوصول إلى مراكز القيادة مالم تكن هناك امتيازات أدنية وعوائد مادية يمكنهم الحصول عليها.^(٤١)

وعلى ذلك فإنه يمكن تلخيص أهم الجوانب التي تحتوي عليها مقوله النخبة في الأمور التالية :-

أولاً : أن المجتمع مقسم إلى القلة التي تمتلك القوة والنفوذ وتحظى بالكثير من الامتيازات والكثرة التي ليست لديها قوة ولا تملك النفوذ ولا تحظى ولو بالنذر اليسير من الامتيازات. ووفقاً لذلك فإن قيم المجتمع تحدد من قبل عدد قليل من الأفراد، ولا يقرر الناس العاديون السياسات العامة.

ثانياً : أن النخبة التي تحكم ليست انعكاساً كاملاً للسوق المحكمين. وتجند النخبة بشكل غير متكافئ من الشريحة الاجتماعية - الاقتصادية العليا للمجتمع.

ثالثاً : أن حراك غير أعضاء النخبة إلى مراكز النخبة يجب أن يكون بطيناً ولكن بشكل مستمر وذلك وفقاً لرغبات النخبة في تحقيق الاستقرار وتجنب الثورة والانفجار الاجتماعي. وبطبيعة الحال فإنه في الواقع العملي يسمح للأفراد من غير أعضاء النخبة الذين يقبلون بالإجماعات الأساسية للنخبة Elite Consensus بالوصول إلى مراتب الوسائل أو الحلقات الحاكمة.

رابعاً : يتقاسم أعضاء النخبة القيم الأساسية للنظام الاجتماعي وقيم المحافظة على ذلك النظام. ويكون الاختلاف فيما بينهم ضيقاً إلى أبعد الحدود و حول مسائل محدودة جداً.

خامساً : السياسات العامة لا تعكس بالضرورة مطالب الجماهير ولكنها تعكس أساساً القيم السائدة للنخبة، ويعتبر التغيير في السياسة العامة إكمالاً وعلى نفس وتيرة سياسة النخبة السابقة وقيمها المتصلة عوضاً عن كونها تهدف إلى تغيير جذري وشوري.

سادساً : يمكن القول إجمالاً إن النخبة تمارس نفوذاً على العامة بقدر أكبر مما يمارسه العامة على النخبة.

محتويه مقوله النخبة من ميزات وفوائد :

عوده إلى الأصول التاريخية التي بعثت فيها مقوله النخبة يستطيع المرء القول بأنها كانت مفيدة وإلى حد كبير في توسيع جوانب رئيسية فيما يتعلق بتطور العملية السياسية والاجتماعية في المجتمعات الصناعية الغربية. ويبدو أنه أصبح من الثابت وبشكل مضطرب أنه لا يمكن تحليل تلك المجتمعات باستخدام مقولات الطبقة الحاكمة أو الفتنة العرقية أو الاستقراطية بمعزل عن تحليلات النخبة وما توصل إليه من نتائج وخلاصات. ولأسباب تتعلق بخصائص المجتمعات الصناعية فإن الميزة الاجتماعية للنخبة تنمو كما هو الحال بالنسبة للفرق بينها وبين الطبقات الحاكمة. ومن الأمور الملفتة للنظر في تلك المجتمعات أن دور النخبة ليس في تقهقر أو إضمحلال كما يفترض بعض دارسي النخبة بل تسير إلى المزيد من التوسيع والتشعب. ويسير ذلك الدور إلى المزيد من تميز أعضاء النخبة وإلى المزيد من تركيز القوة في أيديهم. وحيث أن تلك المجتمعات تتطور متوجهة إلى المزيد من التخصص فيما يتعلق بالاقتصاد وبالوظائف فإن النخب أصبحت مهمة بشكل لم تكن عليه سابقاً كحارس موجه للقيم الجماعية وكمحرك للتطلعات والأهداف الجماعية.^(٤٧)

ذلك فيما يتعلق بمجتمعات الغرب التي انبثقت فيها الفكرة المتعلقة بالنخبة ولكن بشكل عام فإنه من الممكن تحديد مساهمة هامة لمقوله النخبة فيما يتعلق بثلاثة أوجه ذات علاقة ولكنها منفصلة عن بعضها البعض.

أولاً : تثير دراسة النخبة مجموعة من المشكلات المعاصرة الهامة وتلقي الضوء على مسائل من وجهة نظر جديدة لم تطرق من ذي قبل. وبالفعل يبدو أن البعد المعياري Normative Dimension جوهرى في هذا الحقل وذلك لأنه يأخذ في اعتباره تحديات رئيسية لبعض الأعراف والسلمات والافتراضات التي يؤمن بها أفراد المجتمع بشكل واسع (وهي مايعرف بالخرافات Myths) ونتيجة لذلك فقد ظهر نمط جدل استقطابي في معالجة الأمر.

ثانياً : فإنه استناداً إلى الأمر السابق فإنه يمكن القول بأن دراسة النخبة تركز الانتباه على بعض الأسئلة الأساسية عن الطريقة التي يجب أن ينظم بها المجتمع ودور الأفراد الذين يشكلون نخبته السياسية في ذلك. وعلى أية حال فإن دراسة النخبة تثير تساؤلات هامة ومؤهلة إلى حد كبير للإثبات التجريبى. وعلى ذلك فإننا في هذا السياق

بحوث ودراسات

نتعامل مع حالات تاريخية حقيقة وليس مع خلاصات وأمور فلسفية محضة وتحديدًا فإننا لانتعامل مع من يجب أن يحكم ولكن مع من يحكم فعلًا، وبهذه الطريقة فإن دراسة النخبة تقي الضوء أيضًا على الأعمال الداخلية للمجتمعات حيث إنها تثير استلهام من قبل كيفية تطابق *Stratified* المجتمعات، وكيفية اقتسام الفوائد في تلك المجتمعات، وكيفية منح الامتيازات، بل وفوق هذا كله حول كيفية ممارسة القوة ومن قبل من تمارس تلك القوة. جميع تلك الأشياء لها علاقة بالثابتة وباختيار وتبني النمط أو الأسلوب السلمي أو العنفي من قبل المجتمعات عبر الزمن.

ثالثاً : وكما يتضح من الملاحظات الآتية الذكر فإن دراسة النخبة لها علاقة مباشرة بما يعرف بالمسائل الفورية للهندسة الاجتماعية فهناك اعتراف بأنه يوجد للنخبة على المستوى الوطني والمستوى الدولي دور هام لكي تقوم به، وتشكل أمور كجودة وحكمة القيادة التي يتحلى بها أعضاء النخبة ونوع الثقافة السياسية والفكريّة التي ينطلقون منها إلى جانب التشكيل الاجتماعي الذي أتوا منه أساساً جزءاً من التسوية. ويطلب الأمرأخذها بعين الاعتبار عند بناء السياسات التي ستقبل وتوضع حيز التنفيذ.^(٤٨)

وربما تكون أعظم فائدة لمقولة النخبة هي ماتزودنا به تلك النظرية من توضيح للأمر المتسائل حول التغير المطرد للبني السياسية والاجتماعية. وكما هو معروف لدينا فإن معظم فترات التاريخ ليست ثورات بل هي ممارسات يومية روتينية لأهداف هامة من قبل النخبة وهي أيضاً ممارسات للتغيرات المتوسطة المدى والمهمة جداً في موضوع المجموعات الحاكمة. فمثلاً عندما يجند أعضاء من السوقه ويدرجون ضمن مصاف أعضاء النخبة مرفوعين بذلك من واقعهم الذي فإنه في هذا السياق يكبح جماحهم من قبل النخبة التي تمنحهم فوائد رمزية أو إصلاحات ذات مستوى متوسط. وهناك شواهد قليلة من التاريخ على أن السوقه لا يكونون قانعين نتيجة لتلك الطريقة. وإذا ما ترکت جماعات السوقه المؤهلة والطامحة للارتفاع إلى مصاف النخبة في حال سببليها، ولم تستقطب من قبل النخبة الأصلية *Incumbent Elite* لكي تجد من دمانها فإن تلك الجماعات تكون عرضة للتحريك والاستقطاب من قبل النخبة المضادة *Counter Elite* لافتراض النخبة الأصلية والحلول محلها. ذلك الأمر يعطينا مؤشرًا واضحًا على وجود نقاط توقف قاسية في استمرارية التاريخ^(٤٩) وما الثورات العارمة التي اجتاحت روسيا وأوروبا الشرقية والصين في النصف الأول من هذا القرن، والتي اجتاحت إيران في الأمس القريب إلا أمثلة واضحة على صحة تلك الأطروحة.

ومما يقيم الدليل ويثبت اطروحة أن وجود النخب ضروري للفائدة المادية للمجتمع هو التأكيد على أن السوقية غير مؤهلين للقيادة وبالتالي فإنهم غير قادرين على التحرك أو الفعل بعيداً عن المبادرة من الخارج أو تحديداً من أعلى أي من قبل النخبة. ويقول منظر النخبة روبرت ميشيلز Michels إن هناك إثباتاً قوياً للضعف الجوهرى والأصيل موجود لدى السوقية والذي تؤيد الحالة التي يبنو فيها السوقية بالاقوة عندما يحجب عنها قادتها وقت الحركة حيث تتعدم قدرتهم على إعادة تنظيم أنفسهم إلى أن يظهر قادة جدد قادرون على الحلول محل القادة السابقين الذين فقدوا.^(٤١)

من جانب آخر فإن هناك حقيقة هامة لا يجب إغفالها ومقارناها أن مقوله النخبة في صراع مع الفكرة الماركسية الخاصة بالصراع الطبقي رغم ما أوردناه سابقاً من وجود قواسم مشتركة بين جوهر المقولتين. ففي حين أن البيان الشيوعي يدعى أن تاريخ المجتمعات ما هو سوى تاريخ الصراع الطبقي، فإن بيان أصحاب مقوله النخبة يدعى أن تاريخ جميع المجتمعات ما هو سوى تاريخ صراعات النخبة. بالإضافة إلى ذلك يضيف بعض أصحاب نظرية النخبة أن الأمور ستبقى على هذه الحال إلى أبد غير منظور. ويقف الأفراد من غير أعضاء النخبة موقفاً سلبياً من ذلك الصراع أو أنهم رهن لكونهم يحركون في صالح الرغبات والميزات الأنانية للنخبة المضادة التي وكما أشرنا تصارع ضد النخبة الأصلية.^(٤٢) وفي خضم هذا الصراع بين المقولتين لم يدخل الماركسيين التقليديين وعلى الأخص السياسيين ماقبل مرحلة بروسترويكا غورباتشيف وسعاً من الاستمرار والغالاة في السخرية من تحليل النخبة، وهذا في حد ذاته مؤشر مهم على أن النخبة قد أخذت بعين الاعتبار بانها موجودة في كل مجتمع. وفوق كل هذا فإن الشيوعيين المنشقين أمثال ميلوفان دجيلاس قد تعرضوا لمسألة النخبة بنفس القدر^(٤٣) الذي تعرض لها به الشيوعيون التقليديون أو الأرثوذكس. فعلى سبيل المثال لالحصر يعترف ميليبان بوجود النخبة حتى في المجتمعات الاشتراكية.^(٤٤) وفي هذا السياق يجب على المرء ألا يغفل فكرة لينين التي مفادها بأنه من غير وجود القلة من أصحاب العقول النيرة والمدراء تدريباً يصل إلى حد الاحتراف والمزيد في الخبرة الطويلة والنین يعملون مع بعضهم البعض في تناسق تام فإنه لا توجد طبقة في المجتمع الحديث تستطيع القيادة في صراع محظوظ.^(٤٥)

واستعملت تلك الفكرة التي أوردها لينين لفترة طويلة من قبل الأحزاب الشيوعية في مختلف الدول التي انتهت نظام الحزب الواحد الاشتراكي كتبرير للدور القيادي الذي فرضته تلك الأحزاب لنفسها قسراً ولعبته لمدة طويلة. إن ذلك الأمر لم يكن سوى صدى لمقوله روبرت ميشيلز Michels حول ضرورة وجود القيادة المستنيرة.

من جانب آخر تقابل الفكرة الثالثة بأن السوقية غير مؤهلين لقيادة المجتمع فكراً أن البشر عقلانيون ولذلك فهم ينظرون أنفسهم على شكل مستويات متدرجة وذلك إدراكاً منهم أن مصالحهم قد تنفع إلى الأمام نتيجة لافعال وذكاء حكامهم ولذلك فهم يعتمدون طواعية على أحكام أولئك الذين يقوبون المجتمع وذلك لأن الفرصة التي قد تضيع عليهم نتيجة لعدم القبول بذلك الأحكام ومحاولة الركون إلى أحكام أخرى قد تكشفهم الشيء الكثير.^(٥)

تحليل النظام السياسي الإماراتي ومفهولة النخبة :

عند الرغبة في تحديد أن العملية السياسية والنظام السياسي لدولة الإمارات العربية المتحدة يمكن أن يحلل ويفهم من خلال استعمال مفهولة النخبة فإن الباحث يمكنه الإنطلاق من فرضية هامة مفادها أنه يوجد في الإمارات مجموعة متماسكة قليلة العدد، منظمة ومتّميزة عن غيرها من المجموعات التي تشكل مجتمع الإمارات. تلك المجموعة تحتكر المصادر الأساسية والأسس الثابتة للقوة السياسية والاقتصاد وتحتاج بمركز اجتماعي وأيديي مرموق مقارنة ببقية المجموعات. ومن هذا الافتراض تبرز لدينا فكرة أخرى مفادها أن القوة السياسية في الإمارات موزعة بشكل غير متساوٍ وبأن أعضاء النخبة السياسية هم أولئك الذين لديهم القوة Power أما باقي المواطنين فإنهما لا يسيطرون على أي جزء من القوة المتوفّرة في المجتمع. ويجمع الكثير من دارسي علم السياسة على أن تصنيف المجتمع إلى نخبة وسوقية شيء عام Universal وحتى في الأنظمة الديمقراطيّة ذات النمط الغربي هناك قلة تمارس إلى حد ما قدرًا كبيرًا من القوة، وهناك الأكثريّة التي تمارس بالمقارنة قدر أقل من تلك القوة. وتعتمد تلك الفرضية على فكرة أنه بإمكان منهجه النخبة أن توفر الباحث في شؤون الإمارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أفضل السبل والمنهجيات المتوفّرة في حقل السياسة والمجتمع السياسي لفهم العملية السياسية والنظام السياسي بشكل عام وذلك لكونه لا يزال في طور النمو ويسعى جاهداً للتحديث والتنمية على جميع الأصعدة. ومسألة تصنيف دولة الإمارات العربية المتحدة ضمن الدول التي لازالت في طور النمو يفتح لنا أبواباً كثيرة لامكانية دراستها وتحليلها من خلال منظور النخبة السياسية وذلك لأهمية الدور الفردي وغير الرسمي في تبلور العملية السياسية. وفي تقديرى فإنه يرتبط بالفرضية السابقة أمر مهم هو أن قدر مجتمع الإمارات في ضوء المعطيات التي توافرت لدينا من استمرار التجربة الاتحادية خلال ما يقارب العشرين عاماً المنصرمة يعتمد إلى حد كبير على أفكار وأفعال الشريحة العليا لنخبته السياسية وذلك كنتيجة

حتمية لأمرتين. الأمر الأول هو اتساع وتشعب هذا المجتمع من جانب وزيادة مركزية اتخاذ القرار من جانب آخر مقارنة بوضعه الذي كان سائداً قبل تشكيل الاتحاد. أما الأمر الثاني فهو أن موضوع النخبة السياسية قد تشعب ليصبح ذا مستويين محلي واتحادي وهذا يعني أن عدد النخب قد زاد بالإضافة إلى ازدياد أعداد كل نخبة على حدة وإلى تطور أدوارها التي تصبح أكثر جوهرية وفعالية في التأثير على الشأن العام. وتلت ذلك أيضاً الحاجة للتحكم والسيطرة في أساسيات نمو وتطور تلك النخب. ونتيجة لذلك أيضاً برزت لدينا ضرورة ملحة لدراسة تلك النخب سواء على المستوى المحلي أو المستوى الاتحادي دراسة علمية دقيقة وبخاصة وكما سبقت الإشارة إلى أن فترة زمنية لابأس بها قد مررت منذ التقييع على الدستور المؤقت للاتحاد وإعلان الدولة الاتحادية الوحيدة على مستوى العالم العربي التي استطاعت الاستمرار متصدية بذلك وصادمة في وجه الكثير من المشاكل والتعقيدات والتحديات التي عصفت بجميع التجارب الوحدوية بين أقطار عربية أخرى متعددة.

ويبدو أنه باستطاعة مقوله النخبة أن تشير بشكل واضح ومحدد إلى أولئك الذين يستطيعون اتخاذ القرار فيما يتعلق بالشؤون السياسية والاقتصادية والمجتمعية في الإمارات. وكما سبقت الإشارة سابقاً وفي أكثر من موقع فإن مقوله النخبة تستطيع أن تطرح أو تثير استلة جوهرية عن منطلقات وأهداف الأفراد الذين يشكلون النخبة السياسية. ومن خلال التركيز على المسيطرین على مصادر القوة ومتخذیي القرار فإن تحلیلات النخبة السياسية تقدم لنا منهجية جيدة لدراسة وفهم المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في المجتمع والتي عن طريق مجموعة التفاعلات التي تحدث فيها ومن خلالها يتم فهم وتحليل العملية السياسية والنظام السياسي بشكل عام وذلك لأنها تشير تساؤلات مهمة تعود إلى المدخلات الأساسية لصنع السياسة واتخاذ القرار.^(٥٧)

الحديث السابق يقودنا أيضاً إلى نقطة هامة أخرى وهي أن النخبة الإماراتية لم تتجأ، وهي في حقيقة الأمر لاتحتاج إلى اللجوء إلى وسائل العنف السياسي والمؤمرات والقمع وإلى استغلال الجماهير وذلك لكونها مقبولة لدى المواطنين بشكل واسع الأمر الذي تستمد منه شرعيتها واستمراريتها. هذا القبول وتلك الشرعية تتبع من كون النخبة السياسية في الإمارات حريصة على علاقتها المميزة بالجماهير ومن الأهمية والاهتمام الذي توليه لعامة الشعب. وينعكس ذلك الاهتمام فيما تقوم به وتقدمه تلك النخبة للمواطنين من رعاية فيما يتعلق بالخدمات الاجتماعية والعدالة النسبية في توزيع الدخل. وما يحدث في الإمارات على هذا الصعيد يدحض إلى حد ما التعميم

المغلوط حول الاعتقاد السائد بأن حكام الشرق الأوسط جمِيعاً يقفون عملياً فوق المجتمع وغير مجبرين من قبل بنية، وغير ملزمين تجاه مؤسساته ولاطالهم نتائج القرارات التي يتخونها.^(٨)

وعلى الرغم من أن نظام الحكم في دولة الإمارات العربية المتحدة يحاول تثبيت شرعنته على أساس مستمد من الفكر السياسي الإسلامي^(٩) ومن التراث الشعبي والإرث التاريخي لهذه المنطقة، فإن الحقيقة التي لا يمكن تجاوزها هي أن العملية السياسية والنظام السياسي يمكن أن يحلل ويفهم ويستوعب بشكل أدق وأشمل عن طريق تحليل علمي مستند أساساً على مقوله النخبة السياسية. وفي هذا السياق لايفوتنا أن ننوه إلى أن الأسئلة التي تثار من قبل مقوله النخبة هي نفس الأسئلة الأساسية والجوهرية التي يطرحها علم السياسة في إطاره العام. ونماذج من تلك الأسئلة المطروحة تثبت ذلك القول : من يحكم على المستوى الاتحادي في الإمارات؟ ماهي أدوار النخبة وغير النخبة في التفاعلات السياسية؟ كيف يستطيع الأفراد الحصول على القوة؟ كيف تلتقي القوة السياسية بالقوة الاقتصادية؟ ماهو مجال الفرد للوصول إلى مراكز النخبة؟ وهل السبيل سالك ومفتوح لكي يطرق ألم شائك ووعر لكي يتتجنب؟ كيف يتغير أعضاء النخبة مع مرور الوقت؟ كيف هي أوضاع المشاركه في اتخاذ القرار وهل هناك مشاركة وماهي قنواتها؟ إلى أي مدى يتنافس أعضاء النخبة فيما بينهم؟ ماهي الأسس والقواسم المشتركة للاتفاق بين أعضاء النخبة؟ كيف هم مختلفون عن عامة الناس؟ ماهي درجة استجابة النخبة للمطالب الشعبية؟ ماهو الكم من النفوذ الذي يمارسه الأفراد العاديون فيما يتعلق بالسياسات التي تقررها النخبة؟ وأخيراً كيف يستطيع أفراد النخبة تكيف أنفسهم مع الحركة والضغط الشعبي إن وجداً؟

هذا الحديث يجذبنا إلى طرح فكرة أنه من الواجب علينا أن نأخذ في اعتبارنا الأبعاد التاريخية والمتغيرات الموضوعية التي قادت إلى تشكل النخبة السياسية في الإمارات بالصورة التي بربرت بها في وقتنا الحاضر. وتأسيساً على ذلك فإنه يمكن القول إن دراسة النخبة السياسية في الإمارات يمكن أن تبحث عن طريق دراسة أبعاد أساسية أربعة هي.^(١٠)

أولاً : الاتفاق على طريقة محددة ثابتة لكيفية تشريع النخبة السياسية الموجودة، والمقصود بذلك هو تقسيمها إلى شرائح عليا ومتوسطة ودنيا.

ثانياً : تحديد الوظائف التي يمكن أن تمارسها النخبة في الواقع العملي. وهذا

التحديد يقودنا إلى معرفة ما إذا كانت النخبة تقدم خدمة للمجتمع أم أنها مجرد مستفيد من موقعها في أعلى الهرم الاجتماعي.

ثالثاً : مدى برأية الأبعاد تلك النخبة ومدى قدرتها على الحفاظ على وجودها وتماسكها في مواجهة نزدقات التي قد تواجهها.

رابعاً : طريقة اختيار أو تجنيد أعضاء النخبة . وكذا تلك الأبعاد الأربع . ثالثاً مجموعة من الأسئلة الهامة التي يمكن تلخيصها في الآتي :-

١ - ما هو عدد النخب المتواجدة في المجتمع وكيف ولماذا تشكل الإطار الذي هي فيه الآن؟ وهذا بدوره يقودنا إلى بحث مسألة وجود نخبة واحدة أم عدة نخب.

٢ - ما هي مسؤوليات تلك النخب تحديداً؟

٣ - من هم أولئك الذين توافر لديهم قنوات الوصول لتلك النخب؟ وما هي المسؤوليات والعوائد التي تترتب على ذلك؟

٤ - كيف ولماذا تستطيع النخبة الاستمرار وبشكل مستقر؟

الخاتمة :

وخلال هذه القول وبعد أن استعرضنا مقولتي الصراع الطبقي وتشكل النخبة السياسية في إطار من المقارنة بينهما حول أفضليّة وقابلية تطبيق واستعمال أحدهما دون الآخر، وبعد أن فهمنا جيداً أن مقوله النخبة تحمل معها حقيقة أن النخبة هي الفتنة الأقوى والفاعلة اجتماعياً في أي مجتمع بشري فإن فكرة تشكل النخبة في مجتمع الامارات تبقى معنا أداة ناجعة وفاعلة لتحليل وفهم العملية السياسية والنظام السياسي لدولة الامارات العربية، ربما يقول قائل إنه كلما كان المجتمع أكثر حراكاً كلما كانت مقوله النخبة أكثر قابلية للتطبيق في سبيل معرفة وتحديد الأفراد الأكثر نفوذاً على المستوى السياسي.^(١) ولكن وفيما يتعلق بخصوصية الامارات فإنه يينولي أن قابلية استعمال تحليل النخبة معقول جداً وبشكل يتتفق فيه على قابلية استعمال مقولات وتحليلات أخرى وبالاخص مقوله الصراع الطبقي وذلك لأنه لا توجد في مجتمعنا بورجوازية ولا توجد بروليتاريا في القطاعات والأنشطة الاقتصادية قديمهما وحديثها بالشكل الدقيق والمحدود فيما تقوله كارل ماركس وفريديريك انجلز في القرن التاسع عشر والتي استعملت في تحليلاتهم لمجتمعات الغرب الرأسمالي، ويجب الاستدرك هنا بأن مقوله النخبة تزكى على الصفات المميزة لأعضاء النخبة وعلى استقلالية أعضاء النخبة المسيطرة كما وأنها تظهر الوضع الاجتماعي والامتيازات

بحوث ودراسات

التي يحظى بها أولئك الأعضاء بالإضافة إلى تأكيدها وتوضيحها للقوة السياسية التي يتمتعون بها في منأى عن الرقابة الشعبية. ولكن هذا القول الأخير لا يجب أن يفهم على أنه يعني بالضرورة أن أولئك الذين يمتلكون القوة محسوبون دائمًا في دائرة التناقض مع الجماهير أو أن أصحاب القوة يحققون أهدافهم بشكل مستمر دائمًا على حساب الصالح العام، وذلك لأن نظرية النخبة ليست في وضع ينادي بأن النخبة السياسية تتآمر وبشكل مطلق على استغلال وقوع الجماهير، وإلى أنه لا يوجد لتلك الجماهير دور وتأثير على توجيهات وأراء النخبة السياسية، ولكن ما تقول به تحديدًا هو أن تأثير النخبة على الجماهير أكبر من تأثير الجماهير على النخبة كما وأن مقوله النخبة لا تدعى أن القوة في المجتمع لاتنتقل مع الوقت، أو أن النخب الجديدة قد لا تدخل في منافسة مع النخب القديمة. إن النخبة بشكل عام قد تكون متماضكة إلى حد كبير ومتفقة على الأمور الجوهرية العريضة التي تمس كيانها وديمومتها ولكن ذلك لاينفي أن أعضائها يتنافسون فيما بينهم لتحقيق مراكز أكثر تقدماً ضمن صنوف النخبة بمعنى أن النخبة قد تكون متنافرة ومتناضفة فيما بينها ولكنها لا تكون كذلك في مواجهة غيرها من النخب.

معظم الدراسات الأكاديمية المتعلقة بدراسة النخبة السياسية في الشرق الأوسط توصلت إلى نتيجة مفادها أن القادة السياسيين الذين يشكلون أعضاء النخب السياسية في هذه المنطقة يتمتعون بالأشياء الأعلى قيمة في مجتمعاتهم على الأصعدة السياسية والاقتصادية والمجتمعية، وما الإمارات إلا جزء من هذا المحيط الشرقي أوسيطي الأوسع. تأسيساً على ذلك فإنه يمكنني أن أجزم به أنه يوجد في مجتمع الإمارات فئات اجتماعية مفضلة تتمتع بالزائد من القوة السياسية والاقتصادية وبالزائد من الثروة والملكية بشتى أنواعها وبالزائد من المراكز الأبية الاجتماعية. تلك الفئات في طريقها لكي تصبح ذات مستوى أعلى من التعليم الحديث ساعية بذلك لكي تحظى بالزائد من التحضر الاجتماعي To Be More Urbanized وإلى التمتع بالزائد من القوة والمكانة المجتمعية ويقدر أكبر كثيراً من تلك التي قد يتمتع بها المواطن العادي.

ولكن وفي إطار حديثنا عن قابلية تطبيق منهجية النخبة على دراسة دولة الإمارات فإننا لانستطيع بحال من الأحوال إغفال أو تناسي ما يشوب هذا المنهج من قصور وما يدور حوله من نقاش وليس حول استعمال الألفاظ المبدئية Key Terms والنقص النسبي في وجود الفرضيات القابلة للاختبار والفحص، والفشل في الفصل الواضح بين ما هو معياري Normative وما هو تجريبي Empirical وأخيراً وليس آخرأ عدم وجود

أساس ثابت لنوعية المادة المستعملة التي يمكن أن ينطلق منها الباحث بشكل قوي وعلى أساس معروفة. ولكن جميع تلك الشوائب ليست مقتصرة على منهجية النخبة فقط، فمقدمة الصراع الطبقي الماركسي أيضاً لا تخلو من جميع تلك العيوب إن لم تكن مشووبة بعيوب أكبر. ولست هنا بصدد الخوض في المزيد من التفاصيل حول تلك العيوب والشوائب ولكن ما أردت قوله تحديداً هو أن أنه دارسي منهجية النخبة الراغبين في تأصيل وتوسيعة هذا النهج كنادة ناجعة من أنواع التحليل السياسي لمجتمعات الخليج بشكل عام ومجتمع الإمارات بشكل خاص أن يتبعها جيداً إلى تلك العيوب وأن يعترفوا ويستعدوا لما ينتظرونها من مصاعب مستقبلية وتحديات تتعلق بالقيمة العلمية المنهجية والتي يجب أن يتعاملوا معها بحذر وأن يعملوا على تذليلها وتجاوزها.

ومن جانب آخر فإنه يجب على أولئك الباحثين تأسيس قنوات سالكة للربط بين ما هو موجود ومتوفّر من دراسات حول الإمارات العربية المتحدة وبين الإطار العربيض للمقولات والدراسات المتعلقة بالنخبة السياسية على المستوى العالمي. وعلى آية حال فإن الرابط بين مقدمة النخبة باطارها الواسع وبين المادة العلمية المتواجهة حول الإمارات تثير بعض التساؤلات الهامة. في هذا السياق تبرز استلة من هذا القبيل : ما هو نوع التقنيات التحليلية التي قد تساعدنا على استقلال المادة العلمية المتوافرة لدينا الاستقلال الأمثل؟ ماذا نريد أن نناقش بالتحديد في ضوء تلك المادة؟ مانوع المعلومات الضرورية التي نحتاجها لكي نتمكن من المضي قدماً في مناقشاتنا وإلى الوصول إلى نتائج مفيدة من تلك المناقشات؟ مانوع التقنيات التحليلية المرتبطة بشكل فعال بالمادة المتواجهة لدينا؟

مراجع وهوامش

- (١) Abdulkhaleg, Abdulla. Political Dependency : The case Of the united Arab Emirates. Unplished Ph. D. Thesis, the Graduate School of George town University,1984.
- (٢) Almond, Gabriel and G.Bingham Powel, Jr. Comparative Politics : System, Process, and Policy. Boston : Little, Brown and Company,1978.
- (٣) Al-Haj, Abdullah Juma. The Formation of the Political Elite of the United Arab Emirates. Unpublished Ph. D Thesis. University of Reading1990.
- (٤) Lloyds, P. C (ed.) The New Elite of Tropical Africa. London : Oxford University press,1966, P.49.
- (٥) Chilcote, Ronald H. Theories of Comparative Politics : The Search for a paradigm. Boulder, Colorado : Westview press, 1981. P.122.
- (٦) المرجع السابق. ص ١٢٢

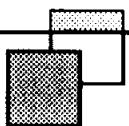
بحوث ودراسات

- (١) Bottomore, T. B. *Classes in Modern Society*. London : George Allen & Unwin, 1965. PP.17-18.
- (٢) Prewitt, Kenneth and Allan Stone. *The ruling Elites : Elite Theory, Power and American Democracy*. New York : Harper and Row, 1973. P.14.
- (٣) داين، محمد مروان. النخبة والنخبة الفكرية في ضوء علم الاجتماع. دمشق: ١٩٨٠، ص ٧٦ - ٧٧. يقول داين إن أدق تحديد ماركسي لأكثر اختصاراً للطبقة هو التعرف الذي صاغه بيخارين في مؤلفه «نظرية المادية التاريخية» والذي يفاده أن: «الطبقة الاجتماعية هي وحدة اجتماعية من الأشخاص الذين يملكون دوراً واحداً في الإنتاج، ويقيمون علاقات واحدة مع غيرهم من أفراد الوحدات الاجتماعية التي تسهم في عملية الإنتاج». ص ٧٧.
- (٤) ف. لينين، ماركس، انجلز، الماركسيّة. ترجمة الياس شاهين. موسكو: دار التقدم. ب.ت من من ٢٢ - ٢٣.
- (٥) Chilcote, Ronald H. op.cit. P.124
- (٦) Harik, Iliya. "The Political Elite as a strategic Minority". In Fuad Khuri (ed.) *Leadership and Development in Arab Society*. Beirut: American University of Beirut, 1981 P.68.
- (٧) المراجع السابق.
- (٨) الربيعي، محمد غانم. *التبرير والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي*. القاهرة: معهد البحث والدراسات العربية، ١٩٧٥، ص ١١٦.
- (٩) المراجع السابق.
- (١٠) الدين، أحمد «نحو تحليل طبقي للمجتمع الكوبي» جريدة السياسة الكويتية ٧١/١٢/٩.
- (١١) Selections from the Records of the Bombay Government. No. (XXIV), 1856. Cambridge and New York: The Oleander Press, 1985. PP.62-70.
- (١٢) Mann, Major Clarence. *Abu Dhabi: Birth of an Oil Sheikhdom*. Beirut: Khayats, 1964. P.16-19.
- (١٣) Heard-Bey, Frauke. *Madinat Zaid A Traditional Tribal Society in a New Oil Age Town*.A paper presented at the BRISMES Annual Conference. University of Exeter 12-15 July1987.
- (١٤) الدين، أحمد - مرجع سابق.
- (١٥) المراجع السابق.
- (١٦) Owen, Roger. *Migrant Workers in the Gulf*. London: the Minority Right Group, 1984. pp. 6-7.
- (١٧) انظر في ذلك على سبيل المثال كل من :
- التبيمي، عبدالمالك خلف. الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ١٩٨٣.
 - فرجاني، نادر «أوضاع السكان وآفة العمل في دولة الامارات». في التجارب الهدودية العربية المعاصرة: تجربة دولة الامارات العربية المتحدة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨١.
 - الجريان، عبد الرحمن «تساؤلات حول الهوية الوطنية والخلل في التركيبة السكانية «ذئنة لجمعية الاجتماعية في الشارقة». الخليج ١٥ ابريل ١٩٩٠.
- (١٨) Owen, Roger.op.cit. pp. 6-7.
- (١٩) The Middle East, 1962. London: Europa publication, Ninth Edition, 1962 . p.300.
- (٢٠) The Middle East, 1966-1967. London: Europa Pulication, 1967 .p.540.
- (٢١) انظر محاشرة عبد الرحمن الجريان في جمعية الاجتماعيةين. مرجع سابق.
- (٢٢) انظر الجدول المرفق.
- (٢٣) AL-Haj, Abdullah Juma. op.cit.P.82.
- (٢٤) الربيعي، محمد. التلويح ليس نفطاً: دراسة في اشكالية التنمية والوحدة. الكويت: شركة كاظمة للتوزيع، ١٩٨٣. ص من ٦٠ - ٧٠.
- (٢٥) الربيعي، محمد غانم (١٩٧٥) مرجع سابق. ص ١١١.
- (٢٦) المراجع السابق.
- (٢٧) Bottomore, T.B. (1965) op.cit. P.23.

بحوث ودراسات

- Keller, Suzanne. Beyond The Ruling Class: Strategic Elites in Modern Society. New York: Random House, 1963. P.4. (٢١)
- Parry, Geraint. Political Elite. London: George Allen & Unwin, 1969, 1980. P.13 (٢٥)
الرجوع السابق.
- Mosca, Gaetano. The Ruling Class. Translated by Hannah D.Khan. New York: McGRAW-Hill, 1939. P.50. (٢٦)
- Dye, Thomas.R. &L.Harmon Zeigler,. The Irony of Democracy. North Scituate, Massachuettes: Duxbury Press, 1978. P.3. (٢٧)
- Michels, Robert. Political Parties. Mew York: The Free Press, 1962. P.70. (٢٨)
- Al-Haj, Abdullah Juma. op. cit PP. 365-414. (٢٩)
- Dye & Zeigler. OP.cit. PP. 3-5. (٣٠)
- Truman, David. "The American System in Crisis." Political Science Quarterly. December 1959. P.489. (٣١)
- Dye & Zeigler. OP. Cit. P.5. (٣٢)
- Prewitt, Kenneth and Alan Stone. OP. Cit.P.9. (٣٣)
الرجوع السابق، من ٦.
- ليلة، على. النظرية الاجتماعية المعاصرة: دراسة لمراحل الانسان بالمجتمع القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٢ . من ٧٨٣ (٣٤)
- Prewitt, Kenneth and Alan Stone. OP.Cit. P.19. (٣٥)
- Keller, Suzanne. OP. Cit. P.4. (٣٦)
- Moyser, George and Margaret wagstaffe (ed.) .Research Methods for Elite Studies. London Allen& Unwin, 1987. PP. 2-3. (٣٧)
- Prewitt, Kenneth and Alan Stone. OP. Cit. PP. 22-23. (٣٨)
- Michels, Robert. OP. Cit. P.90. (٣٩)
- Prewitt, Kenneth and Alan Stone. OP. Cit. P.4. (٤٠)
- Djilas, Milovan. The Unperfect Society: Beyond The New Class. Translated by Dorian Cooke. New York: Harcourt, Brace. (٤١)
- Miliband, R. The State in Capitalist Society. London: Quartet Books, 1973. P.43. (٤٢)
- Christman, Henry M. (ed.) .Essential Works of Lenin. New York: Bantham, 1966. P.145. (٤٣)
- Prewitt, Kenneth and Alan Stone. OP. Cit. P.18. (٤٤)
- Bill, James A.and Robert L. Hardgrave. Comparative Politics: The Quest For Theory. Columbus: Charles E.Merrill, 1973. P.161. (٤٥)
- Ansari, Hamid. "Limits of Ruling Elites : Autonomy in Comparative Perspective". In Adeed Dawisha Adeed and I.William Zartman. Beyond Coercision: The Durability of the Arab state. London: Croom Helm, 1988. P.221. (٤٦)
- انظر في ذلك المستور المزقت لدول الامارات العربية المتحدة. وتحذيداً انظر المقدمة والملاءة ٧ من المستور. (٤٧)
- Keller, Suzane. OP.Cit. P.22. (٤٨)
مستفيدين بذلك من الانموج الذي قدمته سوزان كلر. انظر.
- P.C.Lloyd .OP.Cit. P.50. (٤٩)

بحوث ودراسات



الأبعاد الإنمائية في اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة

في الفترة ١٩٧٥ - ١٩٨٨

مقدمة :

عبدالله ناصر السويدي * دكتور شهد اقتصاد الإمارات العربية منذ ديسمبر عام ١٩٧١ تحولات رئيسية وجذرية في مختلف المجالات ترتب عليها خلق هيكل اقتصادي يختلف عما كان سائداً من قبل. فقد اتصف اقتصاد الإمارات في فترة ما قبل الاتحاد بمحدودية موارده المادية والبشرية. وتميز بسيادة الأنشطة ذات الطبيعة الدورية مثل الفووص والزراعة. وهذه الأنشطة لم تكن ذات عائد مرتفع ولذلك تميزت مستويات الدخل والعيشة بالانخفاض وانعدمت تبعاً لذلك الخدمات التعليمية والصحية ولهذا كان الفقر والتخلف السمة المميزة في تلك الفترة.

* قسم الاقتصاد - جامعة الإمارات العربية المتحدة

أما فترة ما بعد قيام الاتحاد فالتفوق البترولي الضخم وتصحيح اسعاره عام ١٩٧٣ وما تبعه من تعديل في الأسعار عام ١٩٧٩ بعد قيام الثورة الإيرانية، أدى إلى ارتفاع العوائد النفطية ومن ثم بز الاتجاه نحو تطوير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع من خلال تمويل المشروعات الاستثمارية والبرامج الإنمائية. فبفضل هذه العوائد أصبح متوسط دخل الفرد في الإمارات من المتospطات المرتفعة في العالم وبفضلها انتشرت الخدمات الصحية وتوسعت الخدمات التعليمية وازدهرت حركة الإنشاء والتعهير فتراحببت المدن وأضفت القرى وعبدت الشوارع وازدهرت حركة النقل والترانزيت. وبفضلها أيضاً ساهمت الدولة في خدمة المجتمع الدولي من خلال تقديم المساعدات المالية والتسهيلات الإنمائية إلى الهيئات والمنظمات الدولية وإلى بعض الدول الفقيرة في العالمين العربي والإسلامي.

كما أدى تدفق البترول وارتفاع عوائده أيضاً إلى تعرض الإمارات لهجرة سكانية ضخمة وأثر ذلك ضائلاً حجم السكان والقوى العاملة المواطننة ونمط التنمية الذي اتسم بالتركيز على التجهيزات الأساسية والخدمية. وأدى هذا الوضع إلى حدوث نمو ضخم في حجم السكان ومن ثم اختلال البنية السكانية باتجاه تدني نسبة المواطنين إذ انخفضت النسبة من ٦٣٪ عام ١٩٦٨ إلى ٢٦٪ عام ١٩٨٦. وقد أدى هذا النمو الضخم للسكان ونمط التنمية إلى تزايد معدلات الاستيراد للسلع الاستهلاكية وتزايد هذا مع عجز الانتاج المحلي عن تلبية الطلب الكلي نظراً لمحورية القطاع الزراعي وصغر القطاع الصناعي مما أدى في النهاية إلى تسرب جزء كبير من الدخل القومي للخارج. وساهمت الدول الغربية الصناعية في خلق هذا الوضع كي تظل دواليب انتاجها دائمة التشغيل وحتى تتمكن من امتصاص أكبر قدر ممكن من العوائد النفطية.

وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع مسار التغيرات الاقتصادية وما يعكسه تطور هذه التغيرات من مؤشرات مهمة لحركة سير الاقتصاد القومي وذلك من أجل فهم واستيعاب الأبعاد الإنسانية في اقتصاد دولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٨).

أولاً : مسار التغيرات الكلية :

١ - الناتج المحلي الإجمالي :

يعتبر نمو الناتج المحلي الإجمالي أحد المؤشرات الرئيسية التي تعكس حركة النشاط الاقتصادي ومدى نمو المقدرة الانتاجية للمجتمع.

وتشير البيانات الاحصائية إلى أن الناتج المحلي الإجمالي في دولة الامارات العربية قد ارتفع من ٣٩٦٢٥ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٨٩١٨٤ مليون درهم عام ١٩٨٨، أي أنه ازداد بنسبة قدرها ١٢٦٪ بمعدل نمو سنوي قدره ٢٪ بالأسعار الجارية. أما الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي (بالأسعار الثابتة) فإنه ارتفع من ٥٣٠٥٤ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٨٢٧١٠ مليون درهم عام ١٩٨٨، أي أنه حقق زيادة نسبية قدرها ٥٦٪ ومعدل نمو سنوي قدره ٣٪^(١) وهذا يعني أن المقدرة الانتاجية لل الاقتصاد القومي مقيدة بمعدل الزيادة في الانتاج الحقيقي تعد ضئيلة.

والجدير باللحظة أن معدل نمو الناتج الإجمالي كان يتذبذب من عام إلى عام، وهذا عائد لزيادة الكميات المنتجة من النفط الخام وارتفاع أسعاره عالمياً، فقد ارتفع سعر النفط بالزيادة عام ١٩٧٩ أربع مرات وعدل عام ١٩٨٠ بالزيادة أيضاً أربع مرات^(٢) وبالتالي وصل حجم الناتج عام ١٩٨١ إلى ١٢٤٠٥٤ مليون درهم وهي أعلى قيمة وصل إليها في مسار تطوره التاريخي.

وبين الجدول رقم (١) تطور الناتج المحلي الإجمالي بحسب القطاعات المولدة له، ويتبين منه ارتفاع الأهمية النسبية للقطاعات غير النفطية في توليد الناتج المحلي الإجمالي عام ١٩٨٨ على حساب قطاع النفط، إذ ارتفع من ٣٢٪ عام ١٩٧٥ إلى ٣٧٪ عام ١٩٨٨. ولهذا انخفضت الأهمية النسبية لقطاع النفط من ٦٧٪ عام ١٩٧٥ إلى ٢٢٪ عام ١٩٨٨. ويرجع هذا التغير الهيكلي إلى اختلاف معدلات النمو لكلا المجموعتين خلال الفترة المذكورة، ذلك أن الناتج المحلي الإجمالي للقطاعات غير النفطية قد نما من ١٧٢٢٤ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٥٥٦٩٠ مليون درهم عام ١٩٨٨، أي بزيادة نسبية قدرها ٧٢٪ وبمعدل نمو سنوي يصل إلى ٩٪.

أما الناتج المحلي الإجمالي لقطاع النفط فقد حقق زيادة نسبية قدرها ٤٨٪ بمعدل نمو سنوي قدره ٦٪ خلال الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٢) في حين حقق انخفاضاً نسبياً قدره ٤٩٪ بمعدل سنوي سالب قدره ١١٪ خلال الفترة (١٩٨٢ - ١٩٨٨)^(٣)، وهي الفترة التي شهدت تدهوراً في أسعار النفط.

ويعكس ارتفاع معدل نمو القطاعات غير النفطية الدفعية القوية التي أعطتها برامج التنمية في الدولة للقطاعات غير النفطية بغية تحقيق هدف تنوع الانتاج ومصادر الدخل وتوسيع القاعدة الإنتاجية. أما تذبذب معدل نمو قطاع النفط فيعكس السياسة النفطية التي اتبعتها منظمة الأوبك والظروف المحيطة بالسوق العالمية.

وبالنسبة للهيكل الإنتاجي للقطاعات غير النفطية فقد حققت القطاعات السلعية

بحوث ودراسات

(الزراعة، الصناعة التحويلية، البناء والتشييد، الكهرباء والماء) معدلاً مرتفعاً للنمو خلال الفترة (١٩٨٨ - ١٩٧٥). فقد ارتفع ناتج هذه القطاعات من ٥٨٩٦ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ١٩٦٢٢ مليون درهم عام ١٩٨٨، أي بزيادة نسبية تبلغ ٢٣٣٪ ويعادل نمو سنوي قدره ٢.٩٪ ومن ثم ارتفعت أهميتها النسبية في توليد الناتج المحلي من ١١٪ عام ١٩٧٥ إلى ١٢.٧٪ عام ١٩٨٨، ولقد حقق قطاع الصناعة التحويلية أعلى معدل نمو (٤٪) يليه قطاع الكهرباء والماء (١٤.٩٪) ثم قطاع الزراعة (١١٪) وأخيراً قطاع التشيد والبناء (٢.٤٪).

ونشير في هذا المقام إلى أن القطاع الصناعي في دولة الإمارات العربية لم يبلغ بعد المرحلة التي يعتبر فيها القوة المحركة لللاقتصاد إذ لم يتجاوز نصيب هذا القطاع نسبة ١٠٪ التي اعتمدتتها لجنة الأمم المتحدة للتخطيط الإنمائي كأحد^(٤) المعايير الأساسية لتعريف أقل البلدان نمواً^(٥).

جدول رقم (١)

**ميشل الناتج المحلي الإجمالي في دولة الإمارات
في الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٨)**

| النسبة | القيمة | ١٩٧٥ | | القطاعات الاقتصادية |
|--------|--------|--------|--------|--------------------------|
| | | النسبة | القيمة | |
| % ٢.١ | ١٦٩٧ | % ١ | ٣٦٧ | الزراعة والصيد |
| % ٢٢.٧ | ٢٧٠٢٠ | % ٦٧.٥ | ٣٥٨٢٠ | النفط الخام |
| % ٠.٠ | ٢٤٣ | — | ١١٨ | التعدين |
| % ٩.٣ | ٧٧٠٣ | ١٠.٠ | ٤٧٢ | الصناعة التحويلية |
| % ٢.٤ | ٢٠٠٤ | ١٠.٠ | ٢٨٧ | الكهرباء والماء |
| % ٩.٩ | ٨٢١٨ | ٨.٩ | ٤٧٧٠ | التشيد والبناء |
| % ٥٦.٧ | ٤٦٨٨٥ | ٧٨.٨ | ٤١٨٣٤ | مجموع القطاعات السلمية |
| % ١١.٢ | ٩٢٦١ | ٩.٣ | ٤٩٤٠ | التجارة والفنادق |
| % ٥.٧ | ٤٧٠ | ٣- | ١٦٠٨ | النقل والمواصلات |
| % ١١.٢ | ٩٢٢٥ | ٢.٩ | ١٥٥١ | التمويل والتأمين |
| % ٢.٨ | ٤٣١١ | ١٥.٣ | ٨٠٩٩ | مجموع القطاعات التوزيعية |
| % ١٢.٧ | ١٠٤٦٥ | ٤٨ | ٢٥٥١ | الخدمات الحكيمية |
| % ٢.٦ | ٢١٦٩ | ١.٠ | ٥٧٠ | الخدمات الأخرى |
| % ١٥.٣ | ١٢٦٣٤ | ٥.٩ | ٣١٢١ | مجموع القطاعات الخدمية |
| % ١٠٠ | ٨٢٧١٠ | % ١٠٠ | ٥٣٠٥٤ | الناتج المحلي الإجمالي |

المصدر : احتسب من :

١ - وزارة التخطيط - التطورات الاقتصادية في دولة الإمارات العربية في الفترة ١٩٨٥ - ١٩٧٥ - أبوظبي ١٩٨٧.

٢ - وزارة التخطيط - المسابقات القومية لدولة الإمارات العربية ١٩٨٨ - ١٩٨٥ - أبوظبي ١٩٨٩.

وتعكس معدلات النمو المرتفعة في هذه القطاعات سياسة تنويع الانتاج وتوسيع القاعدة الانتاجية مما يؤدي إلى زيادة القراءة المحلية في المساهمة في تلبية حاجات المجتمع من السلع الاستهلاكية النهائية والوسطية من ناحية والتوجه في المصانعات التصديرية من ناحية أخرى.

ويلي القطاعات السليمة في الهيكل الإنتاجي، قطاعات التوزيع (النقل والمواصلات، والتجارة، والتمويل والتأمين) حيث نما ناتج هذه القطاعات من ٨٠٩٩ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٢٣١٩١ مليون درهم عام ١٩٨٨، أي بزيادة نسبية قدرها ١٨١٪ وبمعدل نمو سنوي قدره ٩٪٧. ولهذا زادت الأهمية النسبية لهذه القطاعات من ٤٦٪ عام ١٩٧٥ إلى ٤٩٪٢ عام ١٩٨٨. وقد حقق قطاع التمويل والتأمين معدل نمو سنوي قدره ٨٪١. يليه قطاع النقل والمواصلات بمعدل نمو سنوي قدره (٨٪٠٢) ثم قطاع التجارة بمعدل نمو سنوي قدره (٤٪٠٨).

وأخيراً تأتي القطاعات الخدمية (الخدمات الحكومية والخدمات الأخرى) في الهيكل الإنتاجي حيث نما الناتج المحلي المتولد من هذه المجموعة من ٣١٢١ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ١٢٦٤ مليون درهم عام ١٩٨٨، أي بزيادة نسبية قدرها ٣٥٪ وبمعدل نمو سنوي قدره ١٠٪. ولهذا ارتفعت الأهمية النسبية لهذه القطاعات في توليد الناتج المحلي الإجمالي من ٦٪٥ عام ١٩٧٥ إلى ١٥٪٢ عام ١٩٨٨. ويعكس هذا النمو الأهمية التي تواليها دولة الامارات لتوفير هذه الخدمات لمواطنيها بقصد رفع مستوى الرفاهية وبناء الانسان وتنمية قدراته لكونه الوسيلة الأساسية لتحقيق التنمية والتقدم.

٢ - نمط تخصيص الموارد :

يستلزم تتبع حركة السلوك العام لاقتصاد الامارات العربية وتقدير هذا السلوك دراسة نمط تخصيص الموارد. ويعرض الجدول رقم (٢) نمط تخصيص الناتج في الفترة (١٩٨٨ - ٧٥).

١ - الاستهلاك النهائي :

يعتبر الاستهلاك النهائي - العام والخاص - عادة مقياساً للرفاهية العامة لأفراد أي مجتمع. فالاستهلاك الخاص يعكس دور الدخول الخاص في تحقيق إشباع الحاجات الفردية في حين يعكس الاستهلاك العام دور الحكومة في توفير الاحتياجات الاجتماعية للسكان من صحة وتعليم وسكن^(١).

وفي دولة الامارات العربية التي تعاني من ضيق في قاعدتها الانتاجية فإن

زيادة الاستهلاك تتعكس في شكل زيادة في الاستيراد ومن ثم زيادة الاعتماد على الخارج لتلبية الاحتياجات الأساسية. وهذا التسرب الضخم يؤدي إلى نمو قطاعات الانتاج في الدول المصدرة لدولة الإمارات العربية^(٧).

ولقد ارتفع الاستهلاك النهائي في دولة الإمارات العربية من ١٤٠١١ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٢٣٧٣ مليون درهم عام ١٩٨٨، أي ازداد بنسبة قدرها ٢٧٤٪. وبمعدل نمو سنوي قدره ١١٪. ولقد ترتب على هذا أن ارتفعت نسبة الاستهلاك النهائي إلى الناتج المحلي الإجمالي من ٤٢٪ عام ١٩٧٥ إلى ٤٦٪ عام ١٩٨٨. ويرجع ذلك إلى أن معدل النمو السنوي للاستهلاك النهائي أعلى من معدل النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي الذي يبلغ ٤٪، ويعود ارتفاع معدل الاستهلاك إلى إرتفاع الإنفاق الحكومي المدني والعسكري وكذلك إلى نمط التنمية السائد.

ولقد ارتفع الاستهلاك العام خلال الفترة (١٩٨٨ - ١٩٧٥) بنسبة ٢٧٠٪ بمعدل نمو سنوي قدره ١٠٪ بالأسعار الثابتة. أما الاستهلاك الخاص فقد ارتفع بنسبة ٢٧٦٪ بمعدل نمو سنوي قدره ١٢٪. وقد تتجزء عن هذا التطور ارتفاع نصيب الاستهلاك الخاص من الاستهلاك النهائي الكلي حيث ارتفع من ٦٦٪ عام ١٩٧٥ إلى ٦٧٪ عام ١٩٨٨.

إن الزيادة المستمرة في الاستهلاك الخاص لا تعني بالضرورة زيادة اشباع المستهلكين فقد تؤدي العوامل الأخرى مثل سوء توزيع الدخل إلى تشوهه نمط الاستهلاك - كما أن زيادة الاستهلاك العام الذي يعد توزيعاً عادلاً للثروة العينية بشكل عام لا تعني مزيداً من الاشباع إذ قد يتعرض هو الآخر إلى التشوهية مثل ذلك زيادة حرص الأمن والدفاع على حصن الخدمات والاعانات الاجتماعية^(٨) ولقد أشارت البيانات الاحصائية إلى أن الإنفاق على الأمن والدفاع يمثل حوالي ٤٢٪ من الإنفاق الجاري عام ١٩٨٧^(٩).

كما أنه من الضروري أن نشير إلى أن نسبة الاستهلاك النهائي إلى الناتج المحلي الإجمالي غير النفطي والتي بلغت ٩٤٪ عام ١٩٨٨ مقابل ٨١٪ عام ١٩٧٥ تبين مدى مساهمة القطاعات غير النفطية في تلبية جميع الاحتياجات الاستثمارية حيث تلتهم الاحتياجات الاستهلاكية النسبة الكبرى. وهذا ما قد يؤدي في النهاية إلى استخدام جزء من الدخل النفطي في تمويل الاستهلاك. ويعكس هذا ضائقة القطاعات غير النفطية والضرورة الملحّة لتنمية مساهمتها في النشاط الاقتصادي.

ب - الادخار والاستثمار :

تشير بيانات الجدول رقم (٢) إلى أن الادخار المحلي في دولة الامارات العربية قد ارتفع من ٣٩٠٤٣ مليون درهم علم ١٩٧٥ إلى ٦٠٨٩٦ مليون درهم عام ١٩٨٢، أي زداد بنسبة قدرها ٥٦٪ بمعدل نمو سنوي قدره ٤٪ - أما في الفترة (٨٢ - ١٩٨٨) فقد انخفض بنسبة ٥٪ بمعدل نمو سنوي سالب قدره ٥٪ ووصل حجم الادخار المحلي تبعاً لذلك إلى ٢٠٣٢٧ مليون درهم عام ١٩٨٨. ولهذا مثل معدل الادخار المحلي نسبة وسطية قدرها ٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي خلال الفترة (٧٥ - ١٩٨٨).

أما الاستثمارات الاجمالية في دولة الامارات خلال الفترة (٧٥ - ١٩٨٨) فقد شهدت زيادات متتالية شملت كافة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية. ولهذا ارتفع حجم الاستثمارات الاجمالية من ١٦٠٢٩ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٣٠٠١٢ مليون درهم عام ١٩٨٣، أي ازداد بنسبة قدرها ٨٧٪ وبمعدل نمو سنوي قدره ٨٪. أما في الفترة (٨٢ - ١٩٨٨) فقد انخفض بنسبة ٣٤٪ بمعدل نمو سنوي سالب قدره ٤٪ ووصل حجم الاستثمارات تبعاً لذلك إلى ١٩٧٢٠ مليون درهم عام ١٩٨٨. وقد تركز الاهتمام على مشروعات البنية الأساسية للنقص الذي تعاني منه حيث بلغ نصيبها النسبي في المتوسط ٥٥٪ من اجمالي الاستثمارات.

ويتبين مما تقدم انه لا يصح أن يفهم أن زيادة الاستهلاك في دولة الامارات العربية تم على حساب الاستثمار وذلك لأن هذه الدولة غير قادرة على توظيف الادخار المحلي بالكامل وذلك لضيق حجم السوق وضعف المقدرة الاستيعابية للاستثمار ففي خلال الفترة (٧٥ - ١٩٨٨) بلغ الادخار المحلي نسبة وسطية قدرها ٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي في حين صنعت الاستثمارات نسبة وسطية قدرها ٢٧٪ من الناتج المحلي الاجمالي. وهذا يعني أن هناك نسبة ضخمة من الناتج (ادخارات) لا تجد طريقها إلى الاستثمار داخل الدولة على الرغم من حدة المشكلات التي تعانيها والتي هي انعكاس للضعف الحالي للطاقة الاستيعابية التي تعود إلى خسالة حجم السكان والاعتماد على قطاع النفط وعدم توافر الامكانيات الزراعية والمنجمية اللازمة لقيام حركة التصنيع^(١٠).

٣ - مكونات التجارة الخارجية :

تحتل التجارة الخارجية في دولة الامارات العربية مركزاً استراتيجياً بفضل

بحوث ودراسات

إمكانيات النمو الناتجة عن إسهام القطاع التقطعي في زيادة الدخل القومي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أي من خلال زيادة الصادرات أو من خلال زيادة واردات السلع الوسيطة والانتاجية اللازمة لعملية التنمية.

جدول رقم (٢)

**مليكل الناتج المحلي الإجمالي في دولة الامارات
في الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٨)**

الأسعار الثابتة
مليون درهم

| البيان | السنوات | ١٩٧٥ | ١٩٨١ | ١٩٨٢ | ١٩٨٣ | ١٩٨٨ |
|------------------------|---------|-------|--------|--------|--------|-------|
| الاستهلاك الخامن | | ٩٣٤٤ | ٢٣٢٦٢ | ٢٥٦٦٩ | ٢٦٠٦٦ | ٢٥١٢١ |
| الاستهلاك العام | | ٤٦٦٧ | ٢٠٣٠ | ٢٠٠٤٢ | ١٨٠٢٠ | ١٧٢٥٢ |
| الاستهلاك النهائي | | ١٤٠١١ | ٤٣٥٦٢ | ٤٥٧١١ | ٤٤٠٨٦ | ٥٢٣٧٣ |
| الاستثمار الإجمالي | | ١٦٠٢٩ | ٢٩٥٠ | ٢٩١٦٠ | ٢٠٠١٢ | ١٩٧٣٠ |
| الإيجار الإجمالي | | ٣٩٠٤٣ | ٧٢١٢٦ | ٦٠٨٨٦ | ٥٦٨٧١ | ٢٠٣٣٧ |
| معدل الاستهلاك النهائي | | ٤٢٦٤ | ٪ ٣٧٧ | ٪ ٤٢٩ | ٪ ٤٣٧ | ٪ ٤٣٣ |
| معدل الاستثمار | | ٪ ٣٠٢ | ٪ ٢٥١ | ٪ ٢٧٤ | ٪ ٢٩٩ | ٪ ٢٢٩ |
| معدل الإيجار | | ٪ ٦٢ | ٪ ٦٢٣ | ٪ ٥٧٣ | ٪ ٥٧٣ | ٪ ٣٦٧ |
| الاستثمار/الإيجار | | ٪ ٤١ | ٪ ٤٠٣ | ٪ ٤٧٩ | ٪ ٥٢٩ | ٪ ٦٥ |
| الناتج المحلي الإجمالي | | ٥٣٠٥٤ | ١١٥٦٨٨ | ١٠٦٦٠٧ | ١٠٠٨٦٧ | ٨٢٧١٠ |

المصدر : احتسب من :

- ١ - وزارة التخطيط - التطورات الاقتصادية والاجتماعية في دولة الامارات العربية في الفترة ٧٥ - ١٩٨٥ - أبوظبي ١٩٨٧ .
- ٢ - وزارة التخطيط - المسابات التقويمية لدولة الامارات العربية ٨٣ - ١٩٨٨ - أبوظبي ١٩٨٩ .

بحوث ودراسات

ويتميز اقتصاد دولة الامارات العربية بظاهرة عدم التنوع حيث ترتكز قاعدته الانتاجية على فرع واحد من فروع الانتاج (النفط) في حين يتصف الطلب بالتنوع الشديد، ولهذا يعد اقتصاد الامارات اقتصاداً مفتوحاً يعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على الواردات في استيفاء كافة أنواع الطلب تقريباً. وغير خاف أن هذا الاعتماد على العالم الخارجي أسلم الاقتصاد الوطني إلى التغيرات التي تضطرب بها السوق العالمية مثل التقلبات الشديدة في الأسعار وهكذا يعد هذا الاقتصاد مستورداً هاماً للتضخم من البلاد المتقدمة نتيجة ضيق القاعدة الانتاجية^(١١).

ويتمثل اعتماد دولة الامارات العربية على العالم الخارجي في العلاقة بين التجارة الخارجية من جهة والنتاج المحلي الإجمالي من جهة أخرى. وعلى سبيل المثال بلغ هذا المعدل ٧٪٧٥ عام ١٩٧٥ وارتفع إلى ٩٪٥ عام ١٩٨١ ثم انخفض عام ١٩٨٨ ليصل إلى ٨٪٦^(١٢) وبحكم هذا الاعتماد على الخارج كان الاقتصاد الوطني بالغ الحساسية والتاثير بما ينتاب العالم من أزمات تضخم وبطالة ومن ثم يشكل قيداً على استقلالها الاقتصادي. ولهذا تحظى سياسة توسيع القاعدة الانتاجية وتنوع مصادر الدخل بالأولوية في السياسة الاقتصادية لاسيما أن النفط مورد غير متجدد. ويستدل على هذا من نصيب القطاع الصناعي من إجمالي الاستثمارات حيث ارتفع نصيبه النسبي من ٣٪١٩٧٥ إلى ٣٪٢٢ عام ١٩٨٥^(١٣).

ونتناول فيما يلي أهم التطورات التي طرأت على مكونات التجارة الخارجية الفترة (١٩٨٨ - ٧٥).

١ . تطور الصادرات :

يعتبر البترول المصدر الأساسي لكل صور النمو والتقدم الاقتصادي في دولة الامارات العربية. وتدل البيانات الرسمية الخاصة بالتجارة الخارجية على أن الصادرات النفطية تمثل نسبة عالية من جملة الصادرات بلغت في المتوسط أكثر من ٨٠٪ من إجمالي الصادرات في الفترة (١٩٨٨ - ٧٥) حيث ارتفعت قيمة الصادرات النفطية من ٣٧٧٧٣ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٧٤١٧٩ مليون درهم ثم اتجهت إلى الانخفاض لتصل إلى ٣٢٢٨٥ مليون درهم عام ١٩٨٨، أي أن الصادرات النفطية ارتفعت بنسبة ٩٦٪ بمعدل نمو سنوي قدره ٥٪١٣ خلال الفترة (١٩٨٠ - ٧٥). وهذا الارتفاع في حجم الصادرات النفطية كان محصلة لتفاعل عاملين مما مضاعفة الأسعار من جهة وزيادة الكميات المنتجة من جهة أخرى. فقد ارتفعت أسعار النفط من ١٢٩ دولاراً

للبرميل عام ١٩٧٨ إلى ٥٣٠ دولاراً للبرميل عام ١٩٨٠^(١٤) نتيجة لقيام الثورة الإيرانية وزيادة مخاوف العالم من احتمال توقف الإمدادات النفطية. كما أن انتاج الدولة من النفط قد زاد من ١٥٠٠ مليون برميل يومياً عام ١٩٧٥ إلى ١٦٩٧ مليون برميل عام ١٩٨٠^(١٥). وجاءت هذه الزيادة في الكيارات مساهمة من الدولة في تخفيف حدة الأزمة النفطية والمحافظة على استمرار واستقرار الإمدادات النفطية.

أما في الفترة (١٩٨٨ - ١٩٨١) فقد انخفضت الصادرات النفطية بنسبة ٥٦٪ بمعدل نمو سنوي سالب قدره ٤١٪ وقد كان هذا محصلة عوامل عديدة أهمها تدابير الحفاظ على الطاقة في العالم الصناعي والركود العالمي والتتصدع في جبهة منظمة الأوبك والتتخمة النفطية في الأسواق العالمية. وقد نجم عن ذلك هبوط في الكيارات المنتجة بنسبة ٣٣٪ إذ انخفض الإنتاج من ١٦٩٧ مليون برميل يومياً عام ١٩٨٠ إلى ١٤٢١ مليون برميل عام ١٩٨٤ ثم اتجه بعد ذلك إلى الارتفاع ليصل إلى ١٥٧٨ مليون برميل يومياً عام ١٩٨٨^(١٦) وذلك بعد أن تخلفت منظمة الأوبك عن دورها في تحديد الأسعار والكيارات المنتجة.

أما الصادرات الكلية فقد ارتفعت بنسبة ١٩٪ بمعدل سنوي قدره ٢١٪ في الفترة (١٩٨٠ - ١٩٧٥) وانخفضت بنسبة ٥٠٪ بمعدل نمو سنوي سالب قدره ٨٪ في الفترة (١٩٨٨ - ١٩٨١).

ولقد تشكل مسار الصادرات الكلية بمسار الصادرات النفطية إذ يتجه إلى الزيادة حينما يتزايد وينخفض حينما ينخفض. وهكذا استمرت الصادرات الكلية والنفطية في تزايد مستمر منذ عام ١٩٧٥ حتى عام ١٩٨٠ ثم بدأت في الانخفاض.

ويتبين أن ذكر هنا أن مصادر الفاز الطبيعي والتي بلغت قيمتها عام ١٩٧٧ حوالي ٤٠٨ ملايين درهم ارتفعت عام ١٩٨٨ لتصل إلى ٣٢٧٥ مليون درهم وهو ما يمثل ٩٪ من إجمالي الصادرات الكلية.

أما فيما يتعلق بإعادة التصدير فقد ارتفعت قيمة من ٣٨٤٨ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٧٢٢٣ مليون درهم عام ١٩٨٨ أي بزيادة نسبية قدرها ٨٨٪ وبمعدل نمو سنوي قدره ٤٪ كما أن نسبة إعادة التصدير ارتفعت من ٣٩٪ عام ١٩٧٥ إلى ١٧٪ عام ١٩٨٨.

جدول رقم (٢)

تطور الميزان التجاري في دولة الامارات

الاسعار الثابتة
في الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٨)
مليون درهم

| | | | | | | | | | | | | | | | | | | | السنوات |
|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|-------------------|---------|
| | | | | | | | | | | | | | | | | | | | البيان |
| ١٩٨٨ | ١٩٧٧ | ١٩٦٦ | ١٩٥٥ | ١٩٤٤ | ١٩٣٣ | ١٩٢٢ | ١٩١٢ | ١٩٠١ | ١٩٩٠ | ١٩٧٩ | ١٩٦٨ | ١٩٥٧ | ١٩٤٦ | ١٩٣٥ | ١٩٢٤ | ١٩١٣ | ١٩٠٢ | الصادرات السلعية | |
| ١٩٨٦ | ١٩٧٥ | ١٩٦٤ | ١٩٥٣ | ١٩٤٢ | ١٩٣١ | ١٩٢٠ | ١٩١٠ | ١٩٠٠ | ١٩٩٩ | ١٩٨٨ | ١٩٧٧ | ١٩٥٦ | ١٩٤٥ | ١٩٣٤ | ١٩٢٣ | ١٩١٢ | ١٩٠١ | ١ - النفط الخام | |
| ١٩٨٤ | ١٩٧٣ | ١٩٦٢ | ١٩٥١ | ١٩٤٠ | ١٩٣٩ | ١٩٢٨ | ١٩١٧ | ١٩٠٦ | ١٩٩٥ | ١٩٨٤ | ١٩٧٣ | ١٩٥٢ | ١٩٤١ | ١٩٣٠ | ١٩١٩ | ١٩٠٨ | ١٩٠٧ | ٢ - الفاز | |
| ١٩٨٢ | ١٩٧١ | ١٩٦٠ | ١٩٤٩ | ١٩٣٨ | ١٩٢٧ | ١٩١٦ | ١٩٠٥ | ١٩٠٤ | ١٩٩٣ | ١٩٨٢ | ١٩٧١ | ١٩٥٠ | ١٩٤٩ | ١٩٣٨ | ١٩٢٧ | ١٩١٦ | ١٩٠٥ | ٢ - منتهيات تحلية | |
| ١٩٨٠ | ١٩٦٩ | ١٩٥٨ | ١٩٤٧ | ١٩٣٦ | ١٩٢٥ | ١٩١٤ | ١٩٠٣ | ١٩٠٢ | ١٩٩١ | ١٩٨٠ | ١٩٦٩ | ١٩٤٨ | ١٩٣٧ | ١٩٢٦ | ١٩١٥ | ١٩٠٤ | ١٩٠٣ | ٣ - صادرات أخرى | |
| ١٩٧٨ | ١٩٦٧ | ١٩٥٦ | ١٩٤٥ | ١٩٣٤ | ١٩٢٣ | ١٩١٢ | ١٩٠١ | ١٩٠٠ | ١٩٩٠ | ١٩٧٩ | ١٩٦٨ | ١٩٤٧ | ١٩٣٦ | ١٩٢٤ | ١٩١٣ | ١٩٠٢ | ١٩٠١ | ٤ - إعادة تصدير | |
| ١٩٧٦ | ١٩٦٥ | ١٩٥٤ | ١٩٤٣ | ١٩٣٢ | ١٩٢١ | ١٩١٠ | ١٩٠٩ | ١٩٠٨ | ١٩٩٩ | ١٩٨٨ | ١٩٧٧ | ١٩٤٦ | ١٩٣٥ | ١٩٢٤ | ١٩١٣ | ١٩٠٢ | ١٩٠١ | الواردات السلعية | |
| ١٩٧٤ | ١٩٦٣ | ١٩٥٢ | ١٩٤١ | ١٩٣٠ | ١٩١٩ | ١٩٠٨ | ١٩٠٧ | ١٩٠٦ | ١٩٩٦ | ١٩٨٥ | ١٩٧٤ | ١٩٤٣ | ١٩٣٢ | ١٩٢١ | ١٩١٠ | ١٩٠٩ | ١٩٠٨ | الميزان التجاري | |

المصدر : احتسب من :

- ١ - وزارة التخطيط - التطورات الاقتصادية في دولة الامارات العربية في الفترة ٧٥ - ١٩٨٥ - ١٩٨٧ - ابوظبي .
- ٢ - وزارة التخطيط - الصنابات القوية لدولة الامارات العربية ٨٣ - ١٩٨٨ - ٨٢ - ابوظبي .

أما الصادرات السلعية الأخرى فقد تزايدت خلال الفترة (١٩٨٨ - ١٩٧٥) حيث ارتفعت من ١١ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٢٦٤٢ مليون درهم عام ١٩٨٨ وهو ما يمثل زيادة نسبية قدرها ٢٣٩٪ ومعدل نمو سنوي قدره ٤٪ وقد زادت الأهمية النسبية للصادرات السلعية الأخرى من ١٠٪ عام ١٩٧٥ إلى ١٣٪ عام ١٩٨٨ . ومرجع هذه الزيادة يتمثل في صادرات الأسمدة وبعض الصادرات الصناعية والتي بذلت في تركيب الهيكل الصناعي نتيجة الاهتمام بالقطاع الصناعي وزيادة حجم الاستثمارات الموجهة إليه وتنمية قدراته المادية.

ما سبق يتبيّن لنا أن القطاع النفطي هو المسيطر على الاقتصاد القومي وهو ما يعكس تبعية هذا الاقتصاد للاقتصاد العالمي . فالأهمية النسبية للصادرات السلعية الأخرى لم تتجاوز ٦٪ من إجمالي الصادرات في الفترة (١٩٨٨ - ١٩٧٥) ومن ثم يصبح انتاج النفط وتسويقه وأسعاره هي المتغيرات الحاكمة في تحديد رفاهية السكان في الحاضر وهي الحاكمة للقدرة على التوسيع في عملية الإنماء وبناء الطاقة الإنتاجية في القطاعات غير الانتاجية^(١٦).

وإذا كانت الصادرات هي الجانب الأول من معادلة الاعتماد على الخارج فإن مستوى الواردات وهيكلها يمثلان الجانب الآخر من هذه المعادلة.

ب . تطور الورادات :

يعتمد اقتصاد دولة الإمارات - بشكل يكاد يكون تاماً - على الواردات من السلع والخدمات لضيق قاعدة جهازه الإنتاجي . وتستورد دولة الإمارات كميات ضخمة من السلع الاستهلاكية والوسيلة والرأسمالية اللازمة لعملية التنمية إذ تعتمد في تمويل وارداتها بشكل رئيسي على حصيلة الاقتصاد من النقد الأجنبي وهي بذلك تعتبر المحدد للقدرة على الاستيراد تلك القدرة التي تحدّد مستوى الرفاهية من حيث تحديدها للواردات الاستهلاكية والوسيلة - كما ونوعاً - وهي أيضاً تحدّد مستوى تشغيل الطاقة الإنتاجية . كما أن الواردات هي المصدر الرئيسي للحصول على السلع الاستثمارية وهي أيضاً المؤثر في بناء الطاقة الإنتاجية^(١٧).

ولقد ارتفع حجم الواردات من ١٨٥٣٩ مليون درهم عام ١٩٧٥ إلى ٢٩٢٢٥ مليون درهم عام ١٩٨٨ ، أي إنه ازداد بنسبة قدرها ٦٥٧٪ بمعدل نمو سنوي قدره ٥٪ بالأسعار الثابتة^(١٨) . وبطبيعة الحال انعكست التطورات النفطية التي أحاطت بالاقتصاد القومي على الواردات من السلع والخدمات.

وحيث ان حصيلة الصادرات النفطية هي العامل المؤثر في القراءة على الاستيراد فإنه يلاحظ انخفاض القدرة على الاستيراد مع انخفاض حصيلة النقد الأجنبي، فقد انخفضت الواردات عام ١٩٨٨ بنسبة ١٤٪؎، مما كانت عليه عام ١٩٨٢. وهكذا فإن معدل نمو الصادرات من خلال تأثيره التحكمي في معدل نمو الواردات يعد أحد المحددات الرئيسية لمعدل نمو الدخل.

والواردات تمتلك نسبة كبيرة من مجموع قيمة الصادرات الكلية حيث بلغت هذه النسبة حوالي ٦٩٪؎ عام ١٩٨٨ على حين كانت ٥٤٪؎ عام ١٩٧٥. وهي نسبة مرتفعة بالنظر إلى ضخامة العائد من الصادرات النفطية. وثمة مجموعة من العوامل وراء زيادة قيمة الواردات وهي: زيادة الإيرادات النفطية، وزيادة الدخول الفردية وقيام الحكومة بتوسيع نطاق خدماتها العامة، واتساع نطاق المستخدم من السلع الجماعية وارتفاع محتوى الواردات لكافة أنواع الإنفاق نتيجة لضيق القاعدة الانتاجية واتساع نطاق الهجرة وماتبع ذلك من خدمات إسكان وتعليم وصحة وفرص عمل.

ويعكس هيكل الواردات الوجه الآخر لهيكل الانتاج ذلك أننا نستورد ما نعجز عن انتاجه محلياً ومن ثم فإن هيكل الواردات يعطينا صورة واضحة غير مباشرة عن هيكل الانتاج القومي. كذلك فإن تطور هيكل الواردات بمعنى الأهمية النسبية للتركيبة السلعية - تقيس إلى حد بعيد - تأثير السياسات الاقتصادية فسياسة التصنيع عن طريق احلال الواردات للصناعات الاستهلاكية لا بد أن تؤدي إلى انخفاض الأهمية النسبية للواردات من السلع الاستهلاكية الصناعية وقد تؤدي في بعض الأحيان إلى إرتفاع الواردات من السلع الوسيطة.

ولقد اتسم هيكل الواردات في دولة الإمارات العربية بزيادة الأهمية النسبية للسلع الاستهلاكية والانتاجية على حساب انخفاض الأهمية النسبية للسلع الوسيطة، حيث ارتفعت الأهمية النسبية للسلع الاستهلاكية من ٤٤٪؎ عام ١٩٧٥ إلى ٥٣٪؎ عام ١٩٨٨. وارتفعت الأهمية النسبية للسلع الانتاجية من ٣٦٪؎ عام ١٩٧٥ إلى ٣٧٪؎ عام ١٩٨٨، في حين انخفضت الأهمية النسبية للسلع الوسيطة من ١٨٪؎ عام ١٩٧٥ إلى ١٣٪؎ عام ١٩٨٨^(٢٠). بيد أنه من الضروري الإشارة هنا إلى أن انخفاض الأهمية النسبية للسلع الوسيطة ظاهرة طبيعية في هذه الدولة لأن هذه المجموعة من السلع ارتبطت إلى حد

بحوث ودراسات

كبير في دولة الامارات بتنمية قطاعات البنية الأساسية ولهذا كانت أهميتها النسبية مرتفعة جداً في الفترة (١٩٨٠ - ٧٥) وهي الفترة التي شهدت التركيز على التجهيزات الأساسية. أما ارتفاع الأهمية النسبية للسلع الاستهلاكية فيعكس عجز القطاع الانتاجي عن تلبية الاحتياجات الأساسية للعمالة الوافدة. أما ارتفاع الأهمية النسبية للسلع الانتاجية فهذا عائد بطبيعة الحال إلى إرتباط هذه المجموعة من السلع بتنمية القطاعات الصناعية.

جـ - اتجاه التجارة الخارجية :

ترتبط دولة الامارات العربية بعلاقات تجارية قوية مع دول أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة الأمريكية. وتعد مجموعة الدول الغربية من أكبر المجموعات المصدرة لدولة الامارات العربية حيث بلغت قيمة ما استورد منها عام ١٩٨٦ حوالي ١٢٢٤٤ مليون درهم، أي بنسبة ٤٩٪ من إجمالي الواردات وتتأتي مجموعة الدولة الآسيوية في المرتبة الثانية حيث بلغت نسبة ما استورد منها ٣٩٪ من إجمالي الواردات في حين تأتي القطرات العربية في المركز الثالث حيث بلغت نسبة ما استورد منها ٤٤٪ من إجمالي الواردات^(٢١).

ويبين التوزيع الجغرافي لهيكل الواردات أن دول أوروبا الغربية تمثل النسبة العظمى من إجمالي الواردات عام ١٩٨٦ . وقد بلغت قيمة ما استورد من اليابان عام ١٩٨٦ حوالي ٤٣٤٦ مليون درهم أي مائنته ١٧٪ من إجمالي الواردات. وتمثل الواردات من أمريكا حوالي ٩٪. ولاشك أن قضايا الأمن القومي تستدعي تنوع هيكل الواردات إلى حد بعيد خاصة إذا كان جزء منها واردات غذائية حيث بلغت نسبة الواردات الغذائية عام ١٩٨٨ حوالي ٦٥٪ من إجمالي الواردات^(٢٢).

٤ - السكان والعماله :

تشير البيانات الاحصائية إلى أن القاعدة السكانية في دولة الامارات العربية قد بلغت عام ١٩٨٦ حوالي ١٦٤٧ مليون نسمة، يمثل المواطنون منهم ٢٦٪ في حين تمثل العناصر غير المواطننة ٧٤٪ من جملة السكان، بيد أن بيانات عام ١٩٧٥ تفيد بأن القاعدة السكانية كانت حوالي ٥٧٨ ألف نسمة، يمثل المواطنون منهم ٣٦٪ في حين يمثل الوافدون ٦٤٪ من جملة السكان. ولهذا بلغ معدل النمو السنوي للسكان خلال الفترة (٧٥ - ١٩٨٦) حوالي ٩٪^(٢٣).

وينبني على ما تقدم القول بأن دولة الامارات العربية تتميز بضيق القاعدة السكانية واحتلالها ولذا يرى الاقتصاديون بأن من أبرز سمات تخلف هذه الدولة هي

ويتضح من الجدول رقم (٤) أن معدل النمو السنوي للسكان خلال الفترة (١٩٨٠ - ١٩٨٦) قد بلغ ٥٪١٢ في حين بلغ هذا المعدل في الفترة (٨٠ - ١٩٨٦) حوالي ٨٪٨ كما يبين الجدول أن معدل النمو السكاني للمواطنين خلال الفترة الأولى كان حوالي ٣٪٧ في حين بلغ معدل النمو السنوي للمهاجرين ٩٪١٤. أما في الفترة الأخيرة (٨٠ - ١٩٨٦) فقد كان معدل النمو السنوي فيها للمواطنين ٧٪٦ وللمهاجرين ٣٪٨.

ومما سبق يتضح أن معدل النمو السنوي للسكان في الفترة الأولى قد فاق معدل النمو السنوي في الفترة الأخيرة. ويرجع ذلك إلى تباطؤ معدلات نمو النشاط الاقتصادي في الفترة الأخيرة حيث ترتبط موجات هجرة العمالة الوافدة بمستوى النشاط الاقتصادي الذي يتاثر أساساً بمستوى الإنفاق الحكومي، فنجد أن معدل النمو السنوي للمهاجرين في الفترة الأخيرة أقل من معدل النمو السنوي في الفترة الأولى كما يلاحظ أن معدل النمو السنوي للسكان المواطنين في الفترة الأولى يتخطى معدل النمو في الفترة الأخيرة. ومرد ذلك بطبيعة الحال إلى سياسة تجنسيس الأجانب. ويعتقد البعض أن أكثر من نصف معدل النمو في المواطنين خلال تلك الفترة عائد إلى هذه السياسة^(٢٤).

وقد نتج عن هذا النمط من النمو السكاني في جملته انخفاض نسبة المواطنين إلى مجموع السكان، إذ انخفضت هذه النسبة من ٣٦٪ عام ١٩٧٥ إلى ٢٨٪ عام ١٩٨٠ ثم إلى ٢٦٪ عام ١٩٨٦.

ويمكن القول بصفة عامة إن النسبة المرتفعة للمهاجرين وتزايدها بشكل مستمر إنما تعكس مستوى الطلب على العمالة ومعدل زيادته ذلك أن زيادة الطلب على العمالة إذا لم يتم اشباعه محلياً فلا مناص من مواجهتها عن طريق الهجرة. وهذا ماحدث في دولة الإمارات حيث ولد الإنفاق العام على مشاريع البنية الأساسية طلباً متزايداً على القوى العاملة ونتيجة لصغر حجم العمالة المواطنـة كان من الطبيعي أن يلبي هذا الطلب عن طريق العمالة المهاجرة^(٢٥).

أما فيما يتعلق بالتركيب العمري للسكان الذي يعتبر من التغيرات الأساسية في دراسة الظواهر الاقتصادية والاجتماعية، فيلاحظ أن ٤٥٪ من سكان دولة الإمارات تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٦٦ سنة، وبلغت نسبة الذين نقل أعمارهم عن ١٤ سنة حوالي ٥٠٪ من جملة السكان على حين لم تتجاوز نسبة الذين في سن الشيخوخة

بحوث ودراسات

٥٪ على أنه من غير المعتذر ذكر أن ارتفاع نسبة الفتة (٠ - ١٤) لا يعود إلى ارتفاع معدلات المواليد وإنخفاض معدلات الوفيات فحسب وإنما يعود أيضاً إلى سياسة تشجيع النسل التي انتهجتها الحكومة من خلال تقديم الاعانات المادية، أي زيادة منفعة الطفل الإضافية^(٢٦).

وإذا انتقلنا إلى دراسة القوى العاملة والعوامل التي تحكم وتحدد نسبة المشاركة نلاحظ أن قوة العمل قد زادت من ٢٩٣ ألف عام ١٩٧٥ إلى ٦٢٣ ألف عام ١٩٨٦، أي ازدادت بنسبة قدرها ١١٢٪ بمعدل نمو سنوي قدره ١٪. والبيانات الاحصائية تعطينا أن معدل النمو في القوى العاملة في الفترة الأولى (١٩٨٠ - ١٩٨٥) تخطى معدل النمو في الفترة الأخيرة (١٩٨٦ - ١٩٨٠) وهو ما يرجع إلى تباطؤ النشاط الاقتصادي في الفترة الأخيرة.

ولاشك أن معدلات نمو السكان وتطور درجة مساهمة السكان في النشاط الاقتصادي يحكمان إلى حد بعيد نمو القوى العاملة في أية دولة، ومن ثم يمكن تفسير الاختلاف بين معدل نمو السكان وقوة العمل في دولة الإمارات بالتطورات التي تطرأ على درجة مساهمة السكان في القوى العاملة، أي اشتراكهم في النشاط الاقتصادي^(٢٧).

وبينما الاختلاف في التوازن بين المواطنين وغير المواطنين أكثر وضوحاً في حالة قوة العمل كما يكشف عنه الجدول رقم (٤) فقد بلغت نسبة قوة العمل المواطننة عام ١٩٨٦ حوالي ١٢٪ من جملة قوة العمل في حين كانت هذه النسبة عام ١٩٧٥ حوالي ١٦٪. وهذا يعني أنها اتجهت اتجاهًا تنازلياً مع مرور الزمن. ولهذا كان معدل نمو القوى العاملة المواطننة خلال الفترة (١٩٨٧ - ١٩٨٠) حوالي ٩٪ في حين كان معدل نمو القوى العاملة المهاجرة خلال نفس الفترة ٨٪، وحقيقة الأمر أن الفجوة في معدلات النمو حدثت خلال الفترة (١٩٨٠ - ١٩٨٥) حيث بلغ معدل نمو قوة العمل المواطننة ٤٪ في حين بلغ معدل نمو القوى العاملة المهاجرة ١٤٪. ويعود ذلك إلى أن الفترة (١٩٨٠ - ١٩٨٥) هي الفترة التالية لتصحيح أسعار النفط الخام وما ترتب عليها من ارتفاع الإيرادات النفطية وتبني برامج استثمارية طموحة أدت إلى تنشيط غير عادي في مجال البناء والتشييد مما أدى إلى زيادة الطلب على القوى العاملة الوافدة حيث عجزت قوة العمل المواطننة عن الوفاء بهذا الحجم من الطلب.

وتشير البيانات الاحصائية إلى أن درجة مساهمة المواطنين في النشاط الاقتصادي انخفضت خلال الفترة (١٩٨٥ - ١٩٧٥) من ٢٢٪ عام ١٩٧٥ إلى ١٨٪.

بحوث ودراسات

عام ١٩٨٠ ثم إلى ١٧٪ؑ عام ١٩٨٦. وقد أدى هذا إلى زياد عبء الاعالة بين المواطنين بين عامي ١٩٧٥، ١٩٨٦، فقد ارتفع معدل الاعالة - عدد السكان خارج قوة العمل لكل ١٠٠ من أفراد قوة العمل - من ٣٥٪ؑ عام ١٩٧٥ إلى ٤٦٪ؑ عام ١٩٨٦. ويعود السبب في انخفاض درجة مساهمة المواطنين في النشاط الاقتصادي إلى اختلاف التركيب العمري وضعف مساهمة المرأة وتتسارع معدلات الالتحاق بالتعليم.

جدول رقم (٤)

تطور السكان والعمالة في دولة الإمارات

خلال الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٨)

| السنوات | معدلات التمو | | | ١٩٨٦ | ١٩٨٠ | ١٩٧٥ | البيان |
|---------------------------|--------------|---------|---------|-------|------|------|-----------------|
| | ١٩٨٦-٧٥ | ١٩٨٦-٨٠ | ١٩٨٠-٧٥ | | | | |
| ١ - السكان بالألف : | ٧٩٩ | ٨٩ | ٩١٪ؑ | ١٦٧٢٦ | ١٠٤٢ | ٥٥٧٨ | |
| ١ - المواطنين | ٧٦٩ | ٧٦٧ | ٧٪ؑ | ٤٣٤٤ | ٢٩٠٥ | ٢٠١٥ | |
| ب - غير المواطنين | ٧١٣ | ٧٨٣ | ٧٤٪ؑ | ١٢٣٩٣ | ٧٥١٥ | ٣٥٦٣ | |
| ٢ - الصالحة بالألف : | ٧٦٨ | ٧٦٨ | ٧١٪ؑ | ٦٢٢٥٢ | ٥٥٩٩ | ٢٩٢٧ | |
| ١ - المواطنين | ٧٦٩ | ٧٥٧ | ٧٤٪ؑ | ٧٧٣ | ٥٤٩ | ٤٤٦ | |
| ب - غير المواطنين | ٧٦٨ | ٧٦٣ | ٧٤٪ؑ | ٥٤٦ | ٥٠٥ | ٢٤٩١ | ٢ - نسبة السكان |
| المواطنين | | | | ٪٢٦ | ٪٢٨ | ٪٣٦ | |
| ٤ - معدل العمالة المغادرة | | | | ٪١٢٤ | ٪١٠ | ٪١٦ | |
| ٥ - معدل المشاركة | | | | ٪٧٧٢ | ٪٥٣٧ | ٪٥٢٦ | |
| ٦ - معدل مشاركة | | | | ٪٧٧٨ | ٪١٨٩ | ٪٢٢ | |
| المواطنين | | | | ٪٤٤١ | ٪٦٧٢ | ٪٦٩١ | |
| ب - معدل مشاركة | | | | | | | |
| غير المواطنين | | | | | | | |

المصدر : احتسب من :

- ١ - وزارة التخطيط - التعداد العام للسكان لعام ١٩٧٥.
- ٢ - وزارة التخطيط - التعداد العام للسكان لعام ١٩٨٠.
- ٣ - الامانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي - مجلة التعاون - العدد السادس عشر - ديسمبر ١٩٨٩.

أما بالنسبة لدرجة مساهمة العمالة الوافدة في النشاط الاقتصادي فانخفضت من ٦٩٪ عام ١٩٧٥ إلى ٤٤٪ عام ١٩٨٠ ثم إلى ٤٢٪ عام ١٩٨٦. وكان من أثر ذلك اتجاه معدل الاعالة نحو الارتفاع وهو ما يعكس اتسام الهجرة الوافدة بالطابع الأسري وبخاصة الفترة (٨٠ - ١٩٨٦).

وعلى وجه العموم يمكن التأكيد بأن درجة المساهمة في النشاط الاقتصادي اتجهت إلى الانخفاض من ٥٢٪ عام ١٩٧٥ إلى ٣٧٪ عام ١٩٨٦. ولعل العلة في ذلك انخفاض نسبة المهاجرين الذين يساهمون بدرجة أكبر في النشاط الاقتصادي.

ويرتبط توزيع قوة العمل بالنشاط الاقتصادي بتطوير البيكل الانتاجي وهو ما يتاثر تأثراً بالغاً بنمط التنمية واستراتيجيتها والتطورات التكنولوجية ومدى تأثيرها على مستويات الانتاجية في مختلف القطاعات والأنشطة الاقتصادية^(٢٨).

ويشير توزيع قوة العمل على الأنشطة الانتاجية في دولة الإمارات العربية إلى تركز القوى العاملة في قطاع الخدمات حيث استوعب ٣٥٪ من جملة العمالة عام ١٩٨٦. فإذا أضفنا إلى هذا القطاع قطاعات التجارة والنقل لأصبح قطاع الخدمات بمفهومه الواسع يستوعب ٤٢٪ من جملة العمالة عام ١٩٨٦. أما قطاعات الانتاج السلعي فتستوعب ما يقرب من ٣٦٪ من جملة العمالة في حين لا يستوعب قطاع الصناعة إلا ٩٪ من جملة قوة العمل عام ١٩٨٦. أما في نطاق القطاعات السلعية الأخرى فيتمثل قطاع البناء والتشييد الزيادة في مجال استيعابه للقوى العاملة حيث تمثل القوى العاملة في هذا القطاع حوالي ١٧٪ من جملة العمالة الكلية. وما لا شك فيه أن نمو قطاع الخدمات في الدولة قد تزامن مع نمو قطاع الخدمات الحكومية وتطور مؤسساتها بشكل خاص. وغير خاف أن هذا النمو غير المتوازن لقطاع الخدمات الذي يتاثر بنمط التنمية وبالسياسات الاقتصادية الخاصة بالعمالة يتاثر أيضاً بنمط تفضيلات الأفراد و اختيار مهنتهم لاسيما المواطنين^(٢٩).

ثانياً: الفصائل الأساسية لاقتصاد دولة الامارات العربية :

١ - سيادة قطاع النفط :

يتسم اقتصاد دولة الامارات العربية المتحدة بأنه اقتصاد أحادي المورد حيث يعتمد أساساً على انتاج وتصدير النفط وعلى اتفاق ايراداتاته على السلع والخدمات وعناصر الانتاج للوفاء باحتياجات الاستهلاك ومستلزمات التنمية. وتعكس مساهمة قطاع النفط في تكوين الناتج المحلي الاجمالي والإيرادات العامة وحصيلة الصادرات هيمنة هذا القطاع على النشاط الاقتصادي^(٣٠).

بحوث ودراسات

فالبيانات الاحصائية للفترة الواقعة بين عامي ١٩٧٥، ١٩٨٨، تشير إلى أن المتوسط السنوي لهذه المساهمة بلغ نسبة قدرها ٥٨٪ من الناتج المحلي الاجمالي ونسبة قدرها ٨٠٪ من حصيلة الإيرادات العامة ونسبة قدرها ٨٥٪ من حصيلة الصادرات.

ولقد ترتب على هذا الاعتماد أن أصبح النشاط الاقتصادي في الدولة يعاني بصورة مباشرة أو غير مباشرة من كل التقلبات التي تعني السوق العالمية للنفط. ولهذا تتوجه حصيلة الصادرات توجات دولية واسعة بين عام وعام تبعاً لتقلبات أسعار النفط والكميات المنتجة.

٢ - اختلال الهيكل الانتاجي والاعتماد على الاستيراد :

تتميز دولة الامارات العربية باختلال هيكلها الانتاجي وارتباط قطاع النفط فيها بالاقتصاد العالمي الأمر الذي أسمهم في ضعف درجة التشابك بين هذا القطاع والقطاعات الاقتصادية الأخرى. ومن ناحية أخرى فإن مساهمة القطاعات غير النفطية في تكوين الناتج المحلي الاجمالي تقع في المتوسط في حدود ٤٢٪ فالبيانات الاحصائية لعام ١٩٨٨ تبين أن مساهمة قطاعات الانتاج السلمي متزايدة متواضعة إذ لا تتجاوز مساهمة قطاع الصناعة التحويلية ٣٩٪ وقطاع التشييد والبناء ٩١٪ وقطاع الكهرباء والماء ٤٢٪ وقطاع الزراعة ١٢٪ وهذه النسب تؤكد ضيق القاعدة الانتاجية. و كنتيجة لهذا الاختلال اعتمدت دولة الامارات العربية على الواردات لتفطية احتياجاتها من السلع والخدمات المختلفة. وقد بلغت الواردات السلمية نسبة قدرها ٣٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي عام ١٩٨٨ . و كنتيجة لهذا الاعتماد الكبير على التجارة وما تستلزم من تمويل وتأمين ونقل وتخزين ومواصلات من جهة ونتيجة للانفاق الحكومي على مختلف الخدمات والمرافق العامة فإن حوالي ٦٥٪ من الناتج الاجمالي غير النفطي إنما ينشأ ويتوارد في قطاع الخدمات والتوزيع.

٣ - ضيق حجم السوق وضعف الطاقة الاستيعابية :

يفقر اقتصاد دولة الامارات العربية إلى الموارد الطبيعية باستثناء النفط والغاز. وتعاني من ضيق حجم السوق المحلية نظراً لقلة عدد السكان. وقد قامت الدولة بجهود كبيرة لانشاء الهياكل الأساسية من طرق وموانئ ومطارات ومحطات كهربائية ومع هذا متزاول إمكانيات الاستثمار داخل الدولة - ولاسيما في القطاعات غير النفطية - محدودة في استيعاب المدخرات القومية. ويمكن تتبع الأبعاد الحقيقة لحدودية الطاقة الاستيعابية في اقتصاد الدولة من خلال مؤشرين أولهما معدل

الاستثمار وثانيهما نسبة الاستثمار إلى الأدخار، وتشير بيانات الفترة الواقعة مابين عامي ١٩٧٥ - ١٩٨٨، إلى أن معدل الاستثمار قد بلغ في المتوسط نسبة قدرها ٣٧٪ سنوياً مع حد أدنى قدره ٢٣٪ عام ١٩٨٨ وحد أقصى قدره ٤٠٪ عام ١٩٧٥. وهي معدلات منخفضة بالمقاييس العالمي وتتفيد البيانات أيضاً أن نسبة الاستثمار إلى الأدخار قد بلغت في المتوسط نسبة قدرها ٤٤٪ مع حد أدنى قدره ٤١٪ عام ١٩٧٥ وحد أقصى قدره ٤٦٪ عام ١٩٨٨^(٣١)، وتتضمن من هذا المعدل أن النسبة الباقية من المدخرات تتجه إلى الأسواق العالمية ليتم استثمارها هناك وتتراكم عاماً بعد عام.

٤ - الاعتماد على العمالة الوافدة :

تعاني دولة الإمارات العربية من اختلال التوازن السكاني إذ لا يشكل المواطنون إلا نسبة ٢٦٪ من مجموع السكان عام ١٩٨٦. كما يعاني هيكل العمالة من اختلاف أشد فالبيانات الاحصائية لعام ١٩٨٦ تشير إلى أن العمالة المواطننة لم تتجاوز ٤٪ من مجموع قوة العمل مقابل نسبة قدرها ٦٣٪ للعمالة الوافدة. ويتراكم العمالة المواطننة أساساً في القطاعات الخدمية ولاسيما الخدمات الحكومية في حين لا يكون تواجدها في القطاعات السلعية إلا تواجداً رمزاً. ولهذا يمكن القول بأن المحرك الأساسي لعملية التنمية هي العمالة الوافدة. وقد عادت هذه العمالة بتأثير سلبية على الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية الأمر الذي استلزم ضرورة تنمية العمالة المواطننة وتأهيلها وتوزيعها على القطاعات الاقتصادية الحاكمة لمسيرة التنمية الاقتصادية.

هوامش

- ١ - احتسب من :
- وزارة التخطيط - التطورات الاقتصادية والاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة (٧٥ - ١٩٨٥) أبوظبي ١٩٨٧.
- ٢ - وزارة التخطيط - الصنابات القرمية لدولة الإمارات العربية المتحدة (٨٣ - ١٩٨٨) أبوظبي ١٩٨٩.
- ٣ - منظمة الأقمار العربية المصدرة للبترون - قاعدة البيانات.
- ٤ - وزارة التخطيط - الصنابات القرمية لدولة الإمارات العربية المتحدة (٨٣ - ١٩٨٨) أبوظبي مصدر سبق نكره من ٤٤.
- ٥ - انتقد هذا المعيار على نطاق واسع من اقتصاديي دول العالم الثالث حيث رأوا فيه معياراً غير دقيق لقياس البعد التنموي الصناعي لهذه الدول.
- ٦ - صندوق النقد العربي - التقرير الاقتصادي العربي الموحد العدد الثامن أبوظبي ١٩٨٧ من ٤٥.
- ٧ - محمد الطيب - تحليل الاستهلاك النهائي - العام والخاص. في ج.م.ع. منذ عام ٦٠/٥٩ - المؤتمر العلمي الثالث للإحصائيين المصريين القاهرة ٢٢ - ١٩٨٧/٢ ٢٥ الهبة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٧ من ١٦٩.

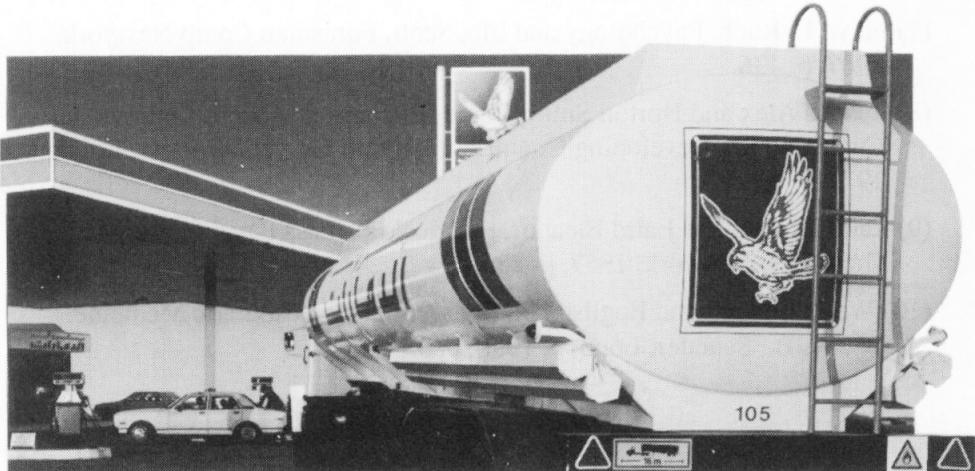
بحوث ودراسات

- ٧ - خذل الباسم: التنمية الاقتصادية في دولة الامارات العربية المتحدة دار ابن ماجد الشارقة ١٩٧٩ من ٤٥.
- ٨ - محمد الطيب - تحليل الاستهلاك النهائي - مصدر سبق ذكره من ١٧٠.
- ٩ - صندوق النقد العربي - التقرير الاقتصادي العربي الموحد - العدد التاسع أبوظبي ١٩٨٨ من ٢٩٦.
- ١٠ - علي طنفي - استراتيجية استخدام عوائد البترول - ندوة البترول العربي والأفاق المستقبلية لمشكلة الطاقة - بغداد ١٩٧٦ من ٦٨٢.
- ١١ - عبد الوهاب الأمين - نمط التجارة الخارجية لاقتصاد ذي مورد واحد - الكويت - ٦٥ - ١٩٧٧ مجلة النفط والتعاون العربي - العدد الثاني ١٩٧٩ من ٢٤.
- الواردات + الصادرات
معدل الاعتماد = $\frac{\text{الناتج المحلي الإجمالي}}{\text{الواردات + الصادرات}}$
- ١٢ - احتسبت من المعادلة الآتية
- ١٣ - وزارة التخطيط - التطورات الاقتصادية والاجتماعية - مصدر سبق ذكره من ٢٣٦.
- ١٤ - منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول - تقرير الأربعين العام السنوي الخامس عشر - الكويت من ٩.
- ١٥ - منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول - تقرير الأربعين العام السنوي السابع - ١٩٨٠ من ١٢.
- ١٦ - منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول - تقرير الأربعين العام السنوي الخامس عشر - مصدر سبق ذكره من ٩.
- ١٧ - انطونيوس كرم: التنمية الاقتصادية في الأقطار النامية موقع دول الخليج منها - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد ١٨ إبريل ١٩٧٩ من ٩٨.
- ١٨ - خذل الباسم: دور التجارة الخارجية في التنمية الاقتصادية في دولة الامارات العربية المتحدة. جامعة الامارات - بحث غير منشور أبوظبي ١٩٧٩ من ١٦.
- ١٩ - انظر الجدول الإحصائي رقم (٢).
- ٢٠ - هذه النسب احتسبت من:
- وزارة التخطيط - التطورات الاقتصادية والاجتماعية - مصدر سبق ذكره من ٩٠.
- وزارة التخطيط - المصايبات القرمية - مصدر سبق ذكره من ١٠٢.
- ٢١ - وزارة التخطيط - المجمعية الإحصائية السنوية - العدد الثاني عشر أبوظبي ١٩٧٧ من ٢٣٢.
- ٢٢ - وزارة التخطيط - المصايبات القرمية لدولة الامارات (٨٣ - ١٩٨٨) مصدر سبق ذكره من ١٠٢.
- ٢٣ - انظر الجدول الإحصائي رقم (٤).
- ٢٤ - نادر فرجاني: اوضاع السكان واقوة العمل في الامارات العربية - مجلة المستقبل العربي العدد ٢٨ يونيو ١٩٨٠ من ١٠٤.
- ٢٥ - عبدالرزاق الفارس: تخطيط القرى العاملة في الامارات العربية - دار كاظمة - الكويت ١٩٨٦ - من ٦٠.
- ٢٦ - عبدالله السويدي: مشكلات التنمية الاقتصادية في دولة الامارات خلال الفترة (٧٠ - ١٩٨٠) رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٨٥ من ١٢٠ - ١٢٣.
- ٢٧ - عبد الهادي العوضي: تنمية الموارد البشرية في الخليج العربي - ندوة التنمية والتضامن الاقتصادي في الخليج العربي - الكويت ٢٩ ابريل ٢ - مايو ١٩٨٧ الكويت من ٢٠٢.
- ٢٨ - عبد الهادي ناصف: الموارد البشرية في الكويت - ندوة التنمية والتضامن الاقتصادي في الخليج العربي - مصدر سبق ذكره من ٧٨.
- ٢٩ - عبدالله السويدي: مشكلات التنمية الاقتصادية - مصدر سبق ذكره من ١٢٠.
- ٣٠ - في تفصيلات الفصائل الاقتصادية لدول الخليج بصلة عامة يمكن الرجوع إلى رسالة محمد عبد ناجي - اقتصاديات دول الخليج العربي بين التخلف والتبعية، رسالة تکرارة غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، ١٩٨٧.
- ٣١ - يمكن تتبع ذلك بالرجوع إلى الجدول الإحصائي رقم (٢).

EMIRATES
PETROLEUM



الإمارات



رؤى التكامل والتطوير المستمر

خدمة

محطاتنا تقدم البنزين والديزل والزيوت والخدمات الأخرى لل里ان. كي تستمتعهم على المنافسة بسيارتهم.



مؤسسة الإمارات العامة للبترول تعمد أربعين ساعة في اليوم طيلة أيام الأسبوع كي تستمرة الحركة في الإمارات إلى الأمام.

تشحيم

مجموعة جديدة من الروت اصنفه للسيارات والمعدات الصناعية. خصصنا للمحافظة على تبريد وصيانة وإطالة عمر محركاتكم.



ضمن المستقبل بالتزام ثابت بالتقنيات والتقدم.

نطور ونحسن من شأننا بصورة مستمرة لتقديم للإمارات خدمات في غاية الكفاءة.

طاقة

غايتنا تأمين الطاقة من أجل التطور من خلال شبكة متكاملة لتوريد الغاز والوقود السائل حتى عجلة الصناعة دائرة.



مؤسسة الإمارات العامة للبترول Emirates General Petroleum Corporation

بحوث ودراسات



أثر الهجرة في دور الشباب العربي في التنمية **

دكتور
فيصل غرابيَّة *

(١) تمهيد :

تلعب الهجرة دوراً رئيسياً في عملية الإنتاج، لأن جل العناصر المهاجرة هي اليد العاملة في المجتمع، وهي قد ساهمت نواماً في تشطيط الحركة الاقتصادية - الاجتماعية في الدول المستقبلة، مثمناً ساهمت في التخفيف من حدة البطالة في دول الإرسال أو في الاستفادة من عائد التحويلات التي يحولها المهاجرون إلى ذويهم في تنفيذ جزء من موازين المدفوعات، والهجرة بالإضافة إلى ذلك مخرج لمن يبحث عن فرصة للعمل فيما إذا ضاقت سوق العمل في بلده الأصلي عن إيجاد مثل هذه الفرصة، أو هي تتحقق فرضاً للراغبين في تغيير موقعهم في البناء الاجتماعي للمجتمع الذي ينتمون إليه وتوقعوا لما يتبع لهم هذا الانتقال من فرص جديدة للارتفاع بالسلم الاجتماعي.

* باحث بقضايا التنمية والسكان ومدير بالإدارة الاجتماعية بجامعة الدول العربية.

** درقة مقدمة للن IDEA العربية للشباب والسكان والتنمية - تونس ١٩٩٠.

وعلى هذا النحو أصبحت الهجرة ظاهرة حيوية على المستويين البشري والوظيفي في خارطة المجتمع العربي، ذات دور هام على المستوى الكلي المتمثل في توازن الاقتصاد الوطني وخاصة في سوق العمل وفي ميزان المدفوعات بشكل يصعب معه الاستغناء عنها أو التقليل من أهميتها في الحقبة الحالية، وهي كذلك ذات دور هام آخر على المستوى الفردي والمتمثل باثارها الواضح على خصائص الأسرة والأثار الاجتماعية للأفراد وعلى العلاقات فيما بينهم، يضاف إلى ذلك ذاك التفاعل في المستويين الذي لابد أن يؤدي إلى تغيرات اجتماعية بنائية ووظيفية تسهم في اعطاء توجّه معين لعملية التطور المجتمعي يتوجب دراسته بعمق للتعرّق على أبعاده ونتائجـه.

٢) أشكالـية الدراسة :

لما كانت هذه الورقة معنية بالقاء الضوء على ظاهرة الهجرة لمعرفة تأثيرـها على دور الشباب في التنمية في الوطن العربي.. فإنـها ستحاول أن تتركـز فيتناول جملة الإنعـكـاسـات الاجتماعية الاقتصادية للهـجـرةـ العـربـيـةـ على دورـهـ الشـرـيـحةـ الحـيـوـيـةـ منـ شـرـائـعـ المـجـتمـعـ المـتـمـثـلـ بـقطـاعـ الشـابـ،ـ وـخـاصـةـ أـنـ دـوـافـعـ الـهـجـرـةـ وـأـسـبـابـهاـ الـبـشـرـيـةـ تـتـحـدـدـ بـالـأسـاسـ مـنـ مـوـقـعـ السـيـاسـاتـ الـإـنـمـائـيـةـ وـتـوـجـهـاتـهـاـأـوـلـوـيـاتـهـاـ النـسـبـيـةـ لـلـقـطـاعـاتـ،ـ وـهـيـ بـالـمـقـابـلـ تـؤـثـرـ عـلـىـ سـوـقـ الـعـلـمـ فـتـخـفـفـ مـنـ مشـكـلةـ الـبـحـثـ عـنـ عـلـمـ،ـ وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ تـخـلـقـ اـحـتـيـاجـاـ حـارـاـ فـيـ بـعـضـ الـدـوـلـ الـمـرـسـلـةـ،ـ وـهـيـ تـسـهـمـ فـيـ تـعمـيقـ التـاقـضـاتـ الـاجـتـمـاعـيـةـ مـنـ جـرـاءـ تـغـيـيرـ هـيـكلـ الـمـلـكـيـةـ وـنـسـقـ الـمـكـانـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـالـتـدـفـقـ مـنـ الـرـيفـ إـلـىـ الـدـيـنـةـ مـاـ يـنـعـكـسـ بـوـضـوـحـ عـلـىـ الـوـحدـاتـ الـاجـتـمـاعـيـةـ الصـغـرـىـ أـيـ الـأـسـرـةـ وـالـفـردـ بـخـصـائـصـهـاـ وـأـوـضـاعـهـاـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـالـنـفـسـيـةـ وـالـاقـتصـادـيـةـ وـالـتـقـافـيـةـ وـالـشـابـ مـنـ بـيـنـهـمـ بـطـبـيـعـةـ الـحـالـ،ـ وـهـيـ تـؤـثـرـ عـلـىـ الـهـيـكـلـ الـسـكـانـيـ الـمـجـتمـعـ حـيثـ تـسـبـبـ فـيـ اـفـتـارـ الـجـمـعـاتـ وـالـعـائـلـاتـ إـلـىـ الشـابـ (ـكـفـاعـلـيـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ)ـ مـاـ يـزـيدـ بـالـتـالـيـ مـنـ حـجمـ الـفـنـاتـ غـيرـ الـمـنـتـجـةـ (ـالـمـسـنـونـ وـالـانـاثـ غـيرـ الـعـامـلـاتـ أـوـ غـيرـ الـمـؤـمـلـاتـ مـهـنـيـاـ).

٣) أهمـية الـدـرـاسـةـ :

تـأـئـيـةـ أـهـمـيـةـ دـرـاسـةـ تـأـيـرـ الـهـجـرـةـ عـلـىـ دـورـ الشـابـ فـيـ التـنـمـيـةـ مـنـ أـهـمـيـةـ دـورـ كـلـ مـنـ (ـالـشـابـ)ـ وـ(ـالـهـجـرـةـ)ـ فـيـ الـجـمـعـ ..

فالـشـابـ هـمـ الـفـتـنـةـ النـاشـطـةـ الـحـيـوـيـةـ الـفـاعـلـةـ فـيـ حـيـاةـ الـمـجـتمـعـ وـإـذـ تـمـعـنـاـ بـالـشـابـ كـمـرـحـةـ عمرـيـةـ نـجـدـهاـ تـتـشـطـرـ إـلـىـ شـطـرـيـنـ هـمـاـ:ـ الشـابـ الـمـبـكـرـ أـوـ الـأـولـ،ـ وـهـوـ الـذـيـ يـعـدـ نـفـسـهـ فـيـ الـلـحـيـةـ الـعـلـمـيـةـ وـالـعـطـاءـ الـجـمـعـيـةـ مـنـ خـلـالـ الـتـعـلـيمـ وـالـتـدـرـيـبـ وـالـتـقـيـيفـ وـالـبـنـاءـ الـجـسـمـيـ وـالـنـفـسـيـ وـالـذـهـنـيـ..ـ وـالـشـابـ الـمـتأـخـرـ أـوـ الـثـانـيـ وـهـوـ الـذـيـ يـمارـسـ فـيـ حـيـاتـ الـعـلـمـيـةـ وـبـيـاـشـرـ عـطـاءـ وـالـجـمـعـيـةـ مـنـ خـلـالـ الـعـلـمـ وـالـوـظـيـفـةـ وـالـانتـاجـ..

أما الهجرة فهي تلتقي بأهميتها و(التي أسلفنا الإشارة إليها فيما سبق) مع أهمية الشباب، حيث أنها مصدر عطاء ورمز انتاج ذات عائد اقتصادي واجتماعي، وعند الققاء العنصر البشري المتعطل بالشباب مع العمل الاجتماعي المؤثر والمتأثر بالتفاعلات الاجتماعية ندرك أهمية تسلط الضوء على هجرة الشباب كعنصر حيوي في مسيرة التنمية الوطنية من حيث الدخلات والخرجات ومن حيث تحقيق هدفها الأسمى في رفع مستوى الحياة وتحقيق الرفاهة العام.

٤) مجال الدراسة :

يشهد الوطن العربي في تاريخه الحديث حركات متعددة من الهجرة تتضمن معالمها على النحو التالي:

١) الهجرة من الوطن العربي إلى خارجه :

وهي نوعان :

أ - هجرة الكفاءات العربية إلى دول أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا وشرق أفريقيا، وهي هجرة عادة يتوجه بها المهاجر بجنسية الدولة التي هاجر إليها.

وقد قدر عدد هؤلاء المهاجرين العرب من نوع الكفاءة بين ١٠٠٠٠٠٠ و٢٠٠٠٢٠٠ مهاجر^(١).

ب - قوى عاملة عربية متوسطة ويسقطة المهارة إلى أوروبا الغربية وبخاصة فرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية، يقدر عددهم بحوالي مليوني ونصف المليون مهاجر، معظمهم من دول شمال أفريقيا (الجزائر - المغرب - تونس) والتي تبرز فيها ظاهرة (الجيل الثاني) كقضية ثقافية مميزة.

٢) الهجرة داخل الوطن العربي :

لها وجهان :

أ - الهجرة على مستوى القطر العربي الواحد وداخله، وهو ما يعرف بالهجرة الداخلية مثل الهجرة الريفية إلى المدن أو الهجرة من المدن الصغرى إلى الكبرى أو من المدن المتعددة إلى العاصمة في كل دولة، حيث يتمركز النشاط الاقتصادي والإداري وتتوفر الخدمات، وقد يأخذ هذا الوجه من الهجرة شكلًا آخر داخل الأرياف والبواقي دون الوصول إلى المراكز الحضرية ويكون التخلّي عن الفاعلية الاقتصادية الأصلية وهو ما يُعرف بالتنقل والترحال المسمى غير المواتر.

ب - الهجرة بين الأقطار العربية وهي التي تعبّر عن الانتفاء للأمة العربية وتشير إلى حتمية التكامل والتكافل العربي، حتى اعتبرها بعض الباحثين هجرة داخلية داخل الوطن العربي.. فعلى الرغم من أحداث بعض القواعد والقوانين المنظمة، وعلى الرغم من التباينات المحلية، فإن الحياة تتخل متشابهة إلى أبعد الحدود، مما جعل هذا النوع من الهجرة يتم بسهولة مستندة لقوانين الرضمية الجغرافية والتاريخية. وإن ما قام به الاستعمار - كما يقول بوجديه - هو أنه ثبت في داخل هذه البلدان بشكل اصطناعي مجموعات من السكان يجهلون في حقيقتهم فكرة الحدود^(٢).

وهذا هو البعد الذي يعنينا أن نتناول أثره في دور الشباب العربي في التنمية على امتداد الوطن العربي، وهو الذي يشكل بحجمه وتوارته وتدفعاته قوة اجتماعية اقتصادية ذات أثر بالغ في حياة الشعب العربي عامة وفي مسار حياة الشريحة اليافعة المتمثلة بالشباب من أبنائه بصورة خاصة.

٣) هجرة أجنبية إلى داخل الوطن العربي :

وهي المتمثلة بالتدفق العمالي الآسيوي إلى الدول العربية المستقبلة منذ أواخر السبعينيات وطوال عقد الثمانينات، وقد أصبحت ظاهرة تشكل قضية هامة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية بعد أن تمكن القوى العاملة الآسيوية تلك من تلبية حاجات الدول العربية المستقبلة من القوى العاملة ذات الكفاءة والرخصة الأجدد في نفس الوقت.

وقد قدر عدد هؤلاء الوافدين الآسيويين في سنة ١٩٨١ بحوالي ٢٥ مليون وافد دون احتساب مرافقيهم من العائلات، وفي سنة ١٩٨٢ هاجر من الآسيويين إلى الدول العربية المستقبلة للعمل فيها حوالي المليون عامل^(٣).

ونأمل أن نتناول هذه الظاهرة وأثرها على الشباب العربي في درقة أخرى .

٤) اهتمامات الدراسة :

انطلاقاً مما سبق، فإن هذه الورقة سوف تعنى بتناول موقع الشباب العربي في ظاهرة الهجرة العربية - العربية، فتتعرف أولاً على حجم الظاهرة وتقدير ما يصيب شريحة الشباب منها، وأنه وإن أغفلت الإحصائيات تقدير أعداد المهاجرين حسب الفئات العمرية، فضلاً عن أن الإحصائيات المتوفرة هي أساساً غير كاملة وغير قابلة على

التعادل الدقيق وإنما قامت في جزء كبير منها على التقدير، فإن لنا أن ندرك أن المهاجرين رسمياً (بعض النظر عن مرافقيهم) هم من الفتنة المنتجة بالمجتمع وهي التي تمثل القسم الثاني من مرحلة الشباب ومرحلة اليافعين كاملة، وهي الفتنة التي تمارس الأعمال وتمتهن المهن وتتحقق بذلك في سوق العمل في بلد الهجرة.. يضاف إليهم معيلوهم من الأطفال والشباب في القسم الأول من مرحلتهم وهم ما زالوا على مقاعد الدراسة والتعليم الثانوي والجامعي.

ثم تتعرف الدراسة على انعكاسات الهجرة في بعديها الاقتصادي والاجتماعي سواء على مستوى المجتمع الوطني أو المجتمع المحلي أو الأسرة أو الفرد، والشباب بطبيعة الحال من بينهم في كل تلك المستويات.

ولنا أن ندرك هنا أن الإنعكاسات لابد وأن تختلف بين الأقطار، وإن كانت مرسلة أو مستقبلة للمهاجرين، وهي تختلف أيضاً من حيث قوة الإيجابيات فيها والسلبيات.

لتحاول الورقة بعد ذلك أن تستخلص من جملة تلك الإنعكاسات الاقتصادية والاجتماعية لأجل الثقافية الحضارية أساساً، أثر الهجرة في دور الشباب في مسيرة التنمية على المستويين القطري والقومي، وهذه هي غاية تناول هذا الموضوع بالأساس.

٦) حجم الظاهرة موضوع الدراسة :

لقد تدفقت الأفواج البشرية في حركة منتظمة للهجرة (شبيهة بالغزو) منذ بداية عقد السبعينيات، لتمثل ثالث السكان في ثلاث دول عربية هي: السعودية، عُمان ولبنان، وتمثل السكان في أربع دول عربية أخرى هي: الكويت، قطر، الإمارات والبحرين، وبلغت ربع القوى العاملة في مجموع الدول العربية الرئيسية المستقبلة، وقد حجمها بأربعة ملايين من الأيدي العاملة سنة ١٩٨٠، وكانت ٥٢ مليون قبل ٥ سنوات و٢١ مليون قبل ١٠ سنوات، حتى إن تيارات الهجرة قد وصلت إلى ثالث دول عربية عرف عنها فائض في القوى العاملة وهي: العراق، الأردن واليمن الشمالية^(٤).

وقدر الحجم الإجمالي للقوى العاملة الوافدة إلى دول الاستقبال سنة ١٩٨٠ بـ ٢٤ مليون (وفقاً لتقدير البنك الدولي ومنظمة العمل الدولية)، أو ٤٣ مليون عامل (وفقاً لتقدير سعد الدين عبدالفضيل)، أو ٧٤ مليون عامل (وفقاً لتقدير شقير)، والذي يعتبر التقدير الأكثر معقولة نظراً لتصحيحه لماورد في التقديرات السابقة عليه، وإذا أضفنا إلى هذا العدد مجموع أفراد عائلات المهاجرين الذين يبقون في بلد الأصل، فإن هذا العدد سوف يتضاعف، وبما أن عدد سكان الوطن العربي يصل إلى حوالي ١٦٥ مليون نسمة

فيمكن أن نقدر أن واحداً من ثمانية من العرب قد تأثر بالهجرة بين الأقطار العربية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة^(٥).

وإذا عرفنا أن الشباب من سن ١٥ - ٣٥ يشكل حوالي ثلث السكان في الوطن العربي عرفنا مقدار المتأثرين بالهجرة من بين المواطنين العرب من حيث انتشارهم للقوى العاملة أولاً وهم في معظمهم في سن العمل ومن الفئات المنتجة في كل قطر عربي، كما أنهم أيضاً من الفئات المفضلة للأختيار في اشغال الوظائف والمهن المطلوبة باعتبارهم أكثر قدرة على الانتاج.. وبما أننا نعرف أن الشباب هم أكثر الفئات السكانية اندفاعاً للمغامرة، وأن الهجرة أوضحت صورة من صور تلك المغامرة وزدنا إلى ذلك حقيقة تفضيل الدول المستقبلة للمهاجرين العزاب حتى لاتقع عليها أعباء قنوم العائلات، ونظراً لما يمثله الشباب من حجم كبير بين العزاب فإننا ندرك حجم الشباب من بين العدد الكلي للمهاجرين، ولأنستطيع أن نقف عند هذا الحد في تصور حجم الشباب المتأثر بالهجرة كظاهرة، حيث يبدأ هذا الآثر عند انتساب هؤلاء الشباب إلى أسر هاجر عنها الأب وأباقها في بلده الأصلي ولاينتهي هذا الآثر عند حد ترك الكثيرين من الوظائف والأعمال للشباب الباحثين عن العمل في البلد الأصلي، ولكن هناك الكثير من الواقع التي تصيب الهجرة فيها الشباب بانعكاساتها وأثارها كتضمية حيوية وظاهرة بارزة في المجتمع العربي.

٧) تفسير الظاهرة موضوع الدراسة :

يلاحظ أنه لم تتبادر حتى الآن نظرة سوسiological عن الهجرة، ومازالت النظرة الاجتماعية الثقافية نحو الهجرة تتحوّل منحى وصفياً أكثر منه تحليلياً.

وكان «بيترسن» قد بادر في عام ١٩٥٨ إلى اقتراح منهج لفهم الهجرة الدولية يركز على طموحات المهاجرين، وخلص في عام ١٩٧٨ إلى أنه من المفيد النظر إلى الهجرة كنوع من التحركات الاجتماعية التي تتأثر بالعلوى^(٦).

ويعتبر «نموذج بيترسن» من أفضل النماذج المفسرة للهجرة حيث يشرك عدة عوامل تؤدي إلى الهجرة وتغير الحالة الذاتية للمهاجر، وهي: القوة الدافعة الأيكولوجية، القوى الدافعة الاجتماعية، سياسات الهجرة لدى الدول المعنية، والتطلعات والطموحات لدى الناس.

والشكل التالي يبين طبيعة الترابطات فيما بين هذه العوامل^(٧).

| شكل الهجرة | نوع الهجرة | القوة المؤثرة | نوع التفاعل | |
|--|---------------------------|------------------------|--|---|
| تحديدي | محافظ | | | |
| الرحيل عن المكان تجارة العمال غير المهروق العبيد | طوف/ تجوال رحيل/ تهجير | بدائية مكرهة/ قسرية | الداعم الإيكولوجي سياسة الهجرة | الطبيعة/ الإنسان الحالة/ الإنسان |
| ريادية تمدن/ تحضر | جماعية تقطين واستقرار | حرة جماءة | الطللماطيات الطليا القوة الاجتماعية الدافمة | الإنسان/ المعايير السلطة المتراكمة للإنسان |

وتبرز هجرة الشباب العربي بين الأقطار العربية في الشكل الثالث الذي يقوم على تفاعل الإنسان مع المعايير الثقافية الاجتماعية للمجتمع تحركه تطلعاته، وهي هجرة طوعية اختيارية فيها صفات الريادة والمغامرة والتجربة الذاتية، بينما يتصدى الشكل الرابع وهو الذي يدل على الهجرة القائمة على تراكمات السلوك عند الإنسان على هجرة الكفاءات إلى خارج الوطن العربي وبالأحرى إلى العالم المتقدم حضارياً، والتي تأخذ شكل التقطن والاستقرار النهائي.

٨ - انعكاسات ظاهرة الهجرة :

اختلت الآراء حول إيجابيات الهجرة وسلبياتها على الدول المتأثرة فيها سواء كانت المرسلة للمهاجرين أو المستقبلة لهم، بشكل أصح الحكم على هذه الظاهرة يتراوح بين التأييد والمناداة بالتصعيد لزخم الهجرة وبين الشجب والدعوة إلى الحد من تدفقاتها.

وخير ما يحفل إشكالية النظرة إلى انعكاسات الهجرة بشكل متكامل ماتوصلت إليه (روزنثال^(٨)) من بيان لتكليف الهجرة وفوائدها والذي يمكن بلورته بالكشف التالي:

التكليف

مجتمعياً

فردياً

دولة الارسال :

- ١) فقد الاستثمار بالتعليم.
- ٢) خسارة خبرات القوى العاملة المحلية.
- ٣) عدم التأكيد من استمرار تدفق التحويلات مما يعيق خطط التنمية.
- ٤) التوترات الاجتماعية مع ارتفاع التوقعات لعودة المهاجرين.
- ٥) الآثار الطاغية على نماذج الإنفاق مما يسيء إلى ميزان المدفوعات.
- ٦) التضخم الذي تسببه التحويلات بتسهيل الضغط على نواصن القول العام.

دولة الاستقبال :

١) منافسة أكبر بسوق العمل في بعض القطاعات.

شواخر معينة.

٢) ازدياد الطلب على الخدمات العامة والاجتماعية.

٣) التوتر الاجتماعي مع التركيز على المهاجرين في المناطق الحضرية.

الفوائد

فردياً

دولة الارسال :

١) زيادة المدخرات وفرص الاستخدام.

١)

زيادة رأس المال البشري مع المهاجرين العائدين.

٢) التبادل الأجنبي للاستثمارات عبر التحويلات.

٣) زيادة مخرجات الفرد مع تفاق غير العاملين.

٤) تخفيف الضغط على الخدمات والموارد العامة.

دولة الاستقبال :

١) الاكتشاف الثقافي.

١) السماح للنمو الاقتصادي مع أقل نسبة من التضخم.

٢) ازدياد حركة القوى العاملة مع أدنى تكاليف لوحدة العمل.

٣) زيادة انتاجية الفرد بالنسبة للعمال المحليين.

٩) أثر الانعكاسات على دور الشباب :

نحاول الآن بعد اعطاء انعكاسات الهجرة الاقتصادية والاجتماعية على الشكل المبين أعلاه، أن نتبين أثر تلك الانعكاسات على دور الشباب في التنمية بشيء من الإيجاز على النحو التالي:

(١) في المجال الاقتصادي :

(١) : أثر الهجرة في الرفاه العام :

إذ إن الهجرة مفتاح لارتفاع مستوى الدخل الفردي الذي يمكن الشباب المهاجر من تحسين أوضاعه وتحقيق قدر من الرفاهية لنفسه ولأسرته، وهي وسيلة لتحسين الدخل القومي العام عن طريق التحويلات وعن طريق تحسين مستويات الدخل لدى المواطنين.

هذا بالنسبة لدول الارسال.. أما بالنسبة لدول الاستقبال فإن الهجرة من خلال انتاج الشباب المهاجر وخدماته بمختلف مستوياتها وأنواعها تشكل دفعاً لمستويات الرفاه في المجتمع المستقبل بفضل هذه الإمكانيات البشرية التي توفرت بهجرة تلك القدرات البشرية إليه لتقوم بالانتاج وتؤدي الخدمات بما يزيد من رفاه السكان.

إلا أن هناك من ينظر إلى الهجرة بعكس هذا المنظار إذ إن الهجرة تفرغ الدولة المرسلة من إمكانيات التغيير الاجتماعي نحو الأفضل كجواهر لعملية التنمية، إذ إنها تجرّد البلاد من قدرات شابة ناشطة كبيرة الحجم من السكان، وهي تعزز حالة اللامبالاة التي تسود المجتمعات المستقبلة والتي تعتمد فيها على الاستقدام العمالي.

تلك الحالة التي وصفت بأنها بنور التناقض بين المنفعة الاقتصادية للمواطن والمنفعة الاقتصادية للوطن التي تبذرها الهجرة والتي تؤدي إلى تفاقم حالة التفسخ الاجتماعي^(١).

ويقولنا الحديث عن الرفاه إلى الحديث عن الأجوار، إذ إن اتساع نطاق الهجرة العربية - العربية أدى إلى ارتفاع مطلق في هيكل الأجور النقدية وتذبذب ملحوظ في هيكل الأجور الحقيقة تبعاً لازدياد وتباطئ حجم الضغوط التضخمية وارتفاع الأسعار بشكل لم تعد معه الزيادات بالأجور تعني ازيداداً بالرفاه العام وهو ما يطلق عليه الاقتصاديون (ظاهرة الخداع النقدي).

٢) : أثر الهجرة في الأداء والانتاجية :

يبرز هذا الأثر في الاختلال الواضح في الهيكل المهني لعرض القوى العاملة بالدول المرسلة والقصور في العرض في بعض فئات القوى العاملة والحرفية التي يصعب تعويضها من بين القوى العاملة التي بقيت ولم تهاجر، مما يلحق الضرر ببرامج التنمية ومربيو الانتاج، وقد لوحظ اختلاف هيكل القوى العاملة المهاجرة عن الهيكل المهني للاقتصاد الوطني لدول الارسال، مما يفسر مدى ما يتحمله الاقتصاد الوطني من أعباء نتيجة هجرة الشباب من تحاجهم الفعاليات الاقتصادية في البلاد.

غير أن هذه الناحية أعطت صورة أخرى مغايرة.. فالهجرة قد ساعدت على زوال الحاجز التي كانت تحدّ من الحراك المهني، إذ زاد ميل الآيقات

البيضاء من الموظفين الشباب وخريجي الجامعات للأشتغال بالأعمال البيوية وكل ميلهم للوظائف العامة بالحكومة والقطاع العام رغم أنها أكثر استقراراً ولكنها أقل عائدأً ورغم ما يبذل لزيادة مزاياها من جانب الحكومات المعنية.

أما دول الاستقبال فقد وجدت نفسها في مأزق : فهي لا تتمكن من أن تعيد المهاجرين إلى بلدانهم ولا يمكنها أن تحمل التكاليف الباهظة للاحتفاظ بهم^(١٠). وتزايد الأمور حدة عندما تكتاثر القوة العاملة في دول استقبال بنمو خارجي المنشأ أكثر مما هو داخل المنشأ وتزايد أكثر عن طريق حشد العمال من سوق عمل خارج المنطقة^(١١).

٣) أثر الهجرة في مواجهة البطالة :

تتعارض الآراء في هذا الموضوع بين اعتبار الهجرة كأداة لتلطيف حالة الاستخدام في دولة الارسال وتخفف من البطالة وبين عدم اعتبارها كذلك، ورغم أن معظم الآراء تتفق على دور الهجرة في التخفيف من البطالة إلا أن بعض الآراء تعتبرها نواءً مسكنًا وحلًا مؤقتًا لايتناول الأسباب البنوية للبطالة، إذ إن العاطلين عن العمل ليسوا وحدهم الذين يهاجرون بل يهاجر أيضًا وربما بحجم أكبر أشخاص عاملون من نوي الكفاءات والمهارات الفنية والمهنية.

٤) أثر الهجرة في الاستهلاك :

أدى تناصي المهاجرين لأجود عاليه إلى ظهور أنماط جديدة من الاستهلاك تتباشى مع مستويات المعيشة العالية التي يحققها هؤلاء المهاجرين بفضل عائدات هجرتهم وينجم عن هذه الأنماط عادة ظاهرة التقليد وانعكاساتها على الآخرين، إذ يتولد لدى من يبقى في الوطن، وخاصة من الفئات الشابة المتطلعة للتغيير والتحديد والثورة على القديم والتقليدي، شعور التوق إلى أنماط استهلاكية مماثلة لزملائهم المهاجرين وهي أنماط تقوم على الاسراف.. أما الذين لا يستطيعون الاستهلاك بالمستوى نفسه ولكنهم ينتهيون إلى الجماعة المرجعية نفسها فسيتولد لديهم حافز قوي لكي تتم اعادتهم للعمل في إحدى الدول النفطية العربية أسوة بزملائهم^(١٢).

وهكذا أو تبعاً لتنامي العادات الاستهلاكية يضعف توجه التحويلات التي يحولها المهاجرون إلى نويعهم في بلدانهم الأصلية نحو الاستثمار واقتصار استخدامها في معظمها في بناء البيوت وشراء الأراضي واقتناء السلع المعمرة وزيادة الرفاه بالمعيشة.

(٢) في المجال الاجتماعي :

١) : أثر الهجرة في بناء المجتمع وعاداته وتقاليده وثقافته :

تحدد الهجرة بعض التشوّهات في البنية الاجتماعية للمجتمع تتضمن من ذاك الخلل الحادث في الهيكل السكاني للمجتمع من حيث التوزيع العمري والنوعي، كما أنها تبرز ما يسمى بالاستقطاب الاجتماعي الفرعي.. إذ إن الهجرة كفرصة لاتتاح لكل راغب فيها ويبقى الراغبون والمحرومون في نفس الوقت بالمعاناة، وهي تعمق حدة التفاوت في الدخل بين الفئتين الفقيرة والميسورة.

وتفتح الهجرة باب التغيير في العلاقات الاجتماعية، حيث تسهل عملية التغيير في مجال العلاقات الاجتماعية وتؤدي إلى ضعف حدة التقسيم الفني التقليدي، فهي تدخل كعامل مساعد على تقسيم الشكل القديم السائد للعلاقات الاجتماعية وتسهل عملية خلق علاقات اجتماعية جديدة^(١٢).

فالهجرة تتبع المجال أمام بعض الفئات لتتخلص من قيود السلم التقليدي للنظام الاجتماعي باعتبار أن الوضعيّة الطبقية للفرد تحدها وضعيته بالنسبة للعملية الانتاجية.

وتحدّث تعقيدات الحياة المدنية صدمة ثقافية للشباب المهاجر من بلد فقير متخلّف أو من منطقة ريفية مباشرة إلى منطقة مدنية متقدمة، مما يسبب له سوء التكيف قد يرافقه شعور بالاحباط عندما لا يجد المهاجر عملاً مناسباً، كما قد يشعر بالغبن عندما يجد أن خصائص المجتمع الحضري وفرص الحياة تختلف بصورة سلبية عن تلك التي كان يتصورها عندما قرر أن يهاجر، كما يعاني الشاب المهاجر من العزل الثقافي وعدم المشاركة بالحياة العامة وعدم القراءة على التعبير عن المشاعر وأنه يعامل كآلة للإنتاج فقط، على عكس ما تقتضيه ظروف نجاح عمليات التنمية من شروط التواصل والتعاطف بين المهاجرين والمستقبلين، أصحاب العمل والمنفذين له.

٢) : أثر الهجرة على كيان الأسرة :

لعل أوضح تأثير للهجرة على كيان الأسرة هو ذلك المتمثل بهجرة الأب (رب الأسرة) وتبدل وضع المرأة على المدى الطويل، وقد أبرزت الهجرة ظاهرة (تأنيث الأسرة) عندما تقوم الزوجة بإدارة الأسرة بصورة كاملة بما في ذلك تربية الأطفال في ظل عائلات وحيدة الوالد، في حين أن الوالد الآخر لا يعنونه زائراً.

وقد بينت الدراسات أن أثر الهجرة على مركز الزوجة يتوقف على طبيعة المرحلة العمرية للزوجة وتركيب الأسرة التي تعيش فيها، فهي إن انضمت إلى عائلة ممتدة بعد هجرة زوجها، فإن الهجرة تتضعف من مركزها في الأسرة وتتصبح قليلة الأثر في اتخاذ القرارات وإذا كانت قد قطعت شوطاً في حياتها الأسرية المستقلة وخاصة إذا كان من بين ابنتها عدد من الشباب الذكور فإن مقدرتها على الاستقلال بشؤونها وقناعة زوجها بهذا الاستقلال يزداد ويفسر قناعته تلك بارساله للتحويلات ومشاركتها إياه بالتفكير بأعماله ومخططاته الاستثمارية في بلده أثناء الهجرة أو بعد عودته منها.

٣) : أثر الهجرة في الوضع السكاني :

يتجلّى أثر الهجرة على الوضع السكاني من دول الارسال والاستقبال في إحداث آثار الفروقات في معدل الوفيات والبنية العمرية والتي تترافق بالحالات القصوى، فإن الانخفاض الذي تحققه دول الاستقبال في معدلات الوفيات يعود إلى أنها أصلًا يقل فيها معدل الأعمار ذات معدل الوفيات الكبير وهم الأطفال والمسنون، كما هو واضح في البنية السكانية لمجتمعات البحرين والكويت والإمارات المتحدة وقطر، بينما أن أكبر دول الارسال ذات معدل الوفيات الأعلى في كل الأعمار تكثر فيها الأعمار ذات معدل الوفيات الكبير وهم الأطفال والمسنون وذلك كما هو واضح في البنية السكانية لمجتمعاتالأردن وسوريا والميتن، حيث قد هاجرت إعداد كبيرة من فئات الأعمار النشطة (ذات معدل الوفيات الضعيف)، ولذلك يصبح معدل النمو الطبيعي (الفرق بين المعدلين) أقل من كل من المعدلين كل على حدة، حيث إن الفروقات في البنية العمرية تمارس دوراً تعديلياً.. فالمجتمعات التي تؤدي فيها أثار الهجرة على البنية العمرية والجنسية إلى خفض معدل المواليد هي أيضاً تلك التي تؤدي فيها هذه الآثار إلى خفض معدل الوفيات.

ولما كانت تيارات الهجرة بصورة عامة ذكرية أكثر منها انثوية وتقع خاصة في المرحلة العمرية النشطة اقتصادياً والقادرة على الانجاب في نفس الوقت، فإنه في حال تساوي الخصوبة فإن النساء اللواتي في سن الانجاب وقد بقين في دول الارسال يساهمن في المعدل الأعلى للمواليد في هذه الدول، وفي الجهة المقابلة يؤدي نقص النساء اللواتي في سن الانجاب إلى انخفاض المعدل الاجتمالي للمواليد.

(١٠) خاتمة :

إن المزاجة بين (الهجرة) و(الشباب) في عمل قائم على البحث والدرس أمر من المقيد أن يحدث، بعد ادراكنا بأن المزاجة بين (السكان) و(التنمية) أمر من الضرورة أن يقع في الدراسات القومية والوطنية من أجل التخطيط للتنمية الشاملة على المستويين القطري والقومي.

وتاتي أهمية تناول أثر الهجرة على دور الشباب في التنمية الشاملة لا من أهمية دور الشباب الفاعل والمتميز في التخطيط لبرامج التنمية وتنفيذها فحسب، بل من أهمية دور الهجرة في التنمية أيضاً هذا الدور الذي أخذ يتجلّى في كل ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعلى المستويين الفردي والمجتمعي.

وعندما تلتقي الامميات : أهمية الشباب كشريحة سكانية اجتماعية فاعلة وقدرة ونشطة تمثل المجتمع في مرحلتين من مراحل نموه وتطوره الأولى في تعليم أبنائه وتدريبهم وإعدادهم للحياة والثانية في دخولهم الحياة العملية ومشاركتهم بالحياة العامة ومساهمتهم بالانتاج والائد والاستثمار.. مع أهمية الهجرة كحركة اجتماعية اقتصادية تقوم على المشاركة بالعمل والخدمة والانتاج ومن ثم الخروج بالائد والاستثمار.

وإذا كانت الهجرة بين الأقطار العربية تمثل حركة تفاعل مستمر ومضطرب للتفاعلات الاقتصادية والاجتماعية بين السكان في مختلف أقطار وطننا العربي وتغير عن حقيقة وضرورة التوازن البشري العربي، لتشكل الهجرة وعاء بشرياً بنظام الأوانى المستطرقة تستجيب محتوياته لضرورات التنمية واحتياجاتها للموارد البشرية الفاعلة.. وعلى هذا الصعيد من الفهم يكن للشباب الدور المميز في الحاصل الجديد القائم على التفاعل المتعدد والمعبر عن حقائقين الأولى (الشباب) كخلية متفاعلة وكأداة للتنمية مثما هو هدفها باعتباره حاضر ومستقبل الأمة، والثانية (الشباب) كوحدة متكاملة متضامنة في عملها ونتاجها لحداثة تنمية عربية شاملة متكاملة في مختلف أقطار الوطن العربي ومتعددة في معطياتها بشكل يتناسب مع روح العصر وضرورة التقدم نحو الأفضل.

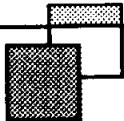
أما هذه المواجهة فإنها تتطلب الإعداد والتهيئة، وهذا الإعداد وهذه التهيئة لا تتم عبر التعليم العام فحسب، بل لابد أن تتعداه إلى التعليم المهني، ولا تتوقف عنده أيضاً، بل تتجاوزه إلى التعليم غير النظامي أصلاً وإلى التدريب المهني، إضافة إلى التثقيف والتوعية والتوجيه العام، وكلها وسائل إن أحسن استخدامها وصوّبت إلى أهدافها المرسومة لاشك أنها سوف تعطي الشباب القدرة على الهجرة للانخراط بالعمل المناسب، بالظروف المناسبة وبالائد المناسب، وتعطي الشباب البصيرة للعودة من الهجرة بالائد

المناسب وبالتفكير الاستثماري الرشيد، بشكل لا يقلب الهجرة إلى خد مصلحة الشاب المهاجر ولا يعكس أثارها إلى الوجه السلبي لها، وبذلك تشكل الهجرة عيناً على التنمية ويصبح الشاب المهاجر أو العائد من الهجرة إضافة صعبة إلى حجم العيوب السكاني الذي تعاني منه الأقطار العربية المتمثل بالفانوس البشري وضيق سوق العمل وتقشى البطالة، إضافة إلى الجنوح نحو الاستهلاك وعدم تقدير العمل والوقت والاستثمار، وهذه كلها من عيوب المسيرة الاقتصادية الاجتماعية في الأقطار العربية، التي تحتاج إلى مزيد من الجهد المخلص لمعالجتها حتى لا تبقى مخططات التنمية دائماً محتويات قديمة بلوانٍ جديدة بل بأفكار جديدة وقدرات متقدمة ونوايا سليمة.

مراجع

- 1 - Halliday - F:
Labour Migration in The Arab World : Merip Reports (The Middle East Research & Information Project)- N.Y.
1984P.P. 3-10.
- 2 - Bohdibah A.W.
Arab Migration, edi. Aliboni Robert - in Industrialization and Economic Integration - Croom Helm - London
P.P. 75-146
- 3 - Shah & Arnold:
The Non Economic Consequences of Asian Labour Migration to the Middle East : Inter-Migr. Conference ECWA
Nicosia 1981 P.43.
- 4 - نارس محمد أمين : توصيف تنقل الأيدي العاملة، من .٧٢٠ .
- 5 - التراجمة ليلى : سياسات واستخدام وانتقال الأيدي العاملة، من ١٩٧ .
- 6 - Heissel - D.:
Theories of International Migration, Int. Migr. Conference, ECWA, Nicosia 1981 P.P. 669-670.
- 7 - Peterson - W.:
Population : 2ed The Macmillan Company Collier - Macmillan Limited. P.298.
- 8 - Rosenthal - Glenda.
The Mediterranean Basin, Its Political Economy and changing International Relations, Butterworth Scientific 1982
P.66.
- 9 - Rosenthal - Op.cit P.69.
- 10 - شارغ - ذهليب : (ترجمة أبي صالح - جورج) : احتياجات اليد العاملة والدخل النقطي : دراسة ديمغرافية لهجرات العمل نحو بلدان الخليج العربي، مركز الدراسات والأبحاث - بيروت ١٩٨١ .
- 11 - Ibrahim - S.E. : Oil, Migration and the New Arab Social Order P.84.
- 12 - القصيري - احمد : تأثير الهجرة الخارجية على البنية الاجتماعية في الجمهورية العربية اليمنية، مجلة المستقبل العربي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٨٤/٧ .

بحوث ودراسات



جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجانح، دراسة قانونية، اجتماعية، إنسانية مقارنة بأحكام وإنسانية التشريع الجزائري الإسلامي

المحامي
أ.د. محمد رياض الخاني *

أولاً - مقدمة في تعريف الحدث الجانح وسن المساءلة الجزائية :

لستنا هنا في معرض الكلام عن حماية حق الشخصية للمحكوم عليه الحدث طبقاً للمبادئ والمعايير التي أخذت بها وتبنتها الأمم المتحدة.

كما لستنا في معرض الكلام عن أن قوانين الأحداث الجانحين العربية والأجنبية وإن كانت قد اهتمت نوعاً ما أو بعض الشيء بحق الشخصية للحدث الجانح في المراحل التي تسبق التنفيذ، فهي لم تبحث في حقه بالخصوصية أثناء التنفيذ، لعدة اعتبارات أهمها : خروج هذا الموضوع عن اهتماماتها كما يعتقد البعض خطأ.

* استاذ القانون الجنائي وطهي الاجرام وتنفيذ العقوبات في جامعتي دمشق والامارات العربية المتحدة - سابقًا.

وفي الحقيقة، فإن حق الحدث في الخصوصية أثناء التقىذ موجود في بعض قواعد الحد الأدنى لمعاملة السجناء، وكذلك في (قواعد بكين)^(١).

لذلك فقد وجدنا من المناسب الكلام عن ابرز حق من حقوق الحدث بصورة عامة، وحقه في الخصوصية والحفظ على حياته بصورة خاصة من خلال الكلام عن عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام والعقوبات القاسية فيه.

فهناك اجماع فيسائر التشريعات الجنائية المختلفة في العالم بعدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث مهما كانت الظروف أو الجريمة التي ارتكبها، حتى ولو كانت قوانين العقوبات في بعض الدول تنص على هذه العقوبة للكبار أصلًا.

وتحتفل الدول في بدء سن المساعدة الجنائية (الجنائية كما تسمى خطأ في بعض الدول)، إلا أنها مستقرة تقريرياً على اعتبار بدنها باتمام الحدث لسن السابعة من عمره حسب التقييم الميلادي.

كما أن تحديد هذه السن كبدء للمساعدة الجنائية قد يرد تارة في قوانين الأحداث الجانحين وتارة أخرى في قوانين العقوبات أو في القانونين معًا لدولة واحدة مثل ذلك:-

نص المادة الثانية من قانون الأحداث الجانحين السوري رقم (١٨) الصادر عام ١٩٧٤ القائل :- «لا يلحق جنائياً الحدث الذي لم يتم السابعة من عمره حين ارتكاب الفعل».

ونص المادة السادسة من قانون الأحداث الجانحين والمشردين في دولة الإمارات العربية المتحدة رقم (٩) الصادر عام ١٩٧٦ القائل :- «لانتقام الدعوى الجنائية على الحدث الجانح الذي لم يبلغ من العمر سبع سنين كاملة، ومع ذلك يجوز لجهات التحقيق والمحاكم أن تأمر في جميع الأحوال باتخاذ الإجراءات التربوية أو العلاجية المناسبة لحالة هذا الحدث إذا رأت ضرورة لذلك».

وقد ورد تحديد هذه السن أيضاً وعلى سبيل المثال في نص المادة (٦٢) من قانون العقوبات الجديد لدولة الإمارات العربية المتحدة رقم (٣) الصادر عام ١٩٨٧ حيث قالت :- «لانتقام الدعوى الجنائية (الجنائية) على من لم يكن وقت ارتكاب الجريمة قد اتم السابعة من عمره» الخ المادة^(٢).

وهناك تشريعات جنائية وعقابية عربية أخرى وغير عربية سارت في مساعتها للحدث الجانح باتجاهات مختلفة^(٣) منها :-

- نص الفقرة الأولى من المادة (٩) من قانون عقوبات إمارة أبوظبي الصادر عام

- ١٩٧٠ القائلة :- «يسنتى من المسئولية الجنائية (الجزائية) :-
- (أ) - كل طفل لم يكمل التاسعة من عمره.
- (ب) - كل طفل لم يكمل التاسعة أو تجاوزها ولكنه دون الرابعة عشرة إذا كان نموه العقلي متأخرًا بحيث يجعل تمييزه للأشياء وتقديره للنتائج كما لو كان دون التاسعة.
- نص الفقرة الأولى من المادة (١٠) من قانون عقوبات إمارة دبي الصادر عام ١٩٧٠ القائلة:- «يعفى من المسئولية الجزائية المترتبة على أي فعل أو ترك كل من لم يتم السابعة من عمره»^(٤).
- ويعفى أيضاً - حسب نص الفقرة الثانية من هذه المادة - من المسئولية الجزائية كل من لم يتم الثانية عشرة، إلا إذا ثبت أنه كان في مقدوره عند ارتكاب الفعل أو الترك أن يدرك أنه لا يجوز له أن ياتي ذلك الفعل أو الترك^(٥).
- نص المادة ١٠٤ من قانون عقوبات سلطنة عُمان رقم ٧٤/٧ الصادر عام ١٩٧٤ م القائلة :- «لا يلحق جزائياً من لم يكن عند ارتكابه الجريمة قد أتم التاسعة من عمره. إذا كانت سن المتهم (المدعى عليه) غير محققة، قدرها القاضي وتحسب السن في جميع الأحوال بالتقسيم الميلادي».
- وقد قالت المادة الخامسة من قانون الأحداث الكويتي رقم (٢) الصادر عام ١٩٨٣ أنه «لا يسأل جزائياً من لم يبلغ من العمر وقت ارتكاب الجريمة تمام السنة السابعة». والجدير بالذكر هنا أن تعريف الحدث وفقاً لقوانين الأحداث الجانحين يختلف عن تعريفه وفقاً للمفهومين الاجتماعي وال النفسي :
- فالحدث بالمفهومين الاجتماعي وال النفسي: (كما ذكر الدكتور أكرم نشأت إبراهيم في الصفحة الثانية من محاضرته القيمة عن «عوامل جنوح الأحداث والرعاية الوقائية والعلاجية لمواجهتها» التي استمعنا إليها بتاريخ ٥/١١/١٩٨٥م بقاعة محاضرات المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض)، هو :
- «الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه الاجتماعي والنفسي، وتكامل لديه عناصر الرشد المتمثلة في الإدراك التام، أي معرفة الإنسان لصفة وطبيعة عمله والقدرة على تكيف سلوكه وتصرفاته طبقاً لما يحيط به من ظروف ومتطلبات الواقع الاجتماعي».
- أما الحدث بالمفهوم القانوني: فهو حسب رأي الدكتور أكرم نشأت إبراهيم أيضاً هو «الصغير الذي بلغ السن التي حددها القانون للتمييز ولم يتجاوز السن التي حددها له لبلوغ الرشد»^(٦).

ونحن نشاطر الدكتور اكرم نشأت ابراهيم وغيره من العلماء والفقهاء رأيهم في أن الاختلاف في تحديد التشريعات الجزائية وغير الجزائية من تشريعات متعلقة بالقانون المدني وقانون الأحوال الشخصية وغيرها، لسن الحدث يرجع غالباً لعوامل طبيعية واجتماعية وثقافية، وأبرز هذه العوامل يمكن في مدى الاختلاف في درجة النمو وحصول البلوغ الجسدي بين دولة وأخرى تبعاً لظروف البيئة الطبيعية وخاصة البيئة المناخية.

- وقد استقل قانون الأحداث الكويتي بتعريف المنحرف فقالت الفقرة (ب) من المادة الأولى منه بأنه: «كل حدث أكمل السابعة من عمره ولم يبلغ الثامنة عشرة وارتكب فعلًا يعقوب عليه القانون».

ثانياً - سن الرشد

استقرت معظم التشريعات الجزائية العربية والأجنبية على أن سن الرشد تكتمل وتنتهي مرحلة الحادثة باتمام الحدث لسن الثامنة عشرة من عمره، (الفرق بين ذكر وأثنى)^(٧).

مثال ذلك :

- الفقرة الثالثة من المادة الأولى من قانون الأحداث الجانحين العراقي التي اعتبرت «الرشيد» من أتم الثامنة عشرة من عمره.

- الفقرة الأولى من المادة الأولى من قانون الأحداث الجانحين السوري.

- المادة الأولى من قانون الأحداث المصري الصادر عام ١٩٧٤.

- المادة الأولى من قانون الأحداث الجانحين والمشريين في دولة الإمارات العربية المتحدة القائلة : «بعد حدثاً... من لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره وقت ارتكابه الفعل محل المساعدة أو وجوده في إحدى حالات التشرد».

- المادة الأولى من قانون الأحداث الجانحين الكويتي.

والجدير بالذكر هنا هو أن المادة الأولى من المرسوم بقانون رقم (١٧) لعام ١٩٧٦ م بشأن الأحداث الجانحين في دولة البحرين قالت :-

«يقصد بالحدث... من لم يتجاوز سنه خمس عشرة سنة ميلادية كاملة وقت ارتكاب الجريمة، أو عند وجوده في إحدى حالات التعرض للانحراف».

وقد اعتبرت بعض التشريعات الجزائية الأجنبية سن الرشد، أو الراشد هو : «من أتم سن (٢١) سنة من عمره ذكرأً كان أم انثى».

وهذا شأن القانون السويدي والتشيلي، بينما جاءت قوانين دول أخرى مثل القانون البندي والباكستاني والسيريلانكي فخففت الحد الأقصى لسن الحدث وأوصلته إلى (١٦) سنة ميلادية.

والجدير بالذكر هنا هو أن المادة الأولى من «اتفاقية حقوق الطفل» التي اقرتها الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٠ قد عرفت الطفل في مادتها الأولى بأنه : «كل انسان لم يتجاوز الثامنة عشرة مالم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه».

وقد نشر مشروع هذه الاتفاقية في الصفحات ٧ - ١٧ من العدد (١٧) من مجلة «الطفولة العربية» الصادر بشهر كانون الثاني/يناير من عام ١٩٨٩ عن «الجمعية الكويتية لتقدير الطفولة العربية»^(٨).

وقد ألغى «اعلان حقوق الطفل Child Rights Declaration» الصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٥٩/١١/٢٠، والمألف من عشرة مبادئ أية اشارة صريحة أو ضمنية لتعريف الطفل أو سنه وعمره أو متى يبلغ سن الرشد. الأمر الذي تداركه المادة الأولى الواردة في اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩.

ولذا اراد القاريء الاطلاع على النص الحرفي العربي لاعلان حقوق الطفل لعام ١٩٥٩ فليبعد للصفحات ٢٠٥ - ٢٠٧ من النسخة العربية من مجموعة الصكوك الدولية لحقوق الإنسان، التي نشرتها الأمم المتحدة عام ١٩٨٣ لمروء (٣٥) سنة على صدور الاعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨.

ثالثاً - الحدث الجائع وعقوبة الاعدام فرضياً وتنفيذياً .

١ - في قوانين وأنظمة الأحداث الجانحين :

لاتفرض ولا تنفذ عقوبة الاعدام بالحدث الذي ما زال عمره أقل من سن الثامنة عشرة^(٩).

لذلك نجد أن بعض الدول العربية التي تعتبر الاعدام عقوبة ممكن فرضها على بعض الجرائم الواردة في قوانين عقوباتها العامة والاستثنائية أو الخاصة كقوانين العقوبات العسكرية مثلاً، تستثنى بنص صريح أما في قوانين عقوباتها هذه، أو في قوانين الأحداث الجانحين المستقلة الموجودة لديها، فرض أو تنفيذ عقوبات الاعدام أو عقوبات الأشغال الشاقة على الأحداث الجانحين أو المشردين.

فإذا ارتكب الحدث لديها جريمة معاقباً عليها بالاعدام ابدلت بهذه العقوبة عقوبة أخرى كالسجن أو تدبير اصلاحي آخر، مثال ذلك :-

نص الفقرة الأولى من المادة (٢٩) من قانون الأحداث الجانحين السوري المذكور سابقاً والقائل :- «إذا كانت جريمة الحدث الذي اتم الخامسة عشرة من عمره من

الجنائيات المستحقة عقوبة الاعدام يحبس مع التشغيل من ست سنوات إلى اثنين عشرة سنة».

ونص المادة (٩) من قانون الأحداث الجانحين في دولة الإمارات العربية المتحدة القائل : «لایحكم على الحدث بعقوبة الاعدام أو السجن أو العقوبات المالية». وكذلك نص الفقرة الأولى من المادة (١٤) من قانون الأحداث الكويتي القائلة «إذا ارتكب الحدث الذي أكمل الخامسة عشرة ولم يكمل الثامنة عشرة من عمره جنائية عقوبتها الاعدام أو الحبس المؤبد حكم القاضي عليه بالحبس مدة لا تزيد على عشر سنوات.

٢ - في قوانين العقوبات :

نصت بعض قوانين العقوبات العربية صراحة على عدم جواز تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث مثال ذلك :

- نص المادة (٧٩) من قانون العقوبات العراقي الصادر عام ١٩٦٩ القائلة :-
«لایحكم بالاعدام على من يكون وقت ارتكاب الجريمة قد أتم الثامنة عشرة من العمر ولم يتم العشرين سنة من عمره. ويحل السجن المؤبد محل عقوبة الاعدام في هذه الحالة».

- نص الفقرة الثانية من المادة (٤٤) من قانون عقوبات إمارة دبي القائل:-
«لایحكم بالاعدام على أي شخص يثبت أنه لم يتم الثامنة عشرة من عمره بتاريخ وقوع الجرم بل يحكم عليه بالاعتقال لمدة التي يأمر بها الحكم».

- نص المادة (٣٥) من قانون العقوبات القطري والقائل:- «لایجوز الحكم بعقوبة الاعدام على من تقدر المحكمة أنه لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره».

ونحن نعتقد بأن قانون العقوبات العراقي هو القانون العربي الوحيد الذي منع الحكم بعقوبة الاعدام على الحدث الذي لم يبلغ سن العشرين من عمره. بينما رأينا أن باقي القوانين العربية الأخرى تسمح بفرض وتنفيذ هذه العقوبة شريطة أن يكون المحكم عليه قد أتم الثامنة عشرة من عمره عند ارتكابه للجريمة المعقاب عليها بالاعدام.

ومن نافلة القول أن نذكر هنا بأن الدكتور مصباح محمد الخير يعتبر أن قانون الجزاء العثماني الذي كان مطبقاً في العديد من الدول العربية التي كانت تحت الحكم العثماني - والمأخوذ عن قانون العقوبات الفرنسي -، قد اختص الأحداث الجانحين بمادة مستقلة هي المادة (٤٠) والتي يمكن اعتبارها بحق الأساس في معاملتهم في تلك الدول.

فهي لاتؤخذ من كان عمره أقل من ١٢ سنة مهما ارتكب من جرائم لأنها اعتبرت فاقداً للتمييز.

أما من أتم الثالثة عشرة من عمره ولم يتم الخامسة عشرة وارتكب جريمة جنائية الوصف عقوبتها الاعدام، فيحبس إصلاحاً لنفسه من ٥ - ١٠ سنوات.

أما من كان حين ارتكابه لجريمة جنائية الوصف عقوبتها الاعدام قد أتم الخامسة عشرة ولم يتم الثامنة عشرة، فيحبس اصلاحاً لنفسه من سبع سنوات إلى خمس عشرة سنة.

وقد وردت أقوال الدكتور الخiero هذه في الصفحات ٢٠٧ - ٢٢٧ من موضوعه القيم «تخصيص وتكامل الأجهزة المعنية بالتعامل مع الأحداث الجانحين في الدول العربية الخليجية» المنشور ضمن المباحث الواردة في كتاب «رعاية الأحداث الجانحين بالدول العربية الخليجية» الصادر بالبحرين عام ١٩٨٤م.

والجدير بالذكر هنا أن الدكتور الخiero تكلم في الصفحات ٢١٣ - ٢١٥ من موضوعه المذكور تحت عنوان - فكرة تفريد المعاملة كأساس لتخصيص الأجهزة - عن عقوبة الاعدام التي كانت تنفذ بالأحداث الجانحين في بريطانيا في القرن الماضي وبخاصة الأطفال منهم، في الوقت الذي كان التشريع الجزائري الإسلامي وعازل متسلماً بروح الإنسانية في معاملتهم وتغريقها عن معاملة الكبار الراشدين من الجرميين الذين من الممكن تنفيذ عقوبة الاعدام بحقهم في حال انطباق شروطها عليهم فرضاً وتنفيذًا^(١٠).

رابعاً - جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجائع في الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، والإقليمية والערבية، والاسلامية * .

أ - الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في ١٢/١٠/١٩٤٨م.

لم يتضمن الاعلان العالمي لحقوق الإنسان Universal Declaration Of Human Rights, 1948-12-10 الذي أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ آلية اشارة لعقوبة الاعدام Death Penalty فرضاً أو تنفيذاً كعقوبة، أو لتنفيذها بشرىحة اجتماعية معينة كالنساء أو الأحداث الجانحين أو المسنين أو المجانين أو أسرى الحرب أو رعايا العدو والمدنيين، أو عدم تنفيذها فيهم.

وهناك من يفسر هذا السكوت بأنه مؤشر على اتجاه الأمم المتحدة منذ إنشائها أو تأسيسها نحو الغاء عقوبة الاعدام فرضاً وتنفيذًا^(١١).

* سنورد هذه الاتفاقيات والمعاهدات المتعلقة بهذا الموضوع استناداً لزمن صدورها وليس حسب صوريتها، أو خصوصيتها أو قوتها أو كثرة الأطراف المنضمة إليها، أو أي اعتبار آخر.

ب - اتفاقية جنيف الدولية الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين أثناء الحرب .

The Fourth Geneva Convention relative to the Protection of Civilian Persons in Time of War - 12 August 1949.

فقد نصت المادة (٦٨) من هذه الاتفاقية الموقعة في ١٩٤٩/٨/١٢ صراحة على عدم جواز الحكم بالاعدام على الاشخاص المحبين (من مدنيين أو اسرى حرب، أو على المرضى أو الجرحى) الذين لم يتموا سن الثامنة عشرة من عمرهم عند ارتكاب الجريمة.

كما نصت الفقرة الرابعة من المادة السادسة من البروتوكول الثاني الملحق بهذه الاتفاقية والصادرة عام ١٩٧٧ على عدم جواز فرض عقوبة الاعدام على الاشخاص الذين لم يكملوا سن الثامنة عشرة من عمرهم عند ارتكابهم للجريمة، كما يجب عدم تنفيذها على النساء الحوامل أو الأمهات اللواتي لهن أولاد صغار. وكما يقول البروفيسور د. شيلتون D. Shelton في الصفحة ٧٧٤ من موضوعه «تحريم تنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين طبقاً لقانون الدولي The Prohibition of Juvenile Executions In International Law» المنشور في الصفحات ٧٧٣ - ٧٧٥ من العدد ٣ و٤ من المجلة الدولية لقانون العقوبات Revue Internationale De Droit Penal ٥٨e, الصادر في عام ١٩٨٧ عن الجمعية الدولية لقانون العقوبات International Année Assocition of Penal Law, بأن عدد الدول التي انضمت لهذه الاتفاقية مع ملحوظها حتى ١٩٨٦/١/١ بلغ ١٦٢ دولة من دول العالم وهو أعلى رقم بالنسبة لآية اتفاقية دولية حتى الآن. كما ذكر البروفيسور شيلتون Shelton في نفس الصفحة ٧٧٤ بأن الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان عندما أرسل اتفاقية جنيف المذكورة إلى مجلس الشيوخ الأمريكي بغية المصادقة عليها ارفقاً برسالة قال فيها: «إن البروتوكول المرفق فيها يوضح صراحة أن قتل أي إنسان غير محارب خلال أو أثناء نزاع مسلح غير دولي يعتبر اعتداء على قوانين الحرب وجريمة ضد الإنسانية ويجب أن يعاقب كجريمة قتل»^(١٢).

ج - الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان

European Convention on Human Rights

الموقعة في روما بإيطاليا عام ١٩٥٠ والتي دخلت التنفيذ عام ١٩٥٣ . إن هذه الاتفاقية وإن كانت قد ذكرت في الفقرة الأولى من المادة الثانية منها عدم جواز قتل أي إنسان عمداً إلا تنفيذاً لحكم بالاعدام، فهي لم تذكر لامن بعيد ولا من

قريب جواز أو عدم جواز تنفيذ الاعدام بالحدث الجائع وذلك لعدة أسباب حسب رأينا
هي:

- عدم تضمن أكثر قوانين العقوبات الأوروبية لنصوص خاصة تبيح عقوبة الاعدام نتيجة الغائطها صراحة في دساتير أكثر الدول الأوروبية مثل إيطاليا.
- لأن بعض محاكم الدول الأوروبية لم تفرضها ولم تنفذها منذ زمن بعيد مثل بلجيكا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن البروتوكول السادس من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان المؤرخ في ٢٨/٤/١٩٨٣، قد دعا صراحة الدول الأوروبية إلى الغاء عقوبة الاعدام في زمن السلم والبقاء عليها في حالة الحرب أو خطر وقوع الحرب^(١٢).

وننصح القارئ إذا أراد التعمق في عقوبة الاعدام العودة للصفحتين ١٦٥ - ١٩٠
والصفحة ٣٠٥ من كتاب «معاملة السجناء» طبقاً للقانون الدولي "The Treatment of Prisoners Under International Law" للدكتور نيفيل روديلي Nigol Rodley المطبوع في إنكلترا عام ١٩٨٧ من قبل Clarendon Press - Oxford .

د - «الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية International Covenant on Civil and Political Rights»

المعقدة في نيويورك بتاريخ ١٦/١٢/١٩٦٦ والتي دخلت حيز التنفيذ بتاريخ ٢٣/٣/١٩٧٩.

اقررت الفقرة الخامسة من المادة السادسة من هذه الاتفاقية بصورة صريحة وواضحة عدم جواز فرض عقوبة الاعدام على النسوة الحوامل^(١٤) وأيضاً على الأحداث الجانحين الذين تقل سنهم عن الثامنة عشرة عند ارتكابهم للجريمة^(١٥) "Sentence of death shall not be imposed for crimes committed by persons below eighteen years of age and shall not be carried out on pregnant women".

هـ - «الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان American Convention on Human Rights».

الموقعة بتاريخ ٢٢/١١/١٩٦٩ في دولة كوستاريكا بأمريكا الجنوبية.
اقررت الفقرة الخامسة من المادة الرابعة من هذه الاتفاقية بصورة صريحة وواضحة عدم جواز تنفيذ حكم الاعدام في الحدث الجائع.
و - الإعلان الدولي لحماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة.

International Declaration for Protection of Women and Children in Emergency and Armed Conflict.

ال الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٤/١٢/١٩٧٤ .

توضي هذا الإعلان فيما ترخاه ضرورة توفير حماية خاصة للنساء والأطفال من بين السكان المدنيين في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة وتجنيبهم ويلات الحرب والاعتداء عليهم وقصفهم بالقذائف أو استعمال الأسلحة الكيميائية والبكتériولوجية ضدهم، واتخاذ جميع الخطوات الضرورية لضمان حظر اتخاذ تدابير كالاضطهاد والتعذيب والتآديب والمعاملة المهينة والعنف، لأنهم كما قال الإعلان أقل أفراد المجتمع مناعة ولأنهم أيضاً عزل من وسائل الدفاع عن النفس.

وقد اعتبرت المادة الخامسة من هذا الإعلان - المؤلف أصلأً من ست مواد - « عملاً إجرامية » جميع أشكال القمع والمعاملة القاسية واللامسانية للنساء والأطفال، بما في ذلك الحبس والتعذيب والاعدام رمياً بالرصاص^(١) والاعتقال بالجملة والعقاب الجماعي وتدمير المساكن والطرد قسراً، التي يرتكبها المحتاربون أثناء العمليات العسكرية أو في الأقاليم المحتلة.

كما نصت المادة السادسة والأخيرة منه على أنه :

« لا يجوز حرمان النساء والأطفال، من بين السكان المدنيين الذين يجبرون أنفسهم في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة أثناء الكفاح في سبيل السلم وتقدير المصير والتحرر القومي والاستقلال أو الذين يعيشون في أقاليم محتلة، من الماء أو الغذاء أو المعونة الطبية أو غير ذلك من الحقوق الثابتة، وفقاً لأحكام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإعلان حقوق الطفل، وغير ذلك من مبادئ القانون الدولي ».

ومن المؤسف القول إن هذا الإعلان ولد ميتاً من جهة، وهو من جهة أخرى لايزال حبراً على ورق لافتقاره كسائر الإعلانات والصكوك الدولية التي أصدرتها وتصدرها الأمم المتحدة واجهزتها المتخصصة يومياً، إلى المؤيد الجزائري ضد الدول التي ماتزال تنتهك أحكامه ونواهيه كل يوم بل كل دقيقة آناء الليل وأطراف النهار.

فكم من الجرائم التي ارتكبتها وترتكبها إسرائيل في كل دقيقة ضد الأبرياء والنساء من حوامل وغير حوامل وأطفال ومسنين ومدنيين عموماً في الأراضي المحتلة وجنوبي لبنان وغير لبنان.

وكم من الاعدامات الجماعية وغير الجماعية رميأ بالرصاص والأسلحة الكيماوية وغير الكيماوية تنفذها اسرائيل كل دقيقة على مدار اليوم ضد السكان الآمنين من مختلف الشرائح الاجتماعية وخاصة النساء والأطفال مخالفة بذلك ابسط مفاهيم حقوق الانسان ومانصت عليه المادة الخامسة من الاعلان المذكور بالصفحة السابقة.

فضلاً عن أن اعمالها البربرية هذه تشكل جرائم إبادة الجنس البشري Genocide الواردة في الاتفاقية الدولية المتعلقة بمنع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها Convention on the prevention and punishment of the crime of genocide^(١٧) الصادرة عن الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٤٨/١٢/٩ وأصبحت سارية المفعول اعتباراً من ١٩٥١/١/١٢ علماً بأن عدداً من الدول العربية قد انضم إليها^(١٨).

ز - «الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب

African Charter on Human and Peoples' Rights".

الذي صدر بتاريخ ١٩٨١/٦/٢٦ في مدينة نيروبي عاصمة كينيا عن مؤتمر القمة الأفريقي .

لم يأت هذا الميثاق - حسب علمنا - على ذكر لعقوبة الاعدام بصورة عامة، كما لم يأت على ذكر جواز أو عدم جواز فرضها أو تنفيذها بحق النساء الحوامل أو المرضعات، أو بحق الأحداث الجانحين، أو المسنين، أو المجانين.

ونحن نعتقد بأن المادة الرابعة من هذا الميثاق القائلة : «لايجوز انتهاك حرمة الانسان ومن حقه احترام حياته وسلامة شخصيته البدنية والمعنوية، ولايجوز حرمانه من هذا الحق تعسفاً، تدل بصورة غير مباشرة على أن هذا الميثاق قد اراد التاكيد على عدم جواز فرض عقوبة الاعدام أصلأ».

ومن أراد الاطلاع على النص الحرفي لهذا الميثاق فليعد للصفحات ٣٢٢ - ٣٤٠ من المجلد رقم ٤١ من المجلة المصرية للقانون الدولي الصادرة بالقاهرة عام ١٩٨٥.

ح - الاعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام.

Universal Declaration of Islamic Human Rights".

لم يتضمن هذا الاعلان أي نص يشير إلى عقوبة الاعدام بصورة عامة، أو إلى جواز أو عدم جواز تنفيذها بشرائح اجتماعية معينة كالحوامل أو المرضعات أو الأحداث الجانحين أو المسنين والمعومنين.

وقد اكتفت المادة الأولى منه بالقول «حياة الإنسان مقدسة... لايجوز لأحد أن يعتدي

عليها، ولا تسليب هذه القدسية إلا بسلطان الشريعة والإجراءات التي تقرها^(١٩) ونعتقد بأن إحالة هذه المادة إلى الشريعة والإجراءات التي تقرها في سلب قدسية حق الحياة، يُخضع فرضًّا وتنفيذًّا عقوبة الاعدام بالحدث إلى ما أقرته الشريعة الإسلامية المطهرة.

فالشريعة الإسلامية منذ ولادتها خاطبت الإنسان العاقل المدرك فقط، واشترطت لمساعتها جزائياً (أو جنائياً كما يقال في بعض الدول العربية) ارتكابه الفعل الجرمي بكامل وعيه وارادته (أو بكمال ادراكه واختياره).

فالقرآن الكريم باكثর من آية كريمة خاطب أصحاب العقول بقوله : «يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ» أو «أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟» وكذلك جاء في الآية ٢٢٢ من سورة البقرة «وَالوَالِدَاتِ يَرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ...» «لَا تَكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وَسُعْدَاهُ...»، إلى آخر الآية.

وهذه الآيات وغيرها دليل واضح على أن القرآن الكريم استثنى المجانين والمعتوهين والقاصرين عقلياً وهم من لم يبلغوا سن الرشد أو بلغوه دون أن تكمل ملకاتهم العقلية لسبب أو لآخر.

وقد جاء الرسول عليه الصلة والسلام وقال باكثر من مناسبة «رفع القلم عن ثلاثة: الصبي حتى يحتمل، والنائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفique».

وهذا الحديث دليل آخر على استثناء ثالث شرائح من المسؤولية وهم: الصبي، والنائم، والمجنون.

وكما يقول الدكتور عبد القادر عوده في الصفحة ٩٩ من الجزء الأول من كتابه القيم «التشريع الجنائي الإسلامي - مقارناً بالقانون الوضعي» - المطبوع في دار التراث دون الاشارة إلى زمن صدوره.

«فإن الشريعة الإسلامية تعتبر أول شريعة في العالم ميزت بين الصغار والكبار من حيث المسؤولية الجنائية (الجنائية) تمييزاً كاملاً، وأول شريعة وضعـت لمسؤولية الصغار قواعد لم تتطور وتتغير من يوم أن وضـعت ولكنها بالرغم من مضـي ثلاثة عشر قرناً عليها تعتبر أحد القواعد التي تقوم عليها مسـؤولية الصغار في عصـرنا الحاضـر».

وقد تابـع المرحوم الدكتور عودـه كلامـه قائلاً :

«ولقد بدأـت القوانـين الوضـعـية تأخذ ببعـض المـبـادـىـاتـ التي وضعـتها الشـريـعـة لـمـسـؤـلـيـة الصـغارـ بعد الثـورـة الفـرنـسيـةـ، ثم أخذـت تـتطـورـ باـسـتـمرـارـ بـتـائـيرـ تـقـدمـ العـلـمـ الطـبـيـةـ وـالـنـفـسـيـةـ، وـلـكـنـ القـوـانـينـ الـوضـعـيـةـ بـالـرـغـمـ مـنـ تـطـورـهـاـ تـطـورـاـ عـظـيـماـ لـمـ تـأتـ بـجـدـيدـ لـمـ تـعـرـفـ الشـريـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ».

ولا نستطيع أن نتصور فضل الشريعة الإسلامية إلا إذا عرفنا ما كانت عليه حالة الصغار في القوانين القديمة التي كانت تعاصر الشريعة عند نزولها. وأهم هذه القوانين القديمة هو القانون الروماني أساس القوانين الأوروبية الحديثة. فهذا القانون كان بحق أرقى القوانين الوضعية كافة، ولكنه لم يميز بين مسؤولية الصغار والكبار إلا إلى حد محدود. فقد كان يميز بين الطفل في سن السابعة وما بعدها ويجعل الصغير مسؤولاً جنائياً (جزانياً) إذا زاد سنه عن سبع سنين، ولا يجعله مسؤولاً إذا قل سنه عن سبع سنوات إلا إذا كان قد ارتكب الجريمة بنية الإضرار بالغير، ففي هذه الحالة يكون مسؤولاً جنائياً (جزانياً) عن عمله، وشتان بين هذا وبين ماجاء ت به الشريعة الإسلامية.

ونستطيع القول هنا بأن الشريعة الإسلامية الغراء ارست قواعد المسؤولية الجنائية على أساس تدرج الإنسان في تكوين الإرادة أو تدرج تكوين الإرادة عنده.

«ففي الوقت الذي ينعدم فيه الإدراك تتعدم المسؤولية الجنائية، وفي الوقت الذي يمكن فيه الإدراك ضعيفاً تكون المسؤولية تأديبية لا جنائية، وفي الوقت الذي يتكامل فيه الإدراك يكون الإنسان مسؤولاً جنائياً (جنانياً)»^(٢٠).

وقد قسم فقهاء الشريعة الإسلامية المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته منذ ولادته إلى إلى ثلاثة مراحل هي:

- المرحلة الأولى : وهي مرحلة انعدام الإدراك.

وتبدأ بولادة الإنسان وتنتهي ببلوغه سن السابعة ويسمى الإنسان فيها بالصبي غير المميز لانعدام الإدراك لديه.

وكما يقول المرحوم الدكتور عوده في الصفحة ٦٠١ من كتابه المذكور سابقاً «ويعتبر الصبي غير مميز مادام لم يبلغ سنه سبع سنوات ولو كان أكثر تمييزاً من بلغ هذه السن، لأن الحكم للغالب وليس للأفراد، وحكم الغالب أن التمييز يعتبر منعدماً مقابل بلوغ سن السابعة، فإذا ارتكب الصغير آية جريمة قبل بلوغه السابعة فلا يعاقب عليها جنائياً (جزانياً) ولا تأديبياً، فهو لا يُحُدّ إذا ارتكب جريمة توجب الحد ولا يقتصر منه إذا قتل غيره أو جرمه ولا يُعَزَّز».

ولكن اعفاء من المسؤولية الجنائية لايعفيه من المسؤولية المدنية، عن كل جريمة يرتكبها، فهو مسؤول في ماله الخاص عن تعويض أي ضرر يصيب به غيره في ماله أو نفسه، ولايرفع عنه انعدام التمييز المسؤولية المدنية كما يرفع المسؤولية الجنائية.

- المرحلة الثانية : وهي مرحلة الإدراك الضعيف.

وتبدأ ببلوغ الصبي السابعة من عمره وتنتهي بالبلوغ ويحدد عامه الفقهاء سن البلوغ بخمسة عشر عاماً، فإذا بلغ الصبي هذه السن اعتبر بالغاً حكماً ولو كان لم يبلغ فعلاً^(٢١)، بينما حده أبوحنيفه شخصياً بثمانية عشر عاماً.

ويسمى الإنسان في هذه المرحلة بالصبي المميز.

وهو لا يسأل (حسب رأي الدكتور عوده في الصفحة ٦٠٢ من مرجعه السابق) عن جرائمه مسؤولية جنائية (جنائية)، فهو لا يحيد إذا سرق أو زنا مثلاً، ولا يقتصر منه إذا قتل أو جرح، وإنما يسأل مسؤوليه تأديبيه فيقذب على ما يأتيه من الجرائم، والتأديب وإن كان في ذاته عقوبة على الجريمة إلا أنه عقوبة تأديبية لا جنائية خالصة متروكة لولي الأمر كالتوبيخ والضرب مثلاً.

ويترتب على اعتبار العقوبة تأديبياً أن لا يعتبر الصبي عائدأً (مكرراً Recidivist) مهما تكرر تأديبيه، وأن لا يقع عليه من عقوبات التعزير إلا ما يعتبر تأديبياً كالتوبيخ والضرب^(٢٢).

ويسائل الصبي المميز مدنياً عن أفعاله ولو أنه لا يعاقب عليها بعقوبة جنائية فهو مسؤول في ماله الخاص عن تعويض أي ضرر يصيب به غيره في ماله أو نفسه.

- المرحلة الثالثة : وهي مرحلة الإدراك التام.

وتبدأ ببلوغ الصبي سن الرشد، ويسمى الإنسان فيها بالبالغ والراشد.

وفي هذه المرحلة يكون الإنسان مسؤولاً جنائياً عن جرائمه أياً كان نوعها فيحيد إذا زنا أو سرق، ويقتصر منه إذا قتل أو جرح، ويعذر بكل أنواع التعازير.

ونحن مع رأي المرحوم الدكتور عوده في الصفحة ٦٠٦ من كتابه «التشريع الجنائي الإسلامي» - المرجع السابق - حيث قال :

«ويتبين مما سبق أن القواعد التي وضعتها الشريعة الإسلامية لمسؤولية الأحداث من ثلاثة عشر قرناً هي نفس القواعد التي تقوم عليها مسؤولية الأحداث في القوانين الوضعية الحديثة، كما يتبيّن أن في قواعد الشريعة من المرونة ما يؤهلها لأن تسقى كل القوانين، وما يساعدها على الأخذ بكل ما ظهرت التجارب أو العلم من وسائل الاصلاح والتهدیب المفيدة للأحداث بصفة خاصة والجماعة بصفة عامة».

ط - «مشروع الميثاق العربي لحقوق الإنسان».

اهتم مشروع الميثاق العربي لحقوق الإنسان الذي عرض على الدورة الأولى لمجلس

وزراء العدل العرب المنعقد بالرياض مابين ٤ - ٦ نيسان/أبريل من عام ١٩٨٣، بعقوبة الاعدام.

فنصت المادة (٢٥) منه على أن لا تكون عقوبة الاعدام إلا في الجنيات البالغة الخطورة. ولكل محكوم عليه بالاعدام الحق في طلب العفو أو تخفيض العقوبة. كما نصت المادة (٣٦) منه على أنه لايجوز في جميع الأحوال الحكم بعقوبة الاعدام في جريمة سياسية.

أما المادة (٣٧) منه فقد قالت بأنه لايجوز تنفيذ حكم الاعدام فيمن يقل عمره عن ثمانية عشر عاماً، أو في امرأة حامل حتى تضع حملها أو على أم مرضع إلا بعد انقضاء عامين على تاريخ الولادة.

وتعتبر المادة (٣٧) من هذا المشروع منسجمة انسجاماً تاماً مع أحكام الشريعة الإسلامية التي اقرت عقوبة الاعدام بصورة عامة، واشترطت لتنفيذها عدم كون المحكوم عليه حدثاً يقل عمره عن ١٨ سنة عند وقوع الفعل.

ي - ميثاق حقوق الطفل العربي .

أقر مؤتمر وزراء الشؤون الاجتماعية والعمل المنعقد في تونس بشهر كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٨٤ مالسمي فيما بعد بميثاق حقوق الطفل العربي، وهو مؤلف من (٥١) مادة.

وقد تكلم هذا الميثاق على ضرورة رعاية الطفل وحقوقه المختلفة ومنها حقه في الاسم، والجنسية، والرعاية الصحية والنفسية والبدنية والتعليمية والتهذيبية، وأيضاً بحقه في حياة كريمة وحمايته من الاستغلال والتشريد. اضافة لحقوق ومواضيع أخرى تخرج الآن عن نطاق بحثنا الأصلي.

إلا أن هذا الميثاق أغفل - حسب رأينا - النص صراحة على تعريف الطفل بصورة عامة أو من هو الطفل المقصود بهذا الميثاق؟ وتحديد سن القانونية بصورة خاصة، رغم ايراده لنص عائم بتحديد عمر الطفل من يوم مولده إلى بلوغه سن الخامسة عشرة من عمره.

كما أغفل هذا الميثاق الاشارة إلى أي نص يحرم تنفيذ عقوبة الاعدام أو بقية العقوبات المؤيدة وحتى المؤقتة أو التي تهدف إلى إيلامه والاعتداء على كرامته أو الحط منها.

وكذلك فقد أغفل هذا الميثاق ما يشير إلى ضرورة الحفاظ على حق الحديث باحترام خصوصياته Right to privacy وعدم الاعتداء عليها^(٣٢).

وهناك من يقول بأن المادة (٣٩) من هذا الميثاق التي تكلمت عن ضرورة إيجاد التشريعات المختلفة التي تضمن حقوق الطفل وتصون حرمتها وتحميها، ستتضمن تحديداً لعمر الطفل موضع الحماية بعد أن تأتي على تعريفه.

ونحن وإن كنا نؤيد هؤلاء الأشخاص فيما ذهبوا إليه في تفسير المادة (٣٩) المذكورة، لنرجو بادئ ذي بدء أن يصار لتعديل هذا الميثاق باضافة مادة أصلية له تحدد عمر الطفل الذي يستقيد منه وما جاء به من أحكام وضمانات، وإلى أي مدى؟ بحيث يستقيد منه ومن ضماناته الطفل الذي لم يجاوز سن الواحد والعشرين ربيعاً أو أكثر.

كما نرجو أن يصار إلى النص صراحة وبمادة مستقلة على عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالطفل الذي ارتكب جريمة عقوبتها الاعدام في قوانين وتشريعات بلاده إذا كانت سنه وقت ارتكابها أو عند تنفيذ العقوبة به يقل عن (٢١) سنة ميلادية. وكذلك أن يصار إلى النص صراحة وبمادة مستقلة على عدم جواز فرض أو تنفيذ العقوبات الشاقة أو المديدة بالطفل المحكم عليه سواء أكانت هذه العقوبات مؤبدة أو مؤقتة.

دون أن ننسى أيضاً وجوب النص صراحة على عدم الحكم على الطفل بعقوبات إلإنسانية أو حاطة بالكرامة والشرف^(٤).

ومن ونافلة القول أن نذكر بأن الدول العربية مجتمعة ومنفردة باتت الآن مجبرة على إعادة النظر بالمبادئ، والأهداف، والمتطلبات والوسائل، والأحكام العامة وما تضمنه ميثاق حقوق الطفل العربي موضوع بحثنا هنا من حقوق والتزامات تجاه الطفل، خاصة بعد تبني الأمم المتحدة في أواخر شهر كانون الأول / ديسمبر من عام ١٩٨٩م للاتفاقية الدولية لحقوق الطفل بصورة عامة. والتي سنتكلم عنها في صفحة لاحقة من هذا الموضوع. لأن هذه الاتفاقية الدولية ضمنت للطفل عدداً من الحقوق والضمانات وتجنبه كثيراً من الاعتداءات.

ك - قواعد الأمم المتحدة الدنيا النموذجية لإدارة شؤون قضاء الأحداث المسماة بقواعد بكين The Beijing's Rules

إن «قواعد بكين Beijing's Rules الخاصة بالعدالة الجزائية للأحداث الجانحين» أو

ما يمكن تسميته «قواعد الأمم المتحدة الدنيا الفموذجية» لإدارة شؤون قضايا الأحداث التي أقرها اجتماع الخبراء الإقليمي المعنى بالشباب والجريمة والعدالة، المعقود في بكين بالصين في الفترة من ١٤ - ١٨/٥/١٩٨٤، وتبناها المؤتمر السابع للأمم المتحدة المتعلق بالواقية من الجريمة ومعاملة المتنبئ المتعدد في مدينة ميلانو بإيطاليا بتوالى صيف عام ١٩٨٥ - والذي كان لنا شرف حضوره - واعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها (الأربعين) عامي ١٩٨٥ - ١٩٨٦.

تبنته لوضع الأحداث الجانحين بصورة عامة، وضرورة العناية بهم وبأوضاعهم بصورة خاصة.

فنصت الفقرة الثانية من القاعدة (١٧) على أنه : «لا يحكم بعقوبة الإعدام على آية جريمة يرتكبها الأحداث^(٢٥).

وأملنا أن تبني جميع دول العالم لقواعد بيكون، وتدخلها في صلب تشريعاتها الجزائية وغير الجزائية لما فيه من مصلحة للأحداث عموماً، والجانحين منهم بصورة خاصة، وللمجتمع بصورة أخص، كما نأمل بأن تلتزم الدول التي مازالت تنفذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين بما جاء بالفقرة الثانية من القاعدة ١٧ المذكورة.

ل - مشروع ميثاق حقوق الإنسان والشعب في الوطن العربي.

نصلت الفقرة الثانية من المادة «مشروع ميثاق حقوق الإنسان والشعب في في الوطن العربي»، الذي صدر أثر الاجتماع المنعقد مابين ٥ - ١٢ كانون الأول / ديسمبر من عام ١٩٨٦ في المعهد الدولي للدراسات العليا في العلوم الجنائية (الجزائية) في سيراكوزا بإيطاليا على عدم جواز توقيع عقوبة الاعدام إلا على أشد الجرائم خطورة.

ولم تجز الإعدام في الجرائم السياسية مالم تقترب بجنائية قتل أو الشروع فيه.

وقد اغفلت المادة الثانية هذه كلها ذكر أي شيء بخصوص تنفيذ أو عدم تنفيذ عقوبة الاعدام بحق الأحداث الجانحين الذين تقل أعمارهم عن الـ ١٨ أو الـ ٢٠ سنة ميلادية، وكذلك بالنسبة للمرأة الحامل والمسن والمجنون.

وهي أمور جوهرية لا يجوز السكوت عنها أو إغفالها، خاصة وأن سائر التشريعات الجزائية العربية مختلفة فيها أو بشأنها بشكل واضح كما رأينا سابقاً وكما سنرى في صفحات لاحقة من هذا الموضوع.

وقد نصلت الفقرة الثالثة من المادة الثانية من هذا المشروع على أنه:

«لا يصدر الحكم بالاعدام إلا من محكمة قضائية وللمحكوم عليه حق الطعن أمام جهة قضائية أعلى، وله حق طلب العفو أو طلب ابدال العقوبة»^(٢٦).

م - الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل Child's Rights لعام ١٩٨٩ .

ذكرنا في صفحة سابقة أن اعلن حقوق الطفل الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٥٩ والمتألف من عشرة مبادئ قد أغفل الإشارة صراحة أو ضمناً لאי نص يتعلق بتعريف الطفل أو سنه أو عمره أو متى يبلغ سن الرشد، الأمر التي تداركته الآن المادة الأولى من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل التي اقرتها الأمم المتحدة بالشهر الحادي عشر من عام ١٩٨٩ .

والآن نقول بأن اعلن حقوق الطفل لعام ١٩٥٩ قد جاء خالياً ولم يتضمن أية اشارة صريحة أو ضمنية تتعلق بتحريم توقيع أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجانح. الأمر التي تداركته الفقرة (أ) من المادة (٢٧) من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل الحديثة لعام ١٩٨٩ .

فقد نصت الفقرة الأولى من المادة ٢٧ هذه على ما يلي :

تكلف الدول الأطراف:

١ - ألا يعرض أي طفل للتعذيب أو لغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللإنسانية أو المهنية.

ولا تفرض عقوبة الاعدام والسجن مدى الحياة بسبب جرائم يرتكبها أشخاص تقل أعمارهم عن ثمانية عشرة سنة دون وجود امكانية للأفراج عنهم. وسنعرف بمناسبة لاحقة - كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً - على القيام بدراسة مقارنة عن الفروق القائمة بين إعلان حقوق الطفل لعام ١٩٥٩ وبين الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل لعام ١٩٨٩ .

خامساً - جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين والمؤتمرات الدولية.

١ - في المؤتمرات الدولية للأمم المتحدة :

أثارت عقوبات الاعدام التي فرضت أو نفذت مؤخراً بحق عدد من الأحداث الجانحين ذكراً وانثاً وخاصة في بعض الولايات في أمريكا موجة استياء عارمة. إما لأن المحكم عليه بالاعدام كان حدثاً عندما ارتكب جريمتها، أو لأن الذي نفذت به أو المراد تنفيذها به كان أو مايزال عمره أقل من ١٨ سنة ميلادية.

الأمر الذي دفع الأمم المتحدة للاهتمام بالموضوع من خلال النص على «تحريم الحكم بعقوبة الاعدام على أية جريمة يرتكبها الأحداث.

و هذا التحرير أصبح قاعدة أمراً ولزماً و ردت حرفياً ضمن قواعد بيكين's Beijing Rules الدنيا النموذجية لادارة شؤون قضايا الأحداث، وأوصى بها مؤتمر الأمم المتحدة السابع للوقاية من الجريمة ومعاملة المتنبين، الذي انعقد في مدينة ميلانو بإيطاليا بواخر صيف عام ١٩٨٥ - وكان لنا شرف حضوره ممثلاً عن المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض.

وقد أشرنا لقواعد بيكين في مناسبات كثيرة من هذا الموضوع. كما أنشأنا أوربناها حرفياً في الصفحات ١٧١ - ١٩١ من كتابنا «جنوح الأحداث في دولة الإمارات العربية المتحدة - أسبابه وطرق علاجه» (المراجع السابق).

وأملنا أن تبني جميع الدول لقواعد بيكين المتعلقة بالأحداث الجانحين وتدخلها في تشريعاتها الجزائية وغير الجزائية المختلفة، وأن تلتزم الدول التي ماتزال تنفذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين بما جاء في الفقرة الثانية من القاعدة ١٧ القائلة: «لايحكم بعقوبة الاعدام على أية جريمة يرتكبها الأحداث.

٢ - في المؤتمرات الدولية الأخرى :

وطلي صعيد آخر فقد أثير موضوع تعرض الأحداث الجانحين لعقوبة الاعدام في المؤتمر الدولي الذي انعقد في مدينة سيراكوزا بإيطاليا في الفترة ما بين ١٧ - ٢٢/٥/١٩٨٧م وفي رحاب «المعهد الدولي للدراسات العليا الجنائية (الجنائية) في مدينة سيراكوزا Siracusa لمناقشة عقوبة الاعدام.

و رغم أن هذا المؤتمر الدولي لم يصل لصياغة توصيات عامة بالنسبة للبقاء على عقوبة الاعدام أو الغائتها بالنسبة للمجرمين الكبار، كما يقول الدكتور محمد ابراهيم زيد في تقريره العلمي عنه والمنشور بالصفحات ١٥٧ - ١٦٤ من العدد الخامس من «المجلة العربية للدراسات الأمنية» الصادرة عن «المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض» بشهر ربيع الثاني من عام ١٤٠٨هـ الموافق لشهري تشرين الثاني وكانون الأول من عام ١٩٨٧م.

فقد قدمت في هذا المؤتمر ورقة بخصوص الأحداث الجانحين :

- الأولى : قدمها البروفسور أتيينهوف Ottenhof بعنوان «عقوبة الاعدام والأحداث

La Pine De Mort Et Les Mineurs

وقد نشرت كلمته فيما بعد بالصفحات ٧٦٧ - ٧٧٢ من العددين ٢ و ٤ من المجلة الدولية لقانون العقوبات Revue International De Droit Penal الصادرة عام ١٩٨٧.

فبعد أن أشار البروفسور أتيينهوف إلى أن (٣٥) شخصاً حكموا بالاعدام في

أمريكا من الأحداث الجانحين، ١٤ بالمائة منهم لم يكملوا سن الخامسة عشرة من عمرهم. قال بأن احصاءات عقوبات الاعدام التي تنفذ الان فيسائر أنحاء العالم على الصغار الذين لم يتموا سن الـ ١٨ عند تنفيذها بهم تعوزها الدقة، بحيث يمكن ادخالها احصائيًّا مع الأرقام السوداء، Chiffre noir أو Black numbers.

وقد اقترح البروفسور اوتينهوف في ختام موضوعه عدًّا من الاقتراحات أهمها :

- تدريس ماسماه بعلم اجرام الصغار La criminologie Juvenile.
- تحديد سن الرشد الجزائي بين الدول، لأن اختلاف الأنظمة القانونية بين أوروبا والعديد من الدول يعتبر مشكلة معقدة.
- تبني قانون خاص بالأحداث الجانحين Droit Penal des mineurs.
- إيجاد قواعد اجرائية (أصولية) خاصة بالأحداث.

L'existence de règles de forme spécialment adaptées au procès fait au mineur.

- الفصل بين تحقيقات ومحاكمات الكبار والصغار في القضية الواحدة.
 - التأكيد على إيجاد قضاة متخصصين بمعالجة قضايا الأحداث الجانحين.
- Specialisation des magistrats.

- التأكيد على القواعد الدولية المتعلقة بالرقابة القضائية.

De'velopper les normes internationales le contrôle juridictionnel.

وخلص البروفسور اوتينهوف Ottenhof في نهاية الصفحة ٧٧٢ من موضوعه المذكور للمطالبة بالغاء فرض وتنفيذ عقوبة الاعدام بحق الأحداث الجانحين.

- الثانية : قدمها البروفسور شيلتون Shelton بعنوان «منع أو تحريم تنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين طبقاً للقانون الدولي The Prohibition of Juvenile Execution In International Law»، ونشرت فيما بعد بالصفحتين ٧٧٣ - ٧٧٥ من العددين ٣ و٤ من المجلة الدولية لقانون العقوبات Revue Internationale De Droit Penal الصادرة عام ١٩٨٧م.

بعد أن أشار البروفيسور شيلتون D.Shelton في مقدمة موضوعه للاتفاقيات الدولية التي حرمت تنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين، أشار إلى حصول منظمة العفو الدولية Amnesty International منذ عام ١٩٧٩ على معلومات تؤكد أن أربع ولايات في أمريكا فقط نفذت عقوبة الاعدام بمواجهة ثمانية أشخاص ومن تقل أعمارهم عن الـ ١٨ سنة عند ارتكابهم للجرائم التي حكموا من أجلها بالاعدام بما في ذلك جيمس روش James Roach وجاي بينكيرتون Jay Pinkerton.

وقد اختتم البروفسور شيلتون D.Shelton كلمته معللاً رفضه تنفيذ عقوبة الاعدام بمن هم أقل من سن الـ ١٨ سنة بأسباب ثلاثة أهمها:
الأمل باصلاح الأحداث الجانحين صغار السن عوضاً عن قتلهم.
سادساً : ملخص الموضوع .

هناك جرائم ترتكب يومياً في سائر أنحاء العالم من شرائح اجتماعية مختلفة سنأ، وجنساً، وديناً، وجنسيّة، ومنتها أو وظيفة.

فمن حيث السن لدينا الحدث الجانح، والكبير الراشد. وحتى المسن الذي يدخل سن الشيخوخة وصار يتميز بجرائم معينة من حيث الكم والكيف^(٢٩).

ومن حيث الدين فهناك جرائم واعتداءات على الأديان وقدسيتها قد ترتكب من أشخاص هم أعداء لذلك الدين والشعائر وحرماته، أو أنها ترتكب من إشخاص بأفعال إيجابية أو سلبية (امتياز) ويدوافع بنينة معينة^(٣٠).

ومن حيث الجنسية فهناك جرائم كالخيانة وحمل السلاح على الدولة في صفوف العدو، بحيث إنها لا ترتكب إلا من المواطن الذي يحمل جنسية الدولة.

ومن حيث المهنة أو الوظيفة فهناك جرائم لا ترتكب إلا من يمارس مهنة معينة كاستعمال الوظيفة أو السلطة Abuse of Power فهي لا ترتكب إلا من الموظف العام أو من يمارس وظيفة عامة، أو جريمة الخبرة الكاذبة التي لا ترتكب إلا من قبل الخبر، والترجمة الكاذبة التي لا ترتكب إلا من قبل المترجم^(٣١).

وتختلف هذه الجرائم التي ذكرناها من حيث الخطورة بحسب الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفاعل، أو الضحية The Victim المعنى عليها.

ويهتم المجتمع بالجرائم التي يرتكبها الأحداث بصورة خاصة، لأن حدث اليوم هو رجل الغد وقد يكون مجرم الغد، وأن مجرم اليوم كان حدث الأمس الذي لم يستطع المجتمع تقويم اعوجاجه وانحرافه فانغمس بالجريمة.

وتختلف المجتمعات والدول والتشريعات في تقويم اعوجاج وانحراف الأحداث شدة وليناً لعدة اعتبارات أهمها:

عدم النضوج الفكري والعقلي والإرادي والنفسى والعصبى لدى الحدث عند ارتكابه للجريمة أو الانحراف، الأمر الذى يفرقه عن غيره من المجرمين الكبار الذين اكتمل نموهم الفيزيولوجي والعقلي والإرادي فأصبحت مسؤوليتهم الجزائية تامة وكاملة لاتثنو بها شأنة.

وهذا ما أخذت به الشريعة الإسلامية منذ وجودها استناداً لما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام: «رفع القلم عن ثلاثة: الصبي حتى يحتمل، والنائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق».

وقد انقسمت الدول والتشريعات الجزائية وغير الجزائية المختلفة في معالجتها لجنوح الأحداث وانحرافاتهم إلى مذاهب شتى، استناداً للتدرج العمري للحدث واستناداً للتدابير الاصلاحية أو العقوبات الممكن فرضها على الحدث الجانح.

فمن جهة التدرج العمري :

- نجد أن بعض الدول اعتبرت الحدث كل من لم يتم سن الـ ٢١ من عمره^(٣٢).
- وبعضاً الآخر اكتفى بسن الـ ١٧ سنة، كدولة الإمارات العربية المتحدة وسوريا و مصر كما رأينا ذلك مفصلاً بصفحة سابقة من هذا الموضوع.
- وقد انفردت دولة البحرين من بين الدول العربية الأخرى في اعتبار الحدث من لم يتجاوز سن عشرة عشرة سنة ميلادية كاملة وقت ارتكاب الجريمة، أو عند وجوده في إحدى حالات التعرض للانحراف.

فإذا أتم الحدث هذا الحد العمري، اعتبر راشداً (أو رشيداً) كما تقول الفقرة الثالثة من المادة الأولى من قانون الأحداث العراقي، ويخضع وبالتالي للعقوبات العادلة أو التدابير الاحترازية أو للإثنين معاً لأنه صار معتبراً من المجرمين الراشدين الذين تنطبق عليهم سائر العقوبات مهما كانت مدتها أو شدتها ولو وصلت للاعدام في الدول التي ماتزال تعاقب بهذه العقوبة.

كما ترفض بعض الدول فرض آية عقوبة مانعة أو مقيدة للحرية بالحدث وتكتفي بفرض تدابير اصلاحية غايتها اصلاح الحدث وتقديم اعوجاجه دون النظر إلى تدرجه العمري.

وقد اتجهت تشريعات دول أخرى اتجاهآً - يمكن لنا تسميتها بالاتجاه المختلط، بحيث يتعرض الحدث الذي لم يجاوز سن الـ ١٥ سنة من عمره إلى تدابير اصلاحية فقط. فإذا ارتكب من جاوز هذه السن جنائية من الجنايات المنصوص عليها بقانون عقوبات تلك الدولة طبقت عليه عقوبتها مع تخفيضها أو تخفيض مدتها طبقاً للحد المنصوص عليه في قوانين الأحداث الجانحين لتلك الدولة إن كان لها قوانين خاصة بهم مثل المادة (٢٩) من قانون الأحداث الجانحين السوري، أو المادة (١٠) من قانون الأحداث الجانحين والمشريدين الإماراتيين.

وقد انفرد قانون قانون الأحداث الجنائي العراقي بنص خاص منع بموجبه

فرض أي نوع من أنواع العقوبات المقررة للبالغين على الأحداث – باستثناء الغرامة سواء أكانت الجريمة مخالفة أم جنائية، وفرض إبدال تلك العقوبة بأحد التدابير المقررة قانوناً أو بالغرامة سواء أكان الحدث صبياً أم فتى^(٢٢).

كل ذلك شريطة ألا تفرض أو تطبق على الحدث الجانح عقوبات الاعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة.

إلا أن التشريعات الجزائية المتعلقة بالأحداث الجانحين في بعض الدول شددت عن هذه القواعد والاعتبارات والاتجاهات السليمة التي ذكرناها قبل قليل، بحيث إنها مازالت مستمرة في فرض وتنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين من ارتكب الجريمة قبل أن يتم سن الـ ١٨ سنة من عمره، أو أنها باتت تنفذ الاعدام بحق من لم يبلغ سن الـ ١٨ سنة عند تنفيذ هذه العقوبة به.

وقد حدثت هذه المأساة وما زال الآن في بعض الولايات الأمريكية التي تنص قوانينها الجزائية على عقوبة الاعدام دونما تمييز في سن المحكوم عليه أو الشخص الخاضع لتنفيذ العقوبة.

كما بتنا الآن نسمع بمثل هذه الاجرامات التي تخرج عن أبسط مفاهيم حقوق الإنسان من جهة، وتحقق الحدث القاصر – والطفل إذا صح التعبير – فيزيولوجياً وعقلياً وارادياً ونفسياً من جهة أخرى، غير آبهة بالاتفاقيات الدولية التي اقرتها الأمم المتحدة حتى الآن ومنعت بها فرض وتنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الذين تقل اعمارهم عن ١٨ سنة عندما ارتكبوا جرائمهم أو انحرافاتهم، أو بالاتفاقيات الإقليمية الأخرى.

مثال ذلك :

- المادة (٦٨) من اتفاقية جنيف الدولية الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين أثناء الحرب الموقعة بتاريخ ١٩٤٩/٨/١٢.

وكذلك الفقرة الرابعة من المادة السادسة من البروتوكول الثاني الملحق بهذه الاتفاقية الرابعة والصادر عام ١٩٧٧م.

- الفقرة الخامسة من المادة السادسة من اتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية الموقعة في نيويورك بتاريخ ١٩٦٦/١٢/١٦.

- الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان الموقعة في كوستاريكا بتاريخ ١٩٦٩/١١/٢٢ حيث نصت الفقرة الخامسة من مادتها الرابعة على عدم جواز تنفيذ عقوبة الاعدام في الحدث الجانح.

- المادة الخامسة من الاعلان الدولي لحماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة الصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ ١٤/١٢/١٩٧٤.
- المادة (٣٧) من مشروع الميثاق العربي لحقوق الإنسان الذي عرض على مجلس وزراء العدل العرب المنعقدة بالرباط عام ١٩٨٣.
- الفقرة الثانية من القاعدة (١٧) من قواعد بيكين Beijin's Rules الدنيا التنموية لادارة شؤون قضاء الاحداث التي اقرتها الأمم المتحدة واعتمدتها بصورة بصورة نهائية في الثورة الأربعين التي عقدتها جمعيتها العامة عامي ١٩٨٥ - ١٩٨٦.
- الفقرة الأولى من المادة (٢٧) من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل التي تبنتها الأمم المتحدة بالشهر العاشر من عام ١٩٨٩.

فجميع المواد المذكورة من هذه الاتفاقيات والقواعد حرمت بصورة قاطعة تنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين الذين تقل أعمارهم عن سن الـ ١٨ سنة عند ارتكابهم للفعل المعقّب بالاعدام في تشريعات تلك الدول بالنسبة للمجرمين من تجاوزوا هذه السن.

لذلك وأمام ضرورة حماية الأحداث الجانحين من العقوبات القاسية التي تهدف لاستئصالهم بدلاً من أن تهدف لاصلاحهم.

وأمام الخشية من أن تنفيذ عقوبة الاعدام بالقاصرین فيزيولوجياً وعقلياً في بعض الدول وفي بعض الولايات في أمريكا بالذات قد يخفي وراءه نوعاً من تمييز عنصري بغيض Discrimination أحياناً، وبخاصة عندما يكون الحدث المحکوم ذكرًا كان أو انثى من الملوك... وكثيراً ما يكون كذلك^(٢٤).

وليسوا التشريع الجنائي الإسلامي الذي يمنع فرض وتنفيذ عقوبة الاعدام بالقاصرین فيزيولوجياً ونفسياً وعقلياً^(٢٥).

رأينا من الضروري استعراض موضوع جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجانح بدءاً من:

أولاً - تعريف الحدث الجانح حسب المفاهيم الاجتماعية والتفسية والقانونية، وكذلك الكلام عن سن المساعدة الجنائية (الجنائية كما تسمى في بعض الأنظمة القانونية العربية).

ثانياً - تحديد سن الرشد القانوني، وبخاصة تحديده بـ ١٨ سنة ميلادية كما جاء في

المادة الأولى من اتفاقية حقوق الطفل التي اقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١١/٢٠ من عام ١٩٨٩ م.

ثالثاً - الحدث الجانح وعقوبة الاعدام فرضاً أو تطبيقاً، قوانين الأحداث الجانحين التي نصت صراحة على عدم جواز فرض عقوبة الاعدام على الحدث الجانح. وقوانين الأحداث الجانحين العربية التي اوجبت استبدال عقوبة الاعدام التي كان من الممكن فرضها على الحدث لو كان كبيراً بعقوبات أخرى بدلاً من حبس الماده (٢٩) من قانون الأحداث الجانحين السوداني.

وكذلك ذكرنا بعضًا من قوانين العقوبات العربية التي منعت صراحة الحكم على الحدث الجانح بالاعدام وأبدال هذه العقوبة التي كان يستحقها لو كان كبيراً، بعقوبة أخرى أخف منها شدة.

رابعاً - لم نهمل اطلاع القارئ الكريم على أحد ماكتب باللغة العربية عن جنوح الأحداث ووقايتها منه، وأساليب رعايتها واسعادهم.

خامساً - جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجانح في الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإقليمية والعربيّة والإسلامية. مراعين في ذلك التسلسل التاريخي لها جميعاً، سواء تعرضت لعقوبة الاعدام بصورة عامة أم لم تتعرض، سواء تعرضت لعدم جواز تنفيذها بالأحداث الجانحين أم لم تتعرض.

مثال ذلك:

- الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ ١٢/١٠/١٩٤٨، وهو لم يتعرض لذكر عقوبة الاعدام أصلًا.

- اتفاقية جنيف الدولية الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين أثناء الحرب الموقعة في جنيف بتاريخ ١٢/٨/١٩٤٩، حيث حرمت مادتها (٦٨) الحكم بالاعدام على الذين لم يتموا سن الثامنة عشرة من عمرهم عند ارتكاب الجريمة.

- الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان الموقعة في روما عام ١٩٥٠ التي لم تتعرض لذكر عقوبة الاعدام بالنسبة للأحداث أصلًا.

- الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية المعقدة في نيويورك عام ١٩٦٦ التي منعت الفقرة الخامسة من المادة (٩) منها بصورة صريحة فرض عقوبة الاعدام على الأحداث الجانحين الذين تقل سنهما عن الثامنة عشرة عند ارتكابهم لجريمة.

- الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان الموقعة في كوستاريكا بتاريخ ٢٢/١١/١٩٦٩ التي منعت الفقرة الخامسة من المادة الرابعة منها تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجائع دون أن تحدد سنًا معينة لهذا الحدث.
 - الاعلان الدولي لحماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٧٤ حيث اعتبرت المادة الخامسة منه الاعدام رمياً بالرصاص من الأعمال الاجرامية.
 - الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب الموقع في نيجيريا بتاريخ ٢٦/١/١٩٨١ الذي لم يتضمن أي ذكر لعقوبة الاعدام أصلًا.
 - الاعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام المنஸور بمجلة «المسلم المعاصر» الذي لم يتضمن أي نص أو ذكر لعقوبة الاعدام أصلًا بل اكتفت المادة الأولى منه بالقول «إن حياة الإنسان مقدسة... لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها، ولا تسليب هذه القدسية إلا بسلطان الشريعة والإجراءات التي تقرها».
 - وهذا يعني أن الشريعة لا تقر أصلًا فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالحدث الجائع لأنه لم يكتمل نضوجه العقلي، إلا أنها تحمله الآثار المدنية من تعويضات وغيرها يجب عليه أو من هو متولى حراسته أو مشرف عليه دفعها للمتضرر أو ورثته^(٣٦).
 - مشروع الميثاق العربي لحقوق الإنسان الذي عرض على مجلس وزراء العدل العرب بالرباط عام ١٩٨٢ والتي منعت المادة (٣٧) منه صراحة تنفيذ الحكم فيمن يقل عمره عن ثمانية عشر عاماً.
 - ميثاق حقوق الطفل العربي الذي أقره مؤتمر وزراء الشؤون الاجتماعية والعمل في تونس عام ١٩٨٤، حيث أغفل إبراد أي نص يمنع تنفيذ عقوبة الاعدام بالقاصرين.
 - قواعد الأمم المتحدة الدنيا النموذجية لإدارة شؤون قضاء الأحداث المسماة بقواعد بكين Beijin's Rules.
- فقد نصت الفقرة الثانية من القاعدة (١٧) من هذه القواعد على أنه:
- «لا يحكم بعقوبة الاعدام على أية جريمة يرتكبها الأحداث».
- إلا أن هذه الفقرة لم تحدد سنًا معينة لهؤلاء الأحداث، وهو الأمر الذي حدّته

الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية المعقدة في نيويورك عام ١٩٦٦ واتفاقيات أخرى غيرها.

- مشروع ميثاق حقوق الإنسان والشعب في الوطن العربي الذي صدر في سيراكوزا بإيطاليا بـأواخر عام ١٩٨٦م والذي أغفل إيراد أي نص يمنع تنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين، رغم أن المادة الثانية منه قد تكلمت عن عقوبة الاعدام بصورة عامة واحاطت فرضها وتنفيذها ببعض الضمانات^(٤).

فقد نصت النبذة الثانية من الفقرة الثانية من المادة (١٩) منها على عدم جواز فرض عقوبة الاعدام أو السجن مدى الحياة بسبب جرائم يرتكبها أشخاص نقل أعمارهم عن (١٨) عاماً بغير وجود امكانية للأفراج عنهم.

سادساً : جواز أو عدم جواز فرض أو تنفيذ عقوبة الاعدام بالاحداث الجانحين والمؤمنات التولية:

^١ - في المؤتمرات الدولية للأمم المتحدة .

تنبهت الأمم المتحدة منذ زمن طويلاً لعقوبة الاعدام بصورة عامة،
ولتنفيذها من قبل بعض الدول بحق أحداث جانحين لم يكملوا سن الـ
١٨ سنة من عمرهم نكراً وإناثاً بصورة خاصة.

الأمر الذي جعلها تدرج موضوع عقوبة الاعدام فرضاً وتنفيذاً وضمانة، في العديد من مؤتمراتها الدولية في الوقاية من الجريمة ومعاملة المذنبين 70 UN Congress on The Prevention of Crime and The Treatment of Offenders التي كانت ومازالت تعقد كل خمس سنوات.

فقد أفرد مؤتمرها السادس الذي عقد في أواخر صيف عام ١٩٨٥ بمدينة كاراكاس Caracas عاصمة فنزويلا - والذي كان لنا شرف حضوره بدعوة من الأمم المتحدة - بحثاً خاصاً لعقوبة الاعدام، لم يأت فيه ذكر لجواز أو عدم جواز تنفيذ هذه العقوبة بالأحداث الجانحين^(٣٧).

كما استثاثت عقوبة الاعدام باهتمام مؤتمر الأمم المتحدة السابع الذي عقد في مدينة ميلانو بإيطاليا في أواخر صيف عام ١٩٨٥ - والذي كان لنا شرف حضوره ممثلاً للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض^(٢٨).

وقد تم هذا الاستئثار على شكلين:

الشكل الأول :

من خلال قواعد بيكين Beijing's Rules التي أقرها مؤتمر ميلانو باعتبارها «وثيقة الأمم المتحدة الخاصة بالعدالة الجزائية للأحداث الجانحين». أو مايمكن تسميتها «قواعد الأمم المتحدة الدنيا التموزجية لادارة شؤون قضايا الأحداث».

وهذه القواعد تصل إلى ثلثين قاعدة هدفت جميعها إلى العناية بالأحداث الجانحين ورعايتهم داخل أروقة القضاء وخارجها.

فقد نصت الفقرة الثانية من القاعدة (١٧) على أنه:
«لايحكم بعقوبة الاعدام على أية جريمة يرتكبها الأحداث».

الشكل الثاني :

من خلال القرار رقم (١٥) الذي اتخذه المؤتمر المذكور مؤيداً به الضمانات التي وافق عليها المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة في قراره رقم ١٩٨٤/٥ المتعلقة «بكلفة حقوق الذين يواجهون عقوبة الاعدام».

ونورد فيما يلي هذه الضمانات نظراً لأهميتها ولتسهيل على القارئ الكريم في فهم الاتجاهات التي تتجهها الأمم المتحدة بالنسبة لعقوبة الاعدام.

«الضمانات التي تكفل حقوق الذين يواجهون عقوبة الاعدام».

"Safeguards Guaranteeing Protection of the Rights of those Facing the Death Penalty".

إن مؤتمر الأمم المتحدة السابع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين، إذ يضع في اعتباره الأحكام المدرجة في الفقرة ١ من المادة ٢ وفي المادتين ١٤ و١٥ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وعلى وجه خاص الأحكام المعنية بعقوبة الاعدام والواردة في المادة ٦.

وإذ يشير إلى أن الجمعية العامة أكدت من جديد، في جملة أمور، في قرارها ١٦/٣٢ المؤرخ في ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧، أن الهدف الأول الذي ينبغي السعي إلى تحقيقه في ميدان عقوبة الاعدام هو الحد التدريجي من عدد الجرائم التي

تجوز المعاقبة عليها بعقوبة الاعدام على اعتبار أن من المستحبب الغاء تلك العقوبة. فإذاً يرحب بقرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي ٥٠/١٩٨٤ المؤرخ في ٢٤ أيار/مايو ١٩٨٤ المحتوي على ضمانات تكفل حماية حقوق الذين يواجهون عقوبة الاعدام.

١ - يؤيد الضمانات التي وافق عليها المجلس الاقتصادي والاجتماعي في قراره ٥٠/١٩٨٤ على أن يكون مفهوماً لا تتخذ ذريعة لتأخير أو منع الغاء عقوبة الاعدام أو الحد من عدد الجرائم التي يعاقب عليها بالاعدام.

٢ - يدعو جميع الدول المبقة على عقوبة الاعدام والتي تقصر معايرها الحالية عن الضمانات إلى أن تعتمد هذه الضمانات وأن تتخذ الخطوات اللازمة لتنفيذها وذلك بما يلي:

- (أ) اندماج الضمانات في التشريعات واللوائح الوطنية أو النص عليها فيها:
- (ب) التأكيد من أن القضاة ورجال القانون وضباط الشرطة وموظفي السجون وغيرهم من الأشخاص، بمن فيهم العسكريون، من يكتنون معنيين بادارة شؤون القضاء الجنائي ملمون بالضمانات، وبإئمة أحكام مناظرة واردة في التشريعات واللوائح الوطنية، وذلك بإدراجها في الدورات الدراسية، وبنشرها والإعلان عنها، ويفي ذلك من الوسائل الملائمة:
- (ج) تحذير انتباه الأشخاص المتهمين بجرائم يعاقب عليها بالاعدام، وممثليهم، إلى الضمانات وإلى أية أحكام مناظرة واردة في التشريعات واللوائح الوطنية:

(د) نشر الضمانات وأية أحكام مناظرة واردة في التشريعات واللوائح الوطنية والإعلان عنها على نطاق واسع، عن طريق وسائل الاعلام الجماهيري وغير ذلك من الوسائل الملائمة:

٣ - يرجو من الجمعية العامة أن تدعى الهيئات المعنية بالقضاء الجنائي وحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة إلى تعزيز الضمانات وإلىأخذها في الاعتبار بالكامل عند القيام بأعمالها:

٤ - يرجو من المنظمات الحكومية الدولية، بما فيها المنظمات الاقتصادية والوكالات المتخصصة وغيرها من المؤسسات داخل منظومة الأمم المتحدة والتي تقع عليها مسؤوليات في ميدان القضاء الجنائي وحقوق الإنسان، فضلاً عن المنظمات غير

الحكومية ذات الصلة العمل على تعزيز الضمانات وأخذها في الاعتبار بالكامل عند القيام بأعمالها؛

٥ - يرجو من الأمين العام للأمم المتحدة أن يقوم بما يلي:

(أ) أن يبذل مساعيه الحميدة كي يكفل قدر الامكان التنفيذ الفعال للضمانات جميع الدول؛

(ب) أن يدرج في التقارير الخمسية عن عقوبة الاعدام، التي تقدم إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي وفقاً لقرار المجلس ١٧٥٤(د - ٤٥)، بياناً عن تنفيذ الضمانات؛

(ج) أن يوجه انتباه جميع الدول، والجمعية العامة، والمنظمات الحكومية والدولية المناسبة، بما في ذلك المنظمات الإقليمية والوكالات المتخصصة، وغيرها من المؤسسات ذات الصلة داخل منظومة الأمم المتحدة، فضلاً عن المنظمات غير الحكومية، إلى نص الضمانات ونص آليات تنفيذها؛

(د) ينشر الضمانات وأليات تنفيذها وأن يعلن عنها على نطاق واسع، وأن ينشر هذين النصين بأكبر عدد ممكن من اللغات؛

ومن قراءة هذه الضمانات يتبين لنا أنها لم تشر إلى الأحداث الجانحين لامن قريب ولا من بعيد لعدة أسباب أهمها:

- أن الأمم المتحدة قد سبق لها التأكيد وبأكثر من مناسبة على عدم جواز فرض عقوبة الاعدام أو تنفيذها بالأحداث الجانحين وغير الجانحين من خلال العديد من اتفاقياتها الدولية، مثل ذلك:

- ماجاء في «اتفاقية منع جريمة الإبادة Ge'nocide الجماعية والمعاقبة عليها»، التي اقرتها الأمم المتحدة بتاريخ ١٢/٩/١٩٤٨.

حيث حرم مادتها الثانية «قتل اعضاء من الجماعة، أو الحق أذى جسدي أو روحي خطير ببعضه من الجماعة». دون أن تحدد عمرهم.

- ماجاء بالمادة (٦٨) من اتفاقية جنيف الدولية الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين أثناء الحرب، التي نصت على عدم جواز الحكم بالاعدام على الأشخاص المحبين الذين لم يتموا سن الثامنة عشرة من عمرهم عند ارتكاب الجريمة. وأيضاً ماجاء في الفقرة الرابعة من المادة السادسة من البروتوكول الثاني الملحق بهذه الاتفاقية الصادر عام ١٩٧٧.

- ماجاء بالفقرة الخامسة من المادة السادسة من الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية المعقدة في نيويورك عام ١٩٦٦ التي «حرمت اعدام الحوامل والأحداث الجانحين الذين تقل سنهما عن الثامنة عشرة عند ارتكابهم للجريمة».

ما جاء بالمادة الخامسة من الاعلان الدولي لحماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة، الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٧٤، التي نصت على أن الاعدام رمياً بالرصاص للنساء والأطفال الذي يرتكبه المحتاربون أثناء العمليات العسكرية أو الأقاليم المحتلة يعتبر من الأعمال الإجرامية.

لذلك وأمام هذه النصوص التي منعت صراحة فرض وتنفيذ عقوبة الاعدام بالقاصرين وبالأحداث الجانحين وغير الجانحين لم يعد هناك مبرر للكلام عن أي ضمان خاص بهم بين الضمانات المخصصة للمجرمين الكبار ذكوراً وأناثاً.

فضلاً عن أن المؤتمر السابع المذكور قد أقر في جلسته من جلساته قواعد بيكون ومن جملتها القاعدة رقم (١٧) التي نصت فقرتها الثانية على أنه:

«لا يحكم بعقوبة الاعدام على أية جريمة يرتكبها الحدث».

وهكذا يكون المؤتمر السابع للأمم المتحدة في ميلانو قد:

- أقر الضمانات المتعلقة بفرض وتنفيذ عقوبة الاعدام بال مجرمين الكبار^(٢٩).

- أقر «قواعد بيكون Beijing's Rules بالنسبة للأحداث الجانحين» التي منعت وحرمت بنص القاعدة ٢/١٧ فرض الاعدام على الحدث الجانح.

٢ - في المؤتمرات الدولية الأخرى .

ذكرنا بمناسبة سابقة أن المعهد الدولي للدراسات العليا الجزائية (الجنائية) في مدينة سيراكوزا بإيطاليا قد عقد ما بين ١٧-٢٢/٥/١٩٨٧ في المدينة نفسها مؤتمراً دولياً لمناقشة عقوبة الاعدام مالها وما عليها.

ورغم أن هذا المؤتمر لم يصل لصياغة توصيات عامة بالنسبة للبقاء

على عقوبة الاعدام أو الغانها بالنسبة للمجرمين الكبار - كما قال الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم زيد في تقريره العلمي عن هذا المؤتمر الذي اشرنا إليه في صفحة سابقة من هذا الموضوع.

فقد قدمت للمؤتمر المذكور ورقتان بخصوص الجانحين وعقوبة الاعدام:

الاولى : قدمها البروفسور اوتينهوف Ottenhof باللغة الفرنسية بعنوان: «عقوبة الاعدام والاحاديث» La Peine De Mort Et Les Mineurs».

الثانية : قدمها البروفسور شيلتون Shelton باللغة الانكليزية بعنوان: «The Prohibition Of Juvenile Execution In International Law» منع أو تحريم تنفيذ عقوبة الاعدام بالأحداث الجانحين طبقاً للقانون الدولي». حيث تكلم كلاماً عن المأساة التي تحصل من تنفيذ عقوبة الاعدام حق أحداث جانحين لم يكملوا سن الـ ١٨ سنة من عمرهم وخاصة في بعض الولايات الأمريكية.

وخلصاً للقول بعدم جواز اللجوء لتنفيذ الاعدام بالأحداث الجانحين لعدة أسباب، أهمها: امكانية اصلاحهم، ولأن عقوبة الاعدام بالنسبة لهم هي من العقوبات التي تستأصل الحدث ولا تعينه على العودة للمجتمع بشراً سوياً.

وقد ذكرنا أيضاً بأن بحثيهما أو ورقتيهما نشرتا في الصفحتين ٧٦٥ و ٧٧٢ من العدددين ٣ و ٤ من المجلة الدولية لقانون العقوبات الصادرة عام ١٩٨٧ (٤٠).

ونحن نعتبر أن امتلاعسائر التشريعات الجنائية في العالم عن تطبيق أو تنفيذ عقوبة الاعدام والعقوبات الشاقة والمجهدة بالحدث، هو شكل من أشكال التكريس الأسمى لحقوق الإنسان ورعاية الأحداث الجانحين والمشردين، واللطف بهم نظراً لصغر سنهم وعدم اكمال ملائكتهم العقلية. وفي الوقت الذي كانت الشريعة الإسلامية والتشريع الجنائي الإسلامي وأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وغيرها تأخذ جميعها سن الحادمة بعين الاعتبار في تقدير المسؤولية الجنائية، كان الكثير من الأحداث وحتى المجانين يعانون في العديد من دول العالم غير الإسلامي من وطأة وكثرة عقوبات الاعدام التي كانت تفرض وتتفذ بهم.

ومازلتا حتى الان نسمع ومع الاسف الشديد والحزن أيضاً عن تنفيذها بحق اطفال صغار في فلسطين المحتلة وغيرها.

فالي عهد قريب نفذت بصبيه صغار نقلوا ألوية لجرحى كانوا يحاربون دفاعاً عن أوطانهم.

ومما تجدر الاشارة إليه هنا هو أن الدكتور نيفيل روولي- Nigel Rod ley قد أورد في الصفحة ١٨٨ من كتابه القيم «معاملة السجناء طبقاً للقانون الدولي The Treatment of Prisoners Under International Law» المشار إليه سابقاً، خبراً نقلأً عن جريدة نيويورك تايمز The New York Times الصادرة في ١١/١٩٨٦ مفاده أن المدعى جيمس تيري روتش James Terry Roach قد اعدم في ولاية كارولينا الجنوبية South Carolina بالولايات المتحدة الأمريكية لارتكابه جريمة قتل وهو في سن الـ١٧ من عمره - أي كان قاصراً.

وماتزال وسائل الاعلام المختلفة حتى يومنا هذا تورد أخباراً عديدة عن محاولات تنفيذ عقوبة الاعدام في امريكا بصورة خاصة بأحداث قاصرين فيزيولوجياً ومن الجنسين دونما تفريق بينهما.

هو امش

- (١) - سنثيير فيما بعد لهذه القاعدة التي تسمى «قواعد الأمم المتحدة الدنيا التنموية لدارة شؤون قضاء الأحداث».
- (٢) - تجدر الإشارة إلى أن المادة السابعة من مشروع القانون الاتحادي المتعلق بالأحداث في دولة الإمارات العربية المتحدة قد نصت على عدم جواز إقامة الدعوى الجنائية (الجزائية) على الحدث الجائع الذي لم يتم السابعة من عمره، إلا أن المادة (٢) منه اجازت حساب السن بالتقسيم الهجري. الأمر الذي يزيد في مسؤولية الحدث لاختلاف التقويمين.
- (٣) - نصت المادة الأولى من قانون الأحداث العراقي رقم (٦٤) الصادر عام ١٩٧٢ على أن الحدث هو : «من اتم السابعة من عمره، ولم يتم الثامنة عشرة، ذكرأً كان أو أنثى وهو على صفين.
- أ - الصبي - من اتم السابعة من عمره، ولم يتم الخامسة عشرة.
- ب - الفتى - من اتم الخامسة عشرة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة.
- وهذه المادة العراقية تكاد تتطابق المادة الأولى من قانون الأحداث الجانحين رقم (٥٨) الصادر في سوريا بتاريخ ١٧/٩/١٩٥٣، والذي هي الان وصل محله قانون الأحداث الجانحين رقم (١٨) الصادر عام ١٩٧٤.
- (٤) ر(٥) - سارت المادة (١٨) من قانون المقربات القرطى الصادر عام ١٩٧١ بنفس اتجاه المادة العاشرة من قانون عقوبات إمارة دبي.

- (١) - عد على سبيل الاطلاع لموضوع الدكتور أكرم نشأت ابراهيم «مدخل لدراسة ظاهرة جنوح الأحداث في الدول العربية الخليجية»، وهو منشور بالصفحات ١٠٢ - ١٤٠ من كتاب «جنوح الأحداث» الصادر بالبعرين عام ١٩٨٤.
- (٢) - عد إذا شئت في «مسنودية الحدث، مرحلة الطفولة ومرحلة الحادثة بين الرشد» للصفحات ١٥ - ١٥ من «مجموعة قوانين الأحداث العربية - الجزء الأول - الأحكام العامة» للدكتور منذر كمال عبد اللطيف وهو صادر عن المكتب العربي للكتابة الجريرة في بغداد عام ١٩٨٢ برقمه ١٠٥.
- (٣) - ثالث تذكر القارئ الكريم إلى أن مجلة «الطفولة العربية» قد نشرت في الصفحات ١٦ - ١٩ من عددها رقم (١٦) الصادر بشهر نيسان/أبريل من عام ١٩٩١ بحثاً بعنوان «ربور فعل عربية حول مشروع اتفاقية هيئة الأمم المتحدة لحقوق الطفل».
- (٤) - انتظر بصورة خاصة، المعرض القيم «التشريعات الخاصة بحماية الأحداث الجانحين في الدول العربية الخليجية» للدكتورة بدرية العوضي، وكذلك موضوع الحدث والمسؤولية الجنائية في الشريعة الإسلامية، وهو للمحامي الاستاذ حسن علي رضى، وقد وردتا بالصفحات ٢١٥ - ٢٨٢ من كتاب «جنوح الأحداث» الصادر عام ١٩٨٤ من مكتب المتابعة في مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية بالبعرين.
- (٥) - من أراد تعمقاً في معرفة التشريعات والمواضيع المتعلقة بالأحداث الجانحين باللغة العربية فليعد إذا شاء إلى الصفحات ٢٠ - ٢٧ من كتابنا «جنوح الأحداث في دول الإمارات العربية المتحدة، أسبابه وطرق علاجه» المطبوع عام ١٩٩١ من قبل جمعية أم المؤمنين التسائية بامارة عجمان وقد ضممتا ملخصه الرابع «قواعد بيكون» المتعلقة بالأحداث الجانحين التي تتناولها متصرم الأمم المتحدة السابع السابع للوقاية من الجريمة الذي عقد في ميلانو بإيطاليا عام ١٩٨٥. وكذلك لكتاب «رعاية الاجتماعية للأحداث الجانحين»، وهو للعميد أحمد محمد كريز ومتطبع في دمشق عام ١٩٨٠.

كما يمكن العودة للكتب والمواضيع التالية حسب زمان صدورها:

- ١ - كتاب «قضاء الأحداث طاماً وصلوة» وهو للدكتور سعدي بسيسو ومتطبع في مدينة حلب عام ١٩٥٥.
 - ٢ - كتاب «جنوح الأحداث» وهو من مطبوعات «المؤسسة العربية للطاعق الاجتماعي» في الربط بالغرب عام ١٩٨١.
- وقد حوى هذا الكتاب عدداً من الابحاث القيمة اهمها بالنسبة لموضوعنا هذا:
- عوامل جنوح الأحداث، وهو للدكتور أكرم نشأت ابراهيم.
 - دور القضاء في معاملة الأحداث المنحرفين، وهو للدكتور مصطفى العوجي.
 - كتاب «قانون الأحداث الجنائي» للدكتور حسن البرخادار وهو مطبوع بدمشق عام ١٩٨١.
 - ٤ - «مجموعة قوانين الأحداث العربية» التي أصدرها المكتب العربي للكتابة الجريرة في بغداد بعامي ١٩٨٢ و ١٩٨٣.
 - ٥ - البحث العلمي القانوني «انحراف الأحداث وأصول محاكتمتهم» المقدم من المحامية المتخرنة ماجدة الزقبي بتاريخ ٢٢/٢/١٩٨٣ للرجوع نقابة المحامين في دمشق بسوريا لطلب لقب استاذة في المحاماة.
 - ٦ - كتاب «جنوح الأحداث» المتضمن ابحاث الحلقة الرئيسية لرعاية الأحداث الجانحين بالدول العربية الخليجية المنفذة بالثانية في البعرين مابين ١٧ - ٢٤/٥ - ١٩٨٣، - المرجع السابق.
 - ٧ - كتاب «رعاية الأحداث الجنائيين بالدول العربية الخليجية» المتضمن عدداً من الابحاث والمواضيع القيمة.

وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٤ عن مكتب المتابعة في مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية بالبعرين - المرجع السابق.

 - ٨ - كتاب «الحدث المنحرف أو المهدى بخطر الانحراف» وهو للقاضي الدكتور مصطفى العوجي، ومتطبع في بيروت عام ١٩٨٦.
 - ٩ - موضع «دراسة في معاملة الأحداث المنحرفين وفقاً لقانون الأحداث الكوريتي»، الدكتور فاضل نصار الله عرض محمد، ومنشور بالصفحات ١٥٩ - ٢٤٢ من العدد الأول من مجلة كلية الحقوق الصادرة عن جامعة الكوريت بشهر رجب لـ١٤٠٧ الموافق لشهر آذار/مارس من عام ١٩٨٧.

٤- المباحث المنشورة في العدد السابع من المجلة العربية للدراسات الأمنية، الصادر بشهر ربيع الثاني من عام ١٤٠٩ـ الموافق لشهر كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٨٨م من المركز العربي للدراسات الأمنية والتربية بالرياض وهي:

- موضوع «مبادئ الرياض التجريبية للرقابة من جنوح الأحداث» وهو للدكتور مصطفى العرجي، ونشر بالصفحات ١١ - ٢٦.

- موضوع «القواعد التنموية التي تعامل الأحداث المجردين من حرفيتهم» وهو للدكتور مصطفى كارة ونشر بالصفحات ٤٧ - ٥٧.

- موضوع «حول شرطة الأحداث» وهو للمعبد أحمد محمد كريز ونشر بالصفحات ١٠٣ - ١١٩ من العدد السادس.

كـ «كتاب ظاهرة جناح الأحداث في مجتمع الامارات» الذي أصدرته جمعية الاجتماعيين في إمارة الشارقة عام ١٤٠٩ـ الموافق ١٩٨٩م.

(١١)- يقول البعض إن هذا العمل العالمي لحقوق الإنسان هو ضد عقوبة الاعدام فرضاً وتنفيذاً من خلال المادتين ٢ و٩ منه.

فقد قالت المادة الثالثة : «لكل فرد حق في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه».

وبيّنت المادة الخامسة : «لا يجوز اخضاع أحد للتعذيب ولا المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطمة بالكرامة».

(١٢)- ردت أقوال البعض ببيان شيلتون Shelton في الكلمة التي قدمها مشاركة منه في المؤتمر الدولي عن حقوق الاعدام Death Penalty الذي انعقد في مدينة سيراكوزا Siracusa بإيطاليا في الفترة ما بين ١٧ - ٢٢ مايو ١٩٨٧م.

رسنتكلم عن هذا المؤتمر الذي عقد في «المعهد الدولي للدراسات العليا الجزائية (الجنائية) في مدينة سيراكوزا International Institute Of Higher Studies in Criminal Sciences, Siracusa - Italy» في مناسبة أخرى من هذا الموضوع.

(١٣)- عد على سبيل الاطلاع على النص العربي الكامل لهذه الاتفاقية قليلاً للصفحات ١٢ - ٢٨ من «مجموعة المذكرات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان» الصادرة باللغة العربية عن الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٨٣م، كما يمكنه العودة أيضاً للصفحات ٣٩٩ - ٤١٥ من كتاب «القانون الدولي العام» للدكتور محمد يوسف علوان المطبع في عمان بالأردن عام ١٩٧٨.

(١٤)- نشير هنا إلى البحث الذي «حقوق الإنسان في ستر الإمارات» المنشور في الصفحات ٥ - ١٧ من العدد السادس عشر من مجلة «شيلتون اجتماعية» الصادر في عام ١٩٨٨. وقد دعا فيه كاتبه الدكتور عبدالحالم عبده الله بوجة الإمارات العربية المتحدة إلى الانضمام للاتفاقيات التي عقدتها الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الإنسان.

(١٥)- لازرى مبرأاً لتجريم الاعدام الذي يحصل ربيأً بالرصاص فقط، طالما أن طرق وسائل الاعدام ياتى من الكثرة يمكنها ب بحيث يتم بعضها بالغاز والبعض الآخر بالشنق أو بالسحق بواسطة الكرسي الكهربائي أو بحقن الحكم عليه بالدواء وسماع نتاكيه. والعدو ليس من القياء أن يستعمل الرصاص فى تنفيذ اعدامات.

رحم الله الشاعر الذي قال قديماً :

من لم يمت بالسيف مات بغيرة تعدد الأسباب والموت واحد

(١٦)- ثلثت نشر القاريء إلى أننا تعرضاً لموضوع جرائم إبادة الجنس البشري في الصفحات ١٤١، ١٣٩، ١٣٧، ١٤٢، ١٨٨ من موضوعنا: «المبادئ الأخلاقية التي يجب أن يتخل بها الطبيب في ممارسته لمهنة الطيبة» المنشور في العدد الثاني من مجلة «الشرعية والقانون» الصادرة عن كلية الشرعية والقانون في جامعة الامارات العربية المتحدة بشهر أيار/مايو من عام ١٩٨٨م الموافق لشهر رمضان ١٤٠٨ـ - المرجع السابق -.

- وينتشر لمراجع أخرى عن هذه الجرائم في صفحة قائمة من هذا الموضوع.
- (١٨)- من أراد تعمقاً بموضوع جريمة ابادة الجنس البشري فليعد إذا شاء إلى :
- (أ)- الماد ٩٣ - ١٠٠ من قانون عقوبات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الصادر عام ١٩٧٦، حيث عاقب بالمواد ٩٣ - ١٠٠ منه «الجرائم ضد السلام والانسانية وحقوق الإنسان». وبخصوص المادة ٩٧ منه لعاقب الإبادة الجماعية.
- ب- «ماكتب عنها الاستاذ الدكتور عبدالهاب حمود في الصفحتين ٢٢٧ - ٢٥٤ من كتاب القيم «الجرائم الدولية» الكويت ١٩٧٨».
- وقد تكلمنا باكثر من مناسبة عن ضحايا ابادة الجنس البشري بالصفحتين ٤١ - ٤٢ من كتابنا «مبادئ علمي الاجرام والعقاب» المطبع في دمشق ١٩٨٢ الجزء الأول.
- ج- «الصفحتان ١٩٧ - ١٩٩ من كتاب «القانون الجنائي الدولي International Criminal Law» الدكتور شريف سيسيني M. Cherif Bassioni وهو مطبوع في هولندا عام ١٩٠٨ ومن قبل Sijhoff & Noordhof.
- د- «الصفحتان ٨٧ - ٩٠ من «مجموعة المصادر الدولية لحقوق الانسان التي نشرتها الأمم المتحدة باللغة العربية» عام ١٩٨٢ - المرجع السابق.
- هـ- موضوع «السمات القانونية لاتفاقية مكافحة جريمة ابادة الجنس البشري في القانون الدولي العام» وهو للدكتور سعيد محمد باتاجي ومنتشر في الصفحتين ٤٠٥ - ٤٢٠ من العدد الثالث من مجلة «الشرعية والقانون» الصادر بشهر ذي الحجة من عام ١٤٠٩ـ الموافق لشهر تموز/يوليو من عام ١٩٨٩م عن كلية الشريعة والقانون بجامعة الامارات العربية المتحدة.
- (١٨)- رغم أن أكثر الدول العربية قد انضم لاتفاقية ابادة الجنس البشري فقد ثلت سماتها وقوانينها الجنائية وغير الجنائية بعيدة حتى الان مما قضت وارجعها المادة الخامسة منها القائلة: «يتهدى الأطراف المتعاقدين بأن يختنقوا، كل طبقاً لستوره، التأثير التشريعية الازمة لضمان اتفاق أحکام هذه الاتفاقية، وعلى وجه الخصوص النص على عقوبات جزائية (جنائية) تاجة تتزل بمترتب الإبادة الجماعية أو أي من افعال الأخرى المنكورة في المادة الثالثة من هذه الاتفاقية».
- (١٩)- من إراد الاطلاع على النص الكامل لهذا الاعلن العالمي لحقوق الانسان في الاسلام، يمكنه العودة للصفحتين ١٦١ - ١٧٢ من العدد (٢٤) من مجلة «المسلم المعاصر» الصادرة في الكويت باشهر شباط وأذار ونيسان وأيار من عام ١٩٨٣م.
- (٢٠)- يطلق في سوريا وبينان وبين الدول العربية الأخرى على الاندراك تعبير (الوعي) لذلك فقد نصت الفقرة الأولى من المادة (٢٠٩) من قانون العقوبات السوري على أنه لا يحكم على أحد بعقوبة، مالم يكن قد أقدم على الفعل عن وعي وإرادة وقد أغفل هذا القانون النص على سن الرشد.
- (٢١)- رحم الله الشاعر العربي الذي قال مفتراً :
- إذا بلغ النظام لنا صبي تخر له الجبار ساجدinya.
- (٢٢)- ثلثت نظر القارئ إلى موضوعنا «النكرار (العود) في التشريع الجنائي المقارن» وهو منتشر في الصفحتين ٤٩٧ - ٥٠٢ من العدد الثاني عشر الصادر بشهر كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٦٦م.
- (٢٣)- من إراد الاطلاع على النص الكامل لهذا الميثاق فليعد للصفحتين ١٢ - ١٩ من العدد الثالث من مجلة «شؤون اجتماعية» الصادر عام ١٩٨٥ عن «جمعية الاجتماعيين» بامارة الشارقة.
- (٢٤)- عد على سبيل الاطلاع لموضوع «اعلان عربي لحماية الطفولة» وهو منتشر في الصفحتين ٢٧ - ٢٢ من العدد (٥٤) من مجلة «الأمن والحياة» الصادرة عن المركز العربي للدراسات الأمنية والتربية بالرياض عام ١٩٨٧م.
- (٢٥)- إذا أردت الاطلاع على النص الحرفي وباللغة العربية لقواعد بيكن، فعد للصفحتين ١٧١ - ١٩٩ من كتابنا «جنوح الأحداث في دول الإمارات العربية المتحدة، أسبابه - وطرق علاجه» - المرجع السابق -.

- (٢٦)- من أراد الإطلاع على المشروع المذكور أعلاه فليعد لكتيب الذي أصدره معهد سيراكوزا عام ١٩٨٧ م محظياً نص هذا المشروع باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.
- والجدير بالذكر أن مؤتمر المحامين العرب المنعقد في الكويت ما بين ١٨ - ٢١ نيسان/أبريل من عام ١٩٨٧ قد قبل بالمشروع المذكور ولم يعرض عليه.
- (٢٧)- تجد الإشارة هنا إلى أن المشروع الجزائري السوري قد تتبه منذ زمن إلى الأخطار والمخاطر الكبيرة التي كانت تصيب الأحداث الجانعى الذين كانوا يرتكبون جرائمهم مع أشخاص كبار أو بالفين.
- لقد نصت المادة (٤٠) من قانون الأحداث اليابانيين السوري الصادر عام ١٩٧٤ على وجوب فصل أخبارة الحدث التحقيقية عن أخباره بقية المشتركون معه في نفس العمل إن كانوا كباراً غير أحداث.
- كما أن المادة (٧) من قانون الأحداث العراقي الصادر عام ١٩٧٢ قد أوجبت مثل هذا الفصل.
- ومن نافلة القول أن تذكر بلن المادة (٥٧) من قانون السلطة اليمانية المغربية (قانون أصول المحاكمات الجزائية) الصادر عام ١٩٥٨ قد أوجبت هي الأخرى فصل أخبارة الحدث عن بقية الشركاء معه في الجريمة إذا كانوا كباراً.
- وأن تكلمتنا عن هذا الفصل وضروراته وفوائده للأحداث والكبار على حد سواء في الصفحتين ١١٣ و ١٢٠ من كتابنا «مجرى الأحداث في دول الإمارات العربية المتحدة» - المراجع السابق، فليعد لها من يشاء.
- (٢٨)- تنصح القارئ العودة للصفحتين ٤٦ - ٤٩ من العدد (٨٩) من مجلة «الأمن والحياة» الصادرة بشهر ربيع الثاني من عام ١٤١٠ هـ الموافق لشهرى أكتوبر ونوفمبر من عام ١٩٨٩، حيث أوررت ملخصاً عن الحلقة العلمية الثانية عشرة عن «قضايا الأحداث في الشريعة الإسلامية وأسهامات علم النفس المعاصر» التي عقدت في دواعي المركز العربي للدراسات الأمنية والتربية بالرياض ما بين ٤ - ٦ صفر ١٤١٠ هـ الموافق ٤ - ٦ أيلول/سبتمبر من عام ١٩٨٩.
- (٢٩)- تنصح القارئ الكريم العودة لموضوعنا «دور الطبيب البشري في الجرائم التي ترتكب من المسنين أو عليهم» المنشور في الصفحتين ٦٥ - ٧٧ من العدد السادس من «المجلة العربية للدراسات الأمنية» الصادرة من المركز العربي للدراسات الأمنية والتربية بالرياض بشهر شوال من عام ١٤٠٨ هـ الموافق لشهر حزيران/يونيو من عام ١٩٨٨ م.
- (٣٠)- عاقت المواد ٣٢٢ - ٣٢٦ من قانون المقربيات الإماراتي الصادر عام ١٩٨٧ «الجرائم المنسنة بالعقائد والشعائر الدينية».
- (٣١)- سمحت المادة (٩) من قانون الأمومة والطفولة الإيطالي رقم ١٩٤ الصادر في ١٩٧٨/٥/٢٢ بالمسن تجارةً ببيانون الأجهاس، للأطباء الامتناع ضمن شروط معينة من القيام بعمليات الأجهاس مدفوعين بداعي بيئية أو وجودانية معينة مطلقة عليهم تبيير الراغبين الجنائيين Obiettori di coscienza.
- وأن تذكرت جريدة الاتحاد الإماراتية في عددها (٦٨٥) الصادر يوم الجمعة في ١٩٩٠/١/١٩ بما محاكمة انجيليين واثاتيسون زوجة وزير الدفاع السابق في دولة ليبيريا بالبريقية، بتهمة قتل الشرطي ميلفين بيري ضمـن طقوس بيئية اعتقاداً منها أن التضحية بقتله كانت بهدف أن يصبح زوجها رئيساً لدولة ليبيريا. ومن نافلة القول أن تذكر بأن القتل بداعي بيئي لا يستفيد الفاعل فيه من أي سبب من أسباب التخفيف القانونية أو الفضائية التقديرية.
- (٣٢)- يطلق الفقه الجزائري الإيطالي على فعل الجريمة الذي يتصرف بصفات خاصة كالعن، أو الجنس أو الجنسية، أو المهنـة «الركن المفترض» تقييـطاً له عن أركان الجريمة القانونيـة أو الشـرعـيـة، والمـادـيـ، والمـعنـيـ.
- (٣٣)- هذا هو اتجاه التشريعات في السويد والتشيلي.
- (٣٤)- عـد إذا شـتـتـ الصـفـحـاتـ ٢٢ - ٢٧ـ منـ كـتابـ «ـمـجمـومـةـ قـوانـينـ الأـحـدـاثـ الـعـرـبـيـةـ -ـ الـجزـءـ الـأـلـىـ -ـ الـاحـکـامـ الـعـامـةـ»ـ .ـ وهوـ لـدـكـتـورـ كـمالـ كـمالـ مـيدـالـطـبـ -ـ الـرجـعـ السـابـقـ -ـ .ـ

- (٢٤) - هناك خصية في بعض الأحيان على الحديث المأول في العيد من الولايات في أمريكا نتيجة تأثير الشرطة والملحقين بحث القضاة بمقدرات لونية وعنصرية.
- (٢٥) - عد على سبيل الاطلاع للبحث القيم «الحدث والمسؤولية الجنائية في الشريعة الإسلامية» وهو المحامي الاستاذ حسن على رضى ونشر بالصفحات ٣٧٦ - ٣٤٥ من كتاب «جنة الأحداث» الصادر عام ١٩٨٤ من مكتب المتابعة في مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالبنك العربي الخليجي بالبحرين. حيث خصم الصفحات ٣٦٧ - ٣٧٩ منه الكلام عن «العقوبات والعمایة الخاصة للحدث ومسؤولية الحديث المأول في الديمة».
- وقد اشرنا للكتاب ولبحث الاستاذ حسن بمناسبة سابقة.
- (٢٦) - عد إذا أردت للمواد ٢٨٢، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣١٢، ٣٢٠ من قانون المعاملات المدنية رقم (٥) الصادر بدولة الامارات العربية المتحدة عام ١٩٨٥م، حيث تكلمت هذه المواد عن المسؤولية المدنية بالتمويل ومسؤولية الصنف غير المميز وكذلك مسؤولية من هو مشرف على رقابته.
- وقد استشهدنا بهذه المواد مستقاة من أحكام الشريعة الإسلامية.
- (٢٧) - ثلث نظر القارئ الكريم إلى أن أعمال مؤتمر الأمم المتحدة الذي عقد بمدينة كاراكاس قد نشرت جميتها بالعدد الثالث عشر من «المجلة العربية للدفاع الاجتماعي» الصادرة بالرباط بشهر كانون الثاني/يناير عام ١٩٨٢م من قبل «المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي»، حيث استثارت حقوقية الاعدام بالصفحات ٣٦٥ - ٣٢١ منه.
- (٢٨) - إذا أراد القارئ الاطلاع على أعمال ونتائج مؤتمر ميلادو المنذور للقديم العلمي الذي نشره عنه الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم زيد في الصفحات ١٤١ - ١٥٦ من العدد الثالث من «المجلة العربية للدراسات الأمنية» الصادرة بشهر ذي الحجة ١٤٠٦ هـ / آب/اغسطس ١٩٨٦م.
- (٢٩) - ثلث نظر القارئ الكريم إلى أن الأمم المتحدة قد نشرت عام ١٩٨٨م، وباللغات الدولية والرسمية المعتمدة لها، كتاباً صنيفاً تضمن جميع المراحل التي تطعها إعداد وسياسة واعتماد «الضمادات التي تكلل حقوق الذين يواجهون حقوقية الاعدام». وقد حمل الكتب الذي صدر باللغة الانكليزية العنوان التالي:
"Safeguards Guaranteeing Protection of the Hights of those Facing the Death Penalty".
- (٤٠) - ثلث نظر القارئ هنا إلى أن التقارير والكلمات والمواضيع التي قدمت ونوقشت في مؤتمر سيراكونزا عن حقوقية الاعدام، قد جمعت ونشرت من قبل مؤسسة E R E S E «حقوقية الإعدام La Peine de mort» باللغة الفرنسية و The Death Penalty باللغة الانكليزية و La Pena De Muerte باللغة الإسبانية.

بحوث ودراسات



«الأبعاد الحضارية للتنشئة ونظرية المعرفة في الفكر التربوي الإسلامي»

دكتور

محمد فريد حجاب *

مقدمة :

إن كثيراً من المعاصرين في ميدان التربية الإسلامية يقف عند حد الوصف والعرض التاريخي لأراء رواد الفكر التربوي الإسلامي، ولا يتتجاوز ذلك إلى مرحلة تفسير هذه الأراء في إطار البيئة الاجتماعية لهذا المفكر أو ذاك. وقد أدى ذلك إلى عدم ظهور دراسات مقارنة في التربية الإسلامية يمكن أن تستخلص منها الأبعاد الحضارية للفكر التربوي الإسلامي لاتخاذها منطلقاً لبناء فلسفة تربوية إسلامية تلائم حاجات العصر وتنسجم مع مقتضياته التي تحتم وضع نظرية للتنشئة والمعرفة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

* قسم التعليم السياسي - جامعة الإمارات العربية المتحدة.

ولعل ابن خلدون كان نافذ البصيرة حينما أشار إلى العلاقة بين التعليم والعمان، فالعلوم تكثر في الأ蚊ار المتقدمة، وتقل في الأ蚊ار غير المتقدمة «ومن تشوق إلى العلم من نشأ في القرى والأ蚊ار غير المتقدمة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي..... ولابد له من الرحلة في طلبه إلى الأ蚊ار المستباحة». وكلما رسخت الحضارة وطال أمدها، رسخت العلوم «ويقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمأن لاتفاقه إلى أن ينتقص بالكلية حال الصبغ إذا رسب في الثوب » كما أن الصنائع - وتعليم العلم من جملة الصنائع - تستجاد وتكثر إذا كثر طالبها «وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه إليها التفاص كان حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تتفق سوقها وتجلب للبيع، فتجهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم، وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تتفق سوقها، ولا يوجه قصد إلى تعلمها، فاختصت بالترك، وقدت للاممال».

ويقدر ابن خلدون أيضاً أن الأ蚊ار إذا قاربت الخراب انتقضت منها الصنائع والعلوم «وإذا ضعف أحوال مصر* وأخذ في الهرم بانتقاد عمرانه وقلة ساكنه، تناقض فيه الترف، ورجعوا إلى الإقصار على الضروري من أحوالهم، فتقل الصنائع التي كانت من توابع الترف، لأن صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه، فيفر إلى غيرها أو يموت، ولا يكون خلف منه، فيذهب رسم تلك الصنائع جملة... ولاتزال الصناعات في التناقض ما زال المصري في التناقض إلى أن تض محل». ولم يغفل ابن خلدون دور الدولة في طلب الصنائع واجادتها فقال «هنا سر آخر وهو أن الصنائع واجادتها إنما تتطلبها الدولة، فهي التي تتفق سوقها، وتوجه الطلبات إليها، ومالم تتطلبها الدولة - وإنما يتطلبها غيرها من أجل مصر*، فليس على نسبتها، لأن الدولة هي السوق الأعظم، وفيها نفاق كل شيء... والسوق وإن طلبوا الصناعة فليس مطلبهم بعام ولا سوقهم بناقة»^(١).

ويمكن أن نستخلص من هذا أن فلسفة التربية في مجتمع ما تتشكل في ضوء المستوىحضاري من جهة، ومن خلال حاجات الدولة باكملها من جهة أخرى. ويبعد هذا التصور شديد الشبه إلى حد بعيد بالمنهج الوظيفي الذي يعني أن الغاية أو الحاجة هي التي تفرض الوظيفة أو المؤسسة.

ومن ثم فالتفسير الصحيح لأمور التربية وقضاياها، يقتضي الرجوع إلى المجتمع والبيئة للوقوف على التيارات الفكرية والمذهبية التي تحكم إلى حد كبير حركة هذا المجتمع وتوجه طموحاته. فالعملية التربوية ليست في الواقع إلا نشاطاً اجتماعياً، ولذا

* لعلها من أهل مصر.

في تنوع بتنوع الفلسفات الاجتماعية القائمة وتصوراتها لمفهوم الفرد وعلاقته بغيره من الأفراد والمنظمات.

على هذا الأساس فإبني قد لا أتفق مع من يذهب إلى تقسيم النظم التربوية إلى نظم نمطية تستهدف تحقيق أغراض عقائدية أو ترتبط بحضارة معينة، ونظم تنوعية تقوم على أساس «ديمocrاطي» تعطي الفرد احتراماً لشخصيته واعتداً بنفسه^(٢). فجميع النظم التربوية في أي مكان وزمان لأبد وأن ترتبط بايديولوجية أو بفلسفة اجتماعية معينة دينية كانت أو غير دينية. واستناداً إلى هذه الفلسفات والأيديولوجيات تظهر وجوه الشبه والاختلاف بين آراء التربويين الذين يضمهم مجتمع واحد عموماً والذين ينتهيون لفلسفة واحدة لأن آراء الفكر التربوي إنما تكون انعكاساً للتصورات العامة في المجتمع الذي يعيش فيه من جهة، ومصدراً للفلسفة أو للأيديولوجية الخاصة من جهة أخرى.

وإذا طبقنا ذلك على الفكر التربوي الإسلامي لرأينا أن فلسفـة التربية في المجتمعات الإسلامية كانت في هيكلها العام نتاجاً إسلامياً، أما في ميدان التفاصيل فإنها كانت تنوع حسب المذاهب الدينية والفكرية.

ولو استبعدنا المرحلة الحديثة من مراحل تطور المجتمعات الإسلامية، فإنه يكاد يكون من المتفق عليه أن هذه المجتمعات قد مررت بمرحلتين اساسيتين : أولاهما مرحلة الإسلام العظيم التي بدأت بظهور الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية، ثم انتشرت خارج الجزيرة في حقبة الفتوحات الإسلامية حتى وصلت هذه المجتمعات إلى أوج الأزدهار في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). وثانيةهما مرحلة الجمود والتخلف والتقلك التي أعقبت تلك المرحلة. وتشترك المرحلتان في بعض المظاهر التي ظلت ثوابت تميز المجتمعات الإسلامية عن المجتمعات غير الإسلامية، وتختلف المرحلتان في بعض المظاهر التي يمكن النظر إليها كمتغيرات تميز كلّاً منها عن الأخرى، هذه المتغيرات هي التي دفعت الباحثين إلى التفرقة بين عصري الحضارة والتخلف في تاريخ المجتمعات الإسلامية.

والغرض الرئيسي من هذا البحث هو محاولة الوقوف على الأبعاد الحضارية للفكر التربوي الإسلامي في هاتين المرحلتين من خلال أفكار بعض رواد التربية الإسلامية عموماً وأخوان الصفا والغزالى وابن خلدون ويدر الدين بن جماعة بصفة خاصة، على أن يكون منطلق البحث هو عرض تصورات هؤلاء المفكرين لأقسام العلوم أو تصنيفها، واتخاذ هذه التصورات ركيزة أساسية في فهم الأبعاد الحضارية للفكر التربوي الإسلامي.

تصنيف العلوم في الفكر التربوي الإسلامي :

لعل ابرز ميادين الاختلاف والتبابين في الفكر التربوي الإسلامي هو ميدان تصنیف العلوم. ويبعدو أن المفكرين المسلمين اتخذوا ثلاثة اتجاهات رئيسية مختلفة : فنظر بعضهم إلى جميع العلوم على أنها وحدة واحدة لاتتجزأ ولا تتقابل، وأخرون قسموا العلوم إلى علوم مقصودة لذاتها وعلوم آلية، أو إلى علوم نقلية وضععية وعلوم حكمية فلسفية مع تفضيل قسم منها على الآخر، وفريق ثالث قصر مفهوم العلم على الدين وعلومه ولم يجعل لغير هذه العلوم مجالاً في تفكيره.

أولاً : وحدة العلوم :

يمكن أن نأخذ أخوان الصفا نموذجاً للفكر الإسلامي القائم على مفهوم «وحدة العلوم». فقد وضع أخوان الصفا تصنیفاً للعلوم يهدف إلى الاحاطة بجميع المعارف، ومحاولة ربطها بمحور واحد تتفرع عنه، وإلى غاية واحدة تتجه إليها سواء كان هذا المحور الكون أو الإنسان. وقد عقدوا في رسالتهم فصلاً للبحث «في أجناس العلوم» ذكروا فيه أن العلوم ثلاثة أجناس هي^(١) :

١ - العلوم الرياضية : وهي علوم الآداب التي وضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا.

٢ - العلوم الشرعية الوضعية : وهي التي وضعت لطلب النفوس وطلب الآخرة.

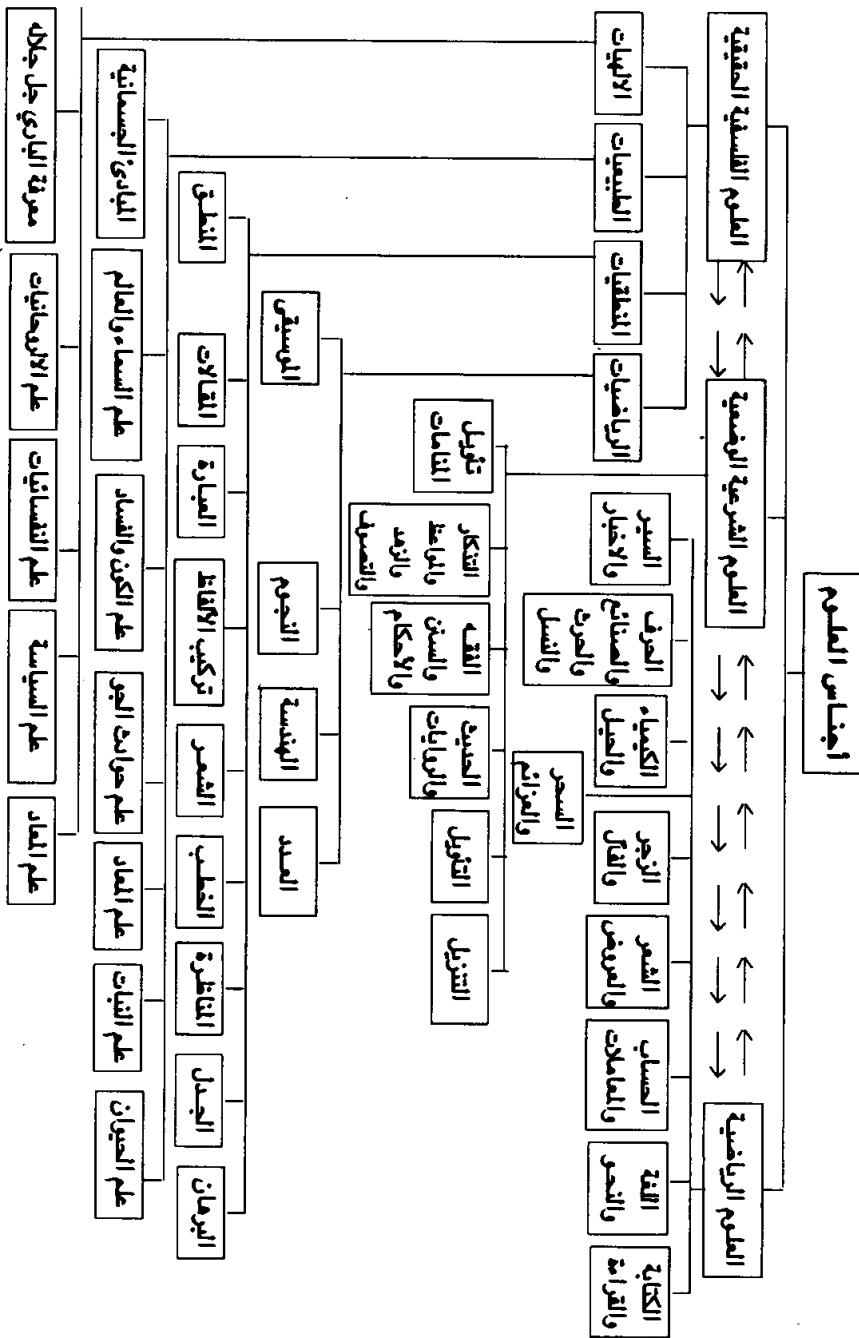
٣ - العلوم الفلسفية الحقيقة .

(انظر شكل رقم (١) في تصنیف العلوم عند أخوان الصفا).

ثانياً : انقسام العلوم :

يقوم هذا الاتجاه في الفكر الإسلامي على أساس المقاصلة بين العلوم فتنقسم العلوم إلى علوم مقصودة لذاتها وإلى علوم آلية، أو إلى علم هو فرض عين وعلم هو فرض كفاية، أو إلى علوم محمودة وعلوم مذمومة، أو إلى علوم حقيقة أو علوم حكمة وعلوم شرعية، وتبيّن هذه التقسيمات عند الفزالي (٤٥٠هـ - ٥٥٠هـ) مركبة ومعقدة أحياناً كما في «أحياء علوم الدين»، ويسقطة أحياناً كما في «ميزان العمل». ويندرج تحت التقسيم البسط للعلوم تقسيم كل من ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ) في «المقدمة»، وحاجي خليفة (المتوفى ١٠٦٧هـ) في «كشف الظنون».

شكل رقم (١) في تصنيف العلم عند اخوان الصنف مستوحى من (رسائل إخوان الصنف)



بحوث ودراسات

١ . تقسيم العلوم عند الغزالى :

- ذهب الغزالى في «احياء علوم الدين» إلى تقسيم العلم إلى قسمين رئيسيين هما^(٣) :
- ١ - علم هو «فرض عين» وهو علم الاعتقاد الصحيح، والعمل بالأوامر والتکاليف والعبادات، وهو العلم بكيفية العمل الواجب.
 - ٢ - علم هو «فرض كفاية» أي العلم الذي لا يستغني عنه في قوام الدنيا والدين، وتنقسم العلوم بالنسبة لهذا الغرض إلى :
- أ) علوم شرعية تستقاد من الأنبياء عن طريق التقل لاعن طريق العقل أو التجربة أو السمع.

وهذه العلوم الشرعية جمیعاً علوم محمودة إلا ما قد يلتبس بها مما يظن أنها شرعية ف تكون مذمومة^(٤).

ب) علوم غير شرعية : وتنقسم إلى ثلاثة فروع .

- ١ - علوم محمودة .
- ٢ - علوم مذمومة .
- ٣ - علوم مباحة .

(انظر شكل رقم (٢) في تقسيم العلوم في «احياء علوم الدين» للغزالى). وللامام الغزالى في «ميزان العمل» تقسيم مبسط للعلوم، حيث يشير إلى ثلاثة أنواع من العلوم في^(٥).

- ١ - علم يتعلق باللفظ.
- ٢ - علم يتعلق بالمعنى المجرد بدلالة اللفظ.
- ٣ - علم متعلق بالمعنى.

(انظر شكل رقم (٣) في تقسيم العلوم «في ميزان العمل» للغزالى).

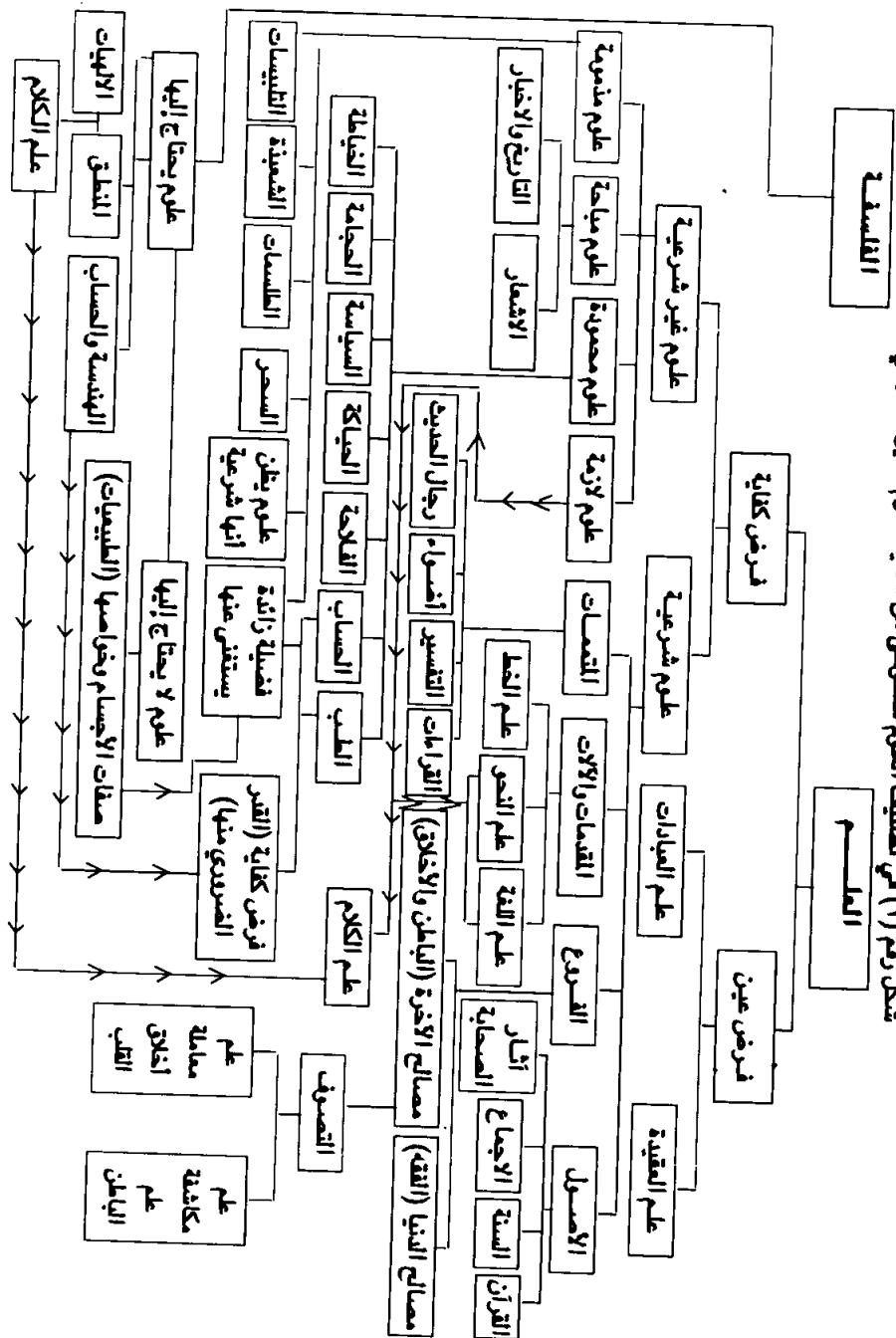
ب . تقسيم العلوم عند ابن خلدون :

أما بن خلدون فقد كتب في مقدمته فصلاً في «أصناف العلوم الواقعه في العمران لهذا العهد» ذهب فيه إلى تقسيم علوم البشر إلى صفين^(٦):

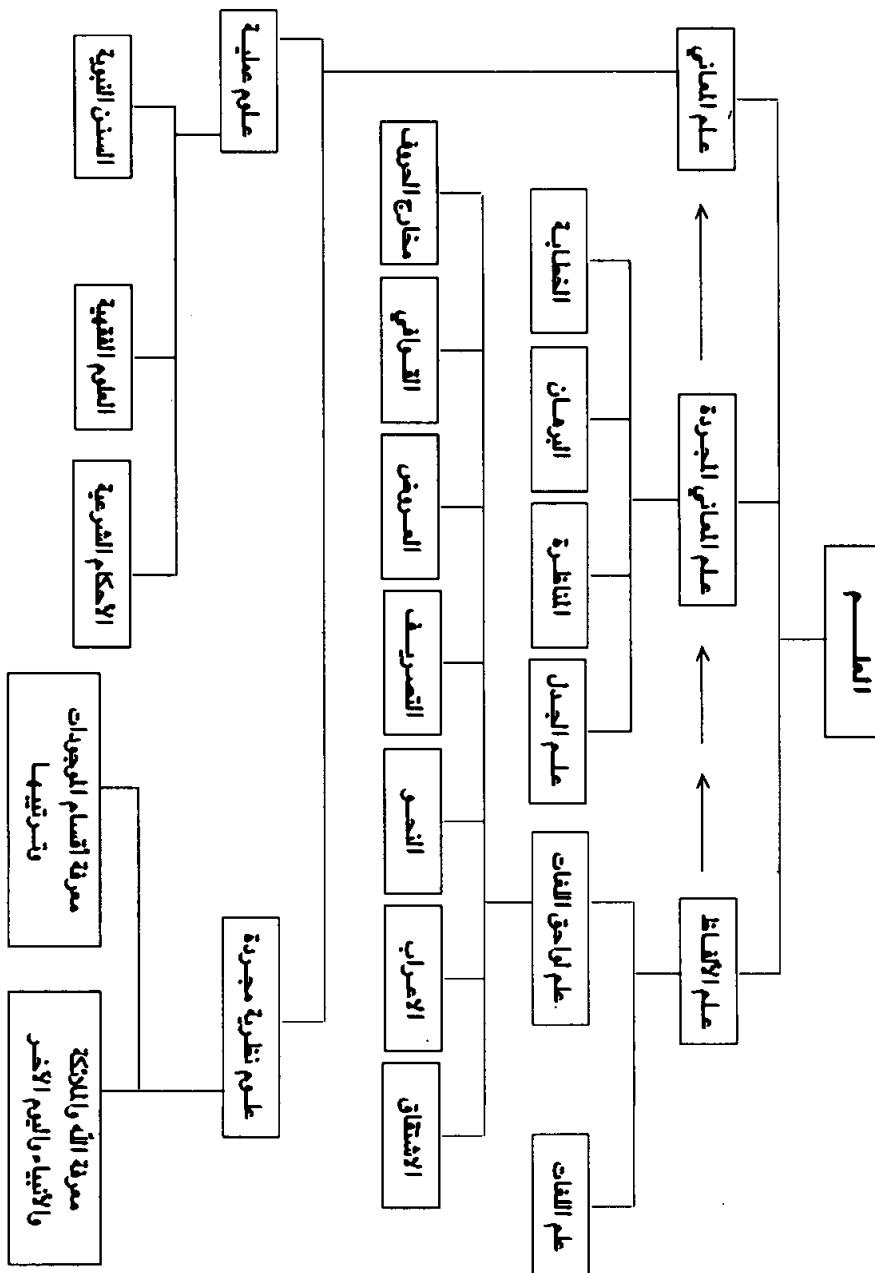
- ١ - صنف طبيعى : يهتمى إلية الإنسان بفكره وهو العلوم الحكيمية الفلسفية.
- ٢ - علوم نقلية وضعيه : وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواقع الشرعي، ولأجال فيها للعقل، إلا في الحال الفروع من مسائلها بالأصول.

(انظر شكل رقم (٤) في تصنيف العلوم في «المقدمة» لابن خلدون).

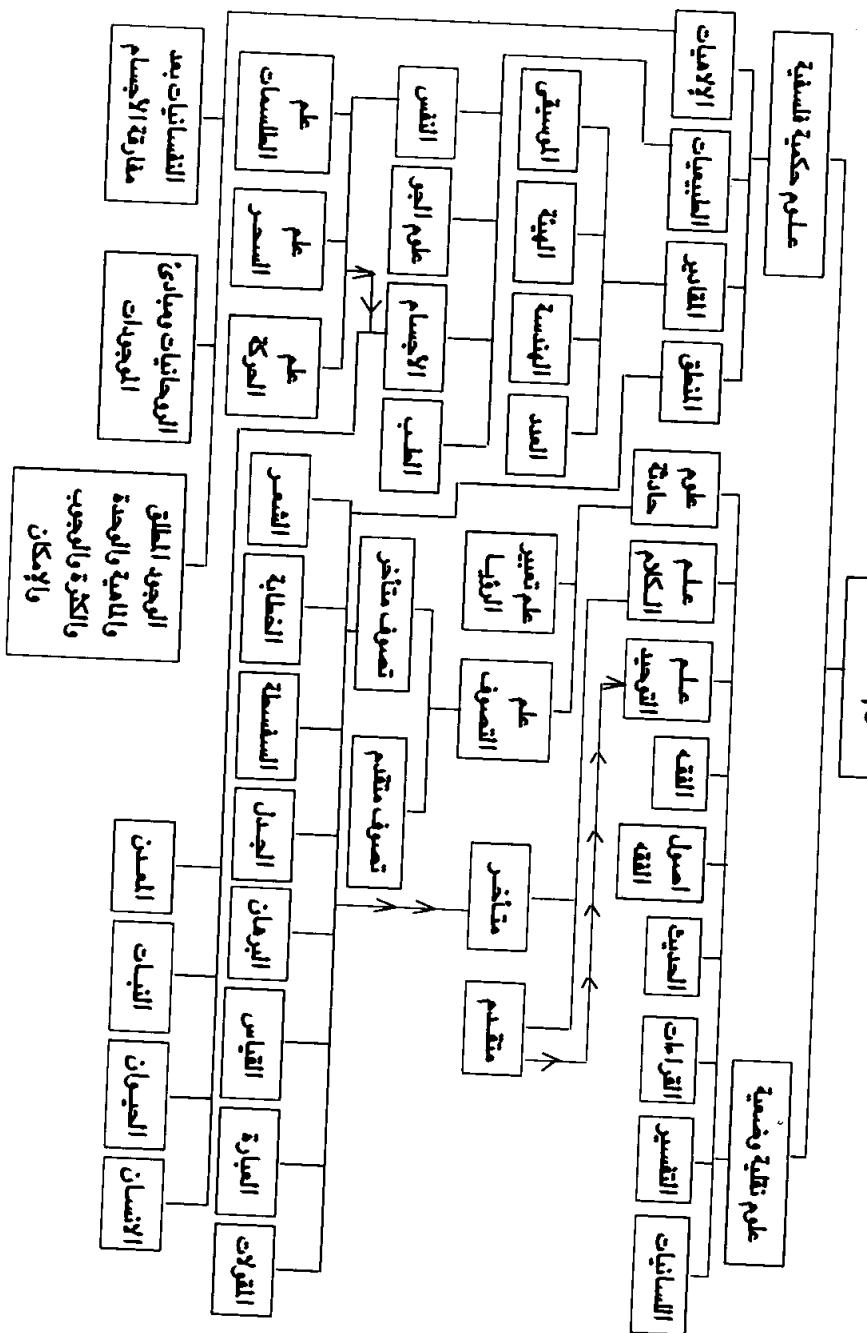
شكل رقم (١) لم تصنف المقدمة من مباحث علم الدين الغزاوي



شكل رقم (٢) في تسميم العلم مستخرج من «بيان العزل»



شكل رقم (٤) في تصنیف العلم مستخرج من «المقدمه لابن خلدون»



بحوث ودراسات

ثالثاً : واحديه العلم :

ويمكن أن نأخذ نموذجاً لهذا الاتجاه بدرالدين بن جماعة (٦٣٩ - ٧٢٣هـ) باعتباره واحداً من رواد الفكر التربوي الذين اهتموا بقضايا التعليم في عصره، فكتب «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» ضمنه خلاصة إراء ذلك العصر في هذا الميدان.

وبالرغم من أن ابن جماعة لم يكتب مباشرة في تصنیف العلوم أو اقسامها فإنه يمكن استخلاص ذلك من أضعاف كتابه المشار إليه. فالعلم عنده هو علم الدين أو العلم بالله، فقد قال «واعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قدّسوا به وجه الله الكريم»^(١). وقال «وقد ظهر بما ذكرناه أن الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البينية من صلاة وصيام وتسبیح ودعا، ونحو ذلك، لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس... ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه... ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليس ذلك للمعتدين.... ولأن فيبقاء العلم أحيا الشریعة وحفظ معالم الله»^(٢). وقال «إذا عزم - أي العالم أو المعلم على مجلس التدريس تظهر من الحديث والحديث... قاصداً بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشریعة»^(٣)، وعلى المعلم أن «يجلس مستقبلاً القبلة إن أمكن بوقار وسكنية وتواضع وخشوع»^(٤)، ونقل عن بعض السلف قولهم «هذا العلم دين فانتظروا عنم تأخذون دينكم»^(٥).

وقد رتب ابن جماعة العلم - أو علوم الدين والشریعة - حسب الأشرف فالأشرف^(٦).

(أنظر شكل رقم (٥) في تقسيم العلم عند ابن جماعة في «تذكرة السامع».

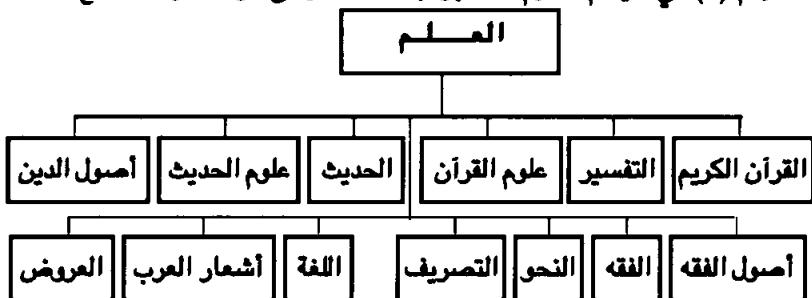
الفكر التربوي الاسلامي بين عصورين :

إن هذا العرض الموجز لتصنيفات العلوم عند بعض رواد الفكر التربوي الاسلامي لا يكفي لمعرفة الأبعاد الحضارية للفكر التربوي، ولذا يقتضي الأمر الاستعارة ببعض المحاور التي تساعده في الكشف عن هذه الأبعاد المختزلة في تصنیفات العلوم المشار إليها.

وقد يكون من المناسب أن أشير مرة أخرى إلى أن المجتمعات الاسلامية قد مررت في تطورها بمرحلتين أساسيتين هما:

- ١ - عصر التطور والازهار أو عصر الاسلام العظيم.

شكل رقم (٥) في تقسيم العلوم عند ابن جماعة مستوحى من «تذكرة السامع»



٢ - عصر الجمود والتخلف.

ومما لا شك فيه أن كل عصر من هذين العصررين كانت له ظروفه السياسية والاجتماعية المختلفة، مما كان له أكبر الأثر في تحديد خصائصه العقلية والفكرية المتميزة. وانطلاقاً من واقع كل عصر تتحدد بعض المحارر التي يدور حولها البحث لمحاولة الكشف عن الأبعاد الحضارية للفكر التربوي الإسلامي.

بيئة الحضارة وبيئة التخلف :

يعتبر العصر العباسي بلا جدال بداية الانطلاق الحضاري. وقد ذكر ابن خلدون أنه حين تمكن لل المسلمين سلطانهم ودولتهم، ولما «أخذنا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم، وتفتقروا في الصنائع والعلوم»، تشوّفوا إلى العلوم الحكيمية المخزنة لدى الروم فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة، فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات «فقرأها المسلمون، وازدأوا حرصاً على الظفر بما بقي منها». وجاء المؤمنون بعد ذلك، فأنبأوهم بهذه العلوم حرصاً، وكانت له «في العلم رغبة، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساحها، ووعكّف عليها الناظر من أهل الإسلام، وحذقوا فنونها، وانتهت إلى الغاية انتشارهم فيها، وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول، واختصوا بالرد والقبيل، لوقف الشهرة عنده، وبدونها في ذلك الدواوين، واربوا على من تقدمهم في هذه العلوم، وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي، وأبو علي بن سينا بالشرق، والقاضي أبوالوليد ابن رشد، والوزير أبو بكر بن الصانع بالأندلس، إلى آخرين بلغوا الغاية في هذه

العلوم، واختص هؤلاء بالشهرة والذكر، واقتصر كثيرون على انتقال التعاليم وما ينضاف إليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات....»^(١٢).

وقد وردت هذه القصة في كثير من الكتب الإسلامية، غير أن حاجي خليفة (المتوفى ١٠٦٧هـ) أشار إلى أمرين لهما مغزى بالنسبة لهذا البحث: أولهما أن آيا جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني كان «مع براعته في الفقه مقدماً في علم الفلسفة وخاصة في النجوم محبأً لأهلها». وهذه الإشارة تدل على أن الجمع بين علوم الشريعة وعلوم الحكمة ظهر في مرحلة مبكرة في تاريخ الدولة الإسلامية. وثاني الأمرين أن الخليفة العباسي السابع : المؤمن اقبل على طلب العلم في مواضعه، واستحضر كتب الفلسفه، وأمر بترجمتها، ثم كلف الناس قرائتها ودرغهم في تعلمها، لأنها لم تعد تشكل خطراً على «أحكام قواعد الاسلام، ورسوخ عقائد الإيمان»، لاسيما وقد حصل بالفعل هذا الرسوخ وذاك الأحكام. هذا علوة على أن أكثر العلوم الفلسفية «لاتعلق له بالبيانات» على حد تعبير حاجي خليفة الذي يضيف بأنه ترتب على هذا العمل الذي قام به المؤمن أن «نفتلت له سوق العلم، وقامت بولة الحكمة في عصره، وكذلك سائز الفنون، فائتن جماعة من نوي الفهم في أيامه كثيراً من الفلسفه، ومهنوا أصول الأدب، وبينوا منهاج الطلب»^(١٤).

ولذا لم يكن غريباً أن يتفق علماء الغرب على عظمة ماقام به المسلمين في تلك الحقبة. فقال لويس جارديه إن العهد العباسي منذ مطلعه ولدى قرنين على الأقل شهد أوج أمجاد الإسلام الدينية، حيث صارت بغداد عاصمة الدولة الإسلامية تتلاقى بكل سناماً الثقافى والسياسي، بينما كانت فارس قد سقطت «وكانت الإمبراطورية البيزنطية تجر مايسي فخارها»^(١٥). كما سجل ول ديورانت باعجاب إنجازات المؤمن ودوره في الحركة الفكرية حيث قال إن تشجيع المؤمن للفنون والعلوم والأداب والفلسفه كان أكثر تنوعاً ودقّة مما كان في عهد هارون الرشيد..... وكان الأطباء والفقهاء والموسيقيون والشعراء وعلماء الرياضة والفلك يستمتعون كلهم بعطائهم، وكان هو نفسه يقرض الشعر... كما يقرضه كل مسلم شريف مهني في ذلك الوقت^(١٦).

وكان من عظمة هذا العصر أن هدير الحضارة كان أقوى من التناقضات الاجتماعية والسياسية، حيث جمعت الدولة الإسلامية إلى جانب الإزدهار العقلي جملة من التناقضات التي جعلت منها واحدة من أكثر فترات التاريخ الإسلامي قلقاً واضطرباً ولكن أجزلها من الناحية العقلية عطاء^(١٧). فرغم أن الإمبراطورية الإسلامية كانت تتتألف من شعوب عديدة مختلفة الأجناس واللغات مما كان مثاراً لتنازع داخلي

دائم على السيادة بين هذه الشعوب والجماعات المختلفة، فإن التقارب والاتصال الوثيق بين هذه الأقوام في حياتها العادلة أفسح المجال للكثير من التفكير النظري المتشعب في العلاقات الحضارية المتباينة. هذا إلى جانب أن التنافس بين هذه الجماعات في مجالات الفكر والعلم لتاكيد تفوق حضارة كل منها وميراثها الثقافي على الآخرين، زاد في تشجيع التفاعل الحيوي واليقظة الفكرية^(١٨).

لقد نجم عن هذه المفارقة - أي الجمع بين الاندثار العقلي والاضطراب السياسي - تلاع حضاري فريد في نوعه، إذ سرعان ما تقسيت الدعوات السياسية والاجتماعية واستعلمت، ووجدت الحركات العقلية في الحركات السياسية والاجتماعية مجالاً ثقنياً عليه ظلالها وتفرغ فيه طاقتها، فبلغت الفرق الإسلامية نوراً نمواً في هذا العصر^(١٩).

لقد عاشت في التاريخ الإسلامي في هذا العصر جنباً إلى جنب مظاهر الاستبداد وكبّت الحريات، ومظاهر الحرية. وقد أتى كل هذه المظاهر أن تعبّر عن نفسها، وتمكن كل تيار أن يجسد آراءه في المجتمع الإسلامي، فسادت أفكار المرجنة والقائلين بالجبر في عصر الدولة الأموية، وظهرت أفكار القائلين بالاختيار والقدر في العصرين العباسيين الأول والثاني حتى بلغت ذروتها بامتزاج آراء المعتزلة بنظام الحكم في عهود الخلفاء العباسيين الثلاثة المؤمن والمعتصم والواشقي. وقد نتج عن الصراع بين أفكار المعتزلة وأفكار أهل السنة ظهور المذهب الأشعري الذي خرج من الاعتزال إلى أهل السنة حاملاً معه العديد من الأفكار المعتزلية. بل استطاع البوهيميون الذين كانوا يتبنون إلى الزيادة من السيطرة على دولة الخلافة العباسية في بغداد. وكان قيام الدولة الفاطمية في المغرب ثم انتقالها إلى مصر دليلاً على خصوبة البيئة الإسلامية واستعدادها لقبول آية أفكار تنشد الحضارة والرقي^(٢٠).

وقد نقل محمد اقبال في كتابه «تجديد التفكير الديني في الإسلام» عن «هورتون» استاذ فقه اللغات السامية بجامعة بون قوله بأن المسلم قد وفق دائماً بين رأيه الديني وبين مبادئ الثقافة التي استقها من الأمم المحيطة به، وأن الفترة ما بين ٨٠٠ و ١١٠٠ م قد ظهر فيها ما لا يقل عن مائة فرقـة من، الفرق الدينية، وهذا أمر قاطع في الدلالة على مرونة التفكير الإسلامي، كما يدل على مابذله المفكرون المسلمين الأوائل من نشاط متصل، واستخلص هورتون من ذلك أن «روح الإسلام رحبة فسيحة بحيث إنها تكاد لا تعرف الحدود، وقد تمثلت كل مامكنتها الحصول عليه من أفكار الأمم المجاورة، فيما عدا الأفكار الملحدة، ثم أضفت عليها طابع تطورها الخاص». وهذه الأقوال وغيرها - كما يقول اقبال - تبين في جلاء ووضوح أنه عندما تعود للمسلمين

حياة جديدة، فإن حرية الفكر الكامنة في الروح الإسلامية لابد أن تبرز نفسها إلى الوجود على الرغم من تزمن الفقهاء^(٢١).

وعلى الرغم من أن المرحلة التي يطلق عليها «عهد الإسلام العظيم» تمتد حتى القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر للميلاد) إلا أن هذين القرنين في تاريخ المسلمين كانوا حقبة صراعات حادة داخلياً، وحقبة مواجهة تهديدات خارجية - فقد كانت هناك صراعات بين طبقات اجتماعية أصايبها الجمود والتفكك، كما ظهرت جماعات عرقية مغولية وتركية لاسيما في مشرق العالم الإسلامي، وأخذ نفوذ هذه الجماعات يقوى ويتجزأ لاسيما بعد انهزام الصليبيين النهائي والذي كان خطورهم دافعاً لنوع من الوحدة الإسلامية، على الأقل بين المسلمين في مصر والشام، في مواجهة هذا الخطر كما أن تهرب السلطة المركزية في بغداد، في عهد آخر ثلاثة خلفاء عباسيين أدى إلى سقوط بغداد في أيدي المغول حوالي منتصف القرن السابع الهجري أو الثالث عشر الميلادي، وهو تاريخ يتواكب مع دخول الجيوش المسيحية أشبيليا في إطار ما عرف بالاسترجاع الأسباني وخروج المسلمين من الأندلس. هذا علامة على الانهيار السريع لدول المغرب الإسلامي وتبدل حدود هذه الدول بصورة مستمرة بسبب الصراعات فيما بينها^(٢٢).

وقد انعكست هذه الظروف بصورة سيئة على حياة المجتمعات الإسلامية، وبدأ دور العالم الإسلامي يتواتى تدريجياً عن شغل الموقع الممتاز الذي كان يشغلة على مسرح التاريخ والحضارة. «فكثر أهلاك النفس»، وانتشرت المللذات، وزاد الهزال الجسمي والعقلي، واشتدت حدة الانقسام الديني، ويزرت المراسم الفاضحة، وشاع الفساد السياسي والفوضى الشاملة، وانفرط عقد التضامن الاجتماعي^(٢٣).

وكان أغرب ما عرفه العالم الإسلامي في هذه الفترة هو تمكن الأرقاء من الوصول إلى قمة السلطة السياسية، حيث قامت دولة المماليك على انقضاض الدولة الأيوبية منذ منتصف القرن السابع الهجري، فشكلوا حكومات عسكرية في بلادِهم فيها غرابة كانوا قد جلبوا إليها كأرقاء من مختلف الأجناس، وكانت السلطة في عهدهم تستند إلى مبدأ «الحق للأقوى» القائم على الغدر والقتل والخيانة في غالب الأحيان. وقد حاول المماليك إضفاء الشرعية على حكمهم عن طريق تجديد الخلافة العباسية في القاهرة ولو بصورة شكيلية، حيث قنع كل من تولى منصب الخلافة في عهدهم ببنقش اسمه في السكة والدعاء له في الخطبة، وعن طريق التحرر من الرق وذلك بالرضوخ لفتوى عز الدين بين عبد السلام الذي يتوافق لهم شرط الحرية باعتباره شرطاً من شروط تولي المناصب العامة في الدولة الإسلامية.

والواقع أن المسلمين منذ أن بدأوا يقتلون سيادتهم العلمية التي كانوا يتمتعون بها منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) أصبح العباء العقلي والاسترخاء الأخلاقي باديين في كل مكان، بل إن ما يبقي لهم من مكانة علمية في ميادين الفلك والرياضيات والطب بدأ يضمحل منذ أواخر القرن الثالث عشر للميلاد. ويمكن القول إن هذا القرن كان آخر القرون التي ظهرت فيها بعض المؤلفات الكبرى مثل مؤلفات ابن تيمية في العلوم الشرعية، ومؤلفات ابن خلدون الاجتماعية، ومؤلفات ابن النفيس في الطب وابن الشاطر في الفلك، ودخل المجتمع الإسلامي عصر المختصات والاختصارات المخلة بالتعليم على حد وصف ابن خلدون^(٤).

وعلاوة على الأوبئة والمجاعات والأزمات الاقتصادية المتكررة التي عرفها العالم الإسلامي في أواخر فترة الازدهار وبداية فترة التخلف، راجت سوق الخرافات. وقد انتفت التجمعات الريفية حول «كتابها» و«مسجدها»، وصار معلم الكتاب، أو من تعلم القراءة والكتابة أو حفظ شيء من القرآن قائد الرأي، وإليه يرجع في كل الأمور. ورغم أن حال القرية كان على هذا النحو قبل هذا العصر، إلا أنه بدأ يتحول إلى نوع من الحماس الديني المعزوج بالخرافات والأباطيل، وكان الفلاح الخاضع لظروف الطبيعة فيما يتعلق بانتاجه ودخله، والمعرض لمصادفات لا يستطيع التحكم فيها، أكثر استعداداً للاذعان لمصيره والصبر على المحن المقدرة من الله. وقد كانت هذه البيئة مجالاً خصباً لعمل الروحانيين من أهل التصوف أو من المشعونين والدجالين.

أما في المدينة فقد عاش جنباً إلى جنب العلماء والتجار والملوك والصناع والحرفيون. وقد كان العلم والمال هما أساس المكانة الاجتماعية وركيزتها لمن يمتلكهما معاً أو يمتلك أحدهما على الأقل. فالسلطانين كانوا يقربون العلماء الذين ينتهيون إلى طبقة المعممين أو «أهل العامة» والتي كانت تشكل أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب، وقد تمنعوا باحترام الحكم وباعطائهم، غير أن هذه المكانة العالية لم تمنع بعض المسلمين وقادة المالك من التعرض لهم بالنقد والتهم، ومن ناحية أخرى كان السلطانين يقربون أصحاب المال والملك لأنهم مصدر المال في ساعات الحرج والشدة، ولكنهم كانوا يتعرضون لمصادر ثرواتهم من وقت لآخر أو كانت الضرائب الثقيلة تتقلد كواهلهم، وإذا فإنه كثيراً مالجا أصحاب الثروات وبدفعهم الأموال إلى استغلال فكرة «الوقف» في الإسلام، فتوقفوا ثرواتهم على مساجد ومدارس تولوا بناءها لعدم التعرض للمصادر أو للضرائب. وقبلاً يتعلّق بالصناع والحرفيين فقد خضعوا لتنظيمات حرفية ذات طابع تنظيمي هرمي صارم جعلت فيه

الطااعة لشیخ الطائفة أو استاذ الصنعة امراً حتیماً أشبه بطاعة المرید للشیخ في تنظیمات الصوفیة، لاسیما وقد انتشرت خوانق الصوفیة وروابطهم وذوایاهم وتكایاهم انتشاراً كبيراً في تلك الفترة. ورغم أن جنور التنظیمات المعرفیة تمتد إلى القرن الرابع الهجری (العاشر الميلادی) حين ظهرت هذه التنظیمات لحماية شؤون الحرفة أو المهنة والدفاع عن مصالح اعضاها، إلا أنها قد تعرضت للعواصف منذ أواخر عصر الازدهار حين هرب كثیر من الصناع من الموصل وبغداد ودمشق إلى القاهرة^(٢٤).

وقد تضافرت كل هذه العوامل منذ أوائل القرن الثالث عشر في خلق بيئة أقل ما يقال فيها إنها أدت إلى اعراض المسلمين عن كل تفكير نظري، ويعزو ول دبورانت هذا الإعراض إلى الصعف الذي اعتى القوة العباسية في العالم الإسلامي فأخذت تتجه اتجاهًا متزايداً نحو طلب المعونة من رجال الدين المتشددين في مواجهة التفكير الحر المستقل، والذي نتج عنه اضمحلال شأن الفلسفة وعلومها^(٢٥) وذهب محمد اقبال إلى القول بأن التفكير الديني نفسه ظل راكداً خلال القرون الخمسة الأخيرة^(٢٦).

بين الانفتاح والنطواء على الذات :

ما لا شك فيه أن الانفتاح الفكري الذي بدأ في عهد العباسين، لاسیما منذ الخليفة الثاني المنصور، ما كان ليظهر لو لم يستند إلى مؤازدة الدين الإسلامي وتعاليمه ومبادئه وروحه التي تحض على طلب العلم، والتي تجعل الحياة الدنيا سبيلاً للحياة الآخرة. فالدين والدولة أخوان توأمان في الإسلام، ولا يستطيع الإسلام تصور التفرقة بينهما. فرسالته لابد إذا شاءت أن تكون كاملة أن تجمع بين الجانبيين. ومن منطلق روح الإسلام ترك الأميون المدارس المسيحية والصيانية والفارسية قائمة في الإسكندرية وبيروت وانطاكية وحران ونصبیین وعند يساقور دون أن يمسوها بذلك وقد احتفظت هذه المدارس بأمهات الكتب في الفلسفة والعلم التي أفاد منها قليل من اهتم بهذه العلوم في الدولة الأموية من المسلمين كخالد بن يزيد بن معاوية، والتي كانت زاداً رئيسياً لحركة النهضة الفكرية والعلمية في عهد العباسين فيما بعد^(٢٧).

لقد كان الانفتاح على الثقافات من الأمور التي تتسمج مع روح الإسلام ومبادئه، وكان تعبيراً تلقانياً عن استحالة العزلة عن المؤثرات الثقافية غير الإسلامية التي وجد المسلمون أنفسهم في مواجهتها حين ضمت الدولة الإسلامية شعوباً وجماعات دينية وعرقية مختلفة. ولذا كان تأسيس دار الحکمة استجابة متلائمة مع متطلبات الأمر الواقع وحتمية التعامل معه، واتيح للMuslimين عن طريق الانفتاح دراسة التراث الهيليني

والفارسي والهندي في مختلف ميادين العلوم النظرية والعلوم العلمية. وبدأ فريق من المתרגمين في ترجمة تراث الأمم السابقة حتى أمكن نقل أمهات الكتب من السريانية واليونانية والفالهوية والسينسكريتية إلى اللغة العربية في فترة لاتتجاوز مائة وخمسين عاماً، بل إن بعض الكتب أعيدت ترجمتها عشرات المرات لتدارك اخطاء في الترجمات السابقة بها. وكان من نتائج ذلك دخول المسلمين عصر الانتاج والابتكار بحيث أثبتوا أنهم لم يكونوا مجرد نقله لحضارات الأمم الأخرى، بل صهروا هذه العلوم في بيئة إسلامية خالصة، وأخصصوا تراث الأمم السابقة للتحقيق والتقدیم، وحولوه لخدمة حاجاتهم وطراطئ تفكيرهم، وتقدّموا بمناهجهم الخاصة في البحث، فكانت لهم إسهاماتهم المتميزة في مختلف ميادين العلوم: في الشريعة وفي فقه اللغة وعلوم الدين والفلسفة والكيمياء والطب والفلك والتاريخ والجغرافيا... الخ.

وقد اتسمت هذه الفترة من حياة الدولة بقدر كبير من حرية التفكير، ولم يكن الناس يخشون أن يصيّبهم أذى بسبب آرائهم وأفكارهم. وترك المجال مفتوحاً للتفكير بحرية حتى في النصوص الدينية التي نظر إليها بقوانين العقل^(٢٩).

ولم يخل عصر الإزدهار من علماء وقفوا موقفاً متشدداً من الفلسفة، وقد هاجم الفزالي متكلسة الإسلام كالفارابي وأبي سينا وأخوان الصفا واتهمهم بالكفر والمرعوق في الدين^(٣٠). ورغم ذلك فإن آراء الفزالي ظهرت في بيته مفتوحة فكريأً مما جعل لهذه الآراء قيمة في إثارة الحوار القائم بين أنصار التقليل وأنصار العقل، كما أنه قد كان لكل مثقفي ذلك العصر مجموعة من المعارف المتعددة المشتركة، ولم يكن الفزالي بعيداً عن ميدان العلوم الفلسفية التي هاجمها، وله في هذا الميدان مؤلفاته الشهيرة مثل «تهافت الفلسفه» و«مقاصد الفلسفه» و«فيصل التفرقه بين الإسلام والزنقة». وقد تحدث الفزالي عن نفسه فقال: «ولم أزل في عنوان شبابي - منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أتاف السن على الخمسين - اقتحم لجة هذا البحر العيق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحنور، أتوغل في كل مظلمة، واتهجم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، واتفحص عن عقيدة كل فرق، واستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق وبطل ومتسنن ومبتدع، لأن أغادر باطننياً إلا وأحب أن اطلع على باطنته، ولا ظاهرياً إلا واريد أن أعلم حاصل ظهارته، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفياً إلا وأحرض على العثور على سر صفوته، ولا متعبداً إلا وأنترحد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً معطلاً إلا وأنتحسّن درايعه للتبيّن لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته...»^(٣١).

وقد ظل الفزالي رغم مهاجمته للفلسفة - التي لم يعتبرها قسماً من أقسام العلوم في تصنيفه في احياء علوم الدين - ظل على الجملة تلميذًا لارسطو في المتنطق، ووضع في كتابه «القسطاس» بعض حجج القرآن في أقيسة منطقية أرسططالية^(٣٢). وقد كان الفزالي واقعياً ومتفتحاً حينما جعل علم الكلام - الذي هو حصيلة الالهيات والمنطق من الفلسفة - من العلوم الازمة أو الضرورية، وبالتالي أدخل علم الكلام من النافذة ليصير قسماً هاماً من أقسام العلوم غير الشرعية مثله في ذلك مثل اللغة والنحو^(٣٣)، وقد قال في هذا الصدد «وكان الخوض فيه - أي في علم الكلام - بالكلية من البدع، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضي القرآن والسنة، ونبغت جماعة لفقوا لها شبهها وربتها فيها كلاماً مزيفاً فصار ذلك المحنور * - أي علم الكلام - بحكم الضرورة مأذوناً، بل صار من فروض الكفايات، وهو القدر الذي يقابل به المبتعد إذا قصد الدعوة إلى البدعة». كما جعل الفزالي المتنطق، وهو البحث عن وجه الدليل وشروطه وجاه الحد وشروطه، والالهيات، وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته، من العلوم التي تدخل في علم الكلام^(٣٤). وقد عرف الفزالي «العالم الكبير» بأنه الذي «أمضى عمره في العلوم العقلية والشرعية»، أما «الأحمق» فهو الذي «يشتغل بطلب العلم زماناً قليلاً ويتعلم شيئاً من العلوم العقلية والشرعية»^(٣٥).

إن مبدأ «التنوع» يبيو المبدأ الجوهري الذي طبع به عصر الازدهار الحضاري للMuslimين. وقد ساد هذا المبدأ في كافة نواحي الحياة الفكرية والمؤسسية. فقد تشكلت العقليات الاسلامية حسب ظروف الحياة ومقتضياتها، وتتنوعت وتدخلت حسب تيارات تتلاقى فيها باستمرار القيم الاجتماعية والثقافية والظروف الاقتصادية والمناهج التربوية والتنشئة السياسية والدينية. وقد سما اعظم فقهاء الاسلام في ذلك العصر فوق حدود الفكر المذهبى المتعصب في توجهه توحيدى يجمع «أهل القبلة» كما قال الفزالي^(٣٦).

وقد برم مبدأ «التنوع» في ميدان العلوم التي أقبل العلماء المسلمين على دراستها، فدرسوا إلى جانب العلوم الدينية الشرعية علوم الحكمة والفلسفة عند اليونان والهنود والفرس، دون معاداة علم من هذه العلوم أو هجر كتاب من كتبها على حد قول اخوان الصفا، لأن رأيهم ومذهبهم - على حد قولهم - يستفرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها، فمذهبهم، النظر في جميع الموجودات بأسرها الحسية والعقلية، من أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، بعين الحقيقة من حيث هي كلها من مبدأ

* لها المظير.

بحوث ودراسات

- واحد، وعلة واحدة، وعالم واحد، ونفس واحدة...»^(٣٧). وقد استمد الاخوان علومهم، التي تتمتع جمیعاً بنفس الأهمية، من أربعة مصادر هي^(٣٨).
- ١ - كتب فلاسفة اليونان والاسكندرانيين والفرس والهنود.
 - ٢ - الكتب السماوية المنزلة مثل «التوراة والإنجيل والفرقان وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة وما فيها من الأسرار الخفية».
 - ٣ - الكتب الطبيعية وتعني المعرفة المستمدّة من الكائنات الطبيعية والصناعات البشرية.
 - ٤ - العلوم الباطنية التي يسمّيها الاخوان «الكتب الإلهية» التي لا يمسّها إلا المطهرون من الملائكة.

وقد لفت أبوحيان التوحيدى الانظار إلى أهمية مبدأ «التنوع» في المعرفة حيث أشاد بعلماء عصره الذين تنوّعت معارفهم، فقال عن أبي سعيد السيرافي «كان يقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والفرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والهندسة والحديث والأخبار، وهو في كل هذا إما في الغاية وإما في الوسط»، وقال عن علي بن عيسى الرمانى إنه «عالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق، ولا عيب به، إلا أنه لم يسلك طريق واسع المنطق، بل أفرد صناعة، وأظهر براءة، وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً، هذا مع الدين الثمين والعقل الرزين»^(٣٩).

وقد ارتبط مبدأ «التنوع» في عصر الإزدهار الحضاري للمسلمين بمبدأ آخر هو مبدأ «الحكمة الأدبية» أو «الحكمة الأزلية» التي ترتكز على القول بأن جوهر الحضارات كلها واحد، لأن جوهر العقل البشري واحد. وقد ظهر مبدأ «الحكمة الأدبية» لأول مرة كعنوان لكتاب لابن مسكويه «جاويدان خرد»^(٤٠)، الذي ذهب فيه إلى القول بأن جميع الحضارات كانت تجسيداً لهذه الحكمة الأدبية لأن العقول في جميع الأمم واحدة في جوهرها، ولاتختلف بعضها عن بعض بسبب اختلاف البلدان، ولاتتغير بتغير الزمان، ولاتشيخ ولايسيبها الوهن^(٤١). ورغم ذلك فإن مضمون هذا المبدأ عرف في الفكر الإسلامي قبل ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ.

ولعل ابن المقفع في القرن الثاني الهجري هو أول من أشار إلى ما يمكن أن يكون نواة هذا المبدأ. ففي العقد الفريد لابن عبدربه أن ابن المقفع ذكر فضائل بعض الشعوب والأمم مثل الفرس والروم والصينيين والهنود والعرب^(٤٢). وقد كان الجاحظ من القائلين بفحوى هذا المبدأ حين ذكر في كتاب العيوان أن حكمة الشعوب كافة تحدرت إلى العرب من أمة إلى أمة ومن جيل إلى جيل. كما نسب الراغب الأصفهاني

في «محاضرات الأدباء» إلى الجاحظ قولهً يذكر فيه الخصائص الحضارية ل مختلف الشعوب وانجازاتها في حقول العلم والصناعة، فذكر علوم الفرس واليونان والصين والمهد والترك^(١٣).

ولاخوان الصفا نظرية هامة حول طبائع الأمم وسجايها قوامها أن كل أمة تتفرق بخصائص وسمات وسجايا «لما يشاركتها فيها غيرها، وأن هذه الاختلافات بين الأمم ترجع إلى عوامل طبيعية وعوامل عرقية وعوامل اجتماعية، ويرى الاخوان أن أقاليم العالم السبعة تفصلها عن بعضها خطوط همبة، وأن القليم الرابع فيها - الذي يبدأ من شمال الصين وينتهي إلى بحر المغرب - هو القليم الأنبياء والحكماء لأنه وسط الأقاليم.

ولانعدم وجود آراء مشابهة عند الكندي والمسعودي، وهي نفس الآراء التي تظهر في مقدمة ابن خلدون الذي ذكر أن الأقاليم المتوسطة مخصوصة بالاعتدال «فلهذا كانت العلوم والصناعات والمباني والملابس والآلات والفاكهه، بل والحيوانات، وجميع مايتكون، في هذه الأقاليم المتوسطة»^(٤٤).

وقد أقام اخوان الصفا نظريتهم في وحدة العلوم على أساسين^(٤٥):

١ - أن جميع العلوم والصناعات موجودة بالقوة في داخل نفوس وأجسام جميع البشر، ولايتيها لاي إنسان بمفرده أن يستتبع بقوته الجنائية وحده جميع هذه العلوم والصناعات.

٢ - أن الناس يتفاوتون في درجات عقولهم واستعداداتهم الطبيعية واختلاف خواص نفوسهم التي يتوقف عليها اظهار فعل من الأفعال على حسب أمزجة الجسد، مما جعل العلوم والصناعات والمناقب موزعة على جميع البشر حسب استعدادات كل منهم.

وقد ظهرت هذه الأفكار، باختلافات طفيفة، عند كل من الفارابي وابن سينا والغزالى وابن خلدون وغيرهم في صدد تصوراتهم لطبيعة الاجتماع البشري.

وقد ذكر أبوحنیان التوحیدي ماتميزت به كل أمة من الأمم، فالفرس «قوم علموا فتعلموا، ومثل لهم فامتثلوا واقتدوا»، والروم « أصحاب بناء وهندسة»، والصين « أصحاب أثاث وصنعة»، والمهد « أصحاب هم بمخربة يشعبذة وحبيلة»، والعرب «أهل فكر ونظر وعقل»، وقال عقب ذلك «لكل أمة فضائل ورذائل، ولكل قوم محاسن ومسارئ» وكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدمها كمال وتقدير، وهذا يقضى بأن

بحوث ودراسات

الخيرات والفضائل والشروع والتناقض مفاضة على جميع الخلق، مفوضة بين كلهم فللفرس السياسة والأداب والحدود والرسوم، وللررم العلم والحكمة، وللهند الفكر والروية والخفة والسحر والأناة، وللترك الشجاعة والاقدام، وللزنج الصبر والك والفرح، وللعرب النجدة والقرى والبقاء والبلاء والجود والذمام والخطابة والبيان... فقد بان بهذا الكشف أن الأمم كلها تقاسمت الفضائل والتناقض باضطرار الفطرة واختيار الفكرة»...^(٤٦).

ولأبي سليمان السجستاني (القرن الرابع الهجري) قول مشابه في ظهور الحكمة الأبدية لدى مختلف الشعوب والأمم، إذ يرى عن أنه قال «نزلت الحكمة على رؤوس الروم وألسن العرب وقلوب الفرس وأيدي الصينيين»^(٤٧).

وفي الامتناع والمؤانسة أن السجستاني سئل عن الأمم وأحوالها ونقصها وكمالها فقال «اشتركت الأمم في جميع الخيرات والشروع، وفي جميع المعاني والأمور، اشتراكاً أتى على أول التقاوٍ ووسطه وأخره، ثم استبنت كل أمّة بقوالب ليست لاختها، واشتراكهم فيها كالأصول، واستبدادهم كالفروع... ولم يجز في الحكمة الإلهية غير هذه القسمة.. فليس شخص وإن كان زرياً قميئاً إلا وفيه سر كامن لا يشركه فيه أحد، ولذا كان هذا في شخص كما قلنا، فكيف إذا نظرت إلى ما يحييه النوع، وهكذا إذا ارتقيت إلى الجنس... وليس دون الشخص تحت - كما أنه ليس فوق الجنس فوق»^(٤٨).

إن هذه الرؤية المتفتحة لفضائل الأمم المختلفة والتي نراها عند عدد كبير من المفكرين المسلمين في عصر الازدهار الحضاري تؤكد ما يمكن أن نطلق عليه «تكامل المعرفة».

ولايتأتي للمرء أن يبلغ غاية العلم إلا إذا اتصل بغيره، ولابدّ أن مجتمع أن يصل إلى تكامل المعرفة إلا إذا اتصل بغيره في المجتمعات اتصالاً وثيقاً ينفذ من خلاله إلى علوم هذه المجتمعات ويطلع عليها ويستوعبها استيعاباً تاماً حتى يمتص منها ما يتلام مع ظروفه وبيته ولا سبيل لبلوغ الكمال في هذا الصدد «من تلقاء نفسك» وإنما هو شيء يأتي «من تلقاء غيرك»، وليس شيء أنسع من يريد أن يتعلم من سوء الظن بنفسه، والرجوع إلى غيره، وليس في الدنيا محسوب إلا وهو محتاج إلى تنقيف، «والمستعين أحسن من المستبد، ومن تفرد لم يكمل، ومن شاور لم ينقص» على حد قول التوحيدى^(٤٩).

وفي إطار هذه المبادئ - التنوع، والحكمة الأبدية، وتكامل المعرفة - وضع رواد

التربية الإسلامية في عصر الازدهار تصنّيفتهم للعلوم. وقد كان بدھيًّا أن ينظر أخوان الصفا إلى وحدة العلوم وعدم تقاضلها بحكم نزعتهم الفلسفية التي تهدف إلى الاحاطة بجميع المعارف، ومحاولة ردها إلى محور واحد تتفرع عنه، وإلى غاية واحدة تتجه إليها سواء كان هذا المحور هو الكون أو الإنسان. وحتى بالنسبة للفرزالي الذي فصل بين العلوم الشرعية، وغير الشرعية والعلوم الفلسفية لنصرة العلوم الشرعية، لم يستطع أن يتخلص نهائياً من هذه المبادئ، فخلق بعقربيه هذه علاقة خلفية بين علوم الفلسفة وعلوم الشرعية.

وأعل كل ما يُؤخذ عليه في تقسيمه للعلوم هو أنه جعل العلوم الطبيعية - وهي قسم من الفلسفة - علوماً لا يحتاج إليها، ويرجع ذلك على الأرجح إلى نزعته التصوفية التي تعتمد على النقل والنص إلى أن يصل الإنسان إلى النونق في الوصول إلى الحقيقة ولعل هذا ما يبرر لنا تقسيمه للعلوم في ميزان العمل.

ومما تجر الإشارة إليه ونحن بقصد دراسة مبدأ «التنوع» وما ترتب عليه من انتفاح ثقافي على الغير في عصر الازدهار الحضاري للمسلمين، أن تنوع أساليب التعليم ووسائله كان مظهراً هاماً من مظاهر التنوع. فالى جانب المدارس الرسمية وغير الرسمية لتعليم مختلف أنواع العلوم، عرفت الدولة الإسلامية آنذاك المنتديات الأدبية والفكرية والفلسفية والعلمية، هذا علاوة على المناذرات التي كانت منتشرة في حواضر العالم الإسلامي ومدنه بين علماء ذلك العصر. وقد كان هذا التنوع في وسائل تحسيل المعرفة ونشر الثقافة قميًّا بأن يدفع الحركة العلمية والنشاطات التربوية قدماً إلى الأمام، وكان قميًّا أيضاً بأن يجعل الانفتاح الفكري أحد الركائز الأساسية التي قامت عليها حضارة المسلمين المزدهرة سواء في شرق العالم الإسلامي أو في مغربه وأندلسه.

إن قصور الخلفاء ذاتها كانت من أشهر مؤسسات التربية والعلم والثقافة ومن أهم مراكز الإشعاع الفكري المتحضر، حيث كانت تعقد حلقات المناذرة بين العلماء المتنمرين إلى مختلف الملل والنحل. فقد كان بلاط المؤمن يجمع ممثلي لجميع الأديان الكبرى في البلاد كلها، من مسلمين ويسريحيين وبهود وصابئيين وزرادشتيين وسمنيين وغيرهم، وضمن الخليفة لجميع رعاياه حرية الدين والعبادة على ما أشارت إليه روایات عديدة في فهرست ابن النديم. وظلت حرية التفكير سنة مألوفة في بلاط الخليفة. وقد وصف المسعودي بعض المجالس العلمية التي كان يعقدها المؤمن في آخر نهار كل يوم ثلاثة (٠٠). ويحدثنا المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة في الدولة الفاطمية

بحوث ودراسات

في سيرته أنه كان يعمل داعياً للمذهب الشيعي في بلاد الخلافة العباسية، وأنه كان يقيم المنازرات مع مفكرين وعلماء من أهل السنة في حضرة السلطان أبي كاليجار حتى كاد يستميل هذا السلطان إلى مذهبة^(٥١). ويحفل كتاب الامتناع والمؤانسة للتوحيد بكتير من الإشارات إلى حلقات المنازرات والندوات الفكرية التي كانت قائمة في الدولة الإسلامية على عهده سواء في عاصمة الدولة أو في خارجها، والتي كانت تجرى في قصور الوزراء والحكام بين علماء ومفكرين مسلمين وغير مسلمين ومن أمثلتها المنازرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى بن يونس سنة ٢٢٦هـ عند الوزير ابن الفرات^(٥٢). وقد سجل ابن أبي أصيبيعة ماذكره أبو عبد الجوزجانى رفيق ابن سينا عن المجالس العلمية الليلية التي كانت تعقد في دار ابن سينا حينما كان وزيراً في بلاط همدان^(٥٣).

لأم تكن هذه المجالس تلتئم حول حاكم أو وزير فحسب، حيث اهتم كل الأمراء والوزراء في ذلك العصر بممثل هذه المجالس، بل كثيراً ما كان متقدون وعلماء ومفكرون غير موظفين في الحكومة يترأson الكثير من هذه المجالس، ومن ذلك مجلس أبي سليمان السجستاني الذي أشار إليه التوحيد وغيره والذي يطلق عليه ول ديورانت اسم «الجمعية السجستانية»^(٥٤). ويعتبر لويس جارديه هذه المجالس الأدبية والفلسفية والعلمية من الظواهر المألوفة لهذا الوسط الانساني الواسع الانتشار الحقيقي، ولذا أطلق عليها اسم «المجالس الإنسانية»، وقد تواصل فيها نشاط اجتماعي عظيم من مداولات ومجالس وأعمال مشتركة، وكان يلتقي فيها سياسيون وقضاء ونحوه وكتاب وشعراء والمليون وفلاسفة وعلماء، ولم تكن هناك قيود اجتماعية أو شروط لحضورها اللهم إلا الرغبة في العلم والتنافس فيه وتبادل وجهات النظر والفتنة والأدب والقدرة على المحاضرة والمناظرة^(٥٥).

وقد ميز أخوان الصفا في رسائلهم بين نوعين من المجالس: مجالس اللذات الجسمانية للأكل والشرب، ومجالس اللذات الروحانية للعلم والحكمة، وقد وصفوا هذا النوع الثاني من المجالس بقولهم «أما مجالس العلم والحكمة والاستماع فليس تمل النفس منها، لأنها لذات روحانية من نعيم الآخرة وإنموذجها، ولا تنقص من علم العالم المرتد، وإن كثر المتعلمون والسامعون... ثم اعلم أنه ليس في كثرة الأكل افتخار.. إن الافتخار والثناء ينبغي أن يكون اقتناه الفضائل الحكيمية وفي الاستضاءة بنور العلم...»^(٥٦).

ومن مظاهر تنوع أساليب التربية والتعليم وتحصيل العلم انتشار الكتب في مختلف

بحوث ودراسات

فروع المعرفة.. ولم يبلغ الشفف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلد العالم - اللهم إلا في بلاد الصين في عهد منج هوانج - ما بلغه في بلاد الاسلام في القرن الثامن والتاسع والعشر والحادي عشر للميلاد. ففي هذه القرون الأربع بلغ الاسلام ذروة حياته الثقافية. وعلى حد تعبير ول ديورانت «لم يكن العلماء في آلاف المساجد المنتشرة في البلاد الاسلامية من قرطبة إلى سمرقند يقلون عن عدد ماقبها من الأعمدة، وكانت إيواناتها تزداد أصداً علمهم وفصاحتهم، وكانت طرقات الولاة لاتخلو من الجغرافيين والمؤرخين وعلماء الدين يسعون كلهم إلى طلب العلم والحكمة»^(٥٧). ونظرة واحدة في كتاب ابن النديم تؤكد لنا مدى انتشار الكتب في كافة ميادين العلوم والفنون في العديد من المكتبات التي انتشرت في كل مكان.

ولايغوتنا هنا أن نشير إلى ما حملته مبدأ «الرحلة في طلب العلم» من قداسة في الفكر التربوي الاسلامي. فكان هذا المبدأ تعبيراً عن الرغبة في الانفتاح الثقافي أو بالأحرى الرغبة في «التنافذ» الثقافي عن طريق انتقال طالب العلم إلى حيث يجد ما يرغب فيه من علوم، ولعل من الخصائص المميزة للمجتمعات الاسلامية في عصرها الراهن تلك الأهمية التي اتخذتها في الحياة اليومية الأسفار في أرجاء العالم الاسلامي وخارج حدوده.

وقد كتب ابن خلدون فصلاً في «أن الرحلة في طلب العلم ولقائه المشيخة مزيد كمال في التعلم» اشار فيه إلى ضرورة الرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ وبماشرة الرجال فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يقيده - أي المتعلم - تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم - أي المعلمين - فيها، في مجرد قوله عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل، وتنهض قوله إلى الرسوخ والاستحکام في الملکات، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها، مع تقوية ملكته بال مباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم»^(٥٨).

وتحفل كتب الطبقات والوفيات والرحلات باشارات كثيرة ومتعددة للرحلة في طلب العلم. وقد كان لفريضة الحج الآخر الكبير في ترسين هذا المبدأ فلم تكن رحلة ابن جبير سوى رحلة من رحلات أداء الفريضة. وقد أشار الذهبي إلى رحلات لعلماء مسلمين في طلب العلم مثل رحلة الخطيب البغدادي حيث قال الخطيب « واستشرت البرقاني في الرحلة إلى عبد الرحمن بن النحاس بمصر أو أخرج إلى نيسابور، فقال: إن خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى رجل واحد فإن فاتك ضاعت رحلتك، وإن خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة، فخرجت إلى نيسابور»^(٥٩). ونقل ابن عبد البر أن الشعبى

بحوث ودراسات

قال «لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسع الكلمة حكمة مارأيت أن سفره ضاء»^(١٠).

ويحفظ لنا عهد الازدهار الإسلامي تذكار العالم الشهير البيروني الذي رحل إلى الهند وعاش هناك سنوات تعلم فيها اللغة السنسكريتية، وترجم منها إلى العربية ومن هذه إلى تلك، وفي هذا العهد أيضاً قام ابن فضلان برحلته الشهيرة.

وإلى القرن التاسع والعشرين والحادي عشر للميلاد تنتهي أهم كتب الجغرافيين المسلمين كاليعقوبي وأبي زيد البخري والسرخسي وأبي خرداذبه والمقدسي وغيرهم. وقد حفظت هذا الكتب ببيانات دقيقة وتفصيلية عن طبيعة البلدان ومتناخها وحيواناتها ونباتاتها المتنوعة، وعن عادات أهلها وطبياعهم وأخلاقهم ودياناتهم وأنماط معيشهم مما فتح المجال أمام ظهور دراسات مقارنة عديدة.

وكثيراً ما كان الفلاسفة والتصوفة من المغرب الإسلامي والأندلسي يرحلون للتعلم على أيدي أساتذة شرقين، وإن كان العكس نادراً، لأن أنظار المغاربة كانت تتوجه نحوية المشارقة كما تتجه نحو الكعبة. وحياناً في المعرفة أو حباً في الاغتراب كان العديد من المتأدبين ينتقلون على هذه الصورة عبر كل العالم الإسلامي، وشرع بعضهم في زيارة بلاد أجنبية. وكانت صفة «رحالة» أو «جوال» موضع فخار، وقد وصف التوحيدى أبا الحسن العامرى (المتوفى سنة ٣٨٠هـ) بأنه كان «من الجوالين الذين نقباوا في البلاد واطلعوا على أسرار الله في العباد»^(١١).

ولكن ظهر في أواخر عصر الازدهار وبداية عصر الجمود والخلاف ميل إلى الانطواء على الذات عند المسلمين، فوقفوا ضد العلوم العقلية عموماً، وضد الفلسفة على وجه الخصوص، وسيطرت على الساحة الفكرية فتاوى العلماء ضد الفلسفة والمنطق منها فتوى ابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٢هـ) التي حرم فيها الفلسفة والمنطق على المسلمين حيث قال «إن الفلسفة أنس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلالة، وشعار الزيف والزندة، ومن تقفس فقد عمي ب بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة. وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة، ومدخل الشرشر». وأما استعمال المصطلحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية فمن المكرات المستبشعـة والرقاعـات المستحدثـة... فالواجب على السلطـان أن يدفع عن المسلمين شـر هؤـلـاء المشـائـيم ويـخرجـهم عنـ المـدارـس، وـيـبعـدهـم عنـ الاـشـتـفالـ بـقـنـهمـ، وـأنـ يـعرـضـ منـ ظـهـرـ مـنـ اـعـتـقادـ عـقـائـدـ الـفـلـاسـفـةـ عـلـىـ السـيـفـ أـوـ الـاسـلـامـ - وـمـنـ أـوـجبـ عـزلـ مـنـ كـانـ مـدـرـسـ مـدـرـسـةـ مـنـ أـهـلـ الـفـلـاسـفـةـ»^(١٢).

إن هذا الاتجاه المعادي للعلوم العقلية رغم أن جنوره تعمد إلى أواسط عصر الاندماج الحضاري، لم يجد مجاله للتطبيق الفعال إلا في بيته مابعد القرن الثاني عشر للميلاد حتى إننا نجد الصفدي يذكر أن بدر الدين بن جماعة كان يستقبل أحد تلاميذه في دمشق ليقرأ عليه رسالته في الأسطرلاب، فقال له يوماً : إذا جئت تقرأ في هذه فاكتمه، فبن اليوم جاء إلى مغربي وقال: يامولانا قاضي القضاة، رأيت اليوم واحداً يمشي في الجامع وفي كمه آلة الزندقة، فقلت: وما هي فقال: الأسطرلاب». وهذه الرواية - وأمثالها كثيرة - تشير إلى أي مدى كان اتجاه الرأي العام في المجتمع الإسلامي في هذا العصر رافضاً للعلوم غير الشرعية^(١٣).

ومن الملاحظ أن ابن خلدون ينهى عن النظر في العلوم النقلية للملل السابقة لأن الملة الإسلامية نسخة لها «وكل ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظوظ»^(١٤).

كما كتب فصلاً في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها «لأن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير»، وكتب فصلاً ثانياً في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها، وفصلاً ثالثاً في إنكار شرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها، وفي الفصل الذي خصصه للبحث في «أن العلوم الآلية لا توسيع فيها الأنوار ولا تفرع المسائل» قال إن المنطق آلة للفلسفة «وريما كان آلة لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرین» وذهب إلى أنه لا ينبغي النظر إلى العلوم الآلية إلا من حيث هي آلة للعلوم المقصودة بالذات «ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل، لأن ذاك مخرج لها عن المقصود... وصار الاشتغال بها لفوا... وربما يكون ذلك عائقاً من تحصيل العلوم المقصودة... وهي أيضاً مضره بال المتعلمين على الأطلاق لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها... فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستحرروا في شأنها، وينبهوا المتعلم على الغرض منها، ويبقوا بها عنده، فمن نزعت به همة بعد ذلك إلى شيء من التوغل فليرق له ماشاء من المراتي صعباً أو سهلاً»^(١٥).

ومن الطريق أن ابن خلدون يذكر أن هذه العلوم الفلسفية في عهده - القرن الثامن الهجري أو الرابع عشر الميلادي - قد انتشرت في بلاد الإفرنج فقال «بلغنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الإفرنج من أرض روما وما إليها من العدو الشمالية ناقفة الأسواق، وأن رسومها هناك متقددة ومحالس تعليمها متعددة، ودواوينها جامعة متوفرة، وطلبتها متکثرة والله أعلم بما هناك»^(١٦).

إن أفكار ابن خلدون تحدّث ضرورة أن تفرد له مكانة خاصة في عصر الجمود الحاضري لل المسلمين، حيث عاش في المغرب الإسلامي وكانت غرناطة - التي بقيت مع المسلمين - قد شهدت في عصره رواجاً اقتصادياً وانتعاشاً صناعياً وازدهرت فيها الفنون إلى حد كبير «فكانـت الـبـقـيـة الـبـاقـيـة فـي أـوـروـبا مـنـ تـكـ التـقـافـة الـتـي جـعـلـتـ بـلـادـ الـأـنـدـلـسـ قـرـونـاً طـوـالـاً مـفـاخـرـ بـنـيـ الإـنـسـانـ» على حد تعبير ول ديورانت^(٦٧). وبالرغم من ذلك فإن موقفه من العلوم غير الشرعية يؤكد أنه يعكس جوهر الأفكار التي سادت في المجتمعات الإسلامية في القرن الرابع عشر.

وقد امتاز هذا العصر باقامة مؤسسات العبادة والعلم واظهار التقوى في كل مظاهر السلوك الرسمي على وجه الخصوص. وفي إطار الحماس الديني المعمم انتشرت مدارس التعليم الديني والعلوم الشرعية، وكانت هذه المدارس تبني على نفقة أهل الودع والتقوى حيناً، وعلى نفقة المالك لكي يترجم عليهم الناس، وعلى نفقة الأغنياء هروباً من مصادرة ثرواتهم ومن أموال غير حلال أحياناً. وفي خطط المقريزني اشارات هامة إلى بعض المدارس التي بنيت بأموال حرام مثل المدرسة «الاقباقاوية» التي أنشأها علام الدين اقبعا عبد الواحد استادار السلطان الناصر^(٦٨). كما نصّح ابن جماعة ساكن المدرسة بأن «يتخّب لنفسه من المدارس بقدر الإمكان ما كان وافقه أقرب إلى الودع وأبعد عن البدع بحيث يغلب على ظنه أن المدرسة ووقفها من جهة حلال، وأن معلومها إن تناوله من طيب المال»^(٦٩).

وفي عصر الجمود يكون أمراً طبيعياً أن يعكف العلماء على تراث إسلامهم لحمايته من الدور، حيث يجدون فيه ملذتم الذي يحمي وجودهم ويحافظ على بقائهم. وفي المجتمع الإسلامي في عصر جموده يبرز هذا الانطواء على الذات في ميدان العلم الدينية، والتلف المجتمع بحكامه ومملوكيه وقوانينه وقيمته حول محور واحد هو محور العقيدة، ونظر إلى كل خروج عليها باعتباره تهديداً خطيراً للمجتمع ونظامه. وإذا كانت أطوار الدين الثلاثة وهي الإيمان، والفلكلور^(٧٠)، والاستكشاف تتكامل في عصور الازدهار، فإن الطور الأول فقط هو الذي يبقى في عصور الجمود حيث يظهر الإيمان سبيلاً للدفاع عن الذات وينتج عن هذا عادة نوع من التصلب يسببه الانطواء على الذات، وينظر إلى كل ماعدا العلوم الشرعية المحضة باعتباره بدعة ومنكراً.

ولذا لم يكن غريباً أن يرتب بدر الدين بن جماعة علوم الشريعة حسب شرفها «ولذا تعدد الدروس قدم الأشرف والأهم، فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب، ثم الخلاف أو النحو أو الجدل»^(٧١). وقال أيضاً في الأدب

مع الكتب «ويراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها ومصنفها وجلالتها، فيضع الأشرف أعلى، ثم يراعي التدرج، فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل... ثم كتب الحديث الصرف كصحيف مسلم، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم النحو والتصريف، ثم أشعار العرب، ثم العروض»^(٧٣). وقد ذكر ابن جماعة صراحة عبارة لاتحتمل اللبس في فهم معنى العلم عنده فنقل عن بعض أهل السلف قولهم «هذا العلم دين فانظروا عنم تأخون دينكم»^(٧٤). وينصح المتعلم بأن يكون شيخه ومعلمه «من له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يتوثق به من مشايخ عصره بحث وطول اجتماع»^(٧٥). وعلى المتعلم في دروسه وقراءاته في الحلقة «أن يبتدئ أولاً بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً... ويجتهد على اتقان تفسيره وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأهمها وأهمها، ثم يحفظ من كل فن مختبراً يجمع بين طرقه من الحديث وعلومه والأصولين والنحو والتصريف، ولايشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن وتعهده وملازمة ورده في كل يوم أو أيام أو جمعة كما تقدم ليحضر من نسيانه بعد حفظه»^(٧٦). وعلى المعلم أو الشیخ أن يقصد بتعليم طلبه وتهذیبهم «وجه الله تعالى ونشر العلم واحیاء الشرع ونیام ظهور الحق وخمول الباطل، ونیام خیر الامة بکثرة علمانها»، وعليه أن يبيّن لتلاميذه «كل أصل وما يبني عليه من كل فن يحتاج اليه من علمي التفسير والحديث وأبواب أصول الدين والفقه والنحو واللغة ونحو ذلك»^(٧٧).

وفي عصر الجمود حل مبدأ «واحدية» العلم محل مبدأ «التنوع»، فاختفت المجالس الأدبية، وتوقفت المناظرات، ولم يعد المجتمع يطلب من غایات العلم والتربية إلا الغایة الدينية في طورها الإيماني دون طورها الفكري والاستكشافي، وساد نوع واحد من التعليم هو التعليم الديني في الكتاب والمسجد والمدرسة والخانقة والرباط والزارية - حتى مبادئ الحساب وهي من العلوم التي لم يعرض المتشدرون على تعليمها للصبيان، فإن أولياء أمورهم وضعوا نصب أعينهم شيئاً واحداً وهو أن يحفظ أبنائهم القرآن ولم يطالبوا بتعليم أبنائهم الحساب. وإذا قيل بأن هذا التوجه الديني كان قائماً طوال عصور الدولة الإسلامية لاسيما في القرى، يرد على ذلك بأن هذا التوجه أصبح التوجه الوحيد في عصور الجمود والانطواء على الذات في القرى والمدن على حد سواء. ولو رجعنا إلى كتب الطبقات في هذه الفترة لمعرفة الشیوخ الذين تلقى عليهم كتاب العلماء علومهم لوجيناتهم جميعاً، إلا في حالات قليلة نادرة، من نوی التخصصات في فروع العلوم الدينية المختلفة^(٧٨). ولعل من الطريق ماوصفت به

مدارس القاهرة في القرن التاسع الهجري بأنها معمورة بعبادة الله تعالى من إقامة الصلوات والأنذكار وقراءة القرآن والحديث والاشتغال بالعلوم الشرعية^(٧٨).

ومن المفارقات الغريبة أن أفكار الفزالي حول عدم جدوى العلوم الطبيعية، ونفيه عن المناقضة والجدل لم تكن تؤثر كثيراً في مسيرة الحضارة في عصره إلا أن هذه الأفكار أصبحت هي السائدة والمسسيطرة على المناخ الفكري والتربوي في عصر الجمود. كما أن نصيحة الفزالي للولد المحب بالآلا يناظر أحداً في مسألة ما استطاع «لأن فيها آفات كثيرة، فائمتها أكبر من نفعها، إذ هي متبع كل خلق ذميم كالزراوة والحسد والكفر»^(٧٩). هذه النصيحة غدت أمراً لامحيس عنه في عصر التخلف.

إن مبدأ واحدية «العلم بمعنى ربط العلم بالدين يؤدي في رأي البعض^(٨٠) إلى مخاطر ثلاثة هي:

- ١ - إن كلمة «علم» التي جاءت مطلقة في القرآن الكريم أصبحت مقيدة به «العلم بالله» عند جمهرة المربين المسلمين لاسيما في عصر الركود.
- ٢ - إن التعطش إلى التسامي الروحي دفع بالفكر التربوي الإسلامي إلى احتقار الدنيا وما يرتبط بها من المنافع والذات المباحة والحرف التي يقوم عليها صلاح المعيشة الإنسانية ويتعلق بها سعادة الإنسان وأمنه على الأرض.
- ٣ - إن العلم أصبح غاية في حد ذاته، وهو يطلب لذاته، ولأن العلم انحصر في نطاق العلم بالله فقد استقلق على المربين إمكانية دخول المعرفة وتسخيرها في خدمة الحياة الإنسانية وتحسين معيشة الإنسان فيها.

لقد كانت دعوة التربويين في عصر الإزدهار «عدم معاداة علم من العلوم أو هجر كتاب من الكتب» كما هي الحال عند إخوان الصفا، أو أن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض وأنه لا ينبغي أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم التي هي فرض كفاية، وأن على المعلم الایتيج في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيل علم الفقه، ومعلم الفقه عادته تقبيل علم الحديث والتفسير والعلوم المقلية، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه كما عند الفرزالي^(٨١).

أما في عصر «واحدية» العلم فقد تحولت دعوة التعاون بين العلوم الشرعية وغير الشرعية إلى دعوة للتعاون بين العلوم الشرعية فحسب، وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم قول ابن جماعة بأنه على طالب العلم «الايدع فناً من العلوم الشرعية إلا نظر فيه، فإن ساعده القرر وطول العمر على التبحر فيه فذاك، وإن فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم، ويعتني من كل علم بالأهم فالأهم، ولا يغفلن عن العمل الذي هو المقصود بالعلم»^(٨٢).

ويبعد أن صحة حاجي خليفة (المتوفى ١٠٦٧هـ) إلى وحدة العلوم وتكامل المعرفة ذهبت سدى بحيث لم يكن لها حدود في المجتمعات الإسلامية آنذاك فقد دعا المتعلّم الا يدع فناً من فنون العلم دون أن ينظر فيه للوقوف على مقصده وطريقته «ولايكن من يعيّل إلى بعض العلوم ويغادي البعض الآخر، لأن ذلك جهل عظيم»، وحذر المتعلّم من الاستهانة بشيءٍ من العلوم تقليداً لما سمعه «من الجهلة»، وألا يكون من يدّم العلم لجهله «مثل ذمهم المطلق الذي هو أصل كل علم وتعويض كل ذهن، ومثل ذمهم العلوم الحكيمية على الإطلاق من غير معرفة القدر المذموم والممعنون منها، ومثل ذم علم النجوم مع أن بعضه فرض كنایة والبعض مباح، ومثل ذم مقالات الصوفية لاشتباهها عندهم»^(٨٢).

وقد نتج عن تطبيق مبدأ «واحدية» العلم نوع من الفصل بين العلوم الشرعية والعلوم غير الشرعية، أو إن شئت فقل، نوع من الفصل بين الدين والدنيا، فالدين هو الغاية والمقصد وعلمه هي العلم المعترف بها، أما الدنيا فلا تمثل أهمية في نظر علماء هذا العصر، وعلومها لا يعترف بها. ولا يعني هذا اختفاء العلوم غير الشرعية كلية ولكن اقتصر هذا النوع من العلوم على أفراد قلائل تعلّموها بشكل غير رسمي ويعيّداً عن مباركة المجتمع. ولعل هذا كان مقدمة لظهور النزاع بين العلم والدين داخل المجتمعات الإسلامية، هذا النزاع الذي لاتزال آثاره ذات فاعلية قوية في المجتمع الإسلامي المعاصر.

وقد تعرض مبدأ «الرحلة في طلب العلم» لفهم جديد في عصر التخلف حيث أصبحت هذه الرحلات مقصورة على طلب علوم الدين وفي إطار جغرافي محدود، وقد لعبت الأوضاع السياسية والحروب في ذلك العصر دوراً كبيراً في عدم انتشار الرحلات العلمية، فاقتصرت على رحلات داخل كل دولة إسلامية على حدة. بل لم يعد مصطلح «الرحلة في طلب العلم» يستخدم كثيراً، فبدرا الدين بن جماعة مثلاً يشير إلى التقرب عن الأهل والوطن في طلب العلم فيقول «ولذلك استحب السلف التقرب عن الأهل أو بعد عن الوطن لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق، وما يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وكذلك قيل: «العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك»^(٨٤). فالغرابة عند ابن جماعة ليست من أجل اكتساب معارف جديدة، والوقوف على أساليب متنوعة في التعليم كما ذهب إلى ذلك ابن خلدون مثلاً، بل الغرابة عند ابن جماعة تعني عدم شغل بالطالب بأمور أهله ومصالح بيته، فهو يقصد من الغرابة «جمع القلب واجتماع الفكر»^(٨٥).

بين التصوف الإيجابي والتصوف السلبي :

إن الحكم على التصوف ليس أمراً يسيراً، بل يحتاج إلى دراسة متأنيّة تأخذ في الاعتبار العديد من الدراسات القديمة والحديثة التي تتفاوت في فهم هذه الظاهرة في الفكر الإنساني عموماً وفي الفكر الإسلامي على وجه الخصوص. فقد اختلف حتى في أصل اللفظة لغة وأصطلاحاً، واختلفت حول مصدر التصوف الإسلامي، هل هو نابع من الفكر الإسلامي ذاته أو أنه نسيج من أفكار غير إسلامية امتهنت بالفكر الإسلامي وكان التصوف ثمرة من ثرات هذا الامتزاج؟ وهل الاسم «صوفي» قديم عرف قبل الإسلام كما يقول السراج في «اللمع» أم أنه اسم حديث كما يقول جمهرة مؤرخي التصوف كالجاحظ والسيهودري وابن خلدون وغيرهما؟ وهل يستند التصوف إلى الأخلاق كما يقول أبوبكر الكتاني والقشيري وبالتالي فهو ليس علمًا كما يقول أبوالحسين النوري؟ أم يستند إلى الزهد؟ أم يستند إلى كثرة العبادة؟ أم أن هناك فرقاً بين الزاهد والعبد والصوفي كما يميل إليه ابن سينا في الإشارات؟ وهل التصوف ظاهرة تتبع داخل الصوفي ولا يمكن الحكم عليها كما يقول الدكتور عبدالحليم محمود؟ أم أنه ظاهرة كسبية تحدث من خارج المرء كما يقول آخرون؟ وهل التصوف رغم مافيه من دعوة إلى الزهد والعبادة والخلق انحراف عن طريق الإسلام؟ أم أنه تعبير عن روح الإسلام وغايته كما يقول الغزالى؟

هناك الكثير من الإجابات عن هذه التساؤلات تضمنتها كتابات القدماء والحديثين، لكن ما يهمنا لخدمة أغراض هذا البحث هو بيان دور التصوف وطبيعته في عصرى الازدهار الحضاري والجمود في المجتمعات الإسلامية.

ما لا شك فيه أن التصوف في عصر الازدهار كان عنصراً من عناصر التفاعل الحيوي، حين كان المسلمون يستخدمون مناهج متعددة للوصول إلى الحقيقة، فكان التصوف تعبيراً عن المنهج النوقي أو الوجданى، وكانت التجربة واللحظة منهاجاً لفهم الطبيعة موجوداتها، وكان الاستنباط منهاجاً لفهم الظواهر الاجتماعية والتاريخية وما يتصل بها من علوم نظرية. وقد فضل بعض العلماء المسلمين في هذا العصر أحد هذه المناهج على المنهجين الآخرين حيناً، ومنزج كثير منهم بين منهجين أو أكثر في صياغة أفكارهم وأرائهم أحياناً. وكان اعتمادهم على منهج معين يتوقف على نوع الظاهرة موضوع البحث، فابن سينا مثلاً استخدم المناهج الثلاثة: المنهج التجريبى في دراساته الطبية، والمنهج الاستنباطي في دراساته الفلسفية، والمنهج النوقي في دراساته الباطنية، ولعل ثلاثة من كتبه توضح لنا هذه الحقيقة وهي كتاب «القوانين» في

الطب وكتاب «الشفاء» في الفلسفة وكتاب «الاشارات والتنبيهات» وحتى الواحد من هذه الكتب لا يخلو أحياناً من استخدام المذاهق الثلاثة. وإذا أخذنا الغزالى كمثال آخر لرأينا أنه لجا إلى جميع المذاهق في حياته العلمية كما عبر عنه صراحة في كتابه «المنقذ من الضلال»، ناهيك عن اخوان الصفا الذين أخنوا بالمناهج الثلاثة في كل رسالة من رسائلهم.

وإذا كان بعض الصوفية قد قالوا بالاتحاد والحلول والوحدة في عصر الازدهار الحضاري كالحلاج والبسطامي وغيرهما، فإنما فهمت أقوالهم أحياناً في إطار حركات سياسية عارمة كانوا يعيشون عنها بهذه الآراء. وهناك فريق آخر من صوفية عصر الازدهار كالمحاسبي والغزالى لم يذكروا الاتحاد والحلول ووحدة الوجود بين عناصر التصوف، وأكملوا أن الصوفي ليس رجل آخرة فحسب، بل هو رجل دنيا أيضاً بشرط ألا يساوي بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وألا تكون الدنيا هي مبلغ همه وقصده وقلمه.

أما في عصر التخلف والجمود في تاريخ المجتمعات الإسلامية فقد غلب على التصوف روح السلبية بالابتعاد عن قضايا المجتمع الحيوية، وما - مع استثناء طفيف للغاية - إلى البطالة والتجمع في الخوانق والربط والنوايا ليعيش رجاله عالة على الحكم أو على بعض الأثرياء الذين توّلوا إقامة هذه المؤسسات والإتفاق عليها من أوقاف حبسها لهذا الغرض. ورغم ما ينطوي عليه هذا التطور في التصوف من خطورة، فإن الخطر الأعظم هو أن منهج التصوف انفرد تقريباً بالساحة الفكرية في غيبة المنهج التجريبى والمنهج الاستنباطي، وفي ظل سيطرة مبدأ «واحدية» العلم. ولم تجد مقاومة الفقهاء للصوفية في ذلك العصر نفعاً، حيث أصدر ابن تيمية (المتوفى ٧٢٨هـ) فتوى بتكفير الصوفية، ولكن هؤلاء لم يقفوا مكتوفي الأيدي، فواجهوا الفقهاء واتهموهم بأن الدين قد أصبح عندهم رسوماً وأنضاعاً لاحياة ولا روحانية فيها، وهي إن اتفقت مع ظاهر الشرع لاتتسق مع باطنها ولا تشبع العاطفة الدينية^(٨١). ولعل هذاصراع يؤكد أن المجتمع الإسلامي عاش بين : دين شكلي دافع عنه الفقهاء، وروحانيات صوفية كفر ابن تيمية بسببها الصوفية في عهده.

لقد كان من الطبيعي أن ييزد التصوف بصورته السلبية في ظل مبدأ «واحدية» العلم، وأن ينعكس مفهوم العلاقة بين الشیخ والمرید في التصوف على العلاقة بين المعلم والمتعلم في الفكر التربوي الإسلامي آنذاك، حيث تصبيع الطاعة فرضاً والانتقاد وجبراً والتقليد محتماً.

إن رواد التربية الإسلامية في مختلف العصور ركزوا على مفهوم الطاعة في علاقة المتعلم بالمعلم، فذكر الغزالى في أداب المتعلّم ضرورة أن يلقي زمام أمره بالكلية للمعلم، وأن يذعن لنصيحته، وأن يقلده فيما يشير عليه به من طريق للتعلم^(٨٧)، إلا أن مفهوم الطاعة أخذ بعداً جديداً عند بدر الدين ابن جماعة الذي كتب فصلاً كاملاً في كتابه التذكرة «في أداب المتعلّم مع شيخه وقوته وما يجب عليه من عظيم حرمته»، وقسم هذه الأداب إلى ثلاثة عشر نوعاً فأضاف إلى ماذكره الغزالى من قبل كثيراً من الأداب ذات الطابع الصوفى مثل «أن يبالغ في حرمته ويقترب إلى الله تعالى بخدمته، ويعلم أن ذله لشيخه عز وخصوصه له فخر»، وأن «ينظره بعين الإجلال»، ويعتقد فيه درجة الكمال، وأن «يدعوه له مدة حياته، ويرعى ذريته وأقاربه وأولاده بعد وفاته، ويتعبد زيارة قبره والاستقرار له والصدقة عنه، ويسلك في السمت والهدى مسلكه ويراعي في العلم والدين عادته، ويقتدي بحركاته وسكناته في عاداته وعبادته، ويتأدب بأدابه ولا يدع الاقتداء به»، وأن «يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلقه ولا يقصد ذلك عن ملزمه وحسن عقidiته، ويتأثر أفعاله التي يظهر أن الصواب على خلافها على أحسن تأويل»، وغير ذلك من أداب الدخول على الشیخ، والتکلم معه، والجلوس بين يديه، والتحفظ في مخاطبته، ومراعاة أداب المناولة وأخذ الكتاب منه أو تقديم الأشياء إليه أو فرش السجادة له»، وإذا فرشها ثنى مؤخرة طرفها الأيسر كعادة الصوفية، وتقليم النعل له عند الخروج... الخ^(٨٨)، ومن الغريب أن ابن جماعة لم يجعل للتصوف مكاناً في تقسيمه للعلوم، ومعنى هذا أنه لا يعتبره علمًا، أو أنه يرى في التصوف روح البيئة التي تتبع منها علوم الشريعة.

إن ظاهرة «قولبة» التلاميذ والمتعلمين في قوالب اساتذتهم ومعلميهem بحيث يخرج المتعلّم صورة طبق الأصل من المعلم سمة من سمات الفكر التربوي الإسلامي في عصر الجمود والتخلف.

إن مبدأ «التقليد» عند الغزالى كان بمثابة مرحلة ضرورية في بداية طريق تحصيل العلم، أو هو المبدأ الذي يجب أن يتمسك به من يتوقف عند حد معين من التعليم أو نوى الأفهام البسيطة. أما بالنسبة للخواص ونوى العقول المفتوحة فإنه ينهاهم عن التقليد وقد أبى هو على نفسه أن يكون مقلداً فقال «قد سألكني إليها الأخ في الدين، أن أبى إليك غاية العلوم وغاية المذاهب وأغوارها، وأحكى لك ما قالسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تبادل المسالك والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاستمبمار... وقد كان التعطش إلى درك

حقائق الأمور دأبى وديبني من أول أمري وريغان عمري، غريرة وفطرة من الله، وضعتا في جبلي لاختياري وحيلتي، حتى انحلت عن رأية التقليد، وانكسرت على العقائد المروية على قرب عهد سن بالصبا^(٨).

وقد وصف الفزالي نفسه بأنه من «فريق النظار»، وأنه عرف العلوم في أول العمر بالآداب والاجتهاد ثم انقطع للتصوف في آخر العمر «وما ارتضيته آخرًا من طريقة التصوف... وما صرفي عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وماريني إلى معاودتي بنيسابور بعد طول المدة»، وتصوف الفزالي لم يكن عزلة عن المجتمع وقضاياها، بل كان تصوفاً إيجابياً أكدت خروجه من «زاويته» لمارية البدعة ومعاهدة العمل والنشاط الاجتماعي حينما اقتضت المصلحة ذلك^(٩).

لقد كان اعتناق الفزالي للتصوف نصراً باهراً للصوفية، فأخذ كثير من أهل السنة من بعده بالتصوف حتى طفت عقائد المتصوفة وقتاً ما على عقائد الدين، إلا أن علماء الدين والشريعة الإسلامية في عصر الازدهار كانوا لايزالون من الوجهة الرسمية - على الأقل - أصحاب الكلمة العليا في علم الدين والشريعة، إلى أن جاء عصر الجمود فاستسلم ميدان التفكير الديني لمشايخ الطرق وأولياء الله الصالحين. وهناك شواهد تاريخية كثيرة تؤكد ذلك، ومثالها ماحدث بين الصوفيين الكبارين السيد أحمد الببوبي والمرسي أبي العباس وقاضي القضاة ابن دقيق العيد، وماذكر عن نزعة التصوف عند أستاذ العز بن عبد السلام ومتسلبه من كرامات^(١٠). ويشير بعض الباحثين إلى ظهور نوع جديد من الزهد والتتسك في العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر الميلادي قوامه هجر الحياة العائلية والعيش في «أخويات» دينية يرأسها شيخ، وكان الهدف هو السعي إلى التسامي الروحي لكي يرتفعوا به إلى الفناء في روح الله فيستطيعون بذلك الإتيان بعجائب الأعمال^(١١).

وإلى هذا العصر تنتهي آراء ابن خلدون في التصوف، حيث ذكر أن علم التصوف علم حادث في الملة الإسلامية، وميز بين نوعين : التصوف القديم والتصوف المتأخر. وذكر أن أصل علم التصوف العكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وأن ذلك «كان عاماً في الصحابة والسلف» وعند «سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم». وقد يحتاج رأي ابن خلدون إلى مناقشة لاسيما في تصويره التصوف بأنه كان عاماً في الصحابة والسلف. وعلى الأرجح، فإن رأي ابن خلدون، كان يعكس رأيه في التصوف في عصره، هذا التصوف

الذي كان سلطانه طاغياً لدرجة لا يمكن معها توجيه أي نقد إليه من أي عالم أو فقيه مهما كانت شجاعته ومكانته العلمية. بل إن ابن خلدون اعتبر طريق الصوفية أحد طرق علم الشريعة فقال «وصار علم الشريعة على صنفين : صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم - أي الصوفية - في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها، والكلام في الأنوار والماوج العارضة في طريقها، وكيفية الترقى فيها من نون إلى نون، وشرح الأصطلاحات التي تعدد بينهم في ذلك»^(١٢). ولعل رفض ابن خلدون لعلم الكلام المتأخر ولعلم التصوف المتأخر هو سبب عدم اتصال المنطق بالعلوم الشرعية في تقسيمه للعلوم.

لم يهاجم ابن خلدون من الصوفية إلا من أعلن مذهب الصوفي في الوحدة والحلول مثل ابن العربي وابن سبعين وابن الفارض. أما الصوفية الذين جمعوا في الخوانق والربط والزوايا والتكايا يعيشون على أوقافها دون أن يشاركون مشاركة إيجابية في حياة المجتمع فلم يعرض لهم بالنقد رغم أنه يقول عنهم يدركون عن طريق الكشف من حقائق الوجود ما لا يدرك لسواهم «وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها، ويتصررون بهمهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية، وتصير طوع أرادتهم»، وأقصى ما ذكره في هذا الصدد هو التمييز بين العظاماء منهم ومن هم دون ذلك «فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا هذا التصرف، ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتكلم فيه، بل يعدون مأوقع لهم من ذلك محنّة ويتغبونون منه إذا وقع لهم»^(١٤).

وحتى الزهد والتقطف الذي يعتبر من أفضل ما في التصوف الإسلامي، فقد كان مفتقداً إلى حد كبير في مجتمع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، حيث أثرت بعض الطوائف الدينية بما كان يغدقه عليها الناس من العطايا، ورضيت أن تستمتع بطبييات الحياة، وقد شكا من ذلك أحد شيوخ الشام حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي فقال إن الصوفية كانوا من قبل إخوة مختلفين في الجسم ولكنهم متاحون في الروح، أما الآن فهم طائفة تكتسي أجسامهم بالثياب الحسنة ولكن سرائرها ممزقة خلقة^(١٥).

وقد وجه محمد إقبال النقد إلى التصوف في عصوره الأخيرة، لأن روحه تضمنت الانصراف التام إلى عوالم أخرى فحجبت أنظار الناس عن ناحية هامة من نواحي الإسلام بوصفه دستوراً اجتماعياً، كما أن افساح هذا التصوف المجال لتفكير طليق

في شطره النظري «قد اجتب إله خير العقول في الإسلام وأشربها في النهاية روحه». وبهذا أصبحت دولة الإسلام على وجه العموم في قبضة رجال من أوساط الأذكياء، «ولم يجد جمهور المسلمين من هو خير من هؤلاء ليقودهم فرأوا أن خير ضمان لهم هو اتباع المذهب في تسليم أعم»^(١٦). لقد تجلت روح الصوفية التي هاجمتها محمد إقبال في الإصرار على التفرقة بين الظاهر والباطن وعدم المبالغة بكل ما يتصل بالظاهر دون الباطن. وقد نجم عن ذلك نزعة للخلاص الفردي تمثلت في قول أحد الصوفية «صعد محمد النبي العربي إلى السموات العلي ثم رجع إلى الأرض، قسماً برببي لو أني بلغت هذا المقام لما عدت أبداً». فالصوفي لا يريد العودة من «مقام الشهد»، وحتى حين يرجع منه ولابد له أن يفعل «فإن رجعته لها تعني الشيء الكثير بالنسبة للبشر بصفة عامة». أما رجعة النبي، أو صاحب الرسالة الاجتماعية « فهي رجعة مبدعة، إذ يعود ليشق طريقه في موكب الزمان ابتقاء الحكم في ضبط قوى التاريخ وتوجيهها على نحو ينشئ به عالماً من المثل العليا جديداً... فإن رادة النبي في عملها الانشائى تقدر قيمتها هي كما تقدر عالم الحقائق المحسوسة التي تحاول أن تتحقق وجودها فيه... ولهذا كان من بين ما يحكم به على قيمة دعوة النبي ورسالته، البحث في نوع المرأة التي ابتدعها، والفحص عن العالم الثقافي الذي انبثت عن روح دعوته»^(١٧).

وهكذا أدرك محمد إقبال السبب الرئيسي في عجز الطرق التي اتبعتها صوفية القرن الوسطى عن تخريج أفراد لهم قوة الابتكار على كشف الحق القديم، وقدر بأنه الجمود، هذا الجمود الذي يضر بالدين كما يضر بأي ناحية أخرى من نواحي النشاط الإنساني، لأنه يقضى على حرية الذات المبدعة، ويسد المنفذ الجديدة للإقدام الروحاني^(١٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أن التصوف الإسلامي جوانبه الإيجابية الكثيرة التي تهدف إلى نشر القيم الفاضلة بين الناس مثل المحبة والتسامح والزهد والتلشف والتواضع وعدم التكالب على مطالب الحياة الدنيا، وهي أمور لاغنى عنها لمجتمع إسلامي صحيح. غير أن الوقوف موقفاً سلبياً من قضايا المجتمع ومشاكله فهو من التصوف السلبي الذي انتشر في مراحل التخلف الفكري والحضاري للمجتمعات الإسلامية، بل كان عاملاً فاعلاً في زيادة حدة الجمود والتخلف.

وقد دفعت هذه المقارنة، بين الصوفية في شكلها الإيجابي والصوفية في شكلها السلبي، البعض إلى التساؤل : كيف وصلت شعوب الإسلام هذه ذات الروح المعاندة

قبلًا إلى هذا الاستسلام الشديد الذي حيث لا تجد المكافحة اليومية لحياة شرطة ملقة مفرا إلا في انتظار عالم أفضل في هذه الدنيا إن شاء الله أو في جزاء الحياة الآخرة على الأقل على موعد به الكتاب^(١٩).

بين التفكير والتلقي :

لقد اعتدت المجتمعات الإسلامية في عصر الإزدهار - كما ذكرنا من قبل - على مبدأ «التنوع»، وأدى الإيمان بهذا المبدأ وتطبيقه في مختلف المجالات إلى خلق روح الابتكار والإبداع والتطور الخلق. وقد تأكّد في هذا العصر أن مفهوم التطور الفكري المستمر من جيل إلى جيل لم يكن مفهوماً غريباً عن التفكير الإسلامي. ففي شرح الفلسفة الأفلاطونية يقول الفارابي إن كل معرفة يمكن أن تخطر في البال ستصبح في متناول الجنس البشري، وذلك نتيجة البحث الذي لا ينقطع بل يستمر من جيل إلى جيل من العلماء إلى جيل آخر. وكان من المبادئ المستقرة بين العلماء منذ البداية النصوح بعدم إجبار الأولاد على أداب الآباء لأنهم مخلوقون لزمان غير زمانهم. وأكّد الرازبي أن كل متاخر من الفلاسفة إذا صرف همة إلى النظر في الفلسفة، وواظبه على ذلك ، واجتهد فيه، وبحث عن الذي اختلفوا فيه لدقة وصعوبته علم علم من تقدمه منهم وحفظه، واستدل بفطنته وكثرة بحثه ونظره على أشياء أخرى، لأن البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل. ويقال عن ابن ماسويه إنه عندما قارن بين علمه وعلم أبقراط وجالينسوس قال عن نفسه انه أضاف إلى علم الطب كثيراً من المعارف الطبية، وفي القرن السادس الهجري (الثاني عشر للميلاد) انتقد ابن المطران مؤرخاً من مؤرخى الطب لم يكن يشاركه اعتقاده بأن تقدم الطب التدريجي ناجم عن تقدم العقل البشري وأخذه بالبحث العلمي، لأن المتقدم إذا أخطأ سد خطأ المتاخر، وإذا قصر قديم تم حديث^(٢٠).

إن فكرة التطور كانت تتكيف في التفكير الإسلامي جنباً إلى جنب مع تقدم التفكير الرياضي، وكان الجاحظ أول من لاحظ التغيرات التي تحدث في حياة الطير بسبب الهجرات. وتبين نظرية إخوان الصفا في تطور الكائنات وترقيها من الأدنى للأعلى نظرية متكاملة وشاملة، فهي نظرية في الوجود، ونظرية في السياسة، ونظرية في التربية، ونظرية في الاجتماع. فمراتب الموجودات عند الإخوان خمس مراتب هي: مرتبة المعادن، ومرتبة النبات، ومرتبة الحيوان، ومرتبة الإنسان، ومرتبة الملائكة. ويرى الإخوان أن آخر مرتبة من هذه المراتب متصل بتأول المرتبة التي تليها، فأعلى مرتبة في المعادن متصلة بأدنى مرتبة من مراتب النبات، وأعلى مرتبة من مراتب النبات متصلة

بأنواع مراتب الحيوان، وأعلى مراتب الحيوان متصل بآدنى مراتب البشرية، وأعلى مراتب البشرية متصل بمرتبة الملائكة. وهناك مراتب للنقوس ومراتب للبشر ومراتب لأهل المدينة الفاضلة تقوم على نفس النسق من التطور والترقي^(١٠١).

ثم جاء ابن مسكويه فذهب في هذا الاتجاه في كتابه «الفوز الأصفر»، وقال بفضيلة النمو والحركة وترقي الكائنات وال موجودات عن طريق التطور^(١٠٢).

وبالرغم من أن ابن خلدون يأخذ بفكرة التطور، إلا أن التطور عنده يقف عند نقطة معينة حينما يبلغ العمران مرحلة الترف من الحضارة، فتصاصب الدولة بالهرم ويكون ذلك مؤذناً لخرابها، ثم تعود هذه العملية من جديد في أدوار حضارية متكررة. ولذلك فإن تفسير ابن خلدون لحركة التاريخ تنتقصه فكرة الإيجابية في التطور والتقدم المستمررين^(١٠٣). ولعل بيتة ابن خلدون وعصره، وما شهدته من تغير الحكومات وأنهيار دول وقيام أخرى دون حدوث أي تطور يذكر كان عاملاً فاعلاً في صياغته لهذا المفهوم للتطور.

ونجد صدى هذه النظرية يتربّد عند حاجي خليفة حيث يقول إن «نتائج الأفكار لا تتفّق عند حد وتصيرفات الأنظار لاتنتهي إلى غاية، بل لكل عالم ومتعلم منها حظ يحرزه في وقت... فغير مستبعد أن يدخل بعض المتأخرین مالم يدخل لكثير من المقدّمين، فلا تغتر بقول القائل: ماترك الأول للأخر، بل القول الصحيح الظاهر: كم ترك الأول للأخر!... ويقال ليس كلمة أضر بالعلم من قولهم ماترك الأول شيئاً، لأنه يقطع الأمال عن العلم ويحمل على التقادع عن التعلم، فيقتصر الآخر على ما تقدم الأول من الفواهـر، وهو خطـر عظـيم وقول سقـيم. فالـأوائل، وإن فازـوا باستخراج الأصول وتمـيـدهـا، فالـأواخر فازـوا بـتقـريـع الأصول وـتشـيـيدـها.. وقال ابـ عبدـربـهـ في العـقدـ: إـنـي رأـيـتـ آخـرـ كلـ طـبـقةـ وـاضـعـيـ كلـ حـكـمةـ وـمـؤـلـفيـ كلـ أـدـبـ أـهـذـبـ لـفـظـاـ، وـأـسـهـلـ نـفـقـةـ، وـأـحـكـمـ مـذاـهـبـ، وـأـوـضـحـ طـرـيـقـةـ مـنـ الـأـوـلـ، لـأـنـ نـاقـضـ مـتـعـقـبـ، وـالـأـوـلـ بـادـيـ مـتـقـدمـ..»^(١٠٤) إلا أن حاجي خليفة يأخذ بمفهوم التطور الذي أخذ به ابن خلدون، فقال بأن شأن العلم والصنائع والدول يبتدىء «قليلـاً قـلـيلاً، ولا يـزالـ حتـىـ يـصـلـ إـلـىـ غـاـيـةـ مـنـتـهـاـ، ثـمـ يـعـودـ إـلـىـ النـقـصـانـ فـيـقـولـ أـمـرـهـ إـلـىـ الغـيـبةـ فـيـ مـهـاـيـيـ النـسـيـانـ»^(١٠٥).

لقد انطلق الفكر التربوي الإسلامي في عصر الازدهار مستنداً إلى مفهوم التطور ومتسلحاً بمناهج متعددة في البحث والتفكير والتنشئة تؤدي إلى إطلاق طلاقات الإنسان الخلاقة، وكان الشك أحد المقومات الرئيسية لمناهج البحث عند المسلمين كالنظام والغزالى وغيرهما. وقد اختتم الغزالى كتابه ميزان العمل بقوله «من لم يشك

لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصِر بقي في العمى والضلال»^(١٠٦) وسبق للنظام المعتزلي أن قال «لم يكن يقين قط حتى صار فيه شك، ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد حتى يكون بينهما حال شك»^(١٠٧). وقد كان منهج الشك عند المسلمين انعكاساً لما أمن به العلماء المسلمين في عصر نهضتهم بأهمية التزام الموضعية والحياء والنقد والتحرر من رتبة التقليد الأعمى. وقد تضافرت هذه الأسس المنهجية في خلق حركة فكرية وتربوية محصلتها لامحالة التطور الخلاق والإبداع، وهو ما يعني ببساطة أن الحضارة الصاعدة المتطرفة هي التي يتتفق فيها التلاميذ والمتعلمون على اساتذتهم ومعلميهم، بعكس الحضارة الجامدة أو الهاابطة حيث يكون التلميذ صورة طبق الأصل من معلمه، أو أدنى من معلمه، بمعنى أن تكون الأجيال اللاحقة أقل علمًا من الأجيال السابقة، وهذا يؤدي وبالتالي إلى ظهور مناهج تربوية وبحثية تقوم على التقين والتقليد، وفيها يحرصن المعلمون على الطاعة العمياء لهم من جانب المتعلمين، وأن على المتعلم أن يتم نفسيه ولو كان شيخه هو المخطئ، وتكون اختصارات من الكتب هي مصدر المعرفة، ويغدو الحفظ والاستظهار والتكرير، دون التفكير والتأمل والمناقشة وال الحوار من وسائل نقل المعرفة، وتكون المحاضرة دون الماناظرة هي النعط السائد في العملية التعليمية. فيجب على المتعلم عند بدر الدين بن جماعة «أن يحفظ من كل فن مختصراً، وأن يصحح ما يقرره قبل حفظه تصحيحاً متقناً إما على الشيخ أو على غيره مما يعيشه، ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكماً، ثم يكرر عليه بعد حفظه تكراراً جيداً»^(١٠٨) وقد سبقت الإشارة إلى رأي ابن خلدون في أن كثرة الاختصارات المولفة في العلوم مخلة بالتعليم، لأن هذه الاختصارات أعدت «تقريباً للحفظ» وهو من سوء التعليم^(١٠٩).

ولا يعني هذا التقليل من شأن الحفظ لاسيما في تعليم الصغار. وقد أشار لويس جارديه إلى أهمية الحفظ والاستظهار في الحضارة الإسلامية. فبالرغم من أن الاستظهار يؤدي إلى معارف سطحية، وهو ما يذهب إليه العلم الحديث إلا أنه لا يجب إغفال دور الذاكرة التي تربت على الحفظ في تكوين باحثين على مستوى علمي رفيع كانت معلوماتهم المحفوظة منطلقاً لأراء شخصية ومؤلفات مبتكرة^(١١). وكل ما يعاب الحفظ عليه هو أن يرتبط برباط مقدس بالتقليد والتقين وعدم التدرب على التفكير، فقد عرف المتعلم في عصور الإبداع من استاذة أن لاقيمية المعرفة المكتسبة «بالتقليد»، وهو ما عاشه الفزالي أيضاً كما أشرنا من قبل، وأن العلم المبرهن والنتائج عن البحث والتمحيص والتفكير هو الجدير بالتقدير. أما في عصور التخلف فيسيطر عليها «الجمود على القديم» عن طريق التقليد وحفظ التراث وهو مانبئ إلى خطورته كثير من

العلماء المسلمين وغير المسلمين القدامى والحديثين. وقد نقل محمد اقبال ملاحظة للفيلسوف الانجليزى هوبرن مؤذناها أن من تناوله سلسلة من نفس الأفكار المتكررة ونفس الشعور المتكرر لاتنتابه أفكار ولاشعور مطلقاً، وقد عقب على ذلك بقوله «وهذا هو نصيب معظم الأمم الإسلامية اليوم، فهم يكترون القول بالقيم التي قال بها السلف بطريقه أالية»^(١١١).

خاتمة : الشوابت والمتغيرات :

إن أول ماينبغي إدراكه في التربية الإسلامية أن الاسلام وحده كان القوة المنسقة العظمى بين أفكار المربين المسلمين في كل العصور، وكانت هذه القوة هي مصدر وجوه الشبه العديدة بين رواد التربية الإسلامية.

وقد اتفق علماء التربية الإسلامية على أن يكون الحد الأدنى المشترك من العلم هو «الإيكون الذهن خالياً من العقائد الإسلامية» على حد قول حاجي خليفة أو على أنه «إذا اشتلت مفاسد الصبي بدئ بتعليميه القرآن ولقن معالم الدين كما يقول ابن سينا. وكان إخوان الصفا لايسمحون لأعضاء جماعتهم بالبدء في تعلم الفلسفة والنظر فيها إلا بعد أن يكونوا قد ألموا بعلوم الدين والشريعة، فمن تعلم علم الشريعة وعرف أحكام الدين وتحقق أمر الناموس «فإن نظره في علم الفلسفة لا يضره بل يزيده في علم الدين تحققاً»^(١١٢) وذهب ابن مسكيويه إلى القول بضرورة تربية الصبي «على أدب الشريعة، وأن يؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها»^(١١٣).

ويقول لويس جارديه - في صدد عرضه للخطوط الأساسية لذهنية طلاب العلم في الإسلام - إنه رغم جاذبية العلوم الأجنبية فإن كل طالب كان في طفولته تلميذ «كتاب» أشبه بالمدرسة الابتدائية، حيث تعلم حفظ القرآن مع شيء من القراءة والكتابة، وكان أولاد الشعب حتى الذين لن يتبعوا الدرس يغشون هذه المدارس القرآنية. وهذا كان الذين سيجدون أنفسانين معاندين قد ختموا ورثلوا في طفولتهم بتكرار «نص الكتاب». وقد ظل ذلك حقيقة سواء بالنسبة للعامة أو للمثقفين عبر العصور^(١١٤).

وقد عبر ابن خلدون عن هذه الحقيقة بقوله «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، ومسار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه مايحصل بعد من الملكات»^(١١٥).

وهكذا أصبح من الثوابت الراسخة في الفكر التربوي الإسلامي البدء بتعليم القرآن الكريم ومبادئ العقيدة والدين، ويجد بالدول الإسلامية في العصر الحديث أن تقضي

بحوث ودراسات

على الإزدواج الحادث في ميدان التربية والتعليم هذا الإزدواج الذي نتج عن تقسيم مؤسسات التعليم في كثير من الدول الإسلامية إلى مؤسسات للتعليم الديني ومؤسسات للتعليم العام. وتوحيد مؤسسات التعليم يتبع الفرصة لأن يتعلم الطالب في مراحل التعليم الأولى القرآن الكريم وعلوم الشريعة جنباً إلى جنب مع العلوم الأخرى، على أن يتخصص الطالب في فرع العلوم الذي يناسبه ويختاره في مرحلة التعليم العالي أو الجامعي، بعد أن يكون قد حصل من علوم الدين والشريعة ما لا يجعل ذهنه خالياً عن العقائد الإسلامية.

ومن الثوابت في التربية الإسلامية أيضاً مفهوم التربية المستمرة، حيث اتفق جميع التربويين المسلمين في كل العصور على أن التربية والتعليم يستمران من المهد إلى اللحد. ورغم أنهم يحبذون التعلم في الصغر، إلا أنهم لم يحدوا سناً معينة لذلك، وكان الشرط الرئيسي عندهم هو استعداد الطالب للتقي العلم، وقد ذكر إخوان الصفا على سبيل المثال أن أهم الشروط الواجب توافرها في المتعلم «أن يكون متاهيناً لقبول الفوائد العقلية والصناعات العملية والذخائر العلمية الربانية»^(١١٦).

ومن ثوابت الفكر التربوي الإسلامي ربط العلم بالأخلاق. ولذا لم يكن غريباً أن يكتب ابن مسکويه أراءه التربوية في كتاب يحمل عنوان «تهذيب الأخلاق». ولا يختلف المسلمون حول ربط العلم بالأخلاق سواء كانت هذه الأخلاق نابعة أصلاً من الدين الإسلامي وتعاليمه، أو ممزوجة بمفاهيم أخلاقية مستمدّة من الثقافات الأجنبية. وفي كل الأحوال فإن القيم الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم والسنّة وضرورة ربطها بال التربية أمر لا يحتمل الشك ولا يغتقره القصور^(١١٧).

وتعتبر اللغة العربية من الثوابت الهامة في التربية الإسلامية، وقد أدرك التربويون المسلمين ذلك فجعلوا اللغة آلة العلم، واللغة العربية آلة العلوم في الحضارة الإسلامية لذا وضع إخوان الصفا «اللسانيات» في تصنيفهم للعلوم، وجعلها الغزالى من العلوم الشرعية رغم أنها ليست في الأصل من العلوم الشرعية، وفي تصوري أنه لاماً في أن النهوض باللغة العربية لا يغنى عنه إذا ما أردت للتربية الإسلامية أن تحقق أهدافها وغاياتها الحضارية.

أما المتغيرات في الفكر التربوي الإسلامي فهي الظواهر التي اختلف حولها التربويون المسلمين لاختلاف الزمان أو المكان، أو كان عمق الاهتمام بها متفاوتاً بينهم لأسباب تتعلق بالبيئة السياسية والاجتماعية وأهداف الفكر التربوي ومثله العليا التي تحكمه حسب طبيعة العصر. وقد توقفت هذه المتغيرات على محصلة تجاذب القوة بين

أنصار العقل وأنصار النقل. ففي عصور الازدهار الحضاري كان الحوار بين الفريقين حواراً بناءً ساهم في دفع عجلة الرقي الفكري للمجتمع الإسلامي رغم اختلاف أهداف كل منهما، فعلى سبيل المثال كان إخوان الصفا يهذفون إلى تغيير النظام العقلي عن طريق التربية تمهدأً لتغيير النظام السياسي، بينما كان الغزالى ينحصر للنظام القائم ويوضع أساس التربية لخدمة هذا الهدف. أما في عصر الجمود فقد كان أنصار النقل مسيطرين على الساحة الفكرية وبالتالي على الفكر التربوي، ولم تبق للعقل إلا مساحة ضئيلة عاش فيها أفراد قلائل تابعوا بحوثاً واشتغلوا بعلوم هي في نظر الآخرين أقرب إلى الزندقة منها إلى الإيمان.

وفي تصوري أن الفكر التربوي الإسلامي في العصر الحاضر يحتاج إلى قيام علم كلام جديد يأخذ في اعتباره التطورات العلمية والفكرية الهائلة التي عرفها العصر الحديث، وينظر كما نظر رواد التربية الإسلامية في الفلسفة الحديثة وتياراتها المختلفة، ولا يأتي هذا إلا بقيام حركة ترجمة نشطة لهذه التيارات المختلفة، بشرط أن يقبل على دراستها رواد الفكر الدينى ولainظرون إليها نظرة عدائية دون الاطلاع على مقاصدها. وعندهم الإمام الغزالى خير شاهد، حيث تمكن من الإيحاطة بمقاصد الفلاسفة قبل أن يتصدى لاعلان تهافت الفلاسفة وقبل أن يحدد معالم الطريق المنقد من الضلال.

ويقتضي النهوض بالفكر التربوي الإسلامي في العصر الحديث الحاجة إلى «فقيه عصري»، ولما يعني هذا أن يقوم كل من تخصص في العلوم الشرعية بالاطلاع على التطورات العلمية والفكرية في العصر الحديث، لأن هذا متغير بطبيعة الحال، ولكن منقصده أن تظهر إلى الوجود مجتمع فقهية عصرية تضم علماء الدين والفلسفة والطبيعة والرياضيات والفلك والطب... إلخ، بحيث تدرس في الماجامع القضائية التي تثير الجدل والتي يؤدي عدم حسمها إلى استمرار الفصل بين مثل الدين ومقتضيات الواقع. وتتلخص مهمة هذه الماجامع في تقرير الهوة الفاصلة بين المثال والواقع، أو التقاء الدين بالدنيا الذي هو روح الإسلام الحقيقة.

ويقتضي النهوض بالفكر التربوي الإسلامي أيضاً ضرورة إنشاء كليات أو معاهد علياً تخصص لتدريس التربية الإسلامية أو الثقافة الإسلامية تجمع في مناهجها بين ماثورات التراث ومنجزات العصر في ميادين الفكر والحضارة.

الحواشي

- ١ - ابن خلدون، المقدمة، دار الشعب، القاهرة، د. ت، من ٣٦١ - ٣٦٢، ٤٠٠.
- ٢ - رسائل أخوان الصفا، بيروت، ١٩٥٧، ج ١، من ٢٢٦ - ٢٢٥.
- ٣ - الغزالى، أحياء علوم الدين، تحقيق د. بدوى طباعة، القاهرة، د. ت، ج ١، من ١٥ وما بعدها.
- ٤ - يرى الغزالى أن المقصود بالعلوم التي تلتقي بالعلوم الشرعية فيظن أنها ممدوحة هو تعريف الأسماء المحمودة وتبيّنها بالآفراش الفاسدة إلى معان غير مأراه السلف الصالح والقين الأول، وهي خمسة الفاظ: الفقه، والعلم، والترحيد، والتوكيد، والحكمة (أنظر أحياء علوم الدين، المراجع السابق، ج ١، من ٢٢ - ٢٥٢).
- ٥ - الغزالى، ميزان العمل، تحقيق د. سليمان ندى، دار المعارف، مصر ١٩٦٤، الطبعة الأولى، من ٢٥٢ - ٢٥٥.
- ٦ - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، من ٤٠٠ وما بعدها.
- ٧ - ابن جماعة، تذكرة السامع والتكلم في أدب العالم والتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، من ١٢.
- ٨ - المراجع السابق، من ١٢ - ١٣.
- ٩ - المراجع السابق، من ٢٠ - ٢١.
- ١٠ - المراجع السابق، من ٢٢ - ٢٣.
- ١١ - المراجع السابق، من ٨٥ - ٨٦.
- ١٢ - أنظر المراجع السابق، من ٣٥ - ٣٦، ٨٥، ٦٨، ٥٨، ٤٧، ٣٦ - ١٧١.
- ١٣ - ابن خلدون، المقدمة، من ٤٥٢ - ٤٥٤.
- ١٤ - حاجي خليلة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج ١، من ٣٤ - ٣٥.
- ١٥ - لويس جارديه، أهل الإسلام، ترجمة صلاح الدين برمدا، دمشق ١٩٨١، من ٧١.
- ١٦ - ول بيورانت، قصبة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٧٤، الطبعة الثالثة، ج ١٢، من ٩٦.
- ١٧ - أنظر د. محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة - دراسة في الفكر التربوي المقارن، الكويت ١٩٧٩، الطبعة الأولى، من ١٧٢.
- ١٨ - فرانتز بيرزنثال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة د. أنيس فريحة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠، من ١٨٨ - ١٨٩.
- ١٩ - أنظر د. محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة... مرجع سابق من ١٧٣.
- ٢٠ - د. محمد فريد حجاب، التراث كعامل من عوامل التخلف وكمدخل لبناء حضاري، محاضرة بالمركز الثقافي الإسلامي بالجزائر في ١١/٢٢.
- ٢١ - محمد اقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨، من ١٨٨ - ١٩٠.
- ٢٢ - أنظر على سبيل المثال : ستانلى لдин بول، الدول المحمدية (بالإنجليزية) تلوي، طبعة ثانية ١٩٧٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، د. ت، ج ١٤، ١٢، فيليب حتى، العرب - تاريخ موجز، من ٢٥٢ وما بعدها.
- ٢٣ - لويس جارديه، أهل الإسلام، مرجع سابق، من ٣٠١ - ٣٠٦ - ٢٠٦ - ٢٠١ : ول بيورانت، قصبة الحضارة، مرجع سابق، ج ١٢، من ٢٨١ - ٢٨٠.
- ٢٤ - أنظر ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، من ٥٠١ وما بعدها حيث كتب نصلاً في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلم مخلة بالتعليم.
- ٢٥ - د. محمد فريد حجاب، بدر الدين بن جماعة وأرائه التربوية، مجلة البحرين، العدد ٨٩٣، وزارة الاعلام، البحرين ١٩٨٦/١٢/٢١، لويس جارديه، أهل الإسلام، مرجع سابق، من ١٢٠ - ١٢١، ١٧١ - ١٧٠، ١٥٥ - ١٥٤، ٢٢٠ - ٢٢٢، د.حسن إبراهيم عبد العال، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥، من ٢٥ - ٢٤.

- ٢٦ - ول بيورانت، قصبة الحضارة، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٣٢٢ - ٣٧٦.
- ٢٧ - محمد أقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٢.
- ٢٨ - انظر : ول بيورانت، قصبة الحضارة، مرجع سابق، ج ١٢، ص ١٧٧ وما بعدها.
- ٢٩ - المراجع السابق، ص ١٧٧، وما بعدها.
- ٣٠ - الفزالي، المتقى من الضلال، تحقيق د. عبدالحليم محمود، دار المعارف، مصر، د. ت، ص ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦١.
- ٣١ - المراجع السابق، من ٢٢٩ - ٢٢٨.
- ٣٢ - محمد أقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٤٧.
- ٣٣ - راجع شكل رقم (٢) لمي تصنيف العلوم عند الفزالي في أحياء علوم الدين ومن المدهش أن علم الكلام كما هو واضح من الشكل قد يدخل في الفكر الإسلامي من خلال اللغة والنحو الذين يعتبران عند المفكرين المسلمين من العلوم الأولية والمنطق آلة الفلسفة أو آلة العلوم مثله في ذلك مثل اللغة والنحو.
- ٣٤ - الفزالي، أحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢ - ٢٣.
- ٣٥ - الفزالي، ليها الولد المصب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤، ٢٥، ٢٦.
- ٣٦ - لويس جاريد، أهل الإسلام، مرجع سابق، ص ٢١٤.
- ٣٧ - رسائل أخوان الصفا، مرجع سابق، ج ١، ص ٤١ - ٤٢.
- ٣٨ - انظر د. محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية عند أخوان الصفا، الهيئة العامة للكتاب، مصر ١٩٨٢، ص ٩٠ - ٩٢.
- ٣٩ - أبيحيان التوحيدى، الامتناع والمؤانسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٣.
- ٤٠ - ورد في دائرة المعارف الإسلامية أن ابن مسكويه - أو مشكويه - مجرمته من الحكم نقلها من حكماء الفرس والمهد والعرب والبيزنطيين، اعتمد في القسم الأول منها على الكتاب الفارسي «جاريدان خود» أي «العقل الأذلي»، وأن محمد بن محمد الأرجاني نقله إلى الفارسية للسلطان المعلم جهانجير (دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ج ١، ص ٢٧٨).
- ٤١ - فرانتز زيزنثال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، مرجع سابق، ص ١٩٠.
- ٤٢ - انظر : ابن عبد الله، العقد الفريد، القاهرة ١٢٥٣، ج ٢، ص ٢١٦.
- ٤٣ - يمكن الرجوع في ذلك إلى : الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٩٢، الجاحظ، الحيوان، ج ١، من ٢٨، الجاحظ، مناقب الترك من ٢٩، الجاحظ فخر السويدان من ٨٤.
- ٤٤ - انظر : ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ٤٢ - ٤٢٥، وما بعدها، د. محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية عند أخوان الصفا، مرجع سابق، ص ٦ - ٢٠ وما بعدها.
- ٤٥ - رسائل أخوان الصفا، ج ٢، ص ٤٠٤ - ٤٢٥، د. محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية عند أخوان الصفا، مرجع سابق، ص ٦ - ٢٠ وما بعدها.
- ٤٦ - أبيحيان التوحيدى، الامتناع والمؤانسة، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٠ - ٧٥.
- ٤٧ - فرانتز زيزنثال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، مرجع سابق، ص ١٩٣، أبيحيان التوحيدى، المقاييس، ص ٢٦٠.
- ٤٨ - المرجع السابق، ص ٢١١ - ٢١٢، وقد ذكر السجستانى أن لابن زيد البلخي كتاباً في «أخلاق الأمم» رأه السجستانى وقرأه.
- ٤٩ - أبيحيان التوحيدى، الامتناع والمؤانسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠٥، ٦٥ - ١٣٢، ١٠٧ - ١٣٤.
- ٥٠ - ول بيورانت، قصبة الحضارة، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٩٥ - ٩٦.
- ٥١ - د. محمد فريد حجاب، التراث كultural من عوامل التخلف وكمuttlek لبناء حضاري تتلاً من سيرة المزيد في الدين هبة الله الشيرازي تحقيق د. محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٥٢ - أبيحيان التوحيدى، الامتناع والمؤانسة، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٢، ج ٢، ص ٢ وما بعدها.

بحوث ودراسات

- ٥٣ - ابن أبي أصبيعة، مبين الآباء في طبقات الأنبياء، ج ٢، من ٢٥ ربما بعدها، هنري كوديان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧.
- ٥٤ - أنظر ول بيبرانت، قصة الحضارة، مرجع سابق، ج ١٢، من ٢٠٦.
- ٥٥ - لويس جارديه، أهل الإسلام، مرجع سابق، من ١٤٢ ربما بعدها.
- ٥٦ - رسائل إخوان الصفا، ج ٢، من ١٤ - ١٥.
- ٥٧ - ول بيبرانت، قصة الحضارة، مرجع سابق، ج ١٢، من ١٧١.
- ٥٨ - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، من ٥٠٩. وقد نقل حاجي خليلة في مقدمة كتابه كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون (من ٤٢ - ٤٢) مبدأ الرحلة في طلب العلم بنفس عبارات ابن خلدون تقريباً.
- ٥٩ - النعفي، تذكرة المفاظ، دائرة المعارف، ج ٢، من ٣١٢.
- ٦٠ - ابن عبد البر، مختصر كتاب العلم، مصر، من ٤٧.
- ٦١ - أبيحيان الترمي، الامتناع والمؤانسة، مرجع سابق، ج ٢، من ٩٤ - ٩٥.
- ٦٢ - د. حسن ابراهيم عبد العال، ذن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، مرجع سابق، من ٦١ - ٦٢.
- ٦٣ - الصندي، الواقي بالولائيات، نسبان ١٩٦٦، الطبعة الثانية، ج ٢، من ١٨.
- ٦٤ - ابن خلدون، المقدمة، من ٤٠١.
- ٦٥ - المرجع السابق، من ٤٨٢ - ٤٩٧، ٥٠٢.
- ٦٦ - المرجع السابق من ٤٤٤.
- ٦٧ - ول بيبرانت، قصة الحضارة، مرجع سابق، ج ١٢، من ٢٢٨.
- ٦٨ - المقريني، الخطط والأثار، القاهرة، ج ٢، من ٣٨٢ - ٣٨٤.
- ٦٩ - ابن جماعة، تذكرة السامع والمكتلم... مرجع سابق، من ١٩٢ - ١٩٦.
- ٧٠ - محمد اقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، مرجع سابق، من ٢٠٩.
- ٧١ - ابن جماعة، تذكرة السامع.... مرجع سابق، من ٣٦ - ٣٥.
- ٧٢ - المرجع السابق، من ١٧٠ - ١٧١.
- ٧٣ - المرجع السابق من ٨٥.
- ٧٤ - المرجع السابق من ٨٥.
- ٧٥ - المرجع السابق من ١١٢ - ١١٣.
- ٧٦ - المرجع السابق من ٤٧، ٥٨.
- ٧٧ - أنظر على سبيل المثال : ابن حجر، الدر الكامن في أعيان المائة الثامنة، القاهرة، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الخامس، وقد تتبع قائمة الشيخ الذين ثلق عليهم ابن جماعة العلم لكتاباً جديداً من المتخصصين في العلوم الدينية، وبينو غريباً أن له رسالة في الأسطر لاب كان يدرسها سرّاً لطلابه.
- ٧٨ - أنظر رصف ابن ظهيره لدارس القاهرة في : د. حسن ابراهيم عبد العال، ذن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، مرجع سابق، من ٥٢.
- ٧٩ - الفزالي، أيها الولد المحب، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، من ٢٢.
- ٨٠ - د. محمد جواد رضا، العرب والتربية والحضارة.. مرجع سابق، من ١٨٣ - ١٨٤.
- ٨١ - أنظر الفزالي، أحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ١، من ٤٩ - ٤٨، الفزالي، ميزان العمل، مرجع سابق، من ٣٦٧، ٣٤٨.
- ٨٢ - ابن جماعة، تذكرة السامع.... مرجع سابق، من ١١٩ - ١٢٠.
- ٨٣ - حاجي خليلة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، مرجع سابق، من ٤٦.
- ٨٤ - ابن جماعة، تذكرة السامع.... مرجع سابق، من ٧٠ - ٧١.
- ٨٥ - المرجع السابق، من ٧١.
- ٨٦ - د. محمد فريد حجاب، في معنى التصوف، مجلة البحرين، العددان ٢٢، ٢٠ يوليه ١٩٨٦.

بحوث ودراسات

- ٨٧ - الفزالي، أحياء طوم الدين، مرجع سابق، ص ٥٠ - ٥١.
- ٨٨ - ابن جماعة، تفكيره السامي...، مرجع سابق، ص ٨٥ - ١١٢.
- ٨٩ - الفزالي، المقتد من الضلال، مرجع سابق، ص ٢٢٧ - ٣٢٩.
- ٩٠ - المرجع السابق، ص ٣٢٧، ويمكن أن نفهم مانكره الفزالي للولد المحب من عدم جدوى الاشتغال بتحصيل علم الكلام والطب والدواين والأشعار والتجميم والعربيش والنحو والتصوف - في إطار رموزه إلى التصوف في آخر العمر، أو التصوف بعد تحصيل العلم والمعرفة (انظر : الفزالي، أيها الولد المحب، مرجع سابق، ص ١٢، ٢٢، ٢٧). (٢٩)
- ٩١ - د. محمد فريد حجاب، العز بن عبد السلام سلطان العلماء، مجلة البحرين، العدد ١٨، ١٩٨٦/٧/٢٥، ابن نقيق العيد مجند المائة الثامنة، مجلة البحرين، العدد ٢، ١٩٨٦/٧/١٦.
- ٩٢ - ول بيورانت، قصة الحضارة، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٣٦٥.
- ٩٢ - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ٤٢٩ وما يليها.
- ٩٤ - المرجع السابق، ص ٤٤١، ٤٤٥.
- ٩٥ - ول بيورانت، قصة الحضارة، مرجع سابق، ص ٣٦٦.
- ٩٦ - محمد أقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧٧.
- ٩٧ - المرجع السابق، ص ١٤٢.
- ٩٨ - المرجع السابق، ص ٢١١.
- ٩٩ - لويس جارديه، أهل الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٢٥.
- ١٠٠ - فرانز بريزنتال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، مرجع سابق، ص ١٨٤ - ١٨٨، ابن أبي أصيبعة، عين الآباء في طبقات الأطبا، مرجع سابق، ج ١، ص ٧.
- ١٠١ - د. محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، مرجع سابق، ص ١١٥ - ١٤١.
- ١٠٢ - محمد أقبال، الفلسفة السياسية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٥٤ - ١٥٥.
- ١٠٣ - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ١٥٢ وما يليها.
- ١٠٤ - حاجي خليفة، كشف الظنون...، مرجع سابق، ص ٣٩.
- ١٠٥ - المرجع السابق، ص ٢٥.
- ١٠٦ - الفزالي، ميزان العمل، مرجع سابق، ص ٤٠٩.
- ١٠٧ - د. توفيق الطويل، من تراثنا العربي والإسلامي، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٥، ص ١٠ وما يليها.
- ١٠٨ - ابن جماعة، تفكيره السامي...، مرجع سابق، ص ١١٢ - ١٢١.
- ١٠٩ - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ٥٠١.
- ١١٠ - لويس جارديه، أهل الإسلام، مرجع سابق، ص ١٥٧.
- ١١١ - محمد أقبال تجديد التفكير الديني في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٦.
- ١١٢ - رسائل إخوان الصفا، ج ١، ص ١٥٧، د. محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، مرجع سابق، ص ١٧٥ - ١٧٧، ٢٢٠، ١٧٧.
- ١١٣ - ابن مسكونيه، تهذيب الأخلاق، ص ١٧.
- ١١٤ - لويس جارديه، أهل الإسلام، مرجع سابق، ص ١٥٧.
- ١١٥ - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ٥٠٥ - ٥٠٦.
- ١١٦ - رسائل إخوان الصفا، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٥١.
- ١١٧ - انظر على سبيل المثال حول التربية الخلقية وان القرآن أصل الأخلاق الإسلامية، د. محمد عبد الله دراز، الأخلاق في القرآن، د. محمد أحمد فؤاد الأهوازي، التربية في الإسلام، ص ٩٥ - ١٢١.

خطط مستقبلك بكفاءة مع بنك الشرق الأوسط

تشكيلية شاملة من الخدمات المصرفية

- * حسابات الإيداع
- * حسابات التوفير والحسابات الجارية
- * حوالات مصرفية إلى كافة أنحاء العالم
- * شيكات سيادية
- * بطاقات أميركان إكسبريس الذهبية
- * قروض شخصية
- * تمويل شراء السيارات
- * خدمات متقدمة مجهزة بالكمبيوتر

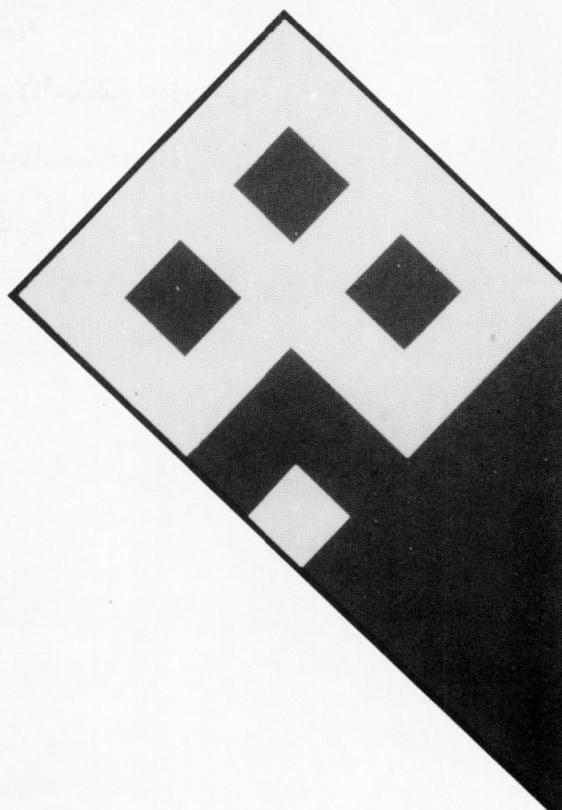
خطط مستقبلك مجاناً

- * المساعدة في اختيار بوالص التأمين
- * يساعدكم على تخطيط احلام حياتكم التقاعدية
- * يساعدك على تخطيط تعليم أولادكم
- * يساعدك على الادخار من أجل تغطية التزاماتك المستقبلية.
- * تهيئ لكم الوصول الى المؤسسات المالية الرئيسية في العالم من خلال ادارة الحافظة الاستثمارية.

فروع بنك الشرق الأوسط في الإمارات

- * دبي ميدان جمال عبدالناصر ت : ٢٨٢١٠١ بر دبي ت : ٤٢٢١٧٥ الرقة ت : ٢١١٤٤٨ سوق مرشد ت : ٢٨٥٩٨٥
- * أبوظبي ت: ٣٢٨٤٠٠ العين ت: ٦٤٢٨٥٥
- * رأس الخيمة ت: ٢١٣٦٦ الشارقة ت: ٣٥٦١٦٦
- * أم القيوين ت: ٦٦٦٠٥

خدمات إستشارية مالية شخصية



بنك الشرق الأوسط

الإلتزام بـ عـالـيـة الـفـداء

بالاشتراك مع مؤسسة يونغ وشركاه

المكتب الرئيسي
ص . ب ٥٥٤٧، دبي أ.ع.م.
هاتف ٢٢٠١٢١

مجلة لئن تكون اجتماعية

فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

تصدر عن جمعية الاجتماعيين - الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

■ رئيس التحرير : د. عبدالخالق عبدالله ■

رئيس التحرير . صن . بـ ٣٧٤٥
الشارقة الامارات العربية المتحدة

الراسلات
توجه إلى

مواعيد الصدور
ديسمبر (شتاء) ● مارس (ربيع) ● يونيو (صيف) ● سبتمبر (خريف)

- تنشر البحوث والدراسات في شتى فروع العلوم الإنسانية والتي تتتوفر فيها الاصلية والمنهجية العلمية.
- تعطي الاولوية مرحلياً للبحوث والدراسات حول مجتمع الامارات لسد النقص في هذا المجال.
- تخصص زاوية لمناقشة الاراء والافكار التي تتناول قضايا فكرية وثقافية واجتماعية معاصرة وترحب بمساهمة الاكاديميين والمتخصصين من كافة الاختصاصات في العلوم الإنسانية.

الاشتراك السنوي

١ - للأفراد :

في الامارات ٢٥ درهماً ● في الوطن العربي ١٠ دولارات

● في الخارج ١٥ دولاراً

٢ - للمؤسسات :

في الامارات ١٠٠ درهم ● في الخارج ٤٠ دولاراً



«بعض العوامل الاجتماعية الاقتصادية المؤثرة على اتجاهات المستهلك السعودي»

دكتور
محمود عبد الحميد حسين *

مقدمة

- طبيعة موضوع البحث :

المملكة العربية السعودية من أكثر الدول انتاجاً وتصديراً للبترول، إلا أنها في نفس الوقت من أكبر الدول العربية استيراداً للمنتجات الصناعية^(١)، فهي تعتمد بشكل كبير على الاستيراد في توفير احتياجاتها الغذائية والصناعية، ويرجع ذلك بشكل أساسي إلى حداثة القطاع الصناعي السعودي، إذ إنه مازال قطاعاً وليداً لم يأخذ الفرص الكافية للنمو ومن ثم يصبح غير قادر على توفير احتياجات اقتصاد نام كاقتصاد المملكة التي تتبنى خططاً تنموية طموحة تهدف إلى تغيير وجه الحياة على أرض شبه الجزيرة العربية، ونتيجة لذلك اتجهت

* استاذ مشارك علم الاجتماع، أبها - السعودية.

أرقام الاستيراد إلى زيادة مطردة سنة بعد أخرى حتى بلغتْ عام ١٩٨٤ حوالي ٦٢٦٠ بليون ريال مقابل ٣٢٠ بليون ريال عام ١٩٧٠. أي أن واردات المملكة قد تضاعفت أكثر من ٣٥ مرة خلال هذه الفترة^(٢). وتعتبر المنتجات الغذائية من أكثر نوعيات السلع استيراداً، ذلك أنها بلغت ٢٠٠ بليون ريال عام ١٩٨٤ ممثلة بذلك حوالي ١٦٪ من قيمة واردات المملكة^(٣).

ولقد اهتمت المملكة بتنمية القطاع الصناعي لسببين :

فمن ناحية أنه الوسيلة الفعالة لتنويع مصادر دخلها، ومن ناحية أخرى فهو القطاع القادر على توفير احتياجات الصناعية ويقلل من اعتمادها على الاستيراد من الخارج. ولذا فقد بدأت المصانع الوطنية تتزايد في المملكة حتى أصبح عددها عام ١٤٠٥ حوالي ١٧٨٥ مصنعاً برأس مال قدره ما يقرب من ٥٥ بليون ريال^(٤).

ونجاح الصناعة يعتمد بصورة أساسية على حتمية وجود سوق استهلاكية واسعة تضمن تصريف الانتاج لا تخزينه وتعمل على خفض التكلفة وليس زيادتها إلا أن الملاحظ أن حجم الطلب على الانتاج الوطني من المواد الغذائية لا يوفر سوقاً استهلاكية واسعة تعتمد عليها الصناعة الوطنية، ويرجع ذلك إلى أن الجزء الأكبر من الطلب المحلي يغطى عن طريق المنتجات الغذائية المستوردة، ومن ثم تواجه الصناعات الغذائية الوطنية منافسة حادة من مثيلتها الأجنبية المعتمدة على سياسة الأغراء واغراء الموزعين المحليين وجذبهم بهوامش ريع مرتفعة لتوزيع المنتجات الأجنبية^(٥).

واللتقليل من حدة المنافسة الأجنبية ينبغي تشجيع المستهلك السعودي لاستهلاك المنتجات الغذائية المحلية الوطنية واحلالها محل مثيلتها الأجنبية المستوردة، إلا أن الفرص التسويقية المتاحة أمام المنتجات الغذائية الوطنية إنما تحدد في ضوء المركز التنافسي الذي تتمتع به في السوق، والذي يمكن التعرف عليه من خلال دراسة اقبال المستهلك السعودي عليها ومستوى تفضيله لها، ومن ثم فإن مشكلة البحث تمثل في تحديد المركز التنافسي الذي تتمتع به كل من المنتجات الغذائية الوطنية وال أجنبية في السوق السعودية.

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى التعرف على درجة قبول المستهلك السعودي لكل من المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، ومستوى تفضيله لكل منها، والعوامل المؤثرة على هذا التفضيل، إذ في ضوء ذلك يمكن تحديد أي من المنتجات الغذائية الوطنية ينبغي

الاهتمام بها، وأي منها يواجه منافسة شديدة من قبل الانتاج الاجنبي المائل تمهدأ للتعرف على ماتمتع به المنتجات الأجنبية من مزايا، ومحاولة الاستفادة منها في اعادة تصميم وانتاج المنتجات الوطنية وفي تخطيط سياساتها التسويقية.

الفروض :

يسعى هذا البحث إلى إثبات صحة أو خطأ الفروض التالية :

- ١ - المستهلك السعودي يقبل على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية بدرجة أكبر من اقباله على شراء المنتجات الغذائية الوطنية.
- ٢ - أن أكثر المنتجات الغذائية الوطنية تفضيلاً من قبل المستهلك السعودي هي تلك المنتجات السريعة التلف كالألبان ومنتجات المخابز والمياه الصحية.
- ٣ - المنتجات الغذائية الأجنبية التي يفضلها المستهلك السعودي هي تلك المنتجات التي لا تصنعها المنشآت الوطنية أو تلك التي تصنعها بمستوى جودة أقل من الانتاج العالمي كالحلويات والشيكولاتة، أو بعض أنواع الفواكه المحفوظة.
- ٤ - يعتبر السن أكثر العوامل تأثيراً في اقبال المستهلك السعودي على شراء المنتجات الغذائية.

العينة :

بلغ حجم عينة البحث ٤٠٠ مفردة من أبناء المنطقة من الذكور^(١)، وتم اختيارها من المدن الرئيسية الثلاث : خميس مشيط وأبها وجيزان، حسب الأهمية النسبية لعدد السكان في كل مدينة حيث خص خميس مشيط ١٨٨ مفردة وخص أبها ١٥٦ مفردة، وخص جيزان ٦٥ مفردة، وتم توزيع مفردات البحث داخل كل مدينة حسب الأهمية النسبية لفئات الأعمار والدخول على النحو التالي^(٢) :

وقد تم تدريب الباحث على كيفية مفردة البحث من بين السكان الذكور بالمنطقة في ضوء الجداول السابقة، بحيث يتوافر في المفردة السن والدخل الشهري المطلوب بالإضافة إلى الرغبة والعرض على اعطاء المعلومات بصدق وأمانة.

وقد وزع مساعدو الباحث (١٠٠) ستمائة استماراة على مفردات البحث واستعادوا منها (٤٥٠) استماراة منها (٥٠) استماراة كانت ناقصة ولا تصلح للبحث وبقيت (٤٠٠) استماراة اعتمدنا عليها في هذا البحث.

ولتتعرف على مدى تمثيل العينة لمجتمع البحث قورنت فئات الأعمار بالعينة بفئات الأعمار بالمجتمع وتبيّن أن متوسط أعمار العينة ٣٠.٩٨ بانحراف معياري قدره

(١) عينة خميس مشيط :

| اجمالي | ٩٠٠٠ فأكثر | ٩٠٠٠ - ٦٠٠٠ | ٦٠٠٠ - ٤٠٠٠ | ٤٠٠٠ - | الدخل الشهري | |
|------------|------------|-------------|-------------|------------|--------------|---------------|
| | | | | | فئات الأعمار | |
| ٤١ | ١ | ٢ | ٥ | ٢٢ | ٢٠ - ١٥ | |
| ٦٠ | ٢ | ٢ | ٧ | ٤٧ | ٢٠ - ٢٠ | |
| ٣٨ | ١ | ١ | ٥ | ٣١ | ٤٠ - ٣٠ | |
| ٢٨ | ١ | ١ | ٣ | ٢٣ | ٥٠ - ٤٠ | |
| ٢١ | ١ | ١ | ٢ | ١٧ | ٥٠ | فلكتر ٥٠ |
| ١٨٨ | ٨ | ٨ | ٢٢ | ١٥٠ | | اجمالي |

ب - عينة أبها :

| اجمالي | ٩٠٠٠ فأكثر | ٩٠٠٠ - ٦٠٠٠ | ٦٠٠٠ - ٤٠٠٠ | ٤٠٠٠ - | الدخل الشهري | |
|------------|------------|-------------|-------------|------------|--------------|---------------|
| | | | | | فئات الأعمار | |
| ٢٤ | ١ | ١ | ٤ | ٢٨ | ٢٠ - ١٥ | |
| ٥٠ | ٢ | ٢ | ٦ | ٤٠ | ٢٠ - ٢٠ | |
| ٣١ | ١ | ١ | ٢ | ٢٥ | ٤٠ - ٣٠ | |
| ٢٣ | ١ | ١ | ٢ | ١٩ | ٥٠ - ٤٠ | |
| ١٨ | ١ | ١ | ٢ | ١٤ | ٥٠ | فلكتر ٥٠ |
| ١٥٦ | ٦ | ٦ | ١٨ | ١٢٦ | | اجمالي |

(ج) عينة جيزان :

| الدخل الشهري نقائص الأعمار | | | | | |
|----------------------------|--------|------|-------|-------|----------|
| | اجمالي | ٩٠٠٠ | -٦٠٠٠ | -٣٠٠٠ | ٣٠٠٠- |
| فأكثر | ٩٠٠٠ | ٦٠٠٠ | ٣٠٠٠ | ٣٠٠٠- | |
| ١٢ | ١ | ١ | ٢ | ٨ | ٢٠ - ١٥ |
| ١٨ | ١ | ١ | ٢ | ١٤ | ٣٠ - ٢٠ |
| ١١ | ١ | ١ | ٢ | ٧ | ٤٠ - ٣٠ |
| ٨ | ١ | ١ | ٢ | ٤ | ٥٠ - ٤٠ |
| ٧ | ١ | ١ | ٢ | ٣ | ٥٠ فأكثر |
| ٥٦ | ٥ | ٥ | ١٠ | ٣٦ | اجمالي |

١٠٥١، ومتوسط أعمار المجتمع ٣١٣٥٥ بانحراف معياري قدره ١٢٠٣٣، وحيث إن حجم العينة ٤٠٠ مفردة.

$$\therefore \text{الخطأ المعياري} = \sqrt{\frac{\text{الانحراف المعياري للمجتمع}}{ن - ١}} = \sqrt{\frac{١٢٠٣٣}{٦٠٢ - ٤٠٠}} = ٠٦٢٣\text{ـ}٢٠\text{ـ}٣١٣٥٥.$$

$$\therefore \text{قيمة } Z = \frac{٢٠٩٨٠ - ٣١٣٥٥}{٠٦٢٣} = -٢٥٨\text{ـ}٢٠\text{ـ}٢٠.$$

وبالبحث في جدول المساحات أسفل المنحنى الطبيعي نجد أن قيمة Z عند مستوى معنوية ١٠٠ هي ± ٢٥٨ .

$\therefore (Z)$ المحسوبة $= -٢٢٣\text{ـ}٢٠ > (Z)$ الجلوية $(٢٥٨\text{ـ}٢٠)$.

\therefore الفرق بين متوسط العينة ومتوسط المجتمع ليس فرقاً جوهرياً.

وببناء على ذلك تكون العينة ممثلة للمجتمع في نطاق الأعمار ^(٨).

أما من حيث الدخل فقد أظهر توزيع الدخول الشهرية لعينة البحث أن متوسط الدخل الشهري للمستهلك ٥٧٥٢ ريالاً وهو يقترب كثيراً من المتوسط الشهري للدخل الفرد في المملكة عام ١٩٨٥ الذي بلغ ٥٩٧٣ ريالاً.

حدود البحث :

تتمثل حدود البحث فيما يلي :

(أ) المحدود السلعية :

تقتصر هذه الدراسة على المنتجات الغذائية المصنعة باعتبارها إحدى الصناعات السعودية الهامة وأكثرها مواجهة للمنافسة الأجنبية وأكثرها استفادة من الفرص المتاحة أمامها ولتميزها النسبي عن الصناعات الأخرى من حيث بساطة أساليب انتاجها وتوافر أغلب خاماتها محلياً وتدعم الولاة لها لتحقيق الاكتفاء الذاتي منها.

(ب) المحدود المكانية :

نظرأً للاتساع الجغرافي للمملكة وصعوبة تطبيق أية دراسة ميدانية على كل أجزاء المملكة فقد تم اختيار المنطقة الجنوبية كحدود مكانية للدراسة نظرأً لأن المنطقة تقع على الساحل الغربي للمملكة وهي تواجه منافسة حادة من منتجات متعددة واردة من دول جنوب شرق آسيا ودول مجلس التعاون الخليجي، وباعتبارها منطقة تجمع اجتماعي كبير يضم العديد من المستهلكين، فضلاً عن قريتها من الباحثين وسهولة تجميع البيانات.

(ج) حدود خاصة بمجتمع البحث :

ستنطبق هذه الدراسة على المستهلك دون غيره باعتباره العنصر التسويقي الدائم الذي يجب أخذ آرائه في الاعتبار عند وضع الاستراتيجيات التسويقية في المنشآت الصناعية الغذائية، كما أن هذه الدراسة تقصر على الذكور دون الإناث لتمشى ذلك مع العادات الشarianة السائدة في المجتمع ولصعوبة تجميع البيانات من الإناث.

أسلوب جمع البيانات ومعالجتها :

استخدم الباحث قائمة استقصاء لتجمیع البيانات الأولیة للبحث باعتبارها أفضی وسیلة قیاساً لنوعیة البحث وحجم العینة، وتقسم القائمة ثلاثة مجموعات من الأسئلة: تهدف المجموعة الأولى إلى الحصول على بيانات عن مدى الاقبال على شراء المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، والثانية تتضمن أسئلة لجمع معلومات عن مستويات تفضیل المستهلك السعودي لكل من المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، أما الثالثة فترکز على توصیف مفردات العینة حيث يتطلب الأمر معرفة أثر خصائص المستهلك على سلوكه الشارانی تجاه كل من المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية.

I. B. M. S. A. S. وقد تمت معالجة البيانات الأولية احصائياً على الحاسوب الآلي ماركة بالاستعانت ببرامج (F) واختبار (F) (٢٠) (٣٠) المتطرفة والانحراف المعياري والالتواء والتفرطع.

نوع البحث وأسلوب الدراسة :

يعتبر هذا البحث من البحوث الاستكشافية التي تهدف إلى تشخيص المشكلة ومعرفة أبعادها تمهيداً لتحديد أساليب علاجها وذلك من خلال وضع عدة فروض يسعى البحث إلى إثبات مدى صحتها. وفي ضوء ذلك فهذا البحث يعتمد على أسلوب الدراسة الميدانية إذ يركز على اتجاهات المستهلك السعودي نحو المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية بغية التعرف على المركز التنافسي لكل من المنتج الوطني والأجنبى ومدى سيطرة أي منها على السوق السعودية.

وبالرغم من اعتماد الدراسة على البيانات الأولية المستخلصة من الدراسة الميدانية فإن التحليل اقتضى الرجوع إلى بعض البيانات الثانوية والمعلومات المتوافرة في المراجع العلمية والبحوث والدراسات الأكademie والاحصاءات والنشرات الصادرة عن مؤسسات حكومية وغير حكومية.

إطار البحث :

يضم هذا البحث مقدمة وأربعة فصول : تشمل المقدمة على طبيعة المشكلة والفرض وأهداف البحث وحدوده وأسس اختبار العينة وأسلوب جمع البيانات ومعالجتها، ونوع البحث وأسلوب الدراسة. واختص الفصل الأول بدراسة مدى اقبال المستهلك السعودي على شراء كل من المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، واختص الفصل الثاني باظهار مستويات التفضيل للمنتجات الغذائية المخضفة وطنية كانت أم أجنبية. أما الفصل الثالث فيبين العوامل المؤثرة في الاقبال على شراء المنتجات الغذائية. وأخيراً اشتمل الفصل الرابع على خلاصة للبحث وتقديماته.

أولاً : مدى الاقبال على شراء المنتجات الغذائية (الوطنية والأجنبية)

طبيعة موضوع البحث :

لما كان القطاع الصناعي السعودي قطاعاً وليداً، اعتمدت المملكة على الاستيراد لتوفير احتياجاتها من المنتجات الصناعية وبخاصة الغذائية منها، ومن ثم فإنه من المتوقع زيادة إقبال المستهلك على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية لتعوده عليها ولعدم قدرة الصناعات الغذائية الوطنية على تلبية كل احتياجاته منها، وهذا كفيل بجعل المنتجات الغذائية الأجنبية تتمتع بمركز تنافسي أفضل في السوق السعودية. ولأنستطيع أن نجزم بأن المنتجات الغذائية الأجنبية تتمتع بهذا المركز التنافسي القوي أمام مثيلتها الوطنية إلا من خلال استطلاع آراء المستهلكين عن مدى إقبالهم على شراء كل من المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، فهذا المؤشر يمكن أن يقيس قدرة المنتجات الغذائية الوطنية على اشباع احتياجات المستهلك السعودي، ومن ثم تحديد المركز التنافسي لهذه المنتجات. وفي ضوء ذلك فإن هذا الفصل يهدف إلى إثبات صحة أو خطأ الفرض القائل بأن المستهلك السعودي يقبل على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية بدرجة أكبر من إقباله على شراء المنتجات الغذائية الوطنية.

مدى الاقبال على شراء المنتجات الغذائية :

تفيد الدراسة الميدانية أن المستهلكين السعوديين يقبلون بصفة عامة على شراء المنتجات الغذائية الوطنية بدرجة أكبر من إقبالهم على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية، فالمتوسط المرجح للأقبال على الشراء بالنسبة للإنتاج الوطني قد بلغ ٢٥٩٪ مقابل ٢٣٩٪ للمنتجات الأجنبية بزيادة قدرها ٤٪^(١).

وما يؤكد الاتجاه السابق النتائج الواردة بالجدول رقم (٢/٢) حيث تبين أن من يقبلون على شراء المنتجات الوطنية بصفة دائمة كانت نسبتهم ضعف نسبة من يقبلون يوماً على المنتجات الغذائية الأجنبية، ومن يقبلون نادراً على شراء منتجات وطنية أقل بكثير من يقبلون نادراً على شراء المنتجات الأجنبية إذ كانت نسبتهم في الأولى ٧٦٪ وفي الثانية ٩٪ وقد يبيو أن الفروق بسيطة في درجات الإقبال على المنتجات الوطنية والأجنبية إذا قورنت المتوسطات المرجحة والنسب المئوية فقط، ولكن عند

مستويات الاقبال المختلفة على كل من المنتجين الوطني والأجنبي يتضح أن الفروق في الاقبال جوهرية، ذلك أن (كا) قد بلغت ١٢٩٢ لمستوى معنوية ١٠٠٠١ ر. (١٠) وهذه النتائج توضح أن درجة الاقبال على المنتجات الوطنية كانت أكبر من درجة الاقبال على المنتجات الغذائية الأجنبية مما يعطى مؤشرًا مبدئيًّا على قوة مركز المنتجات الغذائية الوطنية في السوق بالمقارنة لمثلتها الأجنبية، ويمكن ارجاع هذه النتيجة إلى ما تتميز به الصناعات الغذائية من طبيعة خاصة، فهي تتعلق بصحة المستهلك ونوعية غذائه الذي يحرص باستمرار على جعله في أعلى درجة من الجودة وأن يكون طازجاً باستمرار، ولابدّ كذلك إلا إذا أطمأن المستهلك إلى مصدره، فهناك نوعيات معينة من المنتجات الغذائية كمنتجات الألبان والمخابز لا يمكن الاطمئنان إليها في آلية استيرادها من الخارج، ويفضل أن تكون صناعة وطنية، فضلاً عن تعلق المنتجات الغذائية بقيم وتقاليد وعادات وديانة المستهلك السعودي مما يجعله يفضل باستمرار الانتاج الوطني منها.

كما يتضح من نتائج الدراسة الميدانية بالجدول رقم (٤/٢) أن مستوى تفضيل المستهلك السعودي للإنتاج الوطني بصفة عامة كان أعلى من مستوى تفضيله للمنتج الأجنبي، فقد بلغ المتوسط المرجع العام لمستوى تفضيل المنتجات الوطنية ٢٤٨٢ ر. ٢٤٨٢ بانحراف معياري قدره ٠٥٥ ر. ٤٠١ مقابل ٤٠١ بانحراف معياري ٧٦٨ ر. للإنتاج الأجنبي، كما أن نسبة من أفادوا من العينة أنهم يفضلون دانماً الأصناف الوطنية كانت ٦٤٪ في حين كانت نسبتهم للإنتاج الأجنبي ١٠٪، كما أن نسبة من لا يفضلون الانتاج الوطني قد بلغت ١٢٪ في حين أن هذه النسبة للإنتاج الأجنبي ٤٪.

وهذه النتائج تفيد أن المستهلك السعودي يفضل الانتاج الوطني بصفة عامة بدرجة أكبر من الانتاج الأجنبي، وهو ما يتفق مع ما يسبق استخلاصه من دراسة مدى الاقبال على شراء المنتجات الوطنية. وهذه النتائج توضح أن المركز التنافسي للإنتاج الوطني في السوق السعودي يتفوق على الانتاج الأجنبي التنافسي له، وتبين عدم صحة الفرض القائل بأن المستهلك السعودي يقبل على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية بدرجة أكبر من أقباله على شراء المنتجات الغذائية الوطنية ويفضلها عليها.

جدول رقم ١/٢
القبال على شراء الخدمات الطبية

SAS

GENERAL LINEAR MODEPS PROCEDURE

| D F | SUMOFSQUARES | MEAN SQUARE | F VALUE | P R F | R SQUARE | C.V. |
|-----|-----------------|-----------------------------|---------|-------|-------------|-----------|
| 54 | 33.90670293 | 0.62790191 | 1.36 | 0.057 | 0.175582 | 26.278 |
| 345 | 159.20329707 | 0.46145983 | | | | XIMEAN |
| 390 | 193.1100000 | الوسائل المستخدمة في الشراء | | | 0.67930761 | 2.5950000 |
| | | القبال على الشراء | | | | PR> |
| | | | | | | 0.671 |
| DF | TYPE I SS | F VALUE | PR > F | DF | TYPE III SS | F VALUE |
| 4 | 8.20310834 | 1.74 | 0.14172 | 4 | 1.03413563 | 0.56 |
| 3 | مسقى التعليم | 1.06 | 0.3653 | 3 | 3.07668960 | 2.22 |
| 5 | الدخل | 0.23 | 0.9463 | 5 | 1.53381179 | 0.66 |
| 12 | السن + التعليم | 1.16 | 0.3114 | 12 | 8.98190017 | 1.26 |
| 15 | السن + الدخل | 2.14 | 0.0080 | 15 | 15.73262343 | 2.27 |
| 15 | التعليم + الدخل | 1.07 | 0.3794 | 15 | 7.43362432 | 0.379 |

جدول رقم ٢ /
الاقبال على شراء الخدمات الاجتماعية

SAS

GENERAL LINEAR MODEPS PROCEDURE

| D.F | | SUMOFSQUARES | MEAN SQUARE | F VALUE | P.R.F | R-SQUARE | C.V. |
|-----|-----------------|--------------|-------------|---------|--------|------------|------------|
| 54 | | 36.65624095 | 0.67956602 | 1.36 | 0.0547 | 0.175824 | 29.6063 |
| DF | | 172.01375905 | 0.49859061 | | | ROOT MSE | X4 MEAN |
| 390 | | 708.71000000 | | | | 0.70610949 | 2.3850000 |
| DF | | | | | | | |
| 4 | السن | 11.25559100 | 5.66 | 0.002 | | 4 | |
| 3 | مستوى التعليم | 1.39675904 | 0.93 | 0.4262 | | 3 | 0.01195623 |
| 5 | الدخل | 0.87707049 | 0.35 | 0.8814 | | 5 | 0.51 |
| 12 | السن + التعليم | 6.39703757 | 1.37 | 0.3868 | | 12 | 4.15595889 |
| 15 | السن + الدخل | 7.14605135 | 0.96 | 0.5028 | | 15 | 2.41106458 |
| 15 | التعليم + الدخل | 9.59373448 | 1.28 | 0.2099 | | 15 | 0.87 |
| | | | | | | | 0.4387 |
| | | | | | | | 1.46 |
| | | | | | | | 0.1392 |
| | | | | | | | 1.04 |
| | | | | | | | 0.4174 |
| | | | | | | | 0.2039 |

TABLE OF QI BY Q 4

جدول رقم (٢ / ٢)

الاقبال على شراء المنتجات الوطنية والاجنبية

المنتجات الاجنبية

| FREQUENCY CELL CH12 PERCENT ROW PCT COL PCT | دانماً | معظم الأحيان | بعض الأحيان | نادراً | لا أقبل | TOTAL |
|---|-----------------------------------|---------------------------------------|---------------------------------------|-------------------------------------|-------------------------------------|---------------|
| | 0 04 0.00 0.00 0.00 | 3 3.2 0.75 16.67 1.67 | 7 0.1 1.75 38.89 4.09 | 5 7.1 1.25 27.78 27.89 | 3 44.2 0.75 16.67 75.00 | 18 4.50 |
| معظم الأحيان | 3 0.9 0.75 1.32 32.33 | 70 10.1 17.50 30.84 38.89 | 125 8.1 31.25 55.07 73.10 | 29 3.6 7.25 12.78 80.56 | 0 23 0.00 0.00 0.00 | 227 56.75 |
| بعض الأحيان | 5 1.6 1.25 3.94 55.56 | 82 10.8 20.50 64.57 45.56 | 37 5.5 8.25 29.13 21.64 | 2 7.8 0.50 1.57 5.56 | 1 0.1 0.25 0.79 25.00 | 127 31.75 |
| نادراً | 1 0.3 0.25 3.70 41.11 | 24 11.6 6.00 88.89 13.33 | 2 79 0.50 7.41 1.17 | 0 24 0.00 0.00 0.00 | 0 0.3 0.00 0.00 0.00 | 27 6.75 |
| لا أقبل | 0 0.0 0.00 0.00 0.00 | 1 0.7 0.25 100.00 0.56 | 0 0.4 0.00 0.00 0.00 | 0 0.1 0.00 0.00 0.00 | 0 0.00 0.00 0.00 0.00 | 1 0.25 |
| TOTAL | 9 2.25 | 180 45.00 | 171 42.75 | 36 9.00 | 4 1.00 | 400 100.00 |

STATISTICS FOR 2 - WAY TABLES

THE CELLS HAVE EXPECTED COUNTS LESS THAN 5.

SPARSE THAT CHI - SQUARE MAY NOT BE A VALID TEST.

CHI - SQUARE 129.198 DF = 16 PROB = 0.0001

PHI 0.568

CONTINGENCY COEFFICIENT 0.494

CRAMER'S V 0.284

LIKELIHOOD RATIO CHISQUARE 105.604 DF = 16 PROB = 0.0001

ثانياً: مستويات التفضيل لأصناف المنتجات الغذائية (الوطنية والأجنبية)

من المؤشرات الأخرى التي تعكس لنا المركز التنافسي لكل من المنتجات الغذائية الوطنية، والأجنبية في السوق السعودية مستوى تفضيل المستهلك لأصناف كل منها، فلا يكفي لبيان مركز الانتاج الوطني مدى الاقبال على شرائه إذ يمكن أن يتركز على صنف واحد أو صنفين، ولذلك كان لابد من التعرف على مركز كافة الأصناف المنتجة لدى المستهلك ومدى ولاته لمنتج معين، كما يفيد هذا المنشر أيضاً في التعرف على الأصناف التي يفضلها المستهلك السعودي من الانتاج الوطني والأصناف التي يفضلها من الانتاج الأجنبي، حتى يمكن الاستفادة من هذه النتائج في إعادة تخطيط سياسة المنتجات لمنشآت الصناعات الغذائية السعودية من حيث اضافة أصناف جديدة أو الاهتمام برفع جودة أصناف أخرى أو استخدام أساليب تسويقية معينة، سعرية أو اعلانية أو بيعية تلقى قبولاً لدى المستهلك وتجعله يفضل أصنافاً على أخرى. وعلى ذلك فإن هذا الفصل يستهدف إثبات صحة أو خطأ الفرضين التاليين :

- ١ - أن أكثر المنتجات الغذائية الوطنية تفضيلاً من قبل المستهلك السعودي هي تلك المنتجات سريعة التلف كالألبان ومنتجات المخابز والمياه الصحية.
- ٢ - أن المنتجات الغذائية التي يفضلها المستهلك السعودي هي تلك المنتجات التي لا تصنعها المنشآت الوطنية، أو تلك التي تصنعها بمستوى جودة أقل من الانتاج العالمي كالحلويات والشيكولاتة وبعض أنواع الفواكه المحفوظة.

وستتناول فيما يلي ترتيب مستويات تفضيل المستهلك كما تعكسها نتائج الدراسة الميدانية مستخدمين في تحليلنا المنهج السلعي باعتباره أفضل المنهج في مثل هذه الظروف، حيث يتطلب الأمر تحليل النتائج لكل سلعة في صورة متكاملة بارتين بالأنصاف التي تحظى بمستوى كبير بالنسبة للإنتاج الوطني :

١ - الألبان :

نقصد بمنتجات الألبان : الحليب، واللبن الرائب، واللبن الزبادي، واللبن والأيس كريم، والألبان المخلوطة بالفواكه والشيكولاتة.

وقد احتلت منتجات الألبان الوطنية قمة مستويات تفضيل المستهلك السعودي فقد

بلغ المتوسط المرجح لمستوى تفضيلها أعلى متوسط إذ بلغ ٢٦٩٨٪، ومن ثم تحظى منتجات الألبان الوطنية بالترتيب الأول بين المنتجات الغذائية الوطنية ويقترب من مستوى التفضيل الأمثل في حين أن الانتاج الأجنبي منها يحظى بالترتيب الثامن في مجموعة الأصناف الأجنبية وبمتوسط مرجع بلغ ١٠٣٢٪.^(١١)

والملاحظ أن تشتت آراء المستهلكين بشأن تفضيل منتجات الألبان الوطنية كانت في أدنى مستوياتها إذ بلغ الانحراف المعياري لها ٧٢٪. فقط، وما يشير إلى تقارب آراء المستهلكين ويقلل تشتتها ذلك التفرط الموجب الذي بقيت قيمته ٥٣٦٪، ومن جهة أخرى فإن الالتواء السالب لتوزيع آراء المستهلكين حول مستويات الألبان يعني أن تفضيل معظم مستهلكيها أعلى من المتوسط بل ويقترب من حده الأعلى.

أما بالنسبة للإنتاج الأجنبي من الألبان فإن النتائج التي تعكس مستوى تفضيل مستهلكيها توضح أن هناك تشتتاً في الآراء بالنسبة لها، إذ يبلغ انحرافها المعياري ١٣٦٪، كما أن تفرطها قيمته ١٩٩٪. والتوازن منحني الآراء حول تفضيل الألبان الأجنبية كان ٩٧٨٪.

ويمثل هذه النتائج تتفق مع الواقع إلى درجة كبيرة فطبيعة سلعة الألبان كسلعة سريعة التلف تتطلب أن تكون دائماً طازجة، بل أن قيمتها الغذائية تزداد كلما قصرت الفترة بين تصنيعها واستهلاكها، وهذا يتحقق بالنسبة للإنتاج المحلي.

والجدير بالذكر أن المؤشرات الاحصائية تفيد بأن الطلب على منتجات الألبان الوطنية مستقل عن الطلب على منتجات الألبان الأجنبية، فمعامل الارتباط بين مستويات تفضيلها يكاد يكون معنوياً، إذ إن قيمته ٤٥٪. بمتوسط معنوية ٢٧٦٪.^(١٢)

٢ - منتجات المخابز :

تشمل منتجات المخابز، الخبز بجميع أصنافه، وجميع أنواع البسكويت الملح والاسكر، والفطائر والكلك والكليك، وقد احتل الانتاج الوطني من هذه المنتجات المرتبة الثانية بعد منتجات الألبان في سلم تفضيل المستهلك السعودي للمنتجات الغذائية الوطنية، فقد بلغ المتوسط المرجح لمستوى تفضيل منتجات المخابز الوطنية ٢٦٣٪، أما بالنسبة للإنتاج الأجنبي منها فقد تدنى مستوى تفضيل المستهلك لها إلى أقل ما يمكن محظلة بذلك المرتبة التاسعة في سلم التفضيل للمنتجات الغذائية الأجنبية وبمتوسط مرجح مقداره ٩٣٪.^(١٣) ويشير إلى هذه النتيجة أيضاً نسبة من يفضلون دائماً كلّاً من الانتاج الوطني والأجنبي، إذ بلغت هذه النسبة للمنتج الوطني ٨٣٪ بينما بلغت في الأجنبي ٥٪ فقط.^(١٤)

وتفيد المؤشرات الاحصائية إلى اتفاق آراء معظم المستهلكين بشأن تفضيل منتجات المخابز الوطنية حيث كانت هذه الآراء قليلة التشتت، فالانحراف المعياري لها ٩٧٪. كما أن منحنى توزيع هذه الآراء كان مدبياً حيث كانت قيمة تفريطه ٩١٪ وهذا يشير إلى تقارب آراء المستهلكين من المتوسط العام، كما تؤيد ذلك قيمة الالتواء حيث كان المنحنى متوجهاً ناحية اليسار، وذلك يشير إلى أن معظم آراء المستهلكين في مستوى يعلو المتوسط العام^(١٥).

أما بالنسبة لمنتجات المخابز الأجنبية فإن المؤشرات الاحصائية توضح أن هناك تشتتاً في آراء مستهلكيها، إذ يبلغ انحرافها المعياري ١٨٩٪، كما أن تفريط منحنى توزيع هذه الآراء قد بلغ قيمته ٢٣٦٪. وهي تقل كثيراً عن قيمة تفريط منحنى توزيع الآراء بشأن المنتجات الوطنية الذي كان ٤٩١٪ وذلك يعني أن الآراء أكثر تشتتاً بالمقارنة بمعيلتها الوطنية، ومن جهة أخرى يلاحظ أن قيمة التواء منحنى توزيع الآراء بشأن المنتج الأجنبي كان موجباً وذلك يعني أن معظم الآراء تقل عن المتوسط العام بالنسبة للمنتج الأجنبي^(١٦).

ومثل هذه النتائج في مستوى التفضيل مماثل للاتجاه السابق الذي لاحظناه بالنسبة لمنتجات الألبان، ويرجع ذلك للتشابه في خصائص كل منها، إذ تعتبر الطزاجة أهم معايير الجودة لها مما يجعل المستهلكين يفضلون الانتاج المحلي منها. وبخصوص العلاقة بين منتجات المخابز الوطنية والأجنبية فهي تكاد تكون معروفة فهناك درجة من استقلالية الطلب على المنتجين حيث لا يوجد أي ارتباط بينهما، فمعامل الارتباط بين مستويات تفضيلهما يبلغ (٠٧٤ ر. فقط)^(١٧).

٣ - المياه الصحية والمعدنية :

اقترب المتوسط المرجع لمستوى تفضيل المستهلك السعودي للمياه الصحية والمعدنية الوطنية من مستويات تفضيل العالية التي لاحظناها عند قياس مستويات تفضيل الألبان والخبز، ومن ثم احتلت المرتبة الثالثة في سلم تفضيل المستهلك لمنتجات الغذائية الوطنية، إذ يبلغ المتوسط المرجع لها ٣٧٥٪ ونسبة من يفضلونها دائماً ١٥٪ وإن كانت الآراء أكثر تشتتاً وأبعد عن المتوسط العام لحد ما، فقد بلغ الانحراف المعياري ٤٥٪، ويبلغ التفريط الموجب ٥٤٪، والتوجيه المنحنى ناحية اليسار وبلغ قيمته ٨٠٪^(١٨).

أما الانتاج الأجنبي من المياه الصحية والمعدنية فإن النتائج تشير إلى أنه لا يحظى بتفضيل المستهلك السعودي، ويحتل المرتبة السابعة في سلم تفضيل المنتجات الغذائية

الأجنبية نتيجة انخفاض قيمة المتوسط المرجع لها، إذ يبلغ ١٨٠ را، كما أن نسبة من يفضلونها دائماً ٥٪ فقط، فضلاً عن تشتت آراء المستهلكين كما تعكسها مقاييس التشتت، حيث بلغت قيمة الانحراف المعياري ٢٤٤ را، والتفرطح (٧١٤ را)، والتواء (٦٦٩ را).^(١٩)

ومن حيث العلاقة بين مستويات تفضيل الانتاج الوطني من المياه والانتاج الأجنبي منها معلومة، إذ إن معامل الارتباط بينهما قد وصل إلى (٠٠٣ را) فقط عند مستوى معنوية ٩٣١ را، وذلك يشير إلى استقلالية الطلب على كل منهما.

ومن المنطقى تقبل المستهلك السعودي للانتاج الوطني من المياه الصحية والمعدنية نظراً لارتفاع جودتها، فهي لا تقل عن الانتاج العالمي منها سواء في درجة تناقصها أو اسلوب تصنيعها أو في طريقة تعبتها، كما أن أسعارها متقاربة.

وما تقدم يتضح أن المنتجات التي تحظى بمستوى تفضيل مرتفع من المستهلكين السعوديين، وتتوافق آراؤهم حولها دون تشتت ملحوظ هي : منتجات الآلبان ومنتجات المخابز، والمياه الصحية والمعدنية، وهي المنتجات التي يجب أن نعطيها الاهتمام عند إنشاء المصانع الجديدة حتى يمكن تحقيق درجة من الالكتفاء الذاتي لهذه النوعية من السلع.

والنتيجة السابقة تثبت صحة الفرض القائل بأن أكثر المنتجات الغذائية تفضيلاً من قبل المستهلك السعودي هي تلك المنتجات سريعة التلف كمنتجات الآلبان والمخابز والمياه الصحية والمعدنية.

٤ - المياه الغازية .

أما المياه الغازية فالانتاج الوطني منها يحظى بمستوى تفضيل أعلى من المتوسط، إذ يبلغ المتوسط المرجع لها ٢٩١٣ را في حين يحظى الأجنبي منها بمستوى تفضيل أقل حيث يبلغ المتوسط المرجع لها ٣٥٣ را كما تقييد المؤشرات الاحصائية أن هناك تشتتاً في الآراء سواء بالنسبة للانتاج الوطني أو الأجنبي وإن كان الأول أكثر من الثاني، حيث يبلغ الانحراف المعياري للانتاج الوطني ٣٦٠ را والانتاج الأجنبي ٢٥٢ را، وما يؤكد أيضاً سلبية التفرطح للنوعين أما بالنسبة للتواء منحنى تفضيل المياه الغازية الوطنية فقد كان سالباً ومقداره (٠.٨٥ را) وذلك يعني أن غالبية الآراء فوق المتوسط العام للتفضيل في حين أنه اتخذ شكلاً معاكساً بالنسبة للانتاج الأجنبي. فقد كان التوازن موجباً قيمة ٥٥ را. وهذا يعني أن غالبية الآراء كانت أقل من المتوسط العام للتفضيل^(٢٠).

ويمكن ارجاع هذه النتائج إلى سبب جوهري وأساسي وهو أن المياه الغازية الوطنية هي من انتاج شركات عالمية افتتحت مصانع لها في أغلب مدن المملكة، ويتم انتاجها بنفس مواصفات الانتاج الأجنبي، ونفس عبوتها، وتحت نفس الاسم والعلامة التجارية، كما تستفيده هذه المنتجات الوطنية من كافة الحملات الاعلانية التي تقوم بها الشركات الأم كشركة البيسي كولا والسفن أب، فليس هناك مبرر لاستهلاك سلعة أجنبية متوفرة بنفس مواصفاتها من الانتاج المحلي ولذلك كانت مستويات التفضيل للمياه الغازية الوطنية أعلى من مثيلتها الأجنبية.

إلا أن الطلب على المياه الغازية يتأثر تأثيراً موجباً بالطلب على المياه الغازية الأجنبية وهذا ما يعكسه معامل الارتباط بين مستويات تفضيل المستهلك السعودي لكل منها، إذ بلغ ١٧٥ ر. بمستوى معنوية ٤٠٠٠ ر. .

وإن كان هذا الارتباط يبدو ضعيفاً فإنه ذو تأثير إيجابي، إذ يترتب على زيادة تفضيل المستهلكين للمياه الغازية الأجنبية زيادة تفضيلهم للمياه الغازية الوطنية لتشابه الاثنين كما سبق أن أوضحنا.

٥ - الجبن والزبد :

يفضل المستهلك السعودي الجبن والزبد الوطني بدرجة أقل من درجة تفضيله لمنتجات الألبان الوطنية، فالمتوسط المرجح لها يبلغ ٢٨٩٢ مقابل ٣٦٩٨ لمنتجات الألبان، كما أن تشتت آراء المستهلكين بشأن الجبن والزبد كان أكبر من تشتت آرائهم بشأن منتجات الألبان، حيث بلغ الانحراف المعياري للأول ١٢٢٢ ر. والثانية ٧٣٠. فقط، وكذلك التفرطع والالتواه يشيران إلى نفس النتائج التي تظهر بانخفاض مستوى تفضيل المستهلك للجبن والزبد بالمقارنة بتفضيله لمنتجات الألبان الوطنية ونتيجة لهذا الوضع نجد في الاتجاه المقابل ارتفاع مستوى تفضيل المستهلك السعودي للجبن والزبد الأجنبي، حيث تفيد نتائج الدراسة الميدانية أن هذه المنتجات تحتل المرتبة الثالثة في سلم تفضيل المستهلك السعودي لمنتجات الغذائية الأجنبية وبمتوسط مرجع يبلغ ٢١٠٨ مقارباً بذلك من المتوسط المرجح للإنتاج الوطني من السلعة نفسها، إلا أن هناك تشتتاً في آراء المستهلكين بالنسبة للإنتاج الأجنبي نظراً لارتفاع قيمة الانحراف المعياري إذ يبلغ ٣١٢ ر. كما أن قيمة التفرطع كانت سالبة بمقدار (٤٨ ر.)، وكان الالتواه متوجهاً نحو اليسار بمقدار (١١٩ ر.).^(١)

أما من حيث الارتباط بين مستوى تفضيل الجبن والزبد الوطني والأجنبي فتزيد النتائج الواردة بالجدول رقم (٦/٢) بأن هناك ارتباطاً سالباً ضعيفاً بلغت قيمته

جدول رقم (٦/٢)

مستويات تفضيل المستهلك السعودي لاصناف المنتجات الغذائية (الوطنية والاجنبية)

| مستوى المعرفة | معامل الارتباط | درجات الحرارة | مستوى المعرفة | % | المتوسط المرجع للمنتج الاجنبي | المتوسط المرجع للمنتج الوطني | اصناف المنتجات |
|---------------|----------------|---------------|---------------|-------|-------------------------------|------------------------------|------------------------|
| ٠٠٠١ | ٠٤٩٠ | ١٦ | ٠٠٠١ | ١١٠٤٢ | ٥٧٥ | ٦٥٦٠ | الحريم المطبة |
| ٠٢٧٥ | (٤٥,٠٠) | ١٦ | ١٤١٧ | ٢٢٠٥ | ١٠٣٢ | ٣٦٩٨ | الابنان |
| ٠٠٠١ | (٣٦,٠٠) | ١٦ | ٠٠٠١ | ٦٨٧٢ | ٢١٠٨ | ٢٦٩٣ | البجن والزيد |
| ٢٤٦ | (٠٤٧) | ١٦ | ٠٠٠١ | ٤٩٦١ | ١٩٥٣ | ٢٣٦٠ | الزيتون والدهون |
| ٠٠٢ | (٥٢,٠٠) | ١٦ | ٠٠٠١ | ٣١٩٦ | ٢١٧٣ | ٢٦٨٨ | العصائر والفاكه المطبة |
| ٠٠١ | (١٩,٠٠) | ١٦ | ٠٠٠١ | ٩١٦٤ | ١٦٣٢ | ١٦٥٥ | الخضروات المطبة |
| ٢٢٢ | (٠٦٦) | ١٦ | ٠٠٠١ | ٦١٣٢ | ٢٣٩٣ | ٢٠٩٠ | الطريوات والشيكولات |
| ٠٠٥ | ١٧٥ | ١٦ | ٠٠٠١ | ٩٨٢٥ | ١٣٥٣ | ٢٩١٢ | المياه الفازية |
| ٦٣١ | (٠٠٣) | ١٦ | ٠٠٠٢٧ | ٣٥٢٤ | ١١٨٠ | ٣٥٧ | المياه الصحية والثلج |
| ١٣٦ | (٠٠٧٤) | ١٦ | ٠٠٠١ | ٤٦٨٣ | ٩٢ | ٣٦٢٣ | منتجات المخابز |
| ٠٠٠١ | ١٥٨ | ١٦ | ٠٠٠١ | ١٦٩٦١ | ١٢٣ | ١٥٣ | اخرى |

٢٦٨. بمستوى معنوية ١٠٠٠٠ ر. وذلك يشير إلى أن زيادة تفضيل أي من النوعين يكون على حساب الآخر.

ويرى الباحث أن هذه الصورة من مستوى التفضيل إنما هي نتيجة لطبيعة منتجات الجبن والزبد من حيث قابليتها للتخزين إذ إن هناك بعض الأصناف تزداد جودتها مع طول فترة تخزينها، فضلاً عن تقدم تقنية تصنيعها في الخارج وتتنوع أصنافها مما يجعلها أكثر قدرة على منافسة المنتجات الوطنية.

٦ - العصائر والفاكه المعلبة .

أما بالنسبة للعصائر والفاكه المعلبة فهناك تقارب في مستويات تفضيل المستهلك لكل من الانتاج الوطني والأجنبي، حيث اقترب المتوسط المرجح للمتجمدين حيث نجد بالنسبة للانتاج الوطني ٦٨٨ ر ٢٧٣ للأجنبي (٢)، إلا أن الانتاج الأجنبي يحتل المرتبة الثانية في سلم تفضيل المستهلك بالنسبة للانتاج الأجنبي في حين يحتل الانتاج الوطني المرتبة الثالثة (٣)، كما أن هناك تقارباً بين نسبة من يفضلون الانتاج الوطني والأجنبي غالباً، حيث تبلغ بالنسبة للوطني ٢٤٪ والأجنبي ٢١٪ (٤).

ومن جهة أخرى فإن درجة الشتت حول المتوسط للاثنين متقاربة حيث كان الانحراف المعياري ٣١٥ ر ١، والتفرطع بالسالب (٥٠٠ ر)، والاتوء متجهاً نحوية اليسار بقيمة (٨٥ ر) بالنسبة للانتاج الوطني، وكان الانحراف المعياري ٢٨١ ر ٢٨١ والتفطع بالسالب (٠٠٩ ر)، والاتوء متجهاً نحوية اليسار بقيمة ٢٨٣ ر. بالنسبة المنتج الأجنبي (٤).

ويرجع هذا التقارب في مستويات التفضيل إلى سببين :

الأول : يؤدي إلى زيادة درجة التفضيل بالنسبة للانتاج الأجنبي.

الثاني : يؤدي إلى زيادة التفضيل بالنسبة للانتاج الوطني.

فاما السبب الأول فيتحدد في انفراد المشتريات الأجنبية بانتاج الفواكه المحفوظة والتي لا تنتجهها المملكة حتى الان، إذ إن المصانع السعودية مازالت انتاجها قاصرأ على العصائر كالمانجو والبرتقال والانanas.

فاما السبب الثاني : فيتحدد في ارتفاع جودة العصائر الوطنية وجمال عبوتها، حيث يتم استيراد خلصات العصائر، وتعيّتها في المملكة.

أما بالنسبة للعلاقة بين مستويات تفضيل المستهلكين فليس هناك دليل على وجود أية علاقة ارتباطية قوية، إذ إن معامل الارتباط (٥٢ ر) لمستوى معنوية ١٠٠٠٠ ر. وهذا

يعني أن تأثير الطلب على المنتج الوطني أو الأجنبي بالنسبة للأخر غير محسوس وذلك انفراد كل من المنتجين بميزة نسبية يستخلصها من طبيعة السلعة المنتجة تعزز من مركزه التناافسي تجاه الآخر.

٧ - الزيوت والدهون :

تحتل الزيوت والدهون الوطنية مرتبة متوسطة في مستوى تفضيل المستهلك السعودي، بمتوسط مرجع ٢٦٠، وفي نفس الوقت يحتل الانتاج الأجنبي منها أيضاً مرتبة متوسطة في سلم التفضيل بمتوسط مرجع ٩٥٣ كما أن هناك تقارباً في نسبة من يفضلون المنتجين غالباً، حيث يبلغ بالنسبة للانتاج الوطني ٧٥٪ وتبلغ بالنسبة للانتاج الأجنبي ٥٤٪^(٢٥).

كما أن تشتت الآراء للاثنين متقارب، إذ يبلغ الانحراف المعياري للانتاج الوطني ٢١٧ را١ وللأجنبي ٢٤٧ را١، ويلاحظ أن تفرطع مستوى التفضيل بالنسبة للأجنبي أكبر من الوطني وذلك ما يؤكّد تشتت آراء المستهلكين بدرجة أكبر بالنسبة للمنتج الأجنبي^(٢٦).

وترجع هذه النتائج إلى أن الانتاج الوطني من الزيوت والدهون غير كاف لاحتياجات السوق المحلية ويتم استيراد كميات كبيرة منها، كما أن الانتاج الوطني حديث نسبياً وإن كان هناك اتجاه من قبل بعض المستهلكين السعوديين إلى تفضيل الانتاج المحلي خوفاً من احتواء المنتج على بعض العناصر التي تخالف الشريعة الإسلامية وذلك يفسر الارتفاع النسبي للمتوسط المرجع للانتاج الوطني عن الأجنبي. أما العلاقة بين الاثنين من حيث تفضيل المستهلك لأيٍ منهما فهي منعدمة تقريباً لأنخفض معامل الارتباط الذي يصل (٤٧.٠) بالسالب بمستوى معنوية ٤٦ را٠. وهذا يعني استقلال الطلب على أيٍ منهما وعدم تأثيره على الآخر^(٢٧).

٨ - الحلويات والشيكولاتة :

تفوق الحلويات والشيكولاتة الأجنبية في تفضيل المستهلك السعودي لها عن الوطنية منها، بل إنها تحتل المرتبة الأولى في سلم تفضيله بالنسبة للانتاج الأجنبي، في حين أنها لا تتحل إلا المرتبة الثامنة في سلم تفضيله بالنسبة للانتاج الوطني، فالمتوسط المرجع للأجنبي ٣٩٣ را٢ في حين كان للوطني ٩٠ را٢^(٢٨).

كما تتفوق نسبة من يفضلون الحلويات والشيكولاتة الأجنبية دائماً وغالباً عن نسبة من يفضلون الوطنية للمستويات ذاتها، حيث بلغت هذه النسبة ٢٦٪، ٢٤٪ للأجنبية ٢٠٪، ١٦٪ للوطنية^(٢٩).

أما بالنسبة لتشتت الآراء فهناك تقارب بين الوطني والأجنبي، حيث كان الانحراف المعياري للمنتجين في حدود ١٣٤١ و كذلك التفرطح كان متقارباً، وإن كان التوااء منحني الآراء بالنسبة للأجنبي سالباً، أما بالنسبة للوطني فكان موجباً وهذا يعني أن مستوى تفضيل معظم مستهلكي الحلويات والشيكولاتة الأجنبية أعلى من المتوسط في حين كان أقل من المتوسط بالنسبة للإنتاج الوطني^(٢٠).

و هذه النتائج تعكس حقيقة أساسية وهي تفوق الانتاج الأجنبي من الحلويات والشيكولاتة جودة وتصنيعاً وتعبئة وشهرة، و تمتها بمركز تنافسي كبير في السوق السعودية، فضلاً عن أن الانتاج الوطني من هذا الصنف مازال ضعيفاً انتاجاً وتشكيلياً وجودة وشهرة مما يجب أخذه في الاعتبار والاهتمام بهذه الصناعة وتطويرها باستمرار حتى تتواءم مع التطور الذي سبقتها فيه المنتجات الأجنبية.

وإن كان هناك أحجام من البعض عن استهلاك الانتاج الأجنبي من الحلويات والشيكولاتة خوفاً من الشبهات حول المواد الداخلة في تصنيعه، وهذا ما يفسر وجود عدد من المستهلكين الذين يفضلون الانتاج الوطني.

أما بالنسبة للعلاقة الارتباطية بين تفضيل المستهلكين للحلويات والشيكولاتة الوطنية والأجنبية فتكاد تكون معروفة لأنخفاض معامل الارتباط بينهما الذي يبلغ ٠.٦١٠، بمستوى معنوية ٢٢٢، وهذا يعني استقلال الطلب على كل منهما فمن يفضل الانتاج المحلي لاينظر إلى الأجنبي منه، ومن يفضل الانتاج الأجنبي يكتفي به.

وفي ضوء النتائج السابقة فإن الفرض القائل بأن المنتجات الأجنبية التي يفضلها المستهلك السعودي هي تلك التي لا تنتجه المصانع الوطنية بنفس الجودة والشكلية وهو ما ينطبق على الحلويات والشيكولاتة هو فرض صحيح.

٩ - الخضروات المحفوظة :

تعتبر الخضروات المعلبة ضمن الأصناف ذات مستوى التفضيل الأقل من المتوسط للمستهلك السعودي سواء كان الانتاج منها وطنياً أو أجنبياً، فتفيد المنشرات الاحصائية تقارب مستويات التفضيل لهما، فالمتوسط المرجع الوطني ١٥٥، وال أجنبى ١٦٢، وال أجنبى ١٦٣، وال انحراف المعياري لآراء المستهلكين للوطني ١٣٦٢، وال أجنبى ٢٩١، وكذلك التفرطح والالتوااء كانوا متقاربين في القيمة والاتجاه^(٢١).

وإن كان هناك قبول أكبر للانتاج الأجنبي حيث تتفوق نسبة أفراد العينة الذين يفضلون الخضروات الأجنبية غالباً عن مثيلاتها الوطنية، إذ كانت بالنسبة للإنتاج

الأجنبي ٣١٪ مقابل ٥٥٪ للإنتاج الوطني، وهذا التفضيل إنما يرجع إلى توافر الانتاج الأجنبي من الخضروات المعلبة وتحت تشكيلة كبيرة، في حين لا توافر مثل هذه التشكيلة بالنسبة للإنتاج الوطني باستثناء بعض عجائب الطماطم^(٣٢).

ويرجع تدني مستوى التفضيل للخضروات المعلبة إلى تغير نمط الاستهلاك السائد في المملكة حيث أصبح هناك ميل أكبر لفضيل الخضروات الطازجة بدلاً من المعلبة والتي توافر على مدار العام سواء من الانتاج المحلي الذي بدأ يتزايد في السنوات الأخيرة لاتساع الرقعة الزراعية، أو عن طريق الاستيراد من الخارج، وزيادة الوعي الصحي لدى العديد من المستهلكين السعوديين مما جعلهم يفضلون الخضروات الطازجة لقيمتها الغذائية، ويمكنهم من ذلك مستوى دخولهم الكبير مهما كانت أسعار الخضروات الطازجة مرتفعة، فضلاً عن انتشار الخضروات المجمدة والتي يفضلها بعض المستهلكين باعتبارها أفضل من المعلبة صحياً وقيمة غذائية.

أما بالنسبة للعلاقة بين مستوى تفضيل المستهلك لكل من الخضروات الوطنية والأجنبية، فهناك علاقة ارتباط موجب وإن كانت ضعيفة إذ بلغ معامل الارتباط ٠١٩، بمستوى معنوية ٠٠٠١. ويعني ذلك أن زيادة الطلب على الخضروات المعلبة الوطنية يترتب عليه زيادة في الطلب على الخضروات المعلبة الأجنبية إذ كما سبق القول تكمل الخضروات المعلبة الأجنبية الخضروات المعلبة الوطنية نظراً لأنخفاض الانتاج الوطني وقلة أصنافه^(٣٣).

١٠ - اللحوم المحفوظة :

وهي أقل الأصناف قبولاً سواء بالنسبة للإنتاج الوطني أو الأجنبي وإن كان هناك قبول أكثر للوطني، حيث بلغ المتوسط المرجع لمستوى تفضيله ٦٥٪ مقابل ٧٥٪ بالنسبة للأجنبي كما لوحظ تشتت الآراء بالنسبة لل وطني أكثر من الأجنبي، وهذا يعني اتفاق معظم المستهلكين على رفض اللحوم المحفوظة الأجنبية وهو ما يؤكده أيضاً قيمة التفريط المدرب الموجب لمنعني توزيع الآراء حول الانتاج من اللحوم المحفوظة حيث بلغ ٢٧٪^(٣٤).

وهذا المستوى من التفضيل يعني أن مصدر الانتاج ليس وحده السبب في التدني إلى المرتبة العاشرة بالنسبة للمنتجين، وإنما يرجع ذلك إلى تفضيل معظم المستهلكين للحوم الطازجة المحلية لتوفرها بأسعار معتدلة. ولكن لا يعني ذلك أن هناك احتجاماً عن استهلاك المحفوظة من هذه المنتجات، بل إن الطلب عليها موجود وإن كان ضعيفاً نظراً لقلة تشكيلة اللحوم المحفوظة، إذ تقتصر على ٣ أصناف فقط هي : اللشنون

والبوليسيف والبسترة وهي بطبيعتها تتسم بضعف مستوى الطلب عليها إذ يعتبرها المستهلك السعودي سلعاً غريبة دخيلة على المجتمع فضلاً عن حرمه على عدم استهلاك نوعيات الغذاء التي قد تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.

إن هذه النتيجة تشير إلى ضرورة الحرص على تصنيع هذه النوعية من السلع الغذائية بالمملكة لتوفير الاطمئنان والقبول العام من قبل المستهلك إذ إنها أكثر المنتجات الغذائية التي تحرم حولها الشبهات من الناحية الدينية في حالة استيرادها من الخارج.

ثالثاً : العوامل المؤثرة في الاقبال على شراء المنتجات الغذائية (الوطنية والأجنبية)

ما كان السلوك الشرائي للمستهلك السعودي يختلف اتجاه كل من المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، وحيث أن السلوك يتعدد بتفاعل عدد من المتغيرات تشمل سن و الجنس و التعليم و المهنة ودخل المستهلك كان من الأمور الضرورية معرفة أثر هذه المتغيرات على درجة تفضيل المستهلك السعودي واقباله على أي من المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية لتحديد أهم هذه المتغيرات، بما يمكن من إعادة رسم السياسات التسويقية في ضوء النتائج المستخلصة.

ويفترض البحث أن السن هي أكثر المتغيرات تأثيراً في درجة الاقبال على الشراء حيث يعبر هذا المتغير عن علاقة ارتباطية بين المستهلك وسلعة معينة نتيجة لتجارب سابقة معها خلال فترة زمنية معينة عبر زمني عمره.

العوامل المؤثرة في الاقبال على شراء المنتجات الغذائية :

تبين أن العلاقة الخطية (LIN EAR) بين الاقبال على شراء المنتجات الغذائية كمتغير تابع، والسن ومستوى التعليم، والدخل كمتغيرات مستقلة هي أنساب العلاقات في ضوء المعايير الاحصائية^(٢٠). ولذلك سيعتمد عليها في تحديد فعاليات العوامل المستقلة وبيان مقدار تأثيرها في المتغير التابع وهو الاقبال على الشراء.

ويتضح من دراسة نموذج العلاقة الخطية المعبرة عن الاقبال على شراء المنتجات الوطنية أن التغير في الاقبال على الشراء الراجع إلى السن والتعليم والدخل كان ضعيفاً، فمعامل التحديد (R^2) بلغ ١٦٧٪. فقط وذلك يعني أن تأثير العوامل المستقلة

مجتمعه هو تأثير ضعيف في المتغير التابع، بدراسة تأثير كل متغير مستقل على حده لمعروفة تأثيره على المتغير التابع تبين أن العمر وحده هو المتغير المستقل الوحيد الذي له تأثير.

فقيمة (F) الخاصة بالسن بلغت ١٤٢ بمستوى ١٧٤، ونجد أنها ٠٦٠ بمستوى معنوية ٥٣٦، بحسب التعليم، وهي ٢٣ بمستوى معنوية ٩٤٦، بالنسبة للدخل، وذلك يعني أن العمر وحده هو العامل المؤثر الفعال في الاقبال على شراء المنتجات الغذائية الوطنية^(٣٦).

كما أظهرت دراسة العلاقة الخطية بين السن ومستوى التعليم، والدخل كمتغيرات مستقلة، وبين الاقبال على شراء المنتجات الأجنبية كمتغير تابع أن تأثير العمر كان أيضاً تأثيره واضحاً في الاقبال على الشراء، بل كان هو المتغير المستقل الوحيد الذي له تأثير معنوي فقيمة (F) الخاصة به، بلغت ٦٦ بمستوى معنوية ٠٠٠٢، في حين لم يكن للمتغيرات المستقلة الأخرى (التعليم والدخل) تأثير معنوي في الاقبال على الشراء.

ويعتقد الباحث أن ضعف تأثير الدخل على سلوك المستهلك الشرائي يمكن تبريره بأن ارتفاع الدخل لدى المستهلك السعودي يجعل منه عاملاً غير محدد للسلوك الشرائي له، بمعنى أن المستهلك السعودي لا يقبل أو يحجم عن الشراء لاعتبارات مادية، فالنقد متوفرة لديه في أي وقت.

أما عن ضعف تأثير سلوك المستهلك الشرائي بمستوى تعليمه فإنه وإن كان أمراً مستقريباً حيث لا يمكن تجاهله تأثير التعليم على سلوك المستهلك إلا أنه يمكن تبريره بأن معظم فئات المستهلكين متأصلة قد لا تغيرها مستوى التعليم في المدى القصير، وإن كانت هذه الظاهرة يمكن أن تخفي بالتدريج في الأجيال القادمة.

وما تقدم يتضح أن تأثير متغير السن أكبر في الاقبال على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية بالمقارنة بنفس المتغير عند الاقبال على شراء المنتجات الغذائية الوطنية حيث بلغت قيمة (F) بالنسبة للمنتجات الأجنبية ٦٦ بمستوى معنوية ٧٤، بمستوى ١٧٤ بالنسبة للمنتجات الوطنية^(٣٧).

وكل ذلك يثبت عدم صحة الفرض القائل بأن مستوى الدخل والتعليم والอายه عوامل مؤثرة في اقبال المستهلك السعودي على شراء المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، حيث تبين أن العمر وحده هو العامل الوحيد المؤثر في الاقبال على الشراء وإن كان تأثيره متفاوتاً بالنسبة للمنتجات الوطنية والأجنبية.

و مما يشير إلى التأثير الفعال لمتغير السن على درجة الاقبال على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية أن الاقبال عليها كان كبيراً من قبل فئات الأعمار الصغيرة (١٥ - ٣٠ عاماً) حيث تبين من الجدول رقم (٧/٢) أن ٧٨٪ من يقبلون يوماً على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية يقعون في فئات الأعمار الصغرى.

والظاهرة السابقة يمكن تفسيرها بأن صغار السن أكثر تأثراً من الكبار بالحملات الإعلانية التي تتتفوق فيها المؤسسات الأجنبية عن الوطنية والتي تغزو المنطقة من خلال البث التلفزيوني لنول الخليج، فضلاً عن أن صغار السن هم تلك الفتنة التي أخذت قسطاً وأفراً من التعليم يجعلها قادرة على التفرقة بين مستوى الانتاج وجودته وهو الشيء الذي لا يتوافر لهن ملء فوق الأربعين، فهم أكثر تعاطفاً مع الانتاج الوطني، وإن كان هذا لا يعني أن هناك رفضاً من الشباب للانتاج الوطني، بل ان اقبالهم عليه يتعادل مع اقبال فئات السن الأخرى، حيث تتساوى نسب من يفضلون يوماً من فئات السن الصغيرة والكبيرة وكل منهم ٥٠٪^(٢٨).

ويرجع سبب تعادل النسبة السابقة إلى أن اقبال الشباب على المنتجات الوطنية إنما يتركز في تلك النوعيات التي تنتج بنفس جودة الانتاج الأجنبي كالألبان والمياه الصحية أو تلك التي تنتج تحت أسمائها وعلاماتها التجارية كالمياه الغازية.

ويلاحظ أن المستهلكين الذين أفادوا بأنهم يفضلون الانتاج الوطني أحياناً والأجنبي أحياناً يتوجهون غالباً في تفضيلهم إلى الانتاج الأجنبي وظهرت هذه النتيجة بوضوح في المنتجات : الجبن والزبد، والمياه الغازية، المياه الصحية للألبان ومنتجات المخابز إذ تشير كافة النسب المئوية الواردة بالجدول (٩/٢)، (١٠/٢)، (١١/٢)، (١٢/٢)، (١٢/٢) إلى زيادة هذه النسب لكل من المنتجات الأجنبية السابقة في جميع فئات الأعمار بالمقارنة للانتاج الوطني، فنجد نسبة من يفضلون الجبن والزبد الأجنبي ٢٨٪ مقابل ٢٠٪ للجبن والزبد الوطني، ونسبة من يفضلون المياه الغازية الأجنبية أحياناً ٢٣٪ مقابل ١٠٪ للوطنية، كما نجدنا للمياه الصحية الأجنبية ٢١٪ مقابل ٢٥٪ للوطنية، وللألبان الأجنبية ١١٪ مقابل ٢٥٪ الوطنية ولمنتجات المخابز الأجنبية ٢٠٪ مقابل ١٥٪ للوطنية.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن نوعية المستهلكين الذين أفادوا بأنهم يفضلون الانتاج الوطني أحياناً والانتاج الأجنبي أحياناً يقعون في الفتنة الحدية بالنسبة لمستوى التفضيل، فليس لهم ولاه لانتاج معين بالذات، وليس هناك ارتباط بينهم وبين سلعة

بعينها، ومن ثم يتغلبون بين الانتاج الوطني والأجنبي متاثرين في ذلك بالأنشطة الترويجية المختلفة القائمة على جذبهم باستمرار نحو الانتاج الأجنبي بنفس الدرجة نظراً لقصور أساليب الترويج في المشتارات الوطنية وعدم فعاليتها.

جدير بالذكر أن هناك علاقة واضحة بين فئات الأعمار وتفضيل المستهلكين لعدد من المنتجات، فقد لوحظ أن الأقبال على كل من المنتجات الأجنبية والوطنية بالنسبة لفئات الأعمار المختلفة كان حسب الأهمية النسبية لترتيب الفئات العمرية في مجتمع الدراسة باستثناء فئة الأعمار المتوسطة (٢٠ عاماً - ٤٠ عاماً) حيث لوحظ أن هذه الفتاة تقبل على شراء منتجات الآلابان الأجنبية بقدر يفوق أهميتها النسبية في مجتمع الدراسة، حيث اتضح أن ٤٣٪ من يفضلون دانماً الآلابان الأجنبية يقعون في الفتاة العمرية من ٣٠ إلى ٤٠ عاماً مع أن هذه الفتاة لا تمثل سوى ٥٥٪ من العينة.

ويمكن تفسير الظاهرة السابقة بأن هذه الفتاة العمرية عادة من الأفراد المتزوجين الذين يعيشون أطفالاً بعضهم رضع أو صغار يحتاجون وجبات لبن جافة لتوفرها في المصانع الوطنية، كما تشير نتائج البحث أيضاً إلى تزايد التفضيل لفئات الأعمار الصغيرة على منتجات الحلويات والشيكولاتة الأجنبية أكثر من مثيلتها الوطنية، فمن يفضلون دوماً الإنتاج الأجنبي ٦٦٪ يقعون في فئات السن من ١٥ - ٢٠ عاماً في حين نجد هذه النسبة لفئات السن الكبيرة (أكبر من ٤٠ عاماً) لاتتعدي ٩٪، وذلك يرجع بطبيعة الحال إلى أن غالبية مستهلكي الشيكولاتة يقعون في فئات السن الصغرى وهم أكثر تأثيراً من الكبار بجودة الانتاج الأجنبي وجمال عبوته وجاذبية اعلاناته.

TABLE OF 20 BY X 1

جدول رقم (٧ / ٢)

توزيع الاقبال على شراء المنتجات الوطنية (عموماً)

| FREQUENCY EXPECTED DEVIATION PERCENT ROW PCT COL POT | لا قبل | نادرًا | بعض الاحيان | معظم الاحيان | دائماً | TOTAL |
|---|--------|--------|----------------|-----------------|--------|--------|
| ٢٠ - ١٥ | 0 | 4 | 18 | 17 | 2 | 41 |
| | 0,1 | 2,8 | 13,0 | 23,3 | 1,8 | |
| | - 0,1 | 1,2 | 5,0 | -,63 | 0,2 | |
| | 0,00 | 1,00 | 4,50 | 4,25 | 0,50 | 10,25 |
| | 0,00 | 9,76 | 43,80 | 41,46 | 4,88 | |
| | 0,00 | 14,81 | 14,17 | 7,49 | 11,11 | |
| ٢٠ - ٢٠ | 1 | 15 | 59 | 113 | 7 | 194 |
| | 0,5 | 13,1 | 61,6 | 110,1 | 8,7 | |
| | 0,5 | 1,9 | -3,6 | 2,9 | -1,7 | |
| | 0,25 | 3,75 | 14,50 | 28,25 | 1,75 | 48,50 |
| | 0,52 | 7,73 | 29,90 | 58,25 | 3,61 | |
| | 100,00 | 55,56 | 45,67 | 49,78 | 38,89 | |
| ٤٠ - ٣٠ | 0 | 4 | 35 | 61 | 1 | 101 |
| | 0,3 | 6,8 | 32,1 | 57,3 | 4,5 | |
| | -0,3 | -2,8 | 2,0 | 3,7 | 3,5 | |
| | 0,00 | 1,00 | 8,75 | 15,25 | 0,25 | |
| | 0,00 | 3,96 | 34,65 | 60,40 | 0,99 | 25,25 |
| | 0,00 | 14,81 | 37,56 | 26,87 | 5,56 | |
| ٥٠ - ٤٠ | 0 | 3 | 4 | 10 | 6 | 23 |
| | 0,1 | 1,6 | 4,3 | 13,1 | 1,0 | |
| | -0,1 | 1,4 | -3,3 | -3,1 | 5,0 | |
| | 0,00 | 0,75 | 1,00 | 2,50 | 1,50 | 5,75 |
| | 0,00 | 13,04 | 17,39 | 43,48 | 26,09 | |
| | 0,00 | 11,11 | 3,15 | 4,41 | 33,33 | |
| ٥٠ فاكثر | 0 | 1 | 12 | 26 | 2 | 41 |
| | 0,1 | 2,8 | 13,0 | 23,8 | 1,8 | |
| | -0,1 | -1,8 | -1,0 | 2,7 | 0,2 | |
| | 0,00 | 0,25 | 3,00 | 6,50 | 0,50 | 10,25 |
| | 0,00 | 2,44 | 29,27 | 63,41 | 4,88 | |
| | 0,00 | 3,70 | 9,45 | 11,45 | 11,11 | |
| TOTAL | | 1 | 27 | 127 | 227 | 400 |
| | | 0,25 | 6,75 | 31,75 | 56,75 | 100,00 |

STATISTICS FOR 2 - WAY TABLES

THE CELLS HAVE EXPECTED COUNTS LESS THAN 5.

SPARSE THAT CHI - SQUARE MAY NOT BE A VALID TEST.

CHI - SQUARE 39,477 DF = 16 PROB = 0.009

PHI 0,314

CONTINGENCY COEFFICIENT 0,300

TABLE OF Q 20 BY X1

جدول رقم (٢٨)

توزيع الاقبال على شراء المنتجات الأجنبية (عمرها)

| FREQUENCY EXPECTED DEVIATION PERCENT ROW PCT COL POT | لا أقبل | نادرًاً | بعض الأحيان | معظم الأحيان | دائماً | TOTAL |
|---|---------|-----------|-------------|--------------|--------------|---------------|
| ٢٠ - ١٥ | 1 | 3 | 18 | 18 | 1 | 41 |
| | 0,4 | 3,7 | 17,5 | 18,4 | 0,9 | |
| | -,8 | -0,7 | 0,5 | -0,4 | 0,1 | |
| | 0,25 | 0,35 | 4,50 | 4,50 | 0,25 | |
| | 2,44 | 7,32 | 43,00 | 43,90 | 2,44 | |
| | 25,00 | 8,33 | 10,53 | 10,00 | 11,11 | 10,25 |
| ٢٠ - ٢٠ | 1 | 0 | 83 | 95 | 6 | 194 |
| | 1,9 | 17,5 | 82,9 | 97,3 | 44 | |
| | -0,9 | -8,5 | 0,1 | 7,7 | 1,6 | |
| | 0,25 | 2,25 | 20,75 | 23,75 | 1,50 | |
| | 0,52 | 4,46 | 42,78 | 48,97 | 3,09 | |
| | 25,50 | 25,00 | 48,54 | 52,78 | 66,67 | 48,50 |
| ٤٠ - ٣٠ | 0 | 11 | 43 | 46 | 1 | 101 |
| | 1,0 | 9,1 | 42,2 | 45,4 | 2,3 | |
| | -1,0 | 1,9 | -0,2 | 0,6 | -1,3 | |
| | 0,00 | 2,75 | 10,75 | 11,50 | 0,25 | |
| | 0,00 | 10,89 | 42,57 | 45,54 | 0,99 | |
| | 0,00 | 30,56 | 25,15 | 25,56 | 11,11 | 25,25 |
| ٥٠ - ٤٠ | 2 | 8 | 4 | 9 | 0 | 23 |
| | 0,2 | 2,1 | 0,8 | 10,3 | 0,5 | |
| | 1,8 | 6,9 | -5,8 | -2,3 | 0,5 | |
| | 0,50 | 2,25 | 1,00 | 2,00 | 0,00 | |
| | 8,70 | 39,12 | 17,39 | 34,78 | 0,00 | |
| | 50,00 | 25,00 | 2,34 | 4,44 | 0,00 | 5,75 |
| ٥٠ - ٥٠ | 0 | 4 | 23 | 13 | 1 | 41 |
| | 0,4 | 3,7 | 17,5 | 18,4 | 0,9 | |
| | -0,4 | 0,3 | 5,5 | -5,4 | 0,1 | |
| | 0,00 | 1,00 | 5,75 | 3,25 | 0,25 | |
| | 0,00 | 9,67 | 56,10 | 31,71 | 2,44 | |
| | 0,00 | 11,11 | 13,45 | 7,45 | 11,11 | 10,25 |
| TOTAL | | 4 1,00 | 3,6 9,00 | 171 42,75 | 180 45,00 | 9 2,25 |
| | | | | | | 400 100,00 |

STATISTICS FOR 2 - WAY TABLES

THE CELLS HAVE EXPECTED COUNTS LESS THAN 5,

SPARSE THAT CHI - SQUARE MAY NOT BE A VALID TEST.

CHI - SQUARE 54,079 DF = 16 PROB = 0,0009

PHI 0,368

CONTINGENCY COEFFICIENT 0,345

Q6 - Q20

TABLE OF X BY Y3

| FREQUENCY PERCENT RON PCT COL PCT | X | Y3 | جدول رقم (٦ / ٢) العلاقة بين مستويات أعمار المستهلكين ومستويات تفضيلهم (الوطنية والأجنبية) للبين والزبد. | | | | | | | | | | | | | |
|--|---------------------|---------------------------------|---|-----------------------------|----------------------|-------------------------------|----------------------|-------------------------------|----------------------|-------------------------------|---------------|--------------|---------------|---|-------|--|
| | | | لا افضلها | | افضلها نادراً | | افضلها احياناً | | افضلها غالباً | | افضلها دائمًا | | افضلها دافعاً | | TOTAL | |
| | | | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | | |
| ٤٠ - ١٥ | ٩ ٢ ٢٢ ١٥ | ٣ ٠,٧٥ ٧,٣٢ ٩,٣٨ | ٩ ٢ ٢٢ ١٣ | ١ ٠,٢٥ ٢,٤٤ ٥,٥٦ | ٨ ٢ ٢٠ ٧ | ٥ ١,٢٥ ١٢,٢٠ ٦,١٧ | ١٢ ٣ ٢٩ ١٤ | ١٥ ٣,٧٥ ٣٦,٥٩ ١٥,١٥ | ٣ ١ ٧ ٨ | ١٧ ٤,٢٥ ٤١,٤٦ ١٠,٠٠ | ٤١ ١٠ | ٤١ | ١٠,٢٥ | | | |
| ٢٠ - ٤٠ | ٣٢ ٨ ١٦ ٣٢ | ١٩ ٤,٧٥ ٩,٧٩ ٥٩,٤٨ | ٣٥ ٩ ١٨ ٥١ | ٦ ١,٥٠ ٣,٠٩ ٣٣,٣٣ | ٤٣ ١١ ٢٢ ٣٩ | ٤٣ ١٠,٧٥ ٢٢,١٦ ٥٣,٠٩ | ٤٤ ١١ ٢٣ ٥١ | ٤٩ ١٢,٢٥ ٢٥,٢٦ ٤٩,٤٩ | ٤٠ ١٠ ٢١ ٥٤ | ٧٧ ١٩,٢٥ ٣٩,٠٩ ٤٥,٢٩ | ١٨٤ ٤٨ | ١٩٤ ٥٠ | | | | |
| ٤٠ - ٣٠ | ١٢ ٣ ١٢ ٢٠ | ٧ ١,٧٥ ٣ ٦,٩٣ ٢١,٨٨ | ١٢ ٣ ١٢ ١٨ | ١٠ ٢,٥٠ ٩,٩٠ ٥٥,٥٦ | ٤١ ١٠ ٤١ ٣٧ | ٢٧ ٨,٧٥ ٢٥,٧٣ ٣٣,٣٥ | ١٠ ٣ ١٠ ١١ | ١٨ ٤,٥٠ ١٧,٨٢ ١٨,١٨ | ٢٦ ٧ ٢٦ ٣٥ | ٣٩ ٩,٧٥ ٣٨,٦١ ٢٢,٩٤ | ١٠١ ٢٥ | ١٠١ ٢٥,٢٥ | | | | |
| ٤٠ - ٤٠ | ٣ ١ ١٣ ٥ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٤ ١ ١٧ ٦ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٨ ٢ ٣٥ ٧ | ٤ ١,٠٠ ١٧,٣٩ ٤,٩٤ | ٨ ٢ ٣٥ ٩ | ٧ ١,٧٥ ٣٠,٤٠ ٦,٠٧ | ٠ ٠ ٠ ٠ | ١٢ ٣,٠٠ ٥٢,١٧ ٧,٠٦ | ٢٩ ٦ | ٢٩ ٥,٧٥ | | | | |
| ٥٠ فاكثر | ٥ ١ ١٢ ٨ | ٣ ٠,٧٥ ٦,٣٢ ٩,٣٨ | ٨ ٢ ٢٠ ١٢ | ١ ٠,٢٥ ٢,٤٤ ٥,٥٦ | ١١ ٣ ٢٧ ١٠ | ٢ ٠,٥٠ ٤,٠٠ ٢,٤٧ | ١٣ ٣ ٣١ ١٥ | ١٠ ٢,٥٠ ٢٤,٣٩ ١٠,١٠ | ٤ ١ ١٠ ٥ | ٢٥ ٨,٢٥ ٨٠,٩٨ ١٤,٧١ | ٤١ ١٠ | ٤١ ١٠,٢٥ | | | | |
| TOTAL | ٦١ ١٥ | ٣٢ ٣,٠٠ | ٨٦ ١٧ | ١٨ ٤,٥٠ | ١١١ ٢٨ | ٨١ ٢٠,٢٥ | ٨٧ ٢٢ | ٩٩ ٢٤,٧٥ | ٧٣ ١٨ | ١٧٠ ٤٢,٥٠ | ٤٠٠ ١٠٠ | ٩٠ ١٠٠ | | | | |

١. الجن والزبد الوطني .

٢. الجن والزبد الأجنبي .

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للجن والزبد الوطني ٠٨٧ ر. بمستوى معنوية ٠٨ ر.

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للجن والزبد الأجنبي ٠٢٧ ر. بمستوى معنوية ٠٩ ر.

Q6 - Q20
TABLE OF X BY Y 8

| FREQUENCY PERCENT RON PCT COL PCT | X | | Y 8 | | | | | | | | | | TOTAL | |
|--|----------------------|------------------------------|----------------------|-----------------------------|----------------------|------------------------------|---------------------|-------------------------------|--------------------|-------------------------------|------------|--------------|-------|--|
| | | | | | | | | | | | | | | |
| | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | | |
| ٢٠ - ١٥ | ٩ ٢ ٢٢ ٧ | ٣ ٠,٧٥ ٧,٣٢ ٦,٥٢ | ١١ ٣ ٢٧ ١٢ | ٤ ١,٠٠ ٩,٧٦ ١٧,٣٩ | ١٣ ٣ ٣٢ ١٤ | ٢ ٠,٥٠ ٤,٨٣ ٤,٦٥ | ٥ ٢ ١٢ ١٠ | ١٢ ٣,٠٠ ٢٩,٢٧ ١٢,٥٠ | ٣ ١ ٧ ١١ | ٢٠ ٥,٠٠ ٨,٧٨ ١٠,٤٢ | ٤١ | ٤١ ١٠,٢٥ | | |
| ٢٠ - ٢٠ | ٦٧ ١٧ ٣٥ ٥٠ | ١٩ ٤,٧٥ ٩,٧٩ ٤١,٨٠ | ٤٧ ١٢ ٢٤ ٤٩ | ١٠ ٢,٥٠ ٥,١٥ ٤٨,٤٨ | ٤٣ ١١ ٢٢ ٤٦ | ٢٣ ٥,٧٥ ١١,٨٦ ٥٣,٤٩ | ٢٠ ٥ ١٠ ٤١ | ٤٣ ١٠,٧٥ ٢٢,١٦ ٤٤,٧٩ | ١٧ ٤ ٩ ٦١ | ٩٩ ٢٤,٧٥ ٥١,٠٣ ٥١,٥٦ | ١٩٤ | ١٩٤ ٥٠ | | |
| ٤٠ - ٢٠ | ٣٨ ١٠ ٣٨ ٢٩ | ١٧ ٤,٢٥ ١٦,٣٨ ٣٦,٩٦ | ١٨ ٥ ١٨ ١٩ | ٧ ١,٧٥ ٦,٩٣ ٨٠,٣٤ | ٢٢ ٦ ٢٢ ٢٤ | ١٠ ٢,٥٠ ٩,٩٠ ٢٣,٢٦ | ١٥ ٤ ١٥ ٣١ | ٢٣ ٥,٧٥ ٢٢,٧٧ ٢٣,٩٦ | ٨ ٢ ٨ ٢٩ | ٤٤ ١١,٠٠ ٤٣,٥٦ ٢٢,٩٢ | ١٠١ | ١٠١ ٢٥,٢٥ | | |
| ٠٠ - ٤٠ | ٨ ٢ ٣٥ ٦ | ٢ ٠,٥٠ ٨,٧٠ ٤,٨٥ | ٧ ٢ ٣٠ ٧ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٤ ١ ١٧ ٤ | ٣ ٠,٧٥ ١٣,٠٤ ٦,٩٣ | ٤ ١ ١٧ ٨ | ٦ ١,٥٠ ٢٦,٠٩ ٦,٢٥ | ٠ ٠ ٠ ٠ | ١٢ ٣,٠٠ ٥٢,١٧ ٦,٢٥ | ٢٣ | ٢٣ ٥,٧٥ | | |
| ٥٠ فلكر | ١٢ ٣ ٣٠ ٩ | ٥ ١,٢٥ ١٢,٢٠ ١٠,٨٧ | ١٣ ٣ ٣٢ ١٤ | ٢ ٠,٥٠ ٤,٨٨ ٨,٧٠ | ١١ ١ ٢٧ ١٢ | ٥ ١,٢٥ ١٢,٢٠ ١١,٦٨ | ٥ ٠ ١٢ ١٠ | ١٢ ٣,٠٠ ٢٩,٢٧ ١٢,٥٠ | ٠ ٠ ٠ ٠ | ٢٧ ٤,٢٥ ٤١,٤٠ ٨,٨٥ | ٤١ | ٤١ ١٠,٢٥ | | |
| TOTAL | ١٣٤ ٣٤ | ٤٦ ١١,٥٠ | ٩٦ ٢٤ | ٢٣ ٥,٧٥ | ٩٣ ٢٣ | ٤٣ ١٠,٧٥ | ٤٠ ١٢ | ٩٦ ٢٤,٠٠ | ٢٨ ٧ | ١٩٢ ٤٨,٠٠ | ٤٠٠ ١٠٠ | ٤٠ ١٠٠ | | |

١ المياه الغازية الوطنية .

٢ المياه الغازية الأجنبية .

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للمياه الغازية الوطنية ٤٦ ر. بمستوى معنوية ٣٦ ر.

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للمياه الغازية الأجنبية ٥٧ ر. بمستوى معنوية ٢٦ ر.

Q6 - Q20

TABLE OF X BY Y 2

جدول رقم (١١ / ٢)

العلاقة بين مستويات اعمار المستهلكين ومستويات تفضيلهم
للابان (الوطني والاجنبية)

| X FREQUENCY PERCENT RON PCT COL PCT | Y 2 | | | | | | | | | | TOTAL | |
|---|----------------------|----------------------------|-----------------------|----------------------------|----------------------|----------------------------|--------------------|------------------------------|-------------------|--------------------------------|---------------|--|
| | لا افضلها | | افضلها احياناً نادراً | | افضلها احياناً | | افضلها غالباً | | افضلها دائمًا | | | |
| | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | | |
| ٤٠ - ٥٠ | ١٥ ٤ ٣٧ ٩ | ١ ٠,٢٥ ٢,٤٤ ١٦,٦٧ | ١٤ ٤ ٣٤ ١٣ | ١ ٠,٢٥ ٢,٤٤ ٢٠,٠٠ | ٨ ٢ ٠,٠٠ ١١ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٣ ١ ٧ ١٢ | ٤ ١,٠٠ ٩,٧٦ ٧,١٤ | ١ ٠ ٢ ٥ | ٣٥ ٨,٧٥ ٨٥,٨٧ ١٠,٩٤ | ٤١ ١٠,٢٥ | |
| ٥٠ - ٦٠ | ٨٦ ٢٢ ٤٤ ٥١ | ٥ ١,٢٥ ٢,٥٨ ٩٣,٣٣ | ٦٥ ١٦ ٣٤ ٣٨ | ٤ ١,٠٠ ٢,٠٦ ٨٠,٠٠ | ٢٩ ٧ ١٥ ٣٩ | ٥ ١,٢٥ ٢,٥٨ ٣٨,٤٦ | ٦ ٢ ٣ ٢٤ | ٢٨ ٧,٠٠ ١٤,٤٣ ٥٠,٠٠ | ٨ ٢ ٤ ٤٢ | ١٥٢ ٣٨,٥٠ ٧٨,٤٥ ٤٧,٥٠ | ١٩٤ ٤٨,٥٠ | |
| ٦٠ - ٧٠ | ٤٦ ١٢ ٤٦ ٢٧ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ١٦ ٤ ١٦ ١٤ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٢٦ ٧ ٢٦ ٣٥ | ٧ ١,٧٥ ٦,٩٣ ٥٣,٨٥ | ٥ ١ ٥ ٢٠ | ١٥ ٨,٧٥ ١٤,٨٥ ٢٦,٧٩ | ٨ ٢ ٨ ٤٢ | ٧٩ ١٩,٧٥ ٧٨,٢٢ ٢٤,٦٩ | ١٠١ ٢٥,٢٥ | |
| ٧٠ - ٨٠ | ١٣ ٣ ٥٧ ٨ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٤ ١ ١٧ ٤ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٢ ١ ٩ ٣ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٣ ١ ١٣ ١٢ | ٤ ٠,٠٠ ١٧,٣٠ ٧,١٤ | ١ ٠ ٤ ٥ | ١٩ ٤,٧٥ ٨٢,٦١ ٦,٩٤ | ٢٣ ٥,٧٥ | |
| ٨٠ - ٩٠ | ٩ ٢ ٢٢ ٥ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ١٣ ٣ ٣١ ١٢ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ١٠ ٣ ٢٤ ١٣ | ١ ٠,٢٥ ٢,٤٤ ٧,٦٩ | ٨ ٢ ٢٠ ٣٢ | ٥ ١,٢٥ ١٢,٢٠ ٨,٩٣ | ١ ٠ ٢ ٥ | ٣٥ ٨,٧٥ ٨٥,٨٧ ١٠,٩٤ | ٤١ ١٠,٢٥ | |
| TOTAL | ١٦٩ ٤٢ | ٦ ١,٥٠ | ١١٢ ٢٨ | ٥ ١,٢٥ | ٧٥ ١٩ | ١٣ ٨,٢٥ | ٢٥ ٦ | ٥٠ ١٤,٠٠ | ١٩ ٥ | ٣٢٠ ٥٠,٠٠ | ٤٠٠ ١٠٠ | |
| | | | | | | | | | | | ٤٠٠ ١٠٠,٠٠ | |

١ الابان الوطنية .

٢ الابان الأجنبية .

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للابان الوطنية ٧٠ ر. بمستوى معنوية ١٦٠ ر.

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للابان الأجنبية ١٢٣ ر. بمستوى معنوية ١٤ ر.

Q6 - Q20

TABLE OF X BY Y 9

جدول رقم (١٢ / ٢)

العلاقة بين مستويات أعمار المستهلكين ومستويات تفضيلهم
للبياه الصحية
(الوطنية والأجنبية)

| FREQUENCY PERCENT RON PCT COL PCT | | | | | | | | | | | TOTAL | |
|--|----------------------|----------------------------|--------------------------|---------------------------|------------------------------|-----------------------------|---------------------------|------------------------------|-----------------------------|--------------------------------|------------------------------|--|
| | اً افضلها | | اً افضلها نادراً | | اً افضلها احياناً | | اً افضلها غالباً | | اً افضلها دائمًا | | | |
| | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | | |
| ٢٠ - ١٥ | ١٨ ٥ ٤٤ ١١ | ١ ٠,٢٥ ٢,٤٤ ٦,٦٧ | ٤ ١ ٠,٢٥ ٦,٢٥ | ١ ٢ ٢,٤٤ ٥ | ٩ ٢ ٧,٣٢ ١١ | ٣ ٠,٧٥ ٧,٣٢ ٩,٠٩ | ٦ ٢ ١٩,٥١ ١٢ | ٨ ٢,٠٠ ١٠,٥٣ | ٤ ١ ١٠ ٢٠ | ٢٨ ٧,٠٠ ٦٨,٢٩ ١٠,٧٧ | ٤١ ٤١ ٦٨,٢٩ ١٠,٢٥ | |
| ٢٠ - ١٠ | ٨٣ ٢١ ٤٣ ٤٩ | ٧ ١,٧٥ ٣,٦١ ٤٦,٦٧ | ٤١ ١٠ ٢,٥٠ ٥٣ | ١٠ ١٠ ٥,١٥ ٦٢,٥٠ | ٤٠ ٣٠ ٢١ ٤٨ | ١٣ ٣,٢٥ ٦,٧٠ ٣٩,٣٩ | ١٧ ٤ ٩ ٣٥ | ٣٨ ٩,٥٠ ١٩,٥٩ ٥٠,٠٠ | ١٣ ٣ ٧ ٦٦ | ١٢٦ ٣١,٥٠ ٦٤,٩٥ ٤٨,٤٦ | ١٩٤ ١٩٤ ٦٤,٩٥ ٤٨,٤٦ | |
| ٤٠ - ٢٠ | ٤٤ ١١ ٤٤ ٢٥ | ٦ ١,٥٠ ٥,٩٤ ٤٠,٠٠ | ١٨ ٥ ٣,٩٦ ٢٥,٠٠ | ٤ ٧ ٢٦ ٣١ | ٢٦ ٣,٠٠ ١١,٨٨ ٣٦,٣٦ | ١٢ ٣ ١٠ ٢٠ | ١٠ ٣ ١٧,٨٢ ٢٣,٦٨ | ١٨ ٤,٥٠ ١٧,٨٢ ٢٣,٦٨ | ٣ ٢ ٨ ١٥ | ٦١ ١٥,٢٥ ٨٠,٤٠ ٢٣,٤٦ | ١٠١ ٢٥,٢٥ ٨٠,٤٠ | |
| ٠٠ - ٤٠ | ١٠ ٣ ٤٣ ٦ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٦ ٢ ٢٦ ٨ | ٠ ٠ ٠,٠٠ ١ | ١ ٠,٢٥ ٤,٣٥ ٨,٠٨ | ١ ٢ ٢٥ ١٢ | ٢ ٠,٥٠ ٣,٧٠ ٢,٨٣ | ٠ ٠ ٠ ٠ | ٢٠ ٥,٠٠ ٨٦,٩٦ ٧,٦٩ | ٢٣ ٥,٧٥ ٨٦,٩٦ ٧,٦٩ | ٢٣ ٥,٧٥ | |
| ٥٠ فلكلور | ١٥ ٤ ٣٧ ٩ | ١ ٠,٢٥ ٢,٤٤ ٦,٦٧ | ٨ ٢ ٢٠ ١٠ | ١ ٠,٢٥ ٢,٤٤ ٦,٢٥ | ٨ ٢ ٢٠ ١٠ | ٤ ١,٠٠ ٩,٧٦ ١٢,١٢ | ٤ ٣ ٢٤ ٢٠ | ١٠ ٣ ٢٤,٣٩ ١٨,١٨ | ٢٥ ٠ ٠ ٠ | ٤١ ٦٢,٢٥ ٨٠,٨٩ ٩,٦٢ | ٤١ ٦٢,٢٥ | |
| TOTAL | ١٧٠ ٤٣ | ١٥ ٣,٧٥ | ٧٧ ١٩ | ١٠ ٤,٠٠ | ٨٤ ٢١ | ٨٨ ٨,٢٥ | ٤٩ ١٢ | ٧٠ ١٩,٠٠ | ٢٠ ٥ | ٢٨٠ ٦٥,٠٠ | ٤٠٠ ١٠٠ | |
| | | | | | | | | | | | ١٨٠ | |

١ المياء الصحية الوطنية .

٢ المياء الصحية الأجنبية .

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للمياء الفازية الوطنية ٠٠٠٧ ر. بمستوى معنوية ٩٦٪.

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للمياء الفازية الأجنبية ٠٠٠٤ ر. بمستوى معنوية ٩٦٪.

Q6 - Q20
TABLE OF X BY Y 10

| FREQUENCY PERCENT RON PCT COL PCT | X | Y 10 | جدول رقم (١٣ / ٢) العلاقة بين مستويات أعمار المستهلكين ومستويات تفضيلهم لمنتجات المخابز (الوطني والأجنبي) | | | | | | | | | | TOTAL | |
|--|-----------------------|-----------------------------|--|----------------------------|---------------------|----------------------------|--------------------|-----------------------------|--------------------|--------------------------------|---------------|--------------|-------|--|
| | | | لا تفضلها | | أفضلها نادراً | | أفضلها أحياناً | | أفضلها غالباً | | أفضلها دائمًا | | | |
| | | | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | | |
| ٤٠ - ٥٠ | ٢١ ٥ ٥١ ١٠ | ٣ ٧ ٧,٣٢ ١٣,٦٤ | ٧ ٢ ٢,٤٤ ٢٥,٠٠ | ١ ٢ ٢,٥٠ ٢٥,٠٠ | ٧ ٢ ١٧ ١٢ | ٢ ٠,٥٠ ٤,٨٨ ٢٥,٠٠ | ٤ ١ ١٠ ١٣ | ٦ ١,٥٠ ١٤,٦٣ ١٩,٣٥ | ٢ ١ ٥ ١٠ | ٢٩ ٧,٢٥ ٧٠,٧٨ ٨,٦٦ | ٤١ | ٤١ ١٠,٢٥ | | |
| ٥٠ - ٦٠ | ١٠٢ ٢٦ ٥٣ ٤٩ | ١١ ٢,٧٥ ٥,٦٧ ٥٠,٠٠ | ٤٢ ١١ ٢٢ ٣٠ | ٢ ٠,٥٠ ١,٠٣ ٥٠,٠٠ | ٢٧ ٧ ١٤ ٤٦ | ٣ ٠,٧٥ ١,٥٥ ٣٧,٥٠ | ١١ ٣ ٦ ٣٧ | ١٢ ٣,٠٠ ٨,١٩ ٣٨,٧١ | ١٢ ٣ ٦ ٦٠ | ١٨٦ ٤١,٥٠ ٣٥,٥٧ ٤٩,٥٥ | ١٩٤ | ١٩٤ ٤٨,٥٠ | | |
| ٦٠ - ٧٠ | ٥٤ ١٤ ٥٣ ٢٦ | ٨ ٢,٠٠ ٧,٩٢ ٣٨,٣٦ | ٢٤ ٦ ٢٤ ٢٩ | ١ ٠,٢٥ ٠,٩٩ ٢٥,٠٠ | ١٦ ٤ ١٦ ٢٧ | ٣ ٠,٧٥ ٢,٩٧ ٣٧,٥٠ | ٢ ١ ٢ ٧ | ٧ ١,٧٥ ٦,٩٠ ٢٢,٥٨ | ٥ ١ ٥ ٢٥ | ٨٢ ٢٠,٥٠ ٨١,١٩ ٢٤,٤٨ | ١٠١ | ١٠١ ٢٥,٢٥ | | |
| ٧٠ - ٨٠ | ٩ ٢ ٣٩ ٤ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٧ ٢ ٣٠ ٨ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٢ ١ ٩ ٣ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٤ ١ ١٧ ١٣ | ١ ٠,٢٥ ٤,٥٨ ٨,٢٥ | ١ ٠ ٤ ٥ | ٢٢ ٥,٥٠ ٩٥,٦٥ ٦,٥٧ | ٢٣ | ٢٣ ٥,٧٥ | | |
| ٨٠ - ٩٠ | ٢١ ٥ ٥١ ١٠ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٤ ١ ١٠ ٥ | ٠ ٠,٠٠ ٢ ٠,٠٠ | ٧ ٢ ١٧ ١٢ | ٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ ٠,٠٠ | ٩ ٢ ٢٢ ٣٠ | ٥ ١,٢٥ ١٢,٢٠ ١٠,١٣ | ٠ ٠ ٠ ٠ | ٣٥ ٩,٠٠ ٨٧,٨٠ ١٠,٧٥ | ٤١ | ٤١ ١٠,٢٥ | | |
| TOTAL | ٢٠٧ ٥٢ | ٢٢ ٥,٥٠ | ٨٤ ٢١ | ٤ ١,٠٠ | ٣٩ ١٥ | ٣ ٢,٠٠ | ٣٠ ٨ | ٣١ ٧,٧٥ | ٢٠ ٥ | ٣٠٥ ٨٨,٧٥ | ١٠٠ | ٤٠٠ ١٠٠ | | |

١ منتجات المخابز الوطنية .

٢ منتجات المخابز الأجنبية .

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله لمنتجات المخابز الوطنية ١٠٢ بمستوى معنوية ٤,٠٠.

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله لمنتجات المخابز الأجنبية ٠٣٢ بمستوى معنوية ١٥,٠٠.

Q6 - Q20
TABLE OF X BY Y 7

| FREQUENCY PERCENT RON PCT COL PCT | جدول رقم (١٤ / ٢) العلاقة بين مستويات اعمار المستهلكين ومستويات تفضيلهم للحلويات والشيكولات (الوطنية والاجنبية) | | | | | | | | | | TOTAL | |
|--|---|------------------------------|---------------------|-------------------------------|----------------------|-------------------------------|----------------------|------------------------------|----------------------|-------------------------------|--------------|--|
| | افضلها اخلياً | | افضلها نادراً | | افضلها احياناً | | افضلها غالباً | | افضلها دائماً | | | |
| | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | | |
| ٤٠ - ١٠ | 6 2 15 13 | 6 1,50 14,63 10,91 | 6 2 15 11 | 7 1,75 17,07 8,43 | 9 2 22 9 | 10 2,50 24,39 8,77 | 7 2 18 7 | 6 1,50 14,63 8,96 | 13 3 32 13 | 12 3,00 29,27 14,81 | 41 10,25 | |
| ٢٠ - ٤٠ | 21 5 11 65 | 27 6,75 13,92 49,09 | 25 6 13 44 | 40 10,00 20,62 48,19 | 49 12 26 50 | 58 14,50 29,90 50,88 | 44 11 23 46 | 29 7,25 14,95 43,28 | 55 14 28 53 | 40 10,00 20,62 49,38 | 194 48,50 | |
| ٤٠ - ٣٠ | 8 2 8 18 | 17 4,25 16,83 30,91 | 13 7 13 23 | 25 6,25 24,75 30,12 | 22 6 22 22 | 24 8,00 23,76 21,05 | 31 8 31 32 | 23 5,75 22,77 34,33 | 27 7 27 26 | 12 3,00 11,88 14,81 | 101 25,25 | |
| ٥٠ - ٤٠ | 4 1 17 9 | 1 0,25 4,85 1,82 | 3 1 13 5 | 5 1,25 10,74 5,02 | 7 2 30 7 | 6 1,50 26,09 5,20 | 6 2 27 6 | 4 1,00 17,39 0,97 | 3 1 13 3 | 7 1,75 30,43 8,64 | 23 5,75 | |
| ٥٠ فاكثر | 6 2 15 13 | 4 1,00 9,76 7,21 | 10 3 24 18 | 6 1,50 14,63 7,23 | 11 3 27 11 | 15 4,00 39,02 14,04 | 8 2 20 8 | 5 1,25 12,20 7,48 | 6 15 15 6 | 10 2,50 24,39 12,35 | 41 10,25 | |
| TOTAL | 45 11 | 55 13,75 | 57 14 | 88 20,75 | 98 25 | 114 28,50 | 96 24 | 67 15,75 | 104 26 | 81 20,25 | 400 100 | |
| | | | | | | | | | | | 400 100 | |

١ الحلويات والشيكولات الوطنية .

٢ الحلويات والشيكولات الاجنبية .

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للحلويات والشيكولات الوطنية ٢٠. ر. بمستوى معنوية .٦٩.

* معامل الارتباط بين سن المستهلك ومستوى تفضيله للحلويات والشيكولات الاجنبية ١٣. ر. بمستوى معنوية .٦٠.

رابعاً : خلاصة البحث وتوصياته

استهدفت الدراسة في هذا الفصل التعرف على :

- ١ - مدى اقبال المستهلك السعودي على شراء المنتجات الغذائية وفضيله لها ومدى اشبعها لاحتياجاته.
- ٢ - مستويات تفضيل المستهلك السعودي للمنتجات الغذائية المختلفة (وطنية وأجنبية)، وتحديد المركز التناصفي لكل منها.
- ٣ - العوامل المؤثرة في الاقبال على شراء المنتجات الغذائية.

في بالنسبة لمدى اقبال المستهلك السعودي على شراء المنتجات الغذائية - أظهرت الدراسة الميدانية أنه يقبل على شراء المنتجات الغذائية الوطنية بدرجة أكبر من اقباله على شراء المنتجات الغذائية الأجنبية، ويرجع ذلك إلى ما تتميز به المنتجات الغذائية الوطنية من طبيعة خاصة فهي تتعلق بصحة المستهلك ونوعية غذائه الذي يحرص باستمرار على جعله في أعلى درجة من الجودة والطرازية، ولا يتائى ذلك إلا إذا اطمأن إلى مصدر انتاجه، خاصة وأن هناك منتجات معينة كالألبان ومنتجات المخابز لا يمكن الاطمئنان إليها في حالة استيرادها من الخارج فيفضل أن تكون مصنوعة محلياً، فضلاً عن تعلق المنتجات الغذائية بقيم وتقاليد وعادات وبيانات المستهلك السعودي، مما يجعله يفضل الإنتاج الوطني من السلع الغذائية بدرجة أكبر من تفضيله للأجنبي منها.

وبالنسبة لمستويات تفضيل المستهلك السعودي للمنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية فقد اشتملت الدراسة على ترتيب لمستويات التفضيل المختلفة لأصناف المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية فقد اشتملت الدراسة على ترتيب لمستويات التفضيل المختلفة لأصناف المنتجات الغذائية الوطنية مقارنة بمثيلتها، وفيما يلي موجز لنتائج هذه الدراسة :

- ١ - يقبل المستهلك السعودي على شراء الألبان الوطنية ويفضلها على الألبان الأجنبية، فالمتوسط المرجع للقبال على الألبان الوطنية بلغ ٣٧ (وهو يقترب من الحد الأقصى للقبال الذي يبلغ ٤) مقابل ٣٠.٢ للألبان الأجنبية ويرجع ذلك إلى طبيعة سلعة الألبان وقابليتها للتلف، ورغبة المستهلك في الحصول عليها طازجة، وارتباط قيمتها الغذائية بقصر الفترة مابين تاريخ الإنتاج وتاريخ الاستهلاك.
- ٢ - تفيد الدراسة الاحصائية أيضاً بأن الطلب على، منتجات الألبان الوطنية مستقل عن الطلب على منتجات الألبان الأجنبية.

- ٢ - يفضل المستهلك السعودي منتجات المخابز الوطنية على غيرها من منتجات المخابز الأجنبية، (فقد بلغ المتوسط المرجع لفضيل منتجات المخابز الوطنية ٢٦٪ مقابل ١٣٪ لمنتجات المخابز الأجنبية)، كما لم تكن هناك علاقة ارتباط بين الطلب على المنتجين (الوطني والأجنبي) مما يشير إلى استقلالية الطلب على كل منها.
- ٣ - يتقبل المستهلك السعودي المياه الصحية والمعدنية الوطنية بدرجة أكبر من تقبله لمثلتها الأجنبية، فقد بلغ المتوسط المرجع لفضيل لها ٤٪ مقابل ١٨٪ للأجنبية، وكان الطلب على كل منها مستقلاً عن الآخر.
- ٤ - تحظى المياه الغازية الوطنية بمستوى تفضيل المستهلك يعلو عن المتوسط (٢٩٪)، وتحظى المياه الغازية الأجنبية بمستوى تفضيل يقل عن المتوسط (٤٪)، ويرجع ذلك إلى طراحة المنتج الوطني وتصنيعه وفق مستويات الجودة العالمية، وقد لوحظ وجود ارتباط موجب (وإن كان ضعيفاً) بين الطلب على المنتجين (الوطني والأجنبي) ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها : تشابه المنتجين ووحدة المنشأ، وبرامج الترويج المشتركة بين الشركة الأم والشركات الوطنية.
- ٥ - تفيد الدراسة الميدانية وجود ارتباط سالب ضعيف بلغت قيمته -٢٦٨٪. بمستوى معنوية ٠٠٠٠٠٠٠. بين تفضيل الجن والزبد الوطني والجن والزبد الأجنبي، وذلك يشير إلى أن زيادة تفضيل أي من النوعين يمكن على حساب الآخر، وإن كان مستوى الطلب يميل إلى صالح المنتج الوطني لارتفاع مستوى تفضيله نسبياً عن المنتج الأجنبي، فالمتوسط المرجع لفضيل الجن والزبد الوطني كان ٢٩٪ مقابل ١١٪ للأجنبي، ويرجع اقتراب مستوى تفضيل الجن والزبد الأجنبي من مستوى تفضيل مثيله الوطني وزيادته عن المتوسط العام إلى طبيعة منتجات الجن والزبد وقابليتها للتخزين فضلاً عن تقدم تقنية إنتاجها.
- ٦ - أظهرت الدراسة الميدانية تقارياً ملحوظاً في مستويات تفضيل المستهلك السعودي لكل من الانتاج الوطني والانتاج الأجنبي من العصائر والفواكه المحفوظة ويرجع ذلك لعاملين :
- (أ) انفراد المنشآت الأجنبية بالفواكه المحفوظة التي لا تنتجها المملكة حتى الان مما زاد من الاقبال عليها.
- (ب) ارتفاع جودة العصائر الوطنية، وجمال عبوتها ب خاصة وأن لب العصائر نفسه يستورد من شركات عالية متخصصة فيه مما زاد من الاقبال على المنتج الوطني.

ونظراً لتقارب مستويات تفضيل كلا المنتجين (الوطني والأجنبي) فإن علاقة الارتباط بين الطلب عليهما كانت ضعيفة جداً مما يشير إلى ضعف تأثير الطلب على أحدهما بالطلب على المنتج الآخر.

٧ - يتمتع المنتج الوطني من الزيوت والدهون بفضيل أكثر من مثيله الأجنبي لدى المستهلك السعودي، ويرجع ذلك إلى طبيعة السلعة وخوف المستهلك من احتواء المنتج الأجنبي على بعض العناصر المخالفة للشريعة الإسلامية.

٨ - تفوق الاتجاح الأجنبي من الحلويات والشيكولاتة على مثيله الوطني في أسواق المنتجات الغذائية بالمملكة، ويرجع ذلك إلى ارتفاع مستوى جودته، واتساع تشكيله، وتمتعه بشهرة عالمية وسمعة حسنة.

٩ - تعتبر الخضروات المحفوظة (وطنية كانت أم أجنبية) من الأصناف التي لا تحظى بمستوى تفضيل مرتفع، فالمستهلك السعودي يميل إلى استهلاك الطازج منها وما شجع على هذا الاتجاه تزايد الرقعة الزراعية في المملكة، وتشجيع المسؤولين ورعايتهم لأنشطة الزراعية.

١٠ - اللحوم المحفوظة (وطنية وأجنبية) هي أقل الأصناف قبولاً لدى المستهلك السعودي ويرجع ذلك إلى ميل المستهلك نحو شراء الطازج منها، فضلاً عن الرغبة في تجنب الشبهات التي تحيط حول اللحوم المحفوظة من الناحية الشرعية في حالة استيرادها من الخارج.

ولبيان تأثير الدخل ومستوى التعليم على السلوك الشرائي للمستهلك السعودي تم استخدام عدة نماذج للانحدار باستخدام البرامج الجاهزة على الحاسوب الآلي. وقد تبين أن أنساب هذه النماذج هو نموذج العلاقة الخطية وكان عامل السن هو المتغير المستقل الوحيد الذي له تأثير معنوي على السلوك الشرائي للمستهلك السعودي تجاه المنتجات الغذائية الوطنية والأجنبية، وإن كان هذا التأثير متقاوياً بالنسبة لهما.

ويعتقد أن ضعف تأثير الدخل على سلوك المستهلك الشرائي يمكن تبريره بأن ارتفاع الدخل لدى المستهلك يجعل منه عاملًا غير محدد للسلوك الشرائي، بمعنى أن المستهلك لا يقبل أو يحجم على الشراء لاعتبارات مادية فالنقد متوفرة لديه في أي وقت.

أما عن ضعف تأثير سلوك المستهلك بمستوى تعليمه فإنه وإن كان أمراً مستغرباً، حيث لا يمكن تجاهل مؤشر التعليم على سلوك المستهلك، إلا أنه يمكن

تبرير ذلك بأن معظم فئات المستهلكين السعوديين بمستويات تعليمهم المختلفة ينحدرون من تنظيمات قبلية ترتبط ارتباطاً كبيراً بعادات استهلاكية متصلة قد لا يغيرها مستوى التعليم في المدى القصير، وإن كانت هذه الظاهرة يمكن أن تختفي بالتدريج في الأجيال القادمة.

الوصيات :

- ١ - لما كانت نتائج الدراسة تقيد أن المنتجات الغذائية الوطنية تحظى في جملتها بقبول المستهلك السعودي بدرجة أكبر من مثيلتها الأجنبية فينبغي على المؤسسات الوطنية أن تحافظ على قبول المستهلك وأن تدعم التنافس أمام المنتجات الأجنبية، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الاعتماد على البحوث التسويقية عند اتخاذ كافة القرارات التسويقية حتى يمكن إنتاج الأصناف والأنواع التي يريدها المستهلك وبالسعر الذي يناسبه وبالعبوة وبالشكل الذي يلائم احتياجاته.
- ٢ - لما كانت منتجات الآليان ومنتجات المخابز والمياه الصحية والمياه الغازية هي أكثر منتجات الصناعات الغذائية الوطنية التي تحظى بمستوى تفضيل مرتفع من قبل المستهلك السعودي لذا يجب اعطاؤها الأولوية عند إنشاء المصانع الجديدة لتحقيق قدر مناسب من الاكتفاء الذاتي في هذه النوعية من المنتجات.
- ٣ - حتى يمكن زيادة درجة قبول الانتاج الوطني من العصائر والفواكه المحفوظة والجبنة والزباد والخضروات المحفوظة فإن الأمر يتطلب زيادة درجة التنوع في تلك الأصناف من خلال إدخال الفواكه المحفوظة في مجال الانتاج الوطني وعدم الاكتفاء بالعصائر وإدخال أنواع جديدة من الجبن والزباد التي يقبل عليها المستهلك عادة وزيادة درجة التنوع في الخضروات المعلبة والمجمدة.
- ٤ - ينبغي الاهتمام بصناعة الحلويات والشيكولاتة الوطنية لتأثر تصنيفها بالمقارنة بالانتاج الأجنبي، وذلك لزيادة مستوى تفضيل المستهلك لها وجعله يقبل على شرائها بشكل أكثر من درجة اقباله الحالى.
- ٥ - يتقبل المستهلك السعودي المنتجات الوطنية من الزيوت والدهون بدرجة معقولة، مما يجعلنا نطالب المنشآت الوطنية بضرورة زيادة الكمية المعروضة منها وتشجيع الاستثمار في هذا النوع من الانتاج.
- ٦ - لما كان العمر هو أكثر المتغيرات تأثيراً في سلوك المستهلك الشرائي لذا ينبغي على المؤسسات الوطنية للصناعات الغذائية اجراء دراسات مستمرة لهذا المتغير للتعرف على أثره في سلوك المستهلك الشرائي ومن ثم اعادة رسم السياسات

التسويقيّة لكافة المنتجات الغذائيّة على أساس الفئات العمرية للمستهلكين، حيث تختلف نوعية المنتج وشكل الغلاف وأسلوب التوزيع وطريقة التسويق طبقاً لاختلاف أعمار المستهلكين.

٧ - لما كانت نتائج الدراسة الميدانية قد أوضحت أن المستهلكين من فئات الأعمار الصغيرة أكثر اقبالاً على المنتجات الأجنبية، لذا من الضروري التركيز على هذه الفتة العمرية ودراسة احتياجاتها ومحاولة استقطابها نحو تفضيل الانتاج الوطني من خلال سياسة ترويجية وتسعيرية وطبيعة سلوك هذه الفتة وتصرفاتها.

« ملحق رقم (١) »

(١) بيانات المجتمع المتعلقة بالأعمار للذكور : (٣٩)

| نفات الأعمار | مركز الفتة | النكرار | س × ك | س ٢ ك |
|----------------|------------|----------------|------------------|-------------------|
| ٢٠ - ٥٥ | ١٧٥ | ٣٩٤٤٠٩ | | |
| ٢٠ - ٣٥ | ٢٥ | ٥٦٨٠٥٣ | | |
| ٢٠ - ٤٥ | ٣٥ | ٣٥١٢٢٥ | | |
| ٤٠ - ٥٥ | ٣٥ | ٣٥١٢٢٤ | | |
| ٦٠ - ٥٥ | ٥٥ | ١٨٤٦٧٢ | | |
| المجموع | | ١٧٤٩٥٩٣ | ٥٤٨٥٨٧٤٧٥ | ١٩٧٣٤٤٥١٥٦ |

س = ١٢٠٣٣

(ب) (الأعمار كما وردت في عينة البحث) :

| نفات الأعمار | مركز الفتة | النكرار | س × ك | س ٢ ك |
|----------------|------------|------------|---------------|----------------|
| ٢٠ - ٥٥ | ١٧٥ | ٤١ | | |
| ٢٠ - ٣٥ | ٢٥ | ١٩٤ | | |
| ٢٠ - ٤٥ | ٣٥ | ١٠١ | | |
| ٤٠ - ٥٥ | ٤٥ | ٢٢ | | |
| ٦٠ - ٥٥ | ٥٥ | ٤١ | | |
| المجموع | | ٤٠٠ | ١٢٣٩٢٥ | ٤٢٨١٣١٥ |

الخطأ المعياري = ٠٢٠٦.

قيمة Z = ٠٦٢٣.

وبالبحث في جدول المساحات أسلف المنحنى الطبيعي نجد قيمة Z عند مستوى معنوية

١٪ هي ± ٢٥٨.

قيمة (Z) المحسوبة > ٢٥٨ ∴ فرض عدم صحيح.

∴ فالعينة ممثلة للمجتمع بدرجة ثقة ٩٥٪.

(الهوامش)

- (١) د/عبدالعزيز أنبيه، التسويق في المملكة العربية السعودية، معهد الإدارة العامة، الرياض، ١٩٨٣، ص ٧٦.
- (٢) المملكة العربية السعودية، وزارة التخطيط، منجزات خطط التنمية (٧٠ - ١٩٨٤) الرياض، ١٩٨٥، ص ١٧٦.
- (٣) المراجع السابق، ص ١٨٠.
- (٤) المملكة العربية السعودية، غرفة التجارة والصناعة بالمنطقة الشرقية ومستقبل الصناعة الوطنية، دراسة ميدانية تحليلية، الدمام، ١٩٨٦، ص ١٢.
- (٥) المؤتمر الثاني لرجال الأعمال السعوديين، من أجل مساهمة أفضل للقطاع الخاص الرياض، ٥ - ٧ رجب ١٤٠٥هـ، الرياض، ص ١٢.
- (٦) بلغت نسبة الأفراد الذكور الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ - ٥٠ عاماً والذين يستهلكون المنتجات الغذائية ٥٠٪ من جملة السكان الذكور بالملكة (حسب تقديرات السكان بالملكة في عام ١٩٨٥ - د/عبدالحميد النطفي، مركز البحث، جامعة الملك سعود، ١٩٨١، ص ٧٣)، ولني خصت هذه النسبة التي تظهر خصائص مجتمع البحث وأهميتها النسبية في سكان المملكة فقد تم تحديد عينة البحث لـ ٢٨٤ مفرد في هذه خطا قدره ٠٥٪ ر. (انظر في ذلك د/محمود صابق بازداغه - إدارة التسويق - القاهرة - دار النهضة العربية، ص ٣٨٩).
- (٧) - بالنسبة لذئاب الأعمار اعتمدنا على تقديرات السكان بالملكة عام ١٩٨٥ - للدكتور عبد الحميد النطفي، (بحث سبق نكره).
- ب - بالنسبة لذئاب الخيل، اعتمدنا على التقرير السنوي السادس الذي أصدرته المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية عام ١٤٠٤، ص ١٨١.
- (٨) انظر في الملحق رقم (١).
- (٩) انظر الجدول (١/٢) في الجدول رقم (٢/٢).
- (١٠) انظر الجدول (٢/٢).
- (١١) انظر الجدول (١/٢).
- (١٢) انظر الجدول (٧/٢).
- (١٣) انظر الجدول (٤/٢).
- (١٤) انظر الجدول (٥/٢).
- (١٥) انظر الجدول (٤/٢).
- (١٦) انظر الجدول (السابق).
- (١٧) انظر الجدول (٧/٢).
- (١٨) انظر الجدول (٤/٢)، (٥/٢).

- (٢٩) انظر الجدول (٤/٤).
- (٢٠) انظر الجدول (٤/٢).
- (٢١) انظر الجدول (٤/٢).
- (٢٢) انظر الجدول (٤/٢).
- (٢٣) انظر الجدول (٥/٧).
- (٢٤) انظر الجدول (٤/٢).
- (٢٥) انظر الجدول (٤/٤)، (٥/٥).
- (٢٦) انظر الجدول (٤/٤).
- (٢٧) انظر الجدول (٧/٢).
- (٢٨) انظر الجدول (٤/٢).
- (٢٩) انظر الجدول (٥/٢).
- (٣٠) انظر الجدول (٤/٤).
- (٣١) انظر الجدول (٤/٢).
- (٣٢) انظر الجدول (٥/٢).
- (٣٣) انظر الجدول (٧/٢).
- (٣٤) انظر الجدول (٤/٤).
- (٣٥) انظر الجدول (١/٢)، (٢/٢).
- (٣٦) انظر الجدول (٤/٢).
- (٣٧) د/محمد عبدالحميد النطوي، تقدير اعداد السكان السعوديين (١٩٧٥ - ٢٠٠٠م) الرياض - جامعة الملك سعود، مركز البحث، ١٩٨١، من ٧٧.

احصل على المزيد مقابل نقودك لدى بنك الإمارات الدولي

بنك الامارات الدولي يمنحك المزيد من السبل لتوفير
نقودك وتحفيظ استثماراتك المالية بصورة أكثر
فعالية.

الحساب الممتاز، على سبيل المثال، يعطيك مرونة
الحساب الجاري مع مزايا حساب التوفير.
أو يمكنك أيضاً التوفير بأية عملة أجنبية رئيسية في
أي فرع من فروع بنك الامارات الدولي بواسطة
حساب التوفير بالعملات الأجنبية والذي ستحصل
من خلاله على أفضل نسب فائدة متوفرة من أي مكان
آخر.

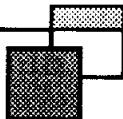
أضف إلى كل ذلك خدماتنا المصرفية الشخصية
الأخرى التي تشتمل على الودائع لأجل والقرصون
الشخصية والسحب على المكشفوف والتسييد السهل
لفواتير الماء والكهرباء والهاتف. ولابد أنك ستتفقنا
الرأي في أننا نفسح أمامك مجالاً أكبر للاختيار.
اكتشف كيفية الحصول على المزيد مقابل نقودك
وتقضي بزيارة أي فرع من فروع بنك الامارات
الدولي، اليوم، واستلم نشرتنا المجانية الصادرة
بعنوان "الخدمات المصرفية الشخصية".



بنك الإمارات الدولي المحدود
Emirates Bank International Limited
معاً نحو مستقبل مشرق

المكتب الرئيسي: شارع بنى ياس، ص. ب ٢٩٢٢ دبى، الامارات العربية المتحدة هاف، تلکس: ٤٦٤٢٥ ٢٨١١٨١
الفروع: (الفرع الرئيسي) شارع بنى ياس ٢٨١١٨١ • فرع السوق (بردبى) ٥٣٢٥٤٥ • فرع شارع المكتوم ٢٢٠٢٦٦ • فرع بندر طالب ٢١٣٠١٣
• فرع الغاليريا ٢٢٦١٠٩ • فرع الكرامة ٣٧٣٤٩٨ • فرع القيادة العامة لشرطة دبى) ٦٩٢٢٣٠ ٤٤٥٠٤٠ • فرع السطوة

بحوث ودراسات



التنمية البدوية - الريفية في مجتمع الامارات العربية المتحدة ..

دكتورة
موزة غباش *

مقدمة :

لابد للباحث الذي يتناول التنمية البدوية - الريفية في مجتمع الامارات أن يعطي صورة واضحة للبناء الاجتماعي لهذا المجتمع وذلك لأجل فهم العناصر الأساسية التي شملتها عملية التغيير والتحضر التي ارتبطت بعملية التنمية الشاملة التي شهدتها مجتمع الامارات. كما ويعتبر هذا المجتمع من بين المجتمعات الحديثة والتقدمة من حداة العملية التنموية فيه ويمكن أن يرجع السبب إلى شمولية التحضر والتحديث الذي شهدته كل الأجهزة التي يتكون منها المجتمع.

* قسم الاجتماع -جامعة الامارات.

** قم هذا البحث في المؤتمر الدولي السابع لعلم الاجتماع الريفي، إيطاليا - يوليد ١٩٨٨ ثم نشر باللغة الانكليزية في حلبة كلية الاداب، وترجمته الباحثة للنشر في مجلة شؤون اجتماعية.

ففي عام ١٩٧١ تأسست الدولة الاتحادية والتي ضمت سبع إمارات وهي «أبوظبي دبي - الشارقة - عجمان - أم القيوين - رأس الخيمة - الفجيرة» وهناك بعض الحقائق التي ارتبطت بهذا المجتمع جعلته يشكل نمطاً مميزاً عن بقية المجتمعات الأخرى مقارنة ببلدان العالم الثالث. وفي الوقت نفسه كانت عملية التحضير التي تضمنته البناء والوظائف هي الأخرى مميزة إذا ما قارناها بالمجتمعات الخليجية التي تتشابه معه في الكثير من الخصائص سواء الجانب السكاني أو الجغرافي أو التاريخي منها أو الجانب الحضاري. وهذا الاختلاف واضح في سرعة عملية التحول والمطفرة النوعية التي شملت كل جوانب المجتمع.

ويضم مجتمع الإمارات شريحتين من السكان الأولى الشريحة البدوية، والثانية سكان المدن ولكن ما يميز هاتين الشريحتين هو أنهما متصلتان ومترابطتان ووجود التفاعل الدائم المستمر بينهما مشتركتان في تكوين البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع كما وتشترك هاتان الشريحتان في بعض أساسين وهما :-

- ١ - أن جميع سكان الإمارات هم من أصول قبلية بدوية.
- ٢ - أن جميع سكان الإمارات يشتركون في تكوين البناء الثقافي والحضاري لهذا المجتمع الموحد ..

ولذا كانت هذه صورة المجتمع وجدنا لزاماً علينا أن نستعين بالمنهج الانتropologique والاجتماعي لفهم التنمية البدوية الريفية كما حاولنا اختيار أحد المشاريع التي شملتها عملية التوطين والتنمية للوقوف على عملية التنمية الشاملة والحضارة الذي يشهده هذا المجتمع. ولقد تم اختيار الأقليم الشرقي لإمارة أبوظبي لأنه من بين المشاريع الكبيرة التي أولت الدولة عنايتها حيث بلغ مجموع سكانه ١٦٥٤٧ نسمة علماً بأن حجم البداوة لا يزيد عن ١٩٩٦٨٠ نسمة^(١) كما ويعيش سكان الأقليم الشرقي على مساحة نسبتها ٨٨٪ من المساحة الكلية للإمارات والتي تبلغ مساحتها ٨٣٠ كم^٢.

وتدور هذه الدراسة حول إجابات على تساؤلات مختلفة أهمها :-

- ١ - ماذا نعني بالتنمية البدوية الريفية في مجتمع الإمارات ؟
- ٢ - ما هو حجم التنمية البدوية الريفية التي تم تنفيذها بالفعل في دولة الإمارات ؟
- ٣ - ما هو نمط التنمية المطلوبة للجماعات البدوية وكيف تتكامل هذه التنمية مع التنمية القومية الشاملة ؟
- ٤ - ما هو تأثير البداوة على هذا المجتمع قديماً وحديثاً ؟
- ٥ - ما حجم مساهمة الاقتصاد البدوي المتواضع في الاقتصاد القومي للإمارات ؟

أ - مفهومات الدراسة : (البداوة - البدو)

عرفت المجتمعات الإنسانية قبل وصولها إلى مرحلة الحضارة حياة الترحال والتنقل والتي تختلف كثيراً عن مرحلة البداوة وتميزت هذه المرحلة بعدم الاستقرار، لأن الإنسان كان يتجول وينتقل سعياً وراء مصادر الرزق، كما مرت المجتمعات البشرية بتغيرات متعددة إلى أن وصلت إلى المرحلة التي شهدتها في الوقت الحاضر، فقد عاش الإنسان حياة التنقل وذلك بسبب طبيعة النشاط الاقتصادي الاجتماعي وظل على تجواله إلى أن عرف مرحلة الاستقرار بعد اكتشاف الزراعة فالترحال وعدم الاستقرار بما فيها من البداوة وهو نمط اجتماعي قيم للحياة عرفه الإنسان فهو أول سعي له للتكيف مع الظروف الطبيعية.

ويؤكد الكثير من الباحثين أن حرف الجمع والالتقاط هي من بين الحرف القديمة التي زاولها الإنسان، تلتها حرف الصيد ثم مرحلة الرعي، أما الزراعة فقد عرفها الإنسان بصورة متأخرة، ولم يعرف الإنسان حياة التوطن والاستقرار إلا في هذه المرحلة التي فرضت عليه هذا النمط من المعيشة.

فالبداوة في بعض جوانبها قد لا تختلف كثيراً عن تلك المراحل التي عرفتها البشرية التي تتطلب من الإنسان الترحال والتنقل وراء الرزق، والبداوة كمرحلة سبقت الاستقرار تووضح العلاقة السلبية بين الإنسان والبيئة، أما مرحلة الاستقرار والتوطين فهي علاقة التعاون والتبادل بين الإنسان والبيئة، حيث أصبح الفرد عنصراً إيجابياً في تشكيل الحياة وتطويع الطبيعة. فالبداوة تشكلت خلال هذا التطور وأصبحت مفاجرة في معظم صورها القديمة مما هي عليه اليوم وإن كانت الإنسانية قد نشأت في أحضان مراحل الترحال والتنقل، التي لاختلف عن أشكال البداوة. وفي بحثنا هذا وجدنا لزاماً علينا أن نوضح المفاهيم الأساسية التي يدور حولها هذا البحث، من الوجهة الاجتماعية.

ويرى ابن خلدون في البدو أنهم «المتحلون للمعاش الطبيعي من الفلاح والقيام على الانعام، وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر العوائد والأحوال ومقصرنون مما فوق ذلك من حاجي أو كمال»^(٢).

والملاحظ أن ابن خلدون ركز في تعريفه للبداوة على الجانب الاقتصادي لأنّه يعتقد أن الطبيعة القاسية في الصحراء هي المسؤولة عن فرض هذا النوع من النشاط.

أما محى الدين صابر فيعرف البداوة بأنها «نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة، يتوقف مدى الاستقرار عليها على كمية من

الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحية، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية، وعلى مدى الأمان الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافق فيها من ناحية ثالثة^(٤).

وهنا يبرز في هذا التعريف جانب اجتماعي هام، هو الأمان الاجتماعي للفرد، والذي ارتبط بالتضامن الاجتماعي الذي عرفته هذه المجتمعات.

كما يشير عباس أحمد للبداروة ويرى أنها «نمط حياة يتضمن ترحال المجموعة من أجل الرعي كأسلوب معيشة يؤثر على بنية المجتمع وبنشه وقيمها»^(٥) ومن هذا التعريف نستنتج أن هناك ارتباطاً قوياً بين نوع النشاط الاقتصادي والتركيب الاجتماعي للمجتمع، وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الذين كتبوا في البداروة فهي تشير إلى «نمط الحياة القائمة على التنقل كأسلوب لكسب العيش، وتأخذ أشكالاً متعددة من الأنشطة الاقتصادية بحسب شكل البيئة الأيكولوجية».

وفي توضيح لهذا التعريف نجد أن هناك مجموعة من العناصر التي تكون شكل البداروة خصوصاً في المجتمعات العربية وهي :-

- ١ - البداروة هي نمط حياتي متكملاً ويتضمن ثقافة مادية ومعنوية.
- ٢ - أن أسلوب العيش يتطلب الترحال والتنقل - ولكن هذا لا يمنع من الاستقرار المؤقت لبعض الجماعات البدوية، وبخاصة تلك التي تمكنت من أن تزأول الزراعة حول الواحات والمدن كوسيلة للعيش.
- ٣ - لا تعتمد حياة البدوي على شكل واحد من النشاط الاقتصادي - لأن التوزيعات الحديثة لأشكال البداروة تتضمن أشكالاً مختلفة منها الرعي - والزراعة المؤقتة، والبداروة البحرية، أو الجبلية، وكل هذه المجموعات أنشطة تختلف بعضها عن بعض لاختلاف البيئة التي يعيشها الإنسان.
- ٤ - أن البيئة الأيكولوجية تثيراً على تشكيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية للإنسان - وهي أمر ضروري إذا وضعنا في اعتبارنا أن هناك أشكالاً متعددة من البداروة فهناك بداروة الصحراء، وبداروة الواحات، وبداروة الجبل - وبداروة البحرية لذا لابد أن تختلف فيها أنماط الحياة والأنشطة الاقتصادية لكل منها.

ب - التوطين :-

عرف التوطين في مؤتمر التنمية الاجتماعية للبيئات الصحراوية المنعقد في مرسى طروح سنة ١٩٦٥ بأنه «عملية إنسانية متكاملة تتطلب تغييراً في الظروف الطبيعية والحضارية القائمة من أجل تنمية الموارد البشرية والإنسانية والاقتصادية، ورفع

مستوى المعيشة، وتحقيق قدر من التكامل القومي بادماج البدو بصورة جماعية في الوحدات السياسية والقانونية والاقتصادية والفكرية في المجتمع القومي^(٣) فالتوطين هو محاولة لإحداث الاستقرار للجماعات التي تمارس التجول «وهناك وجهة نظر أخرى ترى في التوطين أنه عمل سياسي وأخلاقي واجتماعي يهدف إلى رفع مستوى المعيشة عن طريق استغلال مساحات كبيرة من الأرض استغلاً أفضلاً بينما ترى وجهة النظر المعاشرة أن الاقتصاد البدوي إذا استغل في التنمية الحديثة فلن يضيف كثيراً إلى الاقتصاد القومي».

(فالبدو في حالتهم هذه يؤدون خدمة للمجتمع).

ويجب ألا ننظر إلى فكرة التوطين على أنها قيدت الفرد أو الجماعات وحرمتهم من التجوال في الصحراء، كما يجب ألا نبني وجهة النظر الأخرى، والتي ترى أن كل الجماعات البدوية يجب أن تتوطن إجبارياً في منطقة تريدها - وتحت أية ظروف نراها مناسبة لهم دون مراعاة لنمط حياتها وطبيعة نظامها الاقتصادي، والظروف الطبيعية التي يعيشون فيها، لهذا السبب ولأسباب أخرى أصبح للتخطيط والتنمية دوراً كبيراً في توطين البدو وذلك للاستفادة من هذه الجماعات كقوى منتجة في المجتمع متوقفة على مدى قدرة المخططين على فهم أغراض التجوال وارتباطه بالمصالح الاقتصادية، وعلى فهم طابع البناء الاجتماعي والثقافة البدوية التي ترتبط بجماعات متنقلة، كما يتوقف أيضاً على نفاذ بصيرة المهتمين بالبدو، وقدرتهم على رؤية إمكانيات تنمية قدراتهم لتحقيق أقصى قدر من الانتاجية والتكيف لكل جماعة من الجماعات في ظل ممارستها لتجوالها الدائم أو الموسمى. والهدف الذي نسعى إليه هو تحقيق التكامل الاجتماعي والاقتصادي لكل جماعة مع المجتمع الأكبر جنباً إلى جنب، مع الاهتمام بمسألة تكيفها للأوضاع الجديدة.

ما هي الطريقة الأفضل لجذب البدو وتحقيق تكاملهم واندماجهم في حياة الأمة، بما يعود بالفائدة على البدو أنفسهم وعلى المجتمع ككل؟ فمن الضروري إذن أن تسير خطط تغيير المجتمع البدوي في ضوء العلاقات الاجتماعية، وليس في ضوء العلاقات الاقتصادية فقط. ووفق القيم التي تحدد وتحكم في سلوك البدو. فخطط التنمية يمكن أن تجد فرصة أكبر للنجاح إذا انطلقت من ذلك المنظور، وركزت على الخلفية الاجتماعية وعلى قيمهم ونظمهم^(٤) لأن هناك تفاعلاً وتسانداً بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. ولا يمكن الفصل بينهما، ولو أن هناك من يرى أن للقيم دوراً كبيراً في توجيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع.

وانطلاقاً من ذلك الجدل الدائر حول التوطين كمشروع حضاري للجماعات البدوية، ومن وجهة النظر التي ترى أن التوطين يعتبر أحد الحلول المقترحة لتنمية المجتمعات الصحراوية، وتحويلها إلى مجتمعات منتجة لمواجهة التزايد السكاني على مستوى العالم.

فماذا يعني توطين البدو بالنسبة لمجتمع الامارات؟ علماً بأن هذا المجتمع يخضع لظروف سكانية واجتماعية واقتصادية مختلفة تماماً عن تلك التي تعاني منها أغلب دول العالم الثالث، فهو مثلاً يعاني من قلة السكان، وسوء توزيعهم على مستوى الريف والحضر والبادية، ويمتاز هذا المجتمع أيضاً بامكانيات اقتصادية ضخمة لم تستغل حتى الآن في اتجاه التنمية البشرية النوعية لهؤلاء السكان.

من هنا يجب أن تطلق سياسات التوطين في هذا المجتمع لعلاج الاشكالية السكانية، وكذلك لإيجاد بدائل لتنمية اقتصادية، تستطيع أن تحقق قليلاً من الاكتفاء الذاتي في توفير المواد الغذائية - والتقليل من حدة اكتشاف وتبعية اقتصاد الامارات إلى الخارج والناتجة أساساً من الاعتماد الرئيسي على الاستيراد، فتوطين البدو في الامارات يجب أن ينطلق إذن من منظور شامل يحقق توازناً تنموياً على كل المستويات.

جـ - التنمية البدوية الريفية :

تتطلب مناقشة وتحليل مشروعات التنمية البدوية والريفية في مجتمع الامارات التعريف بمفهوم التنمية الشاملة ومن ثم الانتقال إلى مفهوم للتنمية البدوية. ويعتبر مفهوم التنمية من بين المفاهيم الحديثة، حيث شاع استخدامه في بداية الخمسينيات، وكان يعبر عن التنمية الريفية.

ولكن تطور واتساع استعمال هذا الاصطلاح جعله يشمل كل جوانب المجتمع ويختلف مفهوم التنمية عن المفهومات الأخرى التي ارتبطت به كالتحديث Moderniza-tion أو التغريب Westernization أو التصنيع Industrialization أو التحضر Urbanization إذن تصب كل هذه المصطلحات في فكرة نقل المجتمعات التقليدية إلى مستوى معين يجعلها قادرة على التوجه نحو تحقيق النموذج الغربي في بلادها.^(٤)

وفي اعتقادنا أن التنمية هي (بناء الإنسان في مجتمع معين بتحريره من الخوف وال الحاجة تحريراً كاملاً بطلاق قدراته وطاقاته وإمكانيات المادية والروحية ليمارس حرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية دون قيود أو تفرقة بسبب الجنس أو العنصر، أو الثقافة، فالتنمية يجب أن تتجه نحو تغيير وتحرير الإنسان مباشرة بتنفيذ

خطط شمولية متكاملة تحقق للفرد والمجتمع احتياجاته وتوقعاته وطموحاته الطبيعية.^(١٠) فالتنمية لا تتوقف على الجانب الاقتصادي الذي يتمثل في زيادة دخل الفرد وتحسين مستوى الاقتصادي وتحقيق الرفاهية الاقتصادية فحسب، وإنما هي مفهوم أوسع وأكثر شمولية لأنها تتعلق بصياغة الإنسان الذي هو الأساس في العملية التنموية.

أما التنمية البدوية والتي هي محور هذا البحث فهي تتركز على المجتمعات البدوية، هذه الشريحة المغيبة من السكان، وكيفية توظيفها في العملية الإنتاجية، إضافة إلى توصيل الخدمات والرعاية إليها بصورة لا تختلف عن الجماعات السكانية الأخرى، فالجماعات البدوية تمثل المرد البشري الحقيقي لمجتمع الامارات لأن معظم سكان هذا المجتمع وقبل مرحلة البترول زاولوا الترحال.

ونعني بالتنمية البدوية تطوير قدرات الإنسان الذي زاول الترحال (رجل أو امرأة) وإطلاق طاقاته، وتأكيد مسؤوليته المجتمعية وانتمائه الوطني من خلال تنشئته على الإطار الحضاري.

البناء الاجتماعي لمجتمع الامارات العربية المتحدة

لعب البدو والرجل دوراً أساسياً في تاريخ وبناء مجتمعات الخليج وقد احتلت القبائل البدوية خلال فترة طويلة مكانة بارزة في الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية داخل مجتمع الامارات. ذلك لأن النشاط الرعوي نشاط متكيف بشكل خاص، مع استثمار للموارد البسيطة في السهول التي تغطي القسم الأكبر من البلاد، كما كان التنظيم العسكري من بين السمات الأساسية التي تميزت بها هذه المجتمعات نتيجة للتنافس الموجود بين هذه القبائل على مناطق المرعى. وكانت القوة العسكرية تسمع أحياناً بالسيطرة على المناطق الزراعية، وعلى مدن الواحات الصغرى. وبقي الطابع العام للحياة الاجتماعية متاثراً بالأوضاع البيئية التي فرضت على الإنسان هذا النمط من الحياة حيث يمكن أن نسأل: لماذا لم تكن هناك دولة خلال العصور السابقة تجمع البدو تحت سلطة واحدة؟

وتأتي الإجابة على هذا السؤال من منطلق الكشف عن دور البدو في تكوين الدولة كمؤسسة حديثة في منطقة الخليج - وفي مجتمع الامارات بالتحديد - علمًا بأن الإجابة على هذا السؤال تعد من القضايا الرئيسية التي تتناولها هذه الدراسة ألا وهي دور البدو قديماً وحديثاً في بناء المجتمع. ففي الماضي وجدت القوى الخارجية التي لم يكن بإمكانها البدو مواجهتها، وبال مقابل لم تجد أية فائدة ترجى من وجود الدولة

كظام سياسي. أي أنها لم تكن تمثل الشكل التنظيمي الملائم للقبائل القائمة. وسيتم ابراز دور البيو سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً وثقافياً في نهاية هذا الجزء بعد التعرض للبيئة الاجتماعية المكونة لمجتمع الامارات العربية المتحدة.

(١) التركيب القبلي ونطء الإنتاج :-

التركيب القبلي :

كان البناء القبلي يعد أساساً للتشكيلات الاجتماعية التي كانت قائمة في منطقة الامارات في المرحلة السابقة، إذ انفردت هذه المرحلة بكثرة عدد القبائل التي تسكن الامارات. ويفسر هذه الظاهرة الطبيعية الجغرافية المتعددة لأرض عمان من سهل ندامي وساحل وبحر وجبل مرتفع ومصحراً، هذا إلى جانب عامل الهجرة التاريخية للقبائل العربية المدينية من الحجاز، والقططانية من اليمن.

وتعتبر القبيلة وحدة اجتماعية سياسية اقتصادية عسكرية وثقافية قائمة على شيخ القبيلة وتقوم الرابطة الاجتماعية بين أبناء القبيلة على العصبية Tribalism التي تعتبر أم عنصر من عناصر البنية الاجتماعية للقبيلة، وخاصة القبيلة البيوية Bedouin Tribe. وقد تكون هذه العصبية والولاء للقبيلة مصدرأً من مصادر الصراع والنزاع بين القبائل المختلفة. هذا النزاع بين العصبيات كما يراه ابن خلدون «لايكاد يختفي بتاثير دعوة دينية أو شبهها حتى تظهره قوة أخرى تتجه نحو البلاد المتحضرة لتأسيس الدولة»^(١).

(٢) أنواع القبائل .

القبيلة والبداوة :

لابد في البداية من تصحيح الفهم غير الصحيح، الذي يرى أن القبيلة هي ظاهرة خاصة بالبداوة، هذا الفهم الذي نتاج عن أن معظم سكان الجزيرة هم من (قبائل) وذلك مقوله صحيحة، ولكن القبائل لا تقتصر بالضرورة البداوة. حيث نجد أن أشكال الإنتاج تختلف بين زراعة ورعى وغوص وتجارة إلا أن الوحدة الأساسية في البناء الاجتماعي هي «القبيلة» أي أن القبيلة هي أساس البناء الاجتماعي مع اختلاف شكل الإنتاج التقليدي.

وكانت العلاقة بين البيو والحضر في نطء الإنتاج التقليدي علاقة جدلية، قد يستقر البعض للزراعة والتجارة وقد يتحول مرة ثانية إلى الرعي فيطوف بقطيعاته المناطق الصالحة للرعي، وقد يستقر للغوص على القلوز حيناً ثم ينقلب في الشتاء راعياً من جديد. ^(٢) ويمكن القول بوجود ثلاثة أنواع من القبائل :

١ - القبائل الزراعية :

تتركز في الجنوب على الهضبة العمانية وسواحل الباطنة وظفار في هذه المناطق الصغيرة نسبياً، وتختلف مصادر المياه للزراعة هنا فمن الآبار الارتوازية أو الآبار المعتمدة على المطر أي الأفلاج (القنوات) في جنوب نجد وعمان، إلى الاعتماد على المطر في الموسم. تتميز هذه التجمعات الحضرية الزراعية بأنها معزولة إلا من علاقات التبادل الأولية بينها وبين محيطها الرعوي/القبلي وفائض انتاجها قليل.

والزراعة التي تقوم عليها هذه التجمعات، إما زراعة التخيل، أو علف الحيوانات (البرسيم) مع بعض الزراعات البسيطة الأخرى في ساحل الباطنة في عمان، والتي تحتاج إلى جهد إنساني محدود. أما بالنسبة لحيازات الزراعية فتتعدد في الغالب إلى الأسر أو الأسرة المعتمدة (حيازات خاصة) وهي حيازات صغيرة نسبياً. كما أن بعض العائلات الفنية وشيخوخ القبائل كانت تحت إيديهم حيازات زراعية كبيرة نسبياً، إلا أن المنتج الزراعي لا يتعدي الاستهلاك المحلي وفائضه قليلاً للتبادل، إن مياه الأمطار في هذه المناطق كانت قليلة بصورة عامة وقد يشترك في تنظيمها أهل القرية (كما كان يحدث لأفلاج عمان). وتميل الأسر إلى الإكتار من الإنجاب حيث يشارك النساء والأبناء الرجال في أعمال الزراعة بقدر ما يتوجب على الأسرة أو الأسر المعتمدة القيام به من نشاط اقتصادي وتقوم المرأة في حالة عدم وجود الرجل بالأعمال الزراعية.

وكان المزارع يستخدم المحراث التقليدي والآلات الأولية للزراعة كما يستخدم الحيوانات (الحمير والجمال) للنقل والمساعدة في رفع المياه، كما كان يوجد تقسيم واضح للعمل في القرية.

لقد كان هناك ما يقام به «الرجل» وما لا يقوم به، ففي قرى عمان الزراعية تقوم المرأة والأطفال برعى الغنم وحصد البرسيم، أما الرجال فيقومون بالأعمال الزراعية الأساسية. ويشترك العبيد في هذه القرى في عمليات الزراعة والقيام بالأعمال الشاقة، وهؤلاء العبيد تحصل عليهم القبائل المستقرة عن طريق التبادل^(١). أو الشراء من القبائل الرعوية وفي هذه القرى الزراعية يتواجد أناس ليس لهم ارتباط قبلي عادة ما يعرفون بـ(بني خضير) أو (بياس)، وهم إما نازحون من قرى أخرى أو هاربون أساساً من قبائلهم البعيدة، ويتعاطى هؤلاء الأعمال الحرافية.

أما بالنسبة للعلاقة بين القبائل المستقرة والقبائل الرعوية (البدوية) المحيطة فهي علاقة جدلية، وهي علاقة بين الماء والعشب، فعليها ينشأ أو ينفرط هذا التحالف، فتقوم العرب أو يحل السلم نتيجة لاتفاق المصالح أو اختلافها بين هذه القبائل فشيخ القبيلة

(التعية في عُمان) أمير قرية أو القرى المجاورة يقرر ذلك التحالف وتلك الحرب بناء على المصالح التي يرى أنها قد تتحقق لصالح قبائلهم ومدنهم. وهذه المصالح هي أيضاً التي تقرر الهجرة أو البقاء معتمدة في كل ذلك على ما يأتي من طبيعة من مطر أو ماينبت من كلا.

وشيخ القبيلة (التعية) هو زعيمها البيني والديني، فكثيراً ما يرجع أفراد القبيلة لهذا الشیخ لكي يحل لهم مشكلاتهم الشخصية كالزواج والطلاق وكذلك يضع تفسيراته لشئون دینهم.

وشيخ القبيلة أو الأمير في الأصل كانوا تسميتين متطابقتين، إلى أن تدرج الوضع فأصبح الأمير هو الرئيس في المناطق المستقرة، يساعد شيخ يفهم في الشرع لتسهيل أمور الدين، في حين ظلت التسميتان متطابقتين لدى القبائل الرعوية (البدوية).

ولقد كانت المناطق الزراعية المستقرة في نواة التكوينات السياسية الحديثة وخاصة لدى القبائل التي رحلت إلى الساحل، واستقرت في أعمال مثل الفوسف وصيد السمك فكانت ممكناً تسميتها بالقبيلة الحضرية.

فقبائل عُمان المستقرة هي التي سيطرت في القرن التاسع عشر^(١٤).

ب - القبائل الرعوية :

وهي القبائل غير المستقرة والتي تشكل الظاهرة الاجتماعية الاقتصادية الأخرى، وهي نوعان : الأولى تعمل بالزراعة في بعض المواسم، والأخرى تخصى معظم شهور السنة في الرعي.

وتسيطر العادات والتقاليد على البناء الاجتماعي القبلي الرعوي أكثر من سيطرتها على القبائل المستقرة. فهناك أحكام وقوانين وعادات وأعراف لدى القبائل الرعوية يجب احترامها بصرامة حتى يمكن استمرار الحياة الاقتصادية المعتمدة على الرعي، وي تعرض المخل بتلك القواعد إلى عقاب حيث إن ذاك الإخلال يعرض القبيلة كلها إلى مكره.

كما تدخل القبائل الرعوية بسبب ارتحالها المستمر ومعرفتها بالطرق في علاقات مع العائلات التجارية في المناطق المستقرة فهي تنقل لها ماتريد من البضاعة، أو تحمي لها الطرق والمواصلات لذا فإن بعض التسميات التي تطلق عليهم تؤدي إلى ذلك المعنى فهي «عرب الدار» أو «أرحام الديرة» و«الديرة» (أي ماستدار من الرمل) تعطي معنى الحمى أو الأرض الخاصة وتعطي أيضاً فكرة أن المياه والغذاء هي الحياة

للقبائل الرعوية، لذلك فإن الماء والأرض ملك عام لأهل القبيلة، ويمكن أن يسمع لقبائل أخرى تحت شروط معينة ومعروفة دخول تلك الديرة، وعلاقات القبيلة الرعوية كما هي القبيلة المستقرة تعتمد على سلسلة الآباء فالأعمام من الأب أكثر قرباً من الأخوال، وبالرغم من ذلك فإن القبيلة لم تزل تحترم المرأة وتعتز بها^(١٥). ومن مظاهر احترام المرأة في القبائل الرعوية مشاركتها في النشاط الاجتماعي للقبيلة، وكذلك استخدام أقوال مأثورة منها (أنا أخو مريم... إلخ) وأحياناً تقوم بدور سياسي في فض النزاعات بين القبائل المتصارعة. وقد كانت القبائل الرعوية البدوية حجر عثرة دائمًا في وجه تنظيم مدني مستقر حيث إن ولاعهم يتبع مصلحتهم.

جـ - قبائل الغوص وصيد السمك :

لقد ظهرت القبائل العربية على الساحل بعد صراعها مع الطبيعة في القرن الثامن عشر وسرعان ما اندمجت مع أشكال الإنتاج الذي وجدته هناك رافضة المقوله التي ترى أن أبناء القبائل يرفضون العمل اليدوي أو التجاري، وكان من أهم الأنشطة الغوص على اللؤلؤ وصيد السمك ثم التجارة. وشكلت بعد استقرارها نواة المدينة الدولة فالقبيلة اعطتها ذلك التماسک الذي فرضت به سيطرتها السياسية، ولكنها سرعان ما أصبحت مجموعة عائلات وأصبحت العائلة القبيلة هي الأساس في البناء الاجتماعي الجديد، وحيث وجدت هذه القبائل حياتها الجديدة حاولت التصدي للأطماء العالية والإقليمية (البرتغال وإنجلترا وإيران) وقد تقلصت القبيلة ذات الأفخاذ والبطون إلى (عائلة) حاكمة أو تجارية أو قائمة بالأعمال الجديدة (الغوص وصيد السمك) ولكنها في الوقت ذاته حافظت على (العصبية) التي أوصلتها إلى هذه المكانة، ونجد هذا التحول في مفاهيم (القوم) بخصوص في الإمارات اليوم في الإشارة إلى عائلة فلان دائمًا يجري الحديث عن (قوم فلان).

والحقيقة أن طبيعة الإنتاج المعتمدة على الغوص لاختلف من حيث الجوهر عن تلك المعتمدة على الزراعة أو الرعي، فهناك أيضًا اعتماد على الطبيعة اعتماداً كلياً. فالصادقة وحدها مع بعض العلم بمناطق تواجد المحار (ميرات) هي التي تحدد غياب موسم غوص عن آخر. وقد وجدت (القبائل) النازحة فرصة جديدة في شرق الجزيرة العربية (البحرين - قطر - الساحل العماني) لل الاستقرار بجانب البحر، وعند اعتمادها على شكل الإنتاج الجديد (الصيد والغوص) لم تتخل كلياً عن العلاقات الاجتماعية أو بنائها الاجتماعي التقليدي.

أما عن شكل هذا النشاط فيعتمد على خروج الرجال أشهرًا طويلاً في موسم

الغوص وتركهم النساء والأطفال في مناطق الاستقرار تلك، لذلك كان الاعتماد على المرأة هنا لرعاية شؤون المنزل والاعتناء بالزراعة إن وجدت أو الحيوانات، وهذا كان يعني مشاركة المرأة في إنتاج ماتحتاجه الأسرة، وبالتالي اعطاؤها وضعياً يساوي ذلك الوضع الذي تأخذه المرأة لدى القبائل الرعوية (البدوية) أو التي تعمل بالزراعة.⁽¹¹⁾

وكان فائض الانتاج من جراء معطيات الطبيعة، وتقيسيمه حيث كان صاحب رأس المال (الواخدا) يحصل على أكبر قدر ممكن من اللائق.

وفي إطار تحليل البنية الاجتماعية القبلية لمجتمع الدراسة نشير إلى الفروق الرئيسية بين البنية الاجتماعية القبلية، والبنية الاجتماعية القروية. فقد أشار ابن خلدون إلى أن هناك فروقاً رئيسية بين البندين في أشكال الجماعات. وفي نمط الانتاج يرى ابن خلدون (أن المجموعتين القروية والقبلية، هما بالواقع نموذجان مختلفان من حيث البنية الاجتماعية المشتركة. فالقبيلة لا تتميز فقط بوجود روابط دم، (الوهمية إلى حد ما) بين أعضائها، إنها بنية اجتماعية أكثر تمتلاً بالاستقلال الذاتي من الجماعة القروية فالجماعة القبلية ذات الشكل التنظيمي العسكري تحقق دفاعها الذاتي وأعضاؤها مسلحون وي倩رون القتال بقيادة الرؤساء. أما القبيلة ذات الشكل التنظيمي السياسي، فهي تتضمن جنين دولة، وفي أفريقيا الشمالية كانت الدولة تمثل اتحاد قبائل حلية لقبيلة الحاكم).

أما (رأي ابن خلدون) في الجماعة القروية فهي مختلفة حيث يطلق عليها «المجتمعات المائية» إنه يرى أنها لم تتحقق دفاعها الذاتي. إن أفرادها لم يكونوا عادة مسلحين، ولم يكن لها قائد عسكري. فالجماعة القروية ليست وحدة سياسية ذات استقلال ذاتي، وهي ليست سوى عدة عناصر تشكل قاعدة الدولة. والارستقراطية القائدة، أو الملك بالدرجة الأولى، يستند على جيوش من العبيد العسكريين من أجل فرض سلطتها.

فالملحوظة المباشرة للتحليل السابق أن البنية الاجتماعية وأشكال الانتاج فيها تفرض تشكيلآً اجتماعياً مختلفاً، فالمجتمعات تختلف باختلاف أشكال الانتاج وعلاقة الإنتاج، فمثلاً الجماعات القروية تخضع للسخرة، وللمشاريع الكبرى المفروضة من الحاكم، والعكس بالنسبة للتشكيلة الاجتماعية للقبيلة، فليست هناك طبقة مستثمرة متدينة بوضوح أو مستغلة. هذه البنى القبلية، اعتمدت على قوة العادات والعرف، وعلى القوة وممارسة الحرب من أجل الحفاظ على النشاطات الرعوية، وعلى الملكية المشاعية للأرض، وقد تكونت منها الطبقة البرجوازية التي اعتمدت في البداية على تجارة القوافل، فكانت الارستقراطية المالية، التجارية، العسكرية أو القبلية، طبقة ذات نفوذ

ولكنها ليست عشيرة أو أقليّة مغلقة، بل الفرد بمقدار قوته، ولانتهارض مصالح هذه الطبقة مع رؤساء القبائل، إذ إن زيادة أرباح الأولى لاتتصطدم بمصالح هذه الطبقة مع رؤساء القبائل، إذ إن زيادة أرباح الأولى لاتتصطدم بمصالح الآخر. وتظل سيطرة هذه الاستقراطية على المجتمع بطريقة جماعية، فأفرادها يستطيعون الحصول على الأرباح من خلال الأنشطة الاقتصادية لكن من دون أن يتملّكوا وسائل الانتاج حيث تفل في إطار الجماعات القبلية أو القروية.

ولاتكاد تختلف هذه البنية الاجتماعية القبلية التي طرحتها ابن خلدون عن البنية القبلية لمجتمع الدراسة، فالقبلية في هذا المجتمع قامت على النمط الانتاجي الرعوي والزراعي والتجاري. وكذلك الصيد، والغوص على اللؤلؤ. أما ملكية الأرض فكانت تتسم بالملكية الجماعية، اعتمد بناؤها السياسي على القوة العسكرية، وعلى التحالفات السياسية بين رؤساء القبائل الأكثر تمتّعاً بالقوة. وقام بناؤها الاجتماعي على العادات والأعراف والقيم الموروثة.

وقد تمكنت هذه البنية القبلية من تكوين الدولة في المرحلة المعاصرة من خلال التحالفات القبلية السابقة، غير أننا نلاحظ أن هذه التحالفات التي فرضت نوعاً من الولاء لها من الأفراد لم تستطع أن تضمّن هذه الوالعات في المرحلة المعاصرة للدولة الحديثة، حيث اختلفت أشكال المصالح الحالية لكل جماعة طبقية. فبيت الدولة مرهونة ببعدي ما تقدمه من امتيازات لكل جماعة.

عدد سكان القبائل وتوزيعهم على الإمارات السبع سنة ١٩٦٨ م

| الإمارة اتحاد القبائل | أبوظبي | دبي | الشارقة | عجمان | أم القيوين | راس الخيمة | مهمان | المجموع |
|--------------------------|--------|------|---------|-------|---------------|---------------|-------|---------|
| بنسياس | ٤٥٩٧ | ٢٩١٢ | ٤٢٤ | ٢١٣ | ١ | ٢٩٠ | ٢٧ | ٤٦٦٥ |
| الشارقيين | ٨٠ | ٦٥ | ١١٦ | ٦٩ | ٢٥ | ٨٢ | ٨٣٧٢ | ٤٠٩٤ |
| الشمر | ١٤٧ | ٧٤ | ٧٤ | ١٢ | - | ٨٤٥ | ٢٤٤ | ٣٩٧٦ |
| آل مللي | ٦٠ | ١٥٥ | ٥٠٨ | ٨٥ | ٢٨٦٣ | ١٤٤٥ | ٣ | ١١٨٥ |
| القواسم | ١٠١ | ١٠.٨ | ٣٥٩٢ | ٨ | ٢٠٥٥ | ١٤ | ١٤٤١ | ٤٠٤٤ |
| المنامير | ٣٢٢٤ | ٢٧٥ | ٤٩ | ٢١ | - | ٢٨ | - | ٣٦٠٧ |
| الزمباب | ٢٢ | ٢٧ | ٧١٠ | ٧ | ٤ | ٢٤٥٥ | - | ٢٢٢٥ |
| العواجمير | ٢٤٤ | ٤٢ | ١٠٩ | ٤١ | - | ٩ | ٥٧ | ٢١٠٢ |
| المزارع | ١٢٧ | ٢٧١ | ٢٩٣ | ١٧ | ٢٨ | ١٠٦٢ | ٧٦ | ٣٠٤٤ |

تابع عدد سكان القبائل وتوزيعهم على الامارات السبع

| الامارة اتناد القبيلة | أبوظبي | دبي | الشارقة | مجمان | ام القيوين | رأس النفحة | المجموع | مجمان |
|--------------------------|--------|------|---------|-------|---------------|---------------|---------|-------|
| البريمي | ٣٧٠ | ٧٦٩ | ٦٨٩ | ٩٠ | ١٢ | ٤٠٨ | ٢٤٢٨ | - |
| بندر جازان | ٦١٧ | ١٥٦ | ١٤٥٨ | ٢١ | ٦ | ١١٢ | ٢٣٧٠ | - |
| الغليس | ٣٢٥ | ١٧١ | ٢٢٩ | ٦٦٦ | ٢٥ | ٩٦٨ | ٢٣٢٤ | ١٠ |
| العواسير | ١٦ | - | ١٣٤٥ | - | - | ٥٤١ | ١٩٠٥ | ٢ |
| قبائل اخرى | ٢٧٢١ | ٦٩ | ٣٧ | ٧ | ١٩ | ٣٤ | ١٦٩٢ | ٥ |
| المجموع | ٢٥٣٣٩ | ٢٦٦٩ | ٢١٤٦ | ٣٠٣ | ٢١٤ | ٣٥٩٧ | ٣٣٧ | ٠٦٩٥ |
| | ١٧٧٥٠ | ٧٨٦٤ | ١٢٥٧٦٩ | ١٦٦١١ | ٢٣٠٩ | ١٧٥٩٤١ | ٩١٣٨ | ٧٠٢٨٢ |

البناء القيمي للمجتمع البدوي في الامارات

تتعدد القيم بين الأفراد الذين يعيشون ضمن البيئة البدوية في مجتمع الامارات، ونجد أبرز تلك القيم تتمثل في قيمة الشجاعة - والتي بروزت نظراً ل حاجتهم الدائمة للدفاع عن أنفسهم وأهلهـم، بالإضافة إلى قسوة البيئة البدوية، هذه القسوة التي دفعت بالبدوي امرأة كان أم رجلاً إلى الاعتماد على النفس في مواجهة المصاعب.

وتتأتي قيمة الكرم كقيمة أخرى عرفتها البداوة وتميزت بها، وكانت نتيجة لعرضهم الدائم للجوع نظراً لمحورية الموارد الطبيعية، كذلك قيم الوفاء والتي ظهرت نتيجة للشعور بالتضامن وقوة الارتباط وساعدت هذه القيمة على ظهور التحالف بين الجماعات البدوية، وتكوين جنود التواحد فيما بينهم، والتي افرزت كاحدى نتائجها اتحاد الامارات. وهناك أيضاً قيم كحب العرية، فالمعرفة رفض البدوي سواء كان امرأة أو رجلاً لأية قيود على الحرية الشخصية وال العامة، وحرية الاختيار للحياة، وللقبيلة التي يسعى للاندماج فيها.

أما النجدة وحماية الضيف فهي من بين القيم الأخرى التي عرفها المجتمع البدوي، وتعني إغاثة المظلوم، والمعتدى عليه سواء أكان على حق أو باطل، كما يلبي نداء المستجد به من غير أن يسأل عن طبيعة المساعدة التي يطلبها. ولاشك أن وجود هذه القيم الإنسانية والاجتماعية إنما يعبر عن طبيعة التنظيم الاجتماعي الذي كان سائداً

في المجتمعات البدوية، والذي يعتبر في الوقت الراهن رافداً من روافد التراث والموروث للمجتمع الحديث. ويشكل جزءاً من ثقافته.

وبيما أن المجتمع عبارة عن نسق متداخل ومتشارب الأجزاء، تساهم القيم في ربط هذه الأجزاء، لذلك فإن وظيفتها تحقيق التضامن الاجتماعي والتعاون وعند تحليلنا للعلاقة بين القيم كموجهات للسلوك بالمجتمع، علينا أن لانغفل أن هذه القيم كانت نابعة من مجموعة من العصبيات أو «القوى الداخلية»، التي ساعدت على ربط البدوي بمجتمعه، فتحليلنا لأنواع العصبيات المساعدة قديماً في المجتمع البدوي في الإمارات، يمكن من خلالها فهم طبيعة النظم والآليات الداعمة التي عاش فيها الكثير من أشكال العصبيات في المجتمع البدوي في الإمارات، وضعف الكثير منها، كما وظل جزء يسير لأنكاد تلمسه إلا في بعض المناسبات، فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت عصبية القرابة ونوى الأرحام وعصبية الولاء، وعصبية القبيلة، وعصبية الجوار والحماية، ثم عصبية الأحزاب والتحالف، قيمة مميزة لهذا المجتمع، إلا أن هذه الأنواع من العصبيات بدأت تضعف نتيجة للتحضر والتحديث، الذي ترك طابعه الواضح على هذا المجتمع.

ولاشك أننا لستنا أمام مهمة توسيع تلك المفاهيم حول العصبية، خاصة تلك التعريفات التقليدية منها، ولكن نستطيع مقابلة تلك التعريفات للعصبية بما يخدم الاتجاه أو المحور الأساسي الذي يرتكز عليه هذا البحث، وهو أننا نسعى لإبراز الأنوار المجتمعية غير الملؤسة للجماعات البدوية التي تعيش ضمن منظومة المجتمع الحديث في الإمارات. فعندما نلاحظ ضعف الولاءات الوطنية بين ساكني الحضر والمدن، وكذلك ضعف الروابط الاجتماعية والانتماءات لمختلف أشكالها، كان نتيجة عملية التحضر والتحديث غير المخطط والذي رافق المرحلة التنموية. حيث شهد مجتمع الإمارات تغيرات سريعة في كل جوانب المجتمع خاصة الاجتماعية منها، والثقافية والقيمية، التي دينها المجتمع عبر أجيال متعاقبة لذلك نرى أن هناك دوراً مهماً ومقدراً للجماعات البدوية في المحافظة على تعاسك هذا المجتمع بنانياً ووظيفياً، وكذلك في التأثير على حركة التغير فيه خاصة وأن مجتمع الإمارات في مرحلة الثمانينيات يمر بمرحلة استقرار نسبية في مؤسساته ونظمه الحديثة.

فتاكيدنا على دور القيم وأهميتها في بناء المجتمع يأتي من حقيقة ما يشهده مجتمع الإمارات من تحول في القيم المعنوية والروحية إلى مرحلة تتسم ببروز قيم جديدة نظراً للطفرة الاقتصادية، والنظام الاستهلاكي للأفراد، وكذلك القيم الأخرى التي ارتبطت بهذا التحول. ويؤكد «الكوناري» هذه الحقيقة فيرى، أن نظام الحوافز المادية والمعنوية

الخطىء الذي طبع هذا المجتمع بعد تحقق عائدات النفط في منطقة الخليج، أخل بنسق القيم الاجتماعية، حيث رفع مرتبة القيم الاستهلاكية والمضاربة، والركض وراء المصالح الشخصية، والشطارة غير مقيدة بهدف مجتمعي، وكذلك يروز أشكال العمل المظاهري والمناصب البراقة، وحصل هذا التغير على حساب مرتبة قيم الانتاج والاستثمار الحقيقي الطويل المدى، ورعاية المصلحة العامة، ويروز الروح الرائدة المنطلقة من الولاء الوطني، والعمل المؤثر الجاد النافع للناس.^(٢٢)

وبالرغم من شيوع مثل هذه القيم والتي لا تختلف عن القيم التي تسود المجتمعات المتحولة والحديثة، نجد القيم البدوية – على الرغم من ضعف بعضها – هي السائدة في هذا المجتمع، كما هي الاطار الموجه لأنماط السلوك وتحديد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. ويتحقق هذا في تكوين العلاقات بين الأسر، والزواج والتجمع السكني في بعض الأحيان. فكل مجتمع يمر بمرحلة متغيرة يتعرض إلى هذا النمط من التغير القيمي وخاصة إذا كان التغير سريعاً كما تعرض إليها مجتمع الامارات.

التنمية البدوية الريفية في مجتمع الامارات :

الإقليم الشرقي لامارة أبوظبي كحالة دراسية .

تتميز أراضي دولة الامارات بطيوغرافية مزدوجة، هي طيوغرافية الأراضي الجبلية المرتفعة، وتحتل مساحة صغيرة نسبياً. وطيوغرافية الأراضي السهلية المنخفضة وتقطن أكثر من ٩٢٪ من أراضي الدولة وتغطي الصحراء، أكثر من ثلاثة أرباع مساحة البلاد، وتحتل الأرض الداخلية القارية الواقعة جنوب السهل الساحلي على الخليج العربي.^(٢٣)

وتنقسم الامارات إلى منطقتين جغرافيتين، منطقة زراعية ريفية في الشمال والشرق، ومنطقة بدوية ريفية في الجنوب والغرب، ويتواجد معظم المنطقة الثانية في إمارة أبوظبي التي تكون ٨٨٪ من المساحة الكلية للامارات. ولهذا فإن معايير التنمية للمناطق الزراعية الريفية تتطابق على الامارات الشمالية. بينما تتطابق المعايير البدوية الريفية على أبوظبي ولهذا السبب سوف تركز هذه الدراسة تقييمها للتنمية البدوية على منطقة الإقليم الشرقي لامارة أبوظبي.

وانطلاقاً من الأهمية القصوى التي تمثلها شريحة البدو في مجتمع الامارات، وأكون استمراهم في بيئاتهم يعتبر حرماناً للمجتمع من اقتصاديات هذا القطاع، وكذلك ضرورة تكامل القطاع الانتاجي البدوي مع الاقتصاد القومي في دولة الامارات، كل ذلك دفع بالمخطلين للتنمية الشاملة أن يوجهوا الاهتمام إلى تنمية البدو والريف بشكل عام.

لقد دخل الاقتصاد البدوي في أزمة في المرحلة الراهنة التي يعيشها مجتمع الامارات، فبعد أن كان البدوي يشعر بالاكتفاء الذاتي تقريراً، أصبح الآن يعتمد اعتماداً كبيراً على المناطق الحضرية في طعامه، وملابسه وحاجاته الأخرى. فهناك عدم تكافؤ بين الاقتصاد البدوي والاقتصاد الحضري مما أدى إلى اختلال التوازن الذي كان قائماً من قبل بين الحاجات البشرية، وبين القطاعات الانتاجية ومستويات الدخل. بالإضافة إلى ما واكب الأزمة الاقتصادية من أزمة اجتماعية لحقت بالروابط القبلية بين جماعات البدو.^(٢٤) فانتشار التحضر واتساع نطاق المدينة جذب مجموعات كبيرة من السكان إلى الاستقرار، وقد رافقت حركة النمو العمراني السريع والتي شهدتها مجتمع الامارات في الفترة الأخيرة، وكنتيجة لذلك برزت مشكلات عدّة أهمها :-

- ١ - اهمال الزراعة في المناطق الزراعية والرعوية واتجاه الكثير من الذين كانوا يعملون بها إلى العمل في القطاع الحضري.
- ٢ - اتجاه أصحاب المزارع إلى بيع الأراضي بعد تجريدها من الأشجار لغرض بناء العمارت.
- ٣ - تخلل النظام الاقتصادي التقليدي لحياة البدو وهذا واضح من نقص الثروة الحيوانية، وقلة العناية بها، ثم إقبال أصحابها على بيعها في مجموعات كبيرة لعدم وجود من يهتم برعايتها، وإقبال هذه المجموعات على الأعمال في القطاعات المدنية ذات المردود الريحي المرتفع. وكذلك الإقبال الشديد على تبيع الحيوانات لسد حاجة الطلب على اللحوم. وقد أثر هذان العاملان تأثيراً كبيراً على اقتصاديات البلاد بصفة عامة مما اضطر هذه الدول أخيراً إلى استيراد اللحوم والأغذية من الخارج لتلافي هذا النقص.^(٢٥)
- ٤ - اشتداد موجات الهجرة من الريف والبادية إلى المدن الرئيسية لتتوفر فرص العمل بها، مما تسبب في إهمال الريف والبادية وافتقارها لكثير من الأيدي العاملة في ميدان الزراعة والرعوية.
- ٥ - ازدحام المدن بالسكان وحصول الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بها، بالإضافة إلى الأعداد الكبيرة التي أخذت تتواجد على هذه الأقطار من الخارج.

ومما شجع على هجرة البدو في الإمارات :-

- ١ - الشركات البترولية، والتي وسعت أعمالها نتيجة لزيادة إنتاج البترول لتلبية الطلب العالمي المتزايد.

- ٢ - اتساع القطاع الحكومي بمؤسساته التعليمية والاجتماعية والخدمية نتيجة توجيهه جانب من العائدات البترولية نحو بناء هذه المؤسسات.
- ٣ - نمو واتساع القطاع الخاص - وبصورة سريعة مما أدى إلى خلق وظائف وأعمال مختلفة شجعت فئة كبيرة للعمل فيها، وفي عام ١٩٧٣ بدأت مرحلة جديدة في الهجرة الداخلية أو الخارجية، نتيجة لاتساع المشاريع الصناعية والعمارية والاقتصادية في البلاد على الرغم من أن الصناعة البترولية بقيت المحرك الأساسي للنشاط الاقتصادي، ومما تجدر الاشارة إليه أن انتاج وتصدير البترول في دولة الامارات والأقطار الخليجية الأخرى خلق أنواعاً من الاستخدام :-
- (١) الاستخدام المباشر في العمليات النفطية المختلفة من استكشاف وانتاج وتصدير.
- (٢) الاستخدام غير المباشر، عن طريق توفير السلع والخدمات للصناعة.
- (٣) الاستخدام من خلال الأعمال التي تخلقها الحكومات لتوزيع عوائد البترول (الأجهزة الادارية الحكومية وبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية).
- ولم تستطع اقتصاديات البترول أن توفر الاستخدام إلا لعدد محدود من سكان الامارات، وهذا يرجع جزئياً إلى طبيعة انتاج النفط الذي يعتمد على كثافة رأس المال مع الحد من استخدام اليد العاملة ولو أن المصدر الرئيسي لزيادة فرص الاستخدام في دولة الامارات والأقطار الخليجية كان نتيجة برامج التنمية الحكومية. فالتأثير الرئيسي للتنمية القائمة على النفط، هو أنه بالرغم من توفيره الفرصة (للتصنيع والتنمية الزراعية) إلا أنه شجع بطرق متقاربة على زيادة الاستخدام المؤقت وغير المنتج وبالذات في القطاعات الثلاثة الآتية:-
- (١) الوظائف الحكومية.
- (٢) قطاع الخدمات.
- (٣) قطاع البناء.
- وبنتيجه لاتساع ظاهرة الهجرة من البايدية إلى مراكز المدن واستقرار السكان فيها، أولت الدولة أهمية كبيرة إلى المناطق التي استقر بها البيو ومن أهم الاجراءات المباشرة التي شرعت بها الدولة لتنمية المناطق البدوية الريفية هي كالتالي :-
- ١/ بناء مساكن لنوى الدخل المحدود في كل أرجاء المجتمع.

- ٢/ انشاء الأسواق والتعاونيات الاستهلاكية في هذه المناطق لتسهيل الحياة الاجتماعية لهم.
- ٣/ الاهتمام بمبراذن التنمية النسائية لرفع المستوى الثقافي والحضاري للمرأة.
- ٤/ دعم وتطوير الحرف التقليدية للنساء لاستقادة منهن كفة عاملة مهمة في المجتمع.
- ٥/ تشجيع البدو على تربية الحيوانات في المناطق البدوية الريفية لأجل تهيئتهم تدريجياً للتحول من مجتمعاتهم التقليدية إلى حرف جديدة، ثم العمل على تغطية احتياجات السكان من اللحوم والحليب وبأرخص الأسعار هذا بالإضافة إلى جعل هذه الشريحة من السكان تحافظ على أحد مصادر الدخل للبدو، وكذلك الحد من هجرة سكان المناطق البدوية الريفية إلى المراكز الحضرية في المدن لكتافة السكان العالية فيها.

٦/ اتخاذ الاجراءات الهادفة للمحافظة على مساحة المنطقة المزروعة في المناطق البدوية الريفية على اعتبارها مصادر مهمة للزراعة في البلد.

فالهدف الأساسي من عملية التوطين وتنمية الجماعات البدوية هو مساعدة السكان البدو على التكيف مع اسلوب الحياة الحضرية الجديدة مع المحافظة على العناصر التقليدية. وتتضمن الأهداف المحلية الاتحادية إنتاج السلع الزراعية القائمة على الطلب، واستغلال المصادر الطبيعية المحلية المتوفرة وتنوع مصادر الدخل، وأصبح بإمكان البدو في المناطق البدوية الريفية - وطى سبيل المثال - في أبوظبي تكييف وتوسيع النشاط الزراعي للمحافظة على الجانب التقليدي من القيم الاقتصادية والاجتماعية. بالرغم من استخدام المزارعين الآلات الزراعية والوسائل التكنولوجية الحديثة، حيث يبقى المجتمع محافظاً على قيمه التقليدية رغم استخدامه للآلات والآلات في حياته اليومية سواء في البيت أو العمل.

منذ عام ١٩٧٤ قامت حكومة أبوظبي بمشروعات زراعية في المناطق البدوية الريفية، وتضاعفت هذه الجهود بعد عام ١٩٧٧ حيث بدأت الدولة تمنع البدو أراضي زراعية مجاناً، ويتولى الدولة تكاليف الحفر، والأعمال المتعلقة بالري وتحصيّب التربة، والتسييج ومصدات الرياح. بالإضافة إلى تقديم خدمات الإرشاد والتوجيه لزراعة الخضروات حيث يمتلك البدوي خبرة في زراعة النخيل، ويتم تزويدهم بالبنور والشتولات والأسمدة ومبيدات الآفات والвшeras.

٧/ توفير فرص العمل الملائمة في المناطق البدوية الريفية لأجل توطينهم واستقرارهم بها.

ومما لا شك فيه أن العوائد المالية لأبوظبي التي نتجت عن زيادة الانتاج في النفط كانت عاملاً مهماً للتطوير والنمو الاقتصادي في هذه الامارة وبقية الامارات الأخرى.

وبعد هذه النظرة التحليلية للبداوة والتوطين في مجتمع الامارات وجدنا من الضروري يمكن أن نشير إلى أحد المشاريع التي اهتمت بها الدولة، والذي يمكن أن يكون نموذجاً للمشروعات الإنمائية المتعددة التي انتشرت في أرجاء المجتمع.

إقليم المنطقة الشرقية لامارة أبوظبي *

يعتبر إقليم المنطقة الشرقية لامارة أبوظبي، والذي تصل مساحته إلى حوالي ٢١٠٠٠ كم^٢ أي ما يعادل ٢٥٪ من إجمالي مساحة امارة أبوظبي، وهو ما يساوي تقريباً ٢٠٪ من مساحة دولة الامارات العربية المتحدة من بين مشروعات التوطين الهامة للبداوة، بالنظر لسعة مساحته والجامعة التي شملتها عملية التوطين.

لقد قامت دائرة تخطيط المدن بالعين في عام ١٩٨٦ بدراسة للمشروعات التنموية في المناطق الريفية والبدوية، والتي قامت بها الدولة الاتحادية، ولقد كان هدف هذه المشروعات هو التحول الشامل في حياة الجماعات البدوية، حيث شمل هذا التحول الجانب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي على حد سواء.

فلقد بني مشروع تنمية الإقليم الشرقي لامارة ابوظبي على سياسات وأهداف واضحة تسعى إلى تنفيذ عمليات التنمية العمرانية بصورة تحقق مجتمع الرفاهية، وتيسير وسائل الحياة العصرية لمواطن الدولة، كذلك خلق فرص للعمل ومصادر للزراعة، لأجل توفير الشروط الأساسية والضرورية للحياة الحضارية الحديثة التي تسعى إليها دولة الامارات.

ومن أهم السياسات التي تبناها منفذوا هذا المشروع هي كالتالي :-

- ١ - حصر مناطق استقرار البدو في مختلف أجزاء الإقليم وتحديد مناطق الاستقرار التقليدية التي ارتبطت بموقع المياه الصالحة للشرب، ومناطق المداعع.

* اعتنىت هذه الدراسة على درجة دائرة تخطيط المدن بالعين، «استراتيجيات التنمية الريفية - الإقليم الشرقي لمدينة أبوظبي» ١٩٨٦ بدراسة تطبيقية.

٢ - مسح الاراضي وتوزيعها على المواطنين على شكل قسائم زراعية في نفس موقع الاستقرار القديمة، ثم بناء المساكن الحديثة لهم، حيث يخصص لكل أسرة مسكن ومنزلا يتم استصلاح أراضيها. وتحفر بها الآبار لتوفير مياه الري. وبينما على ذلك قامت مجموعة من القرى الزراعية في مختلف أنحاء «الإقليم»، ومعظمها قام في مناطق الاستقرار التقليدية (انظر الجدول رقم ٦)، وكذلك على جانبي الطرق الرئيسية التي تربط مدينة العين (حاضرة الإقليم) ومركزه، وبين مدن الامارة والامارات الأخرى. كطريق أبوظبى- العين وطريق العين - «دبي»، والطريق الجنوبي الذي يمتد من مدينة العين وحتى الحدود الدولية جنوباً مع المملكة السعودية، ولقد تم توفير الخدمات الأساسية كالعيادات الطبية والمدارس والمساجد والكهرباء والمياه. وفي بداية عام ١٩٨٠ تطور هذا المشروع، حيث بدأت المرحلة الجديدة لتنميته وتطويره، ونتائج عن ذلك احتفاء القرى الصغيرة والبيوت المكونة من العشيش فعلى سبيل المثال اختلف بعض القرى مثل (زعالة والنقرة على طريق ابوظبى وانتقل سكانها لقرى اليمر والسداد).

٣ - احتفاء قرى أمثل (طواه، ويدع خليفة، وأم البنادق، والقطارة، وانتقل سكانها للخزنة ودمام واليحر). ولقد كون نجاح هذا المشروع حافزاً للمسؤولين والمخططين إلى استحداث مشروعات لتوطين البدو في الإقليم الشرقي لامارة ابوظبى، ومن خلال هذه المشروعات تمكنت الدولة من خلق قاعدة انتاجية تضفي رحماً إلى العملية التنموية الشاملة التي تسعى إليها الدولة.

ومن خلال تقييمنا لهذا المشروع في تنمية وتوطين البدو اتجه المخططون إلى ترشيد التنمية، والنهضة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية ضمن خطة علمية مدروسة تحقق التنمية المتوازنة. لذلك نجد اتجاه المخططين تحول إلى الاهتمام في وضع أساس شامل لمدينة العين واقليمها خططاً له حتى عام ٢٠٠٠. واعتمدت هذه الخطة على دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية وبصورة شاملة لكل مكونات الإقليم وموارده الطبيعية والبشرية ووفق الاستراتيجية التالية :-

- ١ - تحديد حدود التنمية الحالية بالقرية واستخدامات الأرضي الحالية.
- ٢ - بناء على تطور حجم سكان القرية تم تحديد مناطق الاسكان الجديدة وصنفت أنواعها كالتالي :-

أ - مساكن شعبية للمواطنين.

- ب - قسائم سكنية خاصة للمواطنين.
 - ج - قسائم استثمارية لإسكان الأسر غير المواطن.
 - د - مناطق اسكان العزاب من غير المواطنين وحددت عدد الوحدات المطلوبة حتى سنة ٢٠٠٠.
- ٣ - تحديد موقع خدمات المجتمع واحجامها حسب حجم القرية وتطورها المتوقع حتى سنة ٢٠٠٠.
- ٤ - تحديد مناطق الامتدادات الجديدة المتوقعة..

ولقد استطاع هذا المشروع أن يحقق نجاحاً كبيراً لذا كان رائداً في التنمية البدوية الريفية في المنطقة، وتنبع عن هذه الاستراتيجيات أنماط استيطان بالإقليم ترتكز على توفير فرص العمل وتنمية الامكانيات لتنمية الموارد الطبيعية، إذ من المتوقع ازيداً نصيب المناطق الريفية من العمالة من (١٢٪) فرصة عمل ١٩٨٥ إلى ١٧٪ وظيفة سنة ٢٠٠٠) ويفترض أن تستمر الزراعة لتمثل القاعدة الاقتصادية الرئيسية للاستقرار الريفي، بجانب نمو فرص العمل في قطاعات أخرى كالقطاعات الصناعية، والخدمات الزراعية كالتخزين والتقطيع والتوزيع والتسويق للمنتجات الزراعية، البقالات والجرارات والخدمات التعليمية والصحية، بجانب خدمات الشرطة والمطافئ وخدمات البلدية وخدمات الصناعات الخفيفة.

وبناء على هذا التطوير والنمو الاقتصادي الذي تشهده المنطقة الريفية لمدينة العين، تتوقع هذه الدراسة أن يزداد سكان الريف من (٢٧٩٦٠) نسمة في ١٩٨٥ إلى (٤٧٥١٠) نسمة في سنة ٢٠٠٠ أي زيادة تصل إلى أكثر من ٧٪ خلال الثلاث عشرة سنة القادمة، وهي ظاهرة تختلف عن تلك الظواهر المشابهة في أغلب دول العالم الثالث، حيث يهجر السكان الريف، وبهاجرون إلى المدن مما يسبب الكثير من المشكلات السكانية، التي تحاول مشروعات التنمية الريفية والبدوية في الإمارات أن تتجاوزها.

النتائج والتوصيات :-

تعتبر الجماعات البدوية اليوم المصدر الأساسي الذي يحمل تراث وقيم هذا المجتمع، ويحافظ عليه في وجه الغزو الثقافي المتمثل في ثقافة المهاجرين من العمالة الأجنبية إلى دولة الإمارات هذا إلى جانب أن البداوة تستطيع أن تمثل خط الدفاع الثاني لحماية الموروث الشعبي والعناصر الثقافية الخاصة بمجتمع

الامارات.

ومن النتائج والتوصيات لهذه الدراسة مايلي :-

١ - لابد من توفير البيئة الملائمة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً للجماعات البدوية ومن ثم استيعاب أهمية التغيرات والتفاعلات التي حدثت على نطاق المجتمع البدوي.

٢ - التركيز على التنمية الاجتماعية والثقافية بحيث يتلاءم مع طبيعة المجتمع البدوي، من حيث بيته الصحراوية وقيمه الموروثة التي يعتز بها.

٣ - تحسين وتطوير الجوانب المادية والمعنوية في المجتمع البدوي وذلك من خلال توجيه الفرد، ودفعه للمساهمة في بناء الحياة الحضرية الجديدة، وتمكينه مادياً ونفسياً من التعلم بشرماتها.

وهذا يتطلب تنمية شخصية الفرد وتوجيهه بطريقة سلية كذلك مساعدته على التكيف مع العلاقات الاجتماعية الجديدة^(٢١).

٤ - رفع مستويات الوظائف الاجتماعية، بحيث تتلامس مع التحولات الجديدة، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، ويقتضي هذا تغيير بعض أنماط السلوك والعادات والتقاليد التي تتلاءم مع البيئة الحديثة. كذلك ترسیخ القيم التقليدية والمحافظة عليها.

٥ - تغيير أوجه الخدمات الاجتماعية المقدمة لهذه الشريحة السكانية وذلك من خلال تعديل سياسة العمل الاجتماعي بشكل عام في دولة الإمارات، فالانتظرة إلى العمل الاجتماعي لايمكن أن تبقى مرتبطة بتقديم الخدمات والمساعدات الاجتماعية من اسكان ورعاية متميزة، وخدمات تعليمية وصحية من منطلق العطف والاحسان. وإنما لابد أن ترتبط هذه السياسة بتغيرات أساسية إرادية لدى الأفراد، وتحسين رغبهم في هذه التغيرات.

إذ اتضحت أن الخدمات الاجتماعية التي قدمت للجماعات البدوية ركزت على سياسة مساعدتهم بدلاً من تمكينهم من مساعدة أنفسهم وجعلهم عنصراً إيجابياً لتشريع الانكالية بينهم.

لابد من بذل الجهد لتسيير القاعدة الاقتصادية لل الاقتصاد البدوي والريفي في دولة الإمارات، وذلك من خلال وضع برامج مصممة بصورة

علمية للتنمية الريفية المتكاملة. فبرامج تنمية الباادية والريف المكيفة طبقاً للحاجات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية من شأنها أن تحقق نوعاً من التوازن بين مكونات البنية الاجتماعية والبيئية للامارات.

الاهتمام بالاحصاءات السكانية المفصلة، حيث يقاس تطور الأمم بمدى دقة احصاءاتها خاصة بالسكان فهو وطبيعة انشطتهم ومدى مساعدة انتاجيتهم في الدخل القومي لمجتمع الامارات.

ملحق رقم (١)

جملة ريف الامارات (الأسر، النوع) جدول رقم (٢)

| جملة | الجنس | | عدد الأسر | البيان الامارة |
|---------------|--------------|---------------|--------------|-------------------|
| | انثى | ذكر | | |
| ١٠٦٩٤ | ٢٠٤٥ | ٨٥٩٤٩ | ٩٣٢٣ | أبوظبي |
| ١٢٧٣٥ | ٢١٣٢ | ١٠٦٠٣ | ١٣٧٨ | دبي |
| ٢٣٦٩٤ | ٩٦٣٠ | ١٤٠٦٣ | ٤٨٣٠ | الشارقة |
| ٢٤٣٩ | ٩٣١ | ١٥٠٨ | ٤٨٩ | عجمان |
| ٢٧٧٨ | ٩١٠ | ١٨٦٨ | ٤٧٨ | أم القيوين |
| ٢٢٤٥٦ | ١٢١٦٣ | ٢٠٢٩٣ | ٥٧٩٨ | رأس الخيمة |
| ١٩٤٨٣ | ٧٢٦٩ | ١٢٢١٤ | ٢١٣٧ | الفجيرة |
| ١٩٩٦٨٠ | ٥٣١٨٠ | ١٤٧٤٩٨ | ٢٥٤٣٤ | جملة |

(١) المصدر : أخذ بتصرف من دولة الامارات العربية المتحدة، وزارة التخطيط، الإداره المركزية للإحصاء، التعداد العام للسكان ١٩٨٠، الجزء الثالث، يونيو ١٩٨٢، من ص ٣٣ - ٥٤.

قرى الجزء الجنوبي من الأقليم على طريق الوجن جدول رقم (٣)
(١٩٨٠)

| نوع المساكن | | عدد السكان | القرية |
|-------------|-------------|------------|-----------|
| عشش | مساكن شعبية | | |
| ٤٠ | ١٦٠ | ١٢٦٠ | الوجن |
| ٢٠ | - | ٢١٠ | زعبه |
| ٧ | - | ٧٠ | العقير |
| ٥ | - | ٣٠ | سيح سحم |
| ١٠ | - | ٨٤ | المراد |
| ١٢ | - | ١٠٥ | الخميس |
| ٥ | - | ٤٥ | وحة خراز |
| ٤ | - | ٣٠ | سيح عمران |
| ١٧٠ | ١٠٠ | ١١٩٠ | القوع |
| ٢٨٣ | ٢٦٠ | ٣٠٢٤ | المجموع |

قرى الجزء الشمالي من الأقاليم على طريق دبي جدول رقم (٤)
(١٩٨٠)

| نوع المساكن | | عدد السكان | القرية |
|-------------|-------------|------------|--------------|
| عشش | مساكن شعبية | | |
| ٧٠ | ٦٠ | ٧٠٠ | العوه |
| ٢٠ | - | ١٢٠ | الطوية |
| ١٤ | - | ١١٠ | مساكن |
| ١٦ | - | ١١٢ | بدع بن مسعود |
| ١٠ | - | ٧٠ | الهرمة |
| - | ٦٢ | ٥٠٠ | الهير |
| ٥٠ | - | ٤٠٠ | اليفار |
| ٦ | - | ٥٠ | القطامية |
| ٧ | - | ٥٦٠ | معيشق |
| ٢٠ | - | ١٦٠ | سفوان |
| ٣٠ | ٢٠ | ٣٠٠ | الفقوع |
| ١٥ | - | ١٢٠ | بدع بن أحمد |
| ٧ | - | ٤٠ | العيير |
| ٨ | - | ٦٥ | يخصن |
| ٥٠ | ٥٠ | ١٠٠٠ | سوحان |
| ٧٥ | ٧٢ | ٧٠٠ | الشويب |
| ٣٩٨ | ٢٦٤ | ٤٩٠٧ | المجموع |

بحوث ودراسات

قرى الجزء الشمالي من الأقليم على طريق دبي جدول رقم (٥)
(١٩٨٠)

| نوع المساكن | | عدد السكان | القرية |
|-------------|-------------|------------|-------------|
| عشش | مساكن شعبية | | |
| ٢٠ | ٤٥٠ | ٣٠٠ | السليمات |
| - | ١٤٥ | ١٠٠ | البحر |
| - | ٣١ | ٢١٠ | ابوسمره |
| ٨ | - | ٧٠ | زعده |
| ٢١ | - | ٢٠٠ | القرين |
| ١٥ | - | ١٠٥ | النقرة |
| ٣٦ | ٥٠ | ٢٤٥ | الساد |
| ١٠ | ٨٠ | ٦٣٠ | الخزنة |
| ٩ | - | ٧٠ | طراء |
| ١١ | - | ٨٠ | بدع خليفه |
| ١٢ | - | ٨٤ | أم البنادق |
| ١٠ | - | ٥٦ | القطارة |
| ٧ | - | ٤٢ | بدع العوامر |
| ٥ | - | ٣٥ | الجرابي |
| ٦ | - | ٤٠ | مجايل |
| - | ٦٠ | ٤٥٠ | رماح |
| ١٠ | - | ٥٠ | بارطاء |
| ١٨ | - | ١٠٠ | بنيب |
| ١٩٨ | ٧٦٦ | ٣٧٦٧ | المجموع |

قرى الجزء الشرقي من الأقليم على طريق
مزید / أم غافة ١٩٨٠ جدول رقم (٦)

| نوع المساكن | | عدد السكان | القرية |
|-------------|-------------|------------|---------|
| عشش | مساكن شعبية | | |
| ٤٠٠ | ٩٠ | ٣٤٣٠ | مزید |
| ٢٢ | ٩٧ | ٦٥٠ | أم غافة |
| ٣٦ | - | ١٧٥ | صلع |

تابع جدول رقم (٦)

| نوع الساكن | | عدد السكان | القرية |
|------------|-------------|------------|----------|
| عشيش | مساكن شعبية | | |
| ١٥ | - | ١٠٥ | الغرافية |
| ٢٤ | - | ١٤٠ | ملقط |
| ٥٠ | - | ٣٥٠ | مراغ |
| ٥٣٧ | ١٨٧ | ٤٨٥٠ | الاجمالي |

توزيع خدمات المجتمع بالمناطق الريفية جدول رقم (٧)

| نصنف القرية | حجم السكان (١) | الخدمات الأدنى من خدمات المجتمع | (٢) |
|----------------------|--|--|--|
| ١ - قرى صغيرة | ٢٠٠ - ١٠٠٠ مواطن | روضه اطفال عيادة طيبة ومئهم من غير المواطنين | نفس مجموعة الخدمات أعلاه بالإضافة للكثير: مدرسة ابتدائية (بنين وبنات) مسجد ومنطقة مفترحة ملعب للأطفال ٤ - دكاكين صغيرة |
| ٢ - قرى كبيرة | ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ مواطن | ٢٠٠٠ - ٤٠٠٠ مواطن وما يعادلهم من غير المواطنين. | نفس مجموعة الخدمات أعلاه بالإضافة للآتي: مدرسة اعدادية (بنين وبنات) - حديقة محلية - زيادة الدكاكين إلى ١٠ |
| ٣ - قرى خدمات رئيسية | حوالى ٤٠٠٠ مواطن وما يعادلهم من غير المواطنين. | حوالى ٤٠٠٠ مواطن وما يعادلهم من غير المواطنين. | صالات متعددة الأغراض أو مراكز شباب ورياضة. مكتب بريد وفرع البلدية زيادة الدكاكين بما يتاسب وحجم القرية. |

المصدر : دراسات المخطط الأساسي لمدينة العين واقتيمها حتى سنة ٢٠٠٠ (دائرة تخطيط المدن)

ملحوظة : (١) السكان حسب تواجدهم بالقرية نفسها والمنطقة التي تخدمها (ظهورها).
(٢) تشمل السليميات وأم غافقة.

(٣) رماح والبدر مع تلك المناطق التي ادخلت فيها مدارس اعدادية وثانوية.. كالعجبن والبدر (على طريق دبي) ومزيد.

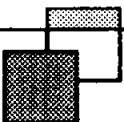
ملاحظة هامة - حجم وعدد رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ليس منسوباً فقط لعدد سكان المنطقة وظهورها بل لتشتت سكان هذا الظهور ومجموعة التجمعات السكانية الواقعة فيه.

- ١ - احتسبت بتصرف من : دولة الامارات العربية المتحدة، وزارة التخطيط المركبة العامة للإحصاء، التعداد العام للسكان ١٩٨٠ ج ٣ يونيو، ١٩٨٢ من ٣٢.
- ٢ - مصطفى عبدالرحيم وأخرون : جغرافية الوطن العربي للصف الثاني الاعدادي، دولة الامارات العربية المتحدة، وزارة التربية والتعليم، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ من ٩٤.
- ٣ - مقدمة ابن خلدون، الطبعة الرابعة، دار القلم، بيروت - ١٩٨١ من ١٢١.
- ٤ - محى الدين صابر ولويس كامل ملكه : البيو والبداوة «مفاهيم ومنافع» منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦ من ١٨.
- ٥ - عباس أحمد : المجتمعات البدوية «مقدمة عامة بالإشارة إلى مجتمعات سودانية وخليجية وعربية أخرى» مكتبة المكتبة ١٩٨٢ - من ٢٤.
- ٦ - نبيل صبحي حنا : «المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي - دراسات نظرية وميدانية - الطبعة الأولى - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٤ - من ٥١ - ٨٢.
- ٧ - المرجع السابق من ٦٠ - ٨٢.
- ٨ - المرجع السابق من ٧٠.
- ٩ - حيدر إبراهيم علي : ادماج المرأة في خطط التنمية «مشاكل وامكانيات» المؤتمر الاقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية، ٢١ - ٢٨ - ٢٠ مارس ١٩٨١ - الكويت ١٩٨٢ - من ٣٧.
- ١٠ - المرجع السابق من ٤٠.
- ١١ - محمد الرميحي : البحرين - مشكلات التغير السياسي والاجتماعي - دار ابن خلدون - الطبعة الأولى ١٩٧٦ - من ٤.
- ١٢ - علي السوردي : منطق ابن خلدون في صورة حضارته وشخصيته، الشركة التونسية للتوزيع - ١٩٧٧ - من ٨٢.
- ١٣ - محمد الرميحي : التشكيل المتزامن والتنمية التابعة - دراسة في الجوهر العام والمشترك لأقطار الخليج النفعية، ندوة الإطار الفكري للعمل الاجتماعي العربي - المعهد العربي للتخطيط، ومنظمة العمل العربية والدائرة الاجتماعية العامة لجامعة الدول العربية - ٢٦ - ٢٩ سبتمبر ١٩٨١ - من ٦.

بحوث ودراسات

-
- ١٤ - محمد الرميحي : المرجع السابق - ص .٨
 - ١٥ - محمد الرميحي : المرجع السابق - ص .١٠
 - ١٦ - محمد الرميحي : المرجع السابق - ص .١٢
 - ١٧ - ايف لاكيست : ابن خلدون - ترجمة ميشال سليمان - دار ابن خلدون - الطبعة الثانية ١٩٨٧ - ص .٢٥
 - ١٨ - من الملاحظ أن ابن خلدون يقدم تطليلاً حول الفروق بين المجتمعات ذات النمط الانتاجي القبلي لشمال افريقيا، وبين المجتمعات التي ساد فيها نمط الانتاج الآسيوي (المصر والهند والصين وأسبانيا الإسلامية).
 - ١٩ - ناجي صادق شراب : دولة الامارات العربية المتحدة - دراسة في السياسة والحكم - مؤسسة الاتحاد أبوظبي ١٩٨٢ - ص .٢٤١
 - ٢٠ - محمد عليقطان : الدراسات الاجتماعية في المجتمعات البدوية - دار البلاد - جده - ١٤٠٥ - ص .٢٤
 - Haralambos, M, Sociology , Themes and perspective University, Tutorial Press - ٢١ Limited, 1980. p.10.
 - ٢٢ - علي خليفة الكواري : نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة - مركز دراسات الوحدة العربية - الطبعة الأولى ١٩٨٥ - ص .٣٣
 - ٢٣ - أحمد كمال أبوالمجد وأخرين : دولة الامارات العربية المتحدة - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحث والدراسات العربية ١٩٧٨ - ص .١٠٣ .
 - ٢٤ - خزعل مهدي الجاسم : توطين البدو والتنمية القومية - مجلة آفاق اجتماعية - العدد الثاني عشر - ١٩٨٢ - ص .٨
 - ٢٥ - خزعل مهدي الجاسم : المرجع السابق.
 - ٢٦ - خليفـةـ الكـوارـيـ : نحوـاستـراتـيجـيـةـ بدـيلـةـ - مـرجـعـ سـابـقـ - ص .١٠٧

آراء وأفكار



منجزات معهد التنمية الادارية ومشكلاته في دولة الامارات العربية المتحدة (١٩٨١ - ١٩٨٩م)

بقلم/الدكتور
اسكندر بشير *

تعالج هذه الورقة نتائج التدريب ومشكلاته في دولة الامارات العربية المتحدة، خاصة التجربة التي مر بها معهد التنمية الادارية منذ تأسيسه عام ١٩٨١م حتى ١٩٨٩.

لقد انشئ معهد التنمية الإدارية بموجب القانون الاتحادي رقم (٢) في ٨١/٦/١٣ كهيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية ومرتبطة برئيس مجلس ادارة الخدمة المدنية.

وقد حدد القانون أربعة أهداف رئيسية للمعهد هي^{(١):-}

* استاذ الدراسات العليا - كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية - الجامعة اللبنانيّة.

- ١ - دعم التنمية الإدارية في الدولة عن طريق رفع كفاية الموظفين بما يكفل أداء الأعمال المنوطة بهم.
 - ٢ - تطوير أجهزة التنظيم الإداري ونظامه واجراماته.
 - ٣ - دراسة المشاكل الإدارية واقتراح الحلول المناسبة لها.
 - ٤ - نشر المعرفة الإدارية وتبادلها داخل الدولة.
- أولاً : سياسة المعهد وأنشطته:

رغم أن قانون إنشاء المعهد قد صدر في ١٩٨١/٦/١٣ فإن مباشرة المعهد لمهامه المهنية لم تبدأ حتى مطلع عام ١٩٨٢ وذلك بعدما استكملت لديه إلى حد ما العناصر الفنية والإدارية من قوى بشرية وتجهيزات مادية.

استهل المعهد أعماله بعقد ندوتين الأولى في أبريل والثانية في يونيو من عام ١٩٨٢ تحت عنوان «استراتيجية التنمية الإدارية» حضرها وكلاء الوزارات وبعض كبار المسؤولين بقصد تحديد المشكلات التي تواجه الإدارة والتي على ضوئها يمكن للمعهد أن يضع برامج الأنشطة التي تتوافق مع احتياجات الوزارات واللوائير المحلية، وقد روعي في تصميم هاتين الندوتين معالجة العناصر التالية^(٤):

- توضيح أهداف المعهد التي تتجسد في دعم عنصر الإدارة من خلال رفع كفاءة الموظفين ومستوى الأداء.
- تبيان سبل التنمية الإدارية المطلوبة لأحداث التغيير عبر مجالات التدريب والبحوث والاستشارات.
- تحديد المستويات الإدارية وتقرعاتها التي يمكن أن تستفيد من خدمات المعهد وفقاً لخطة متكاملة.

وعلى ضوء نتائج الندوتين تم إعداد أول خطة تدريبيةنفذت اعتباراً من سبتمبر ١٩٨٣ وشملت ثلاثة برامج: إدارة الأفراد (مكرر)، الإدارة المالية والعلاقات العامة.

واستمرت عمليات وضع خطط البرامج السنوية والعمل على تنفيذها حتى الوقت الحاضر بالتركيز على تدريب الموظفين الملتحقين بالعمل وعلى إقامة بعض الندوات معالجة موضوعات معينة بين الفترة والأخرى، وكانت فترات برامج التدريب تتراوح بين أسبوع وثلاثة أسابيع أما الندوات فكانت تتحصر أوقاتها في يوم واحد أو يومين.

اتبع المعهد في منهجه وضعه لخطة التدريب السنوية - وبالاستناد إلى خبرات مماثلة في هذا المجال لدى بعض مؤسسات التدريب العاملة في دول المنطقة - القيام

بتزويد الوزارات والدوائر بقوائم مسبقة حول البرامج التي يمكن طرحها، طلباً من هذه الأجهزة تحديد احتياجاتها من هذه البرامج، وتقعاتها لإعداد المرشحين الذين يمكن التحاقهم بكل برنامج من البرامج المختارة، تلك البرامج التي ترغب الوزارة أو الدائرة اضافتها. وبعد تسلم أجوبة الوزارات والدوائر تقوم إدارة المعهد باستعراض الطلبات ودراستها، لرفعها لمجلس الإدارة لقراراتها. كما أن المعهد يتبع سياسة مرتنة في تنفيذ الخطة السنوية، خاصة بتلبية بعض الطلبات باقامة دورات خاصة لبعض الأجهزة خارج نطاق الخطة المعتمدة التزاماً منه بتعظيم خدماته ضمن الامكانيات المتوفرة لديه.

وتتصف سياسة المعهد وتوجهاته بشكل عام - في وضع وتنفيذ خطط التدريب والبرامج الخاصة - بأنها مبنية على اشتراك الوزارات والدوائر المعنية بابداء رغبتهما في اختيار أو طرح البرامج التي تراها مناسبة لتلبية احتياجاتها، دون التطرق هنا إلى بحث جدوى وفعالية هذه البرامج. كما أن المعهد يحاول تكراراً عبر الزيارات الميدانية، إقامة الندوات مع كبار المسؤولين والمعنيين للتعرف عن كثب على الاحتياجات التدريبية، ترخيلاً لوضع البرامج العملية واستعمال الوسائل التدريبية الملائمة.

وقد تمكّن المعهد بجهاز فني لم يتجاوز في وقت من الأوقات حدود ستة الأشخاص وبالتعاون جزئياً مع بعض الكفاءات العلمية والإدارية المتوفرة في الدولة وخارجها من اقامة (١٧٩) برنامجاً وبنوة اشتراك فيها (٣٩٨٨) متدربياً منذ بداية العمل في المعهد عام ١٩٨٣ وحتى نهاية عام ١٩٨٩، وفق الجدول التفصيلي التالي^(٢):

بيان بعدد البرامج والندوات والمتدربين منذ عام ١٩٨٣ وحتى نهاية ١٩٨٩

| السنة | عدد البرامج والندوات | عدد المشاركين |
|--------|----------------------|---------------|
| ١٩٨٣ | ٦ | ٩٥ |
| ١٩٨٤ | ١٨ | ٣١٤ |
| ١٩٨٥ | ٢٧ | ٤٠١ |
| ١٩٨٦ | ٢٠ | ٨٢٨ |
| ١٩٨٧ | ٢٨ | ٨٩٤ |
| ١٩٨٨ | ٢٨ | ٩٨١ |
| ١٩٨٩ | ٢٢ | ٤٧٥ |
| اجمالي | ١٧٩ | ٣٩٨٨ |

يتضح من هذه الاحصائيات أن عدد البرامج وكذلك المشاركين، كان يزداد بشكل مطرد سنة بعد سنة، مما يشير إلى مدى التوسيع والنمو الذي طرأ على أنشطة المعهد، تجاريأً مع المتطلبات المتزايدة للتدريب، كما أن هذه الاتجاهات تعكس أيضاً المزيد من الوعي من قبل أجهزة الدولة - بأهمية التدريب ودور المعهد في هذا المجال.

أما أهم البرامج والتدورات التربوية التي اضطاع المعهد بتنفيذها وكرر بعضها في خططه السنوية وفقاً لمتطلبات الوزارات والدوائر فهي كالتالي:-

ادارة الأفراد، تطبيقات الخدمة المدنية، العلاقات العامة، الشؤون القانونية، تخطيط القوى العاملة، الادارة المالية، المحاسبة الحكومية، المهارات الادارية، التنظيم والاساليب، كتابة الرسائل والتقارير، الطباعة والسكرتارية، تحليل المشكلات الادارية، ندوات استراتيجية التنمية الادارية، مسؤولو التدريب، الاحتياجات الادارية، وغيرها.

إن وضع البرامج التربوية وتنفيذها يقع على عاتق إدارة التدريب وخصوصاً جهازها الفني، بما فيه من الباحثين المواطنين. ولكن برنامج تربوي منسق علمي وباحث يتم اختياره على ضوء طبيعة البرنامج المطروح والخصائص المتوفرة لدى الجهاز الفني.

وعند انتهاء كل برنامج تربوي تقوم إدارة التدريب وفقاً لمسؤولياتها، بتوزيع نموذج استقصاء على المتدربين. بغية التعرف على مدى ملاءمة تخطيط وتنفيذ وارتباط البرنامج باحتياجات المتدربين، فيقوم المتدرب بملء الاستبيان الذي يشمل الجوانب التالية: درجة وضوح الموضوع، سهولة توصيل المعلومات، الاستفادة من المحاضرات، التشويق في المحاضرة، التشجيع على النقاش، ربط الموضوع بالواقع العملي، وكذلك باعطاء تقييم عام للبرنامج.

بعد ذلك تقوم ادارة التدريب باستعراض الاستمارة ودراستها ووضع ملاحظاتها سعياً نحو التحسين والتطوير، وتكون نتائج الاستقصاء مع ملاحظات المسؤولين عليها مصادر أساسية في وضع التقارير، وبخاصة التقرير السنوي الذي يعده المعهد لرفعه لمجلس الادارة للوقوف على مجريات ونتائج العمل في المعهد.

تحتوي هذه التقارير الفردية لكل برنامج وكذلك التقارير السنوية على معلومات مهمة وقيمة تستفيد منها الادارة في عمليات التخطيط والاشراف على العملية التربوية في كافة جوانبها واتخاذ القرارات الملائمة بشأنها^(٤).

كما أنه من الضروري الذهاب إلى ابعد من ذلك في الاستفادة من هذه المعلومات

آراء وأفكار

في عمليات المتابعة والتقييم التي يتبغى اجراؤها في موقع العمل للتعرف عن كثب وبموضوعية على مدى الاستفادة الفعلية الحاصلة في سلوكية وانتاجية المتدرب الأمر الذي لم يقدم المعهد بعد على تنفيذه.

وإذا انحصرت معظم أنشطة المعهد منذ نشأته حتى منتصف عام ١٩٨٨ في اقامة الورات التدريبية ذات صفة ما بعد دخول الخدمة (Post. Entry - Training). فإن من الملحوظ أن المعهد قام ببعض المهام الاستشارية والبحوث.

لقد قدم المعهد بعض الاستشارات للمركز الوطني للحاسوب الالي باعطاء تصور حول تطوير قسم الشؤون الادارية والمالية، وجعله إدارة بحكم زيادة مهامه ومسؤولياته، وكذلك لمصرف الامارات الصناعي بالنسبة لتعديل الانظمة الداخلية والادارية فيه، وأيضاً للاتحاد النسائي بقيامه بدراسة القوانين واللوائح والنظم التي تتعلق بالمرأة العاملة بدولة الامارات وحقوقها. والأهم في هذا المجال مشاركة عدد من أفراد الهيئة العلمية منذ عام ١٩٨٢ في اللجنة الرئيسية الخاصة بالهيئات التنظيمية وقيامهم بالدراسات اللازمة بغرض اعداد هيئات تنظيمية للوزارات وبعض الادارات.

أما في مجال البحث فقد قام المعهد في منتصف عام ١٩٨٣، وفي ضوء نتائج الندوتين اللتين انعقدتا قبل تلك الفترة حول استراتيجية التنمية الادارية، باجراء بحث ميداني مبدئي حول المشاكل الادارية التي تواجه الجهاز الحكومي، وكان يجري خلال العديد من البرامج التدريبية والندوات اعداد بحوث ميدانية من قبل المهنيين تستعمل في برامج التدريب والندوات المنعقدة^(٥).

وتشجيعاً للبحوث اصدرت ادارة المعهد نورية ربع سنوية تحت عنوان، الادارة والتنمية، حيث صدر عددها الأول عام ١٩٨٨ ولكن في شهر ديسمبر من عام ١٩٨٩ تحولت إلى نورية شهرية بتوجه جديد في الشكل والمح تو.

هذه باختصار انشطة المعهد للفترة التي تلت تأسيسه حتى نهاية عام ١٩٨٩.

ثانياً: النتائج وتأثيرها :

إن من الصعب جداً تقييم النتائج التي آلت إليها انشطة المعهد بشكل موضوعي ودقيق، بحكم أن معظم انشطة المعهد تركز حول اقامة نورات تدريبية قصيرة المدى للموظفين الملتحقين باعمالهم الادارية، ولم يجر تقييمها ومتابعتها. هذا الواقع كان يستوجب اجراء نوع من المتابعة والتقييم بعد انتهاء كل نورة تدريبية للتأكد من مدى جدواها وفعاليتها. علمًا بأن كل برنامج تدريبي كان يخضع للتقييم من قبل المتدربين

بحيث تتمكن الادارة من تقييم البرنامج من زاويتها الذاتية في حينه، والعمل على الاستفادة من ذلك في تحضير وتنفيذ برامج التدريب المستقبلية.

والغريب في الأمر أن معظم اجوبة المتدربين كانت بشكل عام جيدة بالنسبة لكافحة عناصر البرامج من حيث الشكل والمحتوى والقيايس^(١). بينما تأتي انطباعات المتدربين انفسهم، وكذلك المسؤولين لتشير إلى قصور بالنسبة لتطبيقات هذه البرامج والاستفادة منها في مجالات العمل الفعلية.

لعل هذا الانطباع العام فيه الكثير من الصحة، لكنه يتناقض كلياً مع اجوبة المتدربين انفسهم عند انتهاء انعقاد البرنامج التدريسي. وتتكرر هذه المواقف عاماً بعد عام ويتنبأ عن ذلك قيام المعهد بجهود مكثفة لتعديل الوسائل التعليمية، وطرح برامج جديدة تداركاً لهذه التحفظات، غير أنه يلاحظ أن الانطباعات السابقة تبقى كما هي عليه وتتكرر علانية في الندوات واللقاءات العامة التالية، مما يشير إلى أن المعهد يعاني بذلك من أزمة ثقة، وانطباعات خاطئة، أكثر مما هي قضية تطوير وسائل تعليمية أو برامج جديدة، ولعل ذلك في معظمها متصل بالدرجة الأولى بالضعف في انطلاقه عند بدء نشاطه.

فضلاً عن ذلك فإن المعهد باقامته العديد من الدورات التدريبية والندوات قد اكتسب لنفسه مخزوناً ضخماً من المعرفة للأوضاع الادارية على حقيقتها، وكذلك من الخبرة التي تمكّنه من القيام بوظيفته بشكل واضح ومجد.

إن اختصار انشطة المعهد في مجال التدريب لبرنامج التدريب خلال الخدمة باستثناء البرنامج الاعدادي المنعقد في نوفمبر ١٩٨٩ كان يهدف في هذه المرحلة من تأسيس المعهد إلى بعث الوعي والاهتمام من قبل المعنيين بأهمية التدريب ودوره في تطوير البنية الادارية، ودفع مستواها الانتاجي والسلوكي. ويمكن اختصار أهم حصيلة حققها المعهد في حقبة وجيبة بلغت سبع السنوات منذ انشائه في توسيع قاعدة الاهتمام بالتدريب وبأهمية الاستفادة من دور المعهد. وكذلك الوسائل التدريبية المتاحة في الدولة وخارجها.

أما نتائج المعهد في مجالات الاستشارات والبحوث فقد كانت متواضعة، بحكم ضيّالة المهام التي تحققت في هذا المجال، باستثناء المشاركة الضخمة لعدد من الهيئة الفنية في المعهد وفي اللجنة المركزية لوضع الهيكل التنظيمية والتي اشكت مهمتها على الانتهاء.

ولايُمكن كذلك الاستهانة بأهمية اثارة الوعي بالعملية التدريبية، وما تستلزم هذه

آراء وأفكار

العملية من ضرورة الاستفادة من القيام بالدراسات والأبحاث، وتقديم الخدمات الاستشارية المكملة بعضها بعضاً. وعليه بدأ يتضح أن هذه المسلمات لابد من إعادة النظر فيها وتقويمها ودفع جهود وأنشطة المعهد قدماً.

ثالثاً: المشكلات والحلول:

ال المشكلات التي تواجه التدريب عديدة ومتنوعة حيث تشارك فيها مختلف النظم الادارية بدرجات متفاوتة. أما بالنسبة للدول الناشئة ومنها دولة الامارات العربية المتحدة فيمكن تصنيف هذه المشكلات إلى مستويات ثلاثة: التقنية وهي متصلة بكلفة جوانب العملية التدريبية كوظيفة مستقلة، والإدارية الناتجة عن البيئة الادارية والمناخ الاداري ككل، والمجتمعية المرتبطة بمحاولات وإمكانات التطور والتنمية في المجتمع. إن هذا التصنيف على بساطته يسهل عملية التحليل من زاوية تدارك الصعوبات القائمة، بحكم تداخل وتفاعل عناصر هذه المستويات بعضها بالبعض، وبالتالي في طرح التصورات للحلول الملائمة ووسائل التنفيذ الفعالة.

١) المشكلات ذات الطابع التقني:

هناك مجموعة من المشكلات العائدة للجوانب التقنية التي واجهت وتواجه التدريب في الدولة.

١ - في مجال تحديد الاحتياجات التدريبية:

بالرغم من المحاولات العديدة والمتكررة التي يبذلها المعهد لتحديد الاحتياجات التدريبية على أساس علمية ومهنية بقيامه بالزيارات الميدانية واقامته الندوات لكتاب الموظفين، مع استعانته بالاستشارات المتخصصة فلازال البرامج التي يطرحها غير ملائمة وغير كافية لتلبية الاحتياجات التدريبية الفعلية، وتوفير المهارات الضرورية، كما تزعم الأجهزة الادارية بشكل عام.

وتحمل الوزارات والدوائر المسئولية الكبرى في هذا المجال، لأنها هي الأعلم باحتياجاتها الفعلية، وهي القادره على معرفة المهارات الضرورية اللازمة بحكم مهامها ومسؤولياتها.

ولكي تستقيم هذه العملية، لابد من تحقيق عدد من الاجرامات المهنية الضرورية، بحيث تشمل وضع ملف ذاتي لكل موظف يتضمن تقارير التقويم الوريدي وملحوظات الرؤساء عليه، واقامة نظام توصيف لمهام ومسؤوليات

الوظيفة يكون مناسباً ومتطوراً ليساعد على تحديد الاحتياجات الطارئة، وتفعيل عمليات متابعة وتقديم البرامج التدريبية، للحكم على فاعليتها وتطورها، تجاوباً مع الاحتياجات الفعلية.

ولكي يكتب لهذه الإجراءات النجاح والفاعلية المنشودة، فلا بد من قيام تعاون وتنسيق مستمر بين الإدارات المعنية، ومعهد التدريب بشكل نظامي عبر إيجاد وحدات فرعية ومسؤولي تدريب متخصصين.

فأقامة هذه الوحدات الفرعية وتحديد المسؤولين، ينبغي أن تتبعها أيضاً دورات تدريبية للمدربين في أساليب تحديد الاحتياجات التدريبية وتقدير نتائجها. لقد أمست وظيفة التدريب شأنهاً تخصصياً هاماً يستوجب التأهيل له والتدريب المستمر عليه لانجاح مهمته.

ب - في مجال نطاق وصلاحيات معهد التنمية الإدارية:

يواجه معهد التنمية الإدارية كمؤسسة مركزية مسؤولة عن شؤون التدريب على نطاق الحكومة المركزية بالدرجة الأولى، قيام بعض المؤسسات الحكومية بمعارضة مهمة التدريب دون التنسيق مع المعهد، الأمر الذي قد ينبع عنه نوع من الإزدواجية، تتعكس سلبياً على كافة أجهزة التدريب، وعلى علاقات التعامل فيما بينها. إن تحويل المعهد مسؤولية دعم التنمية الإدارية في الدولة، تستوجب بالدرجة الأولى تعزيز دوره كمؤسسة مركزية، بغية تحقيق المقاييس الموحدة، والتنسيق المنشود، في انشطة التنمية الإدارية وفروعها كافة.

ج - في نطاق البرامج والوسائل التدريبية:

إن مجالات تحديث وتطوير المواد التعليمية والوسائل التعليمية، لاحدود لها مهما بلغت المؤسسة - أية مؤسسة كانت - من النضج والنمو وذلك بحكم سنة التطور. وتبرز هذه الظاهرة في المؤسسات التعليمية والتربية أكثر من غيرها باعتبار أن هذه المؤسسات معنية بنشر المعرفة واثر انها عبر تبادل الخبرات والأبحاث.

أما ما يواجه البرامج التدريبية من صعوبات بهذا الصدد فهو عائد بالدرجة الأولى إلى بعض التوجهات الخاطئة أكثر مما يعود إلى نواقص في المعرفة والمحنتى وهو يبرز بوضوح في الممارسات التالية:

الاعتماد الكلي على المعرفة الغربية المستوردة، وهذه المعرفة على أهميتها إنما هي مستمدّة من أوضاع اقتصادية واجتماعية وحضارية متناقضة مع الأوضاع القائمة هنا، الأمر الذي يفرض إجراء تعديلات عليها لكي تأتي مواد التعليم والوسائل المتّبعة ملائمة وفعالة.

إن هذا الهدف هام جداً بالنسبة للدول الناشئة ويطلب تحقيقه جهوداً مكثفة من قبل القائمين على عمليات التعليم والتدريب واعداد أبحاث متعمقة بشأنها.

كما أن هناك افراطاً في الاصرار على التركيز على ضرورة ربط البرامج ووسائل التدريب بالواقع العملي، والتقليل من أهمية الجانب النظري. وهو اتجاه يحتوي على بعض المغالطات.

لاشك أن التدريب يعني بالدرجة الأولى بالشأن التطبيقي أكثر مما هو يعني بالشأن النظري. لكن ينبغي عدم التقليل من أهمية الجانب النظري، وينبغي أن يتبدّل الانطباع السلبي حول دور النظرية، لأن الجانب النظري له دور أساسي وبالخصوص في بعض برامج التدريب للمستويات الإدارية القيادية وغيرها، والتي كانت ولا تزال تشكّل انطلاقـة التفكير في موضوع التدريب الإداري وإنشاء مؤسساته.

إن التعليم الجامعي ومازونه على المستوى الثاني، يؤمن للطالب نوعاً من المنهجية العلمية أو الرؤية النظامية التي تساعـد في فهم المضـلات، والعمل على حلـها. ومن الخطأ انكار دور النظرية في العملية التـدرـيبـية، أو التـخفـيف من أهميتها، كما أنه لا يمكن اعتبار كل نظرية بالضرورة مفيدة وهامة.

إن العلم هو طريقة أكثر مما هو تكريس للمعلومات، فينبغي أن ينظر إلى التدريب على أنه طريقة تفكير تعطي البعد التنموي والحضاري لمارسة المهارة الإدارية.

د - في مجال سياسة وخطط المعهد:

لاشك أن المعهد تدرج بشكل واسع في توسيع برامجـه، واتبـاعـه أيضـاً وسائل عديدة في بـعـثـ الـوعـيـ بالـعـلـمـ التـدـريـيـ، لكن من الواضح أن المعهد لم يقدـمـ بشـكـلـ حـازـمـ على تحـديـدـ سـلـمـ للأـلـوـبـياتـ فيـ خـطـطـهـ وـبـرـامـجـهـ، كما أنه لاـقـىـ ولاـيـزـالـ يـلاـقـيـ صـعـوبـياتـ، لـعـدـمـ توـفـرـ عـدـدـ كـافـ منـ القـوىـ الفـنـيـةـ العـالـمـةـ

لديه، ليتمكن من القيام بالمهام المطلوبة منه في مجالات البحث والاستشارات بشكل متوازن ومتواز مع الشأن التدريسي، فضلاً عن إفراد الهيئة الفنية في السابق وكثرة الطلبات المتباينة من أجهزة الدولة قد حدّت من إمكانيات المعهد في رسم سياسة واضحة، ومن تركيز انشطته، ومن القيام بعمليات المتابعة والتقييم المفروض اجراؤها.

وما لاشك فيه أنه لابد من رسم سياسة واضحة بالنسبة للأولويات، ووضع خطة تعكس مجموعة أنشطة متكاملة، وتوزع وتحدد بموجتها الواجبات والمسؤوليات.

كذلك، لابد في هذه المرحلة من تطوير العمل بالمعهد بالتوسيع في مجالات التدريب الاعدادي، وكذلك التدريب خلال الخدمة وربط كل ذلك بخطة تسرع عمليات الاخلاص والتوطين مع التأكيد على كون سياسة المعهد ثابتة ومفهومة وواضحة للجميع.

كما ينبغي أن تكون سياسة المعهد في تقييم الخدمات الاستشارية والقيام بالبحث مكملة للمهمة التدريبية، وليس على حسابها. وعلى المعهد أن يقوم بتوفير الاختصاصات الالزمة في جهازه الفني للاضطلاع بمسؤولياته على أنسن التخصص والتفرغ، كما هو حاصل في معاهد التدريب القائمة في دول المنطقة وغيرها.

تبقي قضية متابعة وتقييم البرامج التي تفرض نفسها على الدوام. وإن من مصلحة العملية التدريبية وكذلك التنمية الإدارية، أن تعتمد سياسة واضحة بشأن الالتزام بتنفيذ عمليات المتابعة والتقييم، وخصوصاً بالنسبة للبرامج الاعدادية، وبعض أنشطة الخدمات الاستشارية، نظراً لأهميتها في دعم خطوات التنمية الإدارية المطلوبة.

ز - في مجال النشر والاعلام:

أمسى تعليم المعرفة وتبادل الخبرات، من المهام الأساسية التي لابد من الارتكاء بها. وكما أن هذه المهمة هامة وضرورية، فهي في الوقت نفسه مسؤولية كبيرة، ولا يجوز التفريط فيها أو التعامل بتهاون معها لما قد تسببه من نتائج سلبية تؤثر على صعيد مصداقية المعهد وسمعته. ولابد في هذا السبيل أيضاً من الاستقادة من الموظفين المواطنين الملتحقين بالمعهد بصفة

باحثين، في تطوير قدراتهم في مجالات البحث والتحليل والتحرير. فتعزيز ادارة الابحاث والاستشارات يكون الاطار القانوني والعملي لتحقيق هذه الأغراض.

هذه المشكلات التي أشرنا إليها والمرتبطة بالجوانب التقنية للعملية الإدارية مع ماذكرناه من مقترنات بشأن الاجراءات التي يمكن اتخاذها بغية الاصلاح والتطوير، قد يكون من السهل تحقيقها والعمل على تنفيذها من قبل المسؤولين المعينين بشؤون التدريب لدى معهد التنمية الادارية، غير أنه في حالة تحقيقها تبقى العملية التدريبية قاصرة على بلوغ أهدافها الحقيقية، ودفع عمليات التنمية الادارية قدماً، إن لم يرافقها أو يتبعها تدليل ماقد يعرضها من مشكلات خارجة عن نطاق أجهزة التدريب، ومتصلة بالبنية الادارية والمناخ الاداري العام.

٢) المشكلات الناتجة عن البنية الادارية:

تواجه الادارة في دولة الامارات العربية المتحدة شأنها في ذلك شأن أغلب الدول الناشئة معضلات ادارية جمة، وبعض هذه المعضلات يتصل مباشرة بالعملية التدريبية ويؤثر عليها سلباً كما يأتي:-

أ - في مجالات دور ومسؤوليات أجهزة التدريب:

هناك نوع من الازدواجية في المواقف تجاه دور معهد التنمية الادارية - كجهاز مركزي مضطلع بمسؤوليات التدريب - حيث تحمله الوزارات والادارات المعنية مايواجهها من قصور أو فشل في النتائج المرتبطة على التدريب، وإذا يطالب المعهد بمهام تنفيذية، كقيامه بدور أكثر تأثيراً في مجريات الاعمال الادارية، فإنه في الواقع سلطة استشارية ومسؤوليات هي ابداء الرأي واعطاء المشورة وليس عليه القيام بالأعمال التنفيذية ونجاحها.

وحتى عند قيام المعهد بنوره الاستشاري فإن استشاراته لا تؤخذ دائمأ على حمل الجدية والتطبيق. وإن مرد هذا الواقع يعود إلى كون أجهزة التدريب وكذلك غيرها من الأجهزة الاستشارية - كالاتخطيط والأبحاث والمعروفة بالفقه الاداري وظائف اركان (Staff) تعتبر شيئاً ثانوياً وهامشياً، لأن النظرة إلى الوظيفة العامة من قبل المواطنين، وكذلك الموظفين انفسهم، لاتزال تعطي أولوية وأهمية لوظائف اعطاء الأوامر واتخاذ القرارات المعروفة بوظائف السلطة أو الأمر (Line).

إنه من الخطأ اعتبار مسؤولية نجاح أو فشل الوظيفة التدريبية يقع على عاتق مؤسسة التدريب فقط بل أنها مسؤولية مشتركة تتحملها الادارات المعنية وادارة التدريب معاً.

ولابد عبر مجالات معهد التنمية الادارية من بعث التوعية، والاهتمام لدى أجهزة الدولة بأهمية التدريب وإمكاناته، بأن تووضح خطوط العلاقة بينه وبين هذه المؤسسات، والتوكيل على ضرورة حث الادارة المعنية على القيام باتخاذ المبادرات الضرورية، واعطاء الدعم اللازم للعملية التدريبية.

ب - في مجالات الاستفادة القصوى من برامج التدريب:

لقد ركز البحث على أهمية التدريب الاداري للمستويات الادارية القيادية العليا، لكن من الملاحظ - بالرغم من اهتمام بعض القياديين بالتدريب - فإنه يصعب عليهم الاشتراك في برامج تدريبية ذات مستوى قيادي، كما أن الالكتفاء بالنحوات الموسمية التي يشتراك فيها هؤلاء الموظفون لاتفي بالحاجة، وهكذا ينبغي على معهد التدريب دراسة هذه الظاهرة وطرح الوسائل الكفيلة بمشاركة القيادة في برامج التدريب.

كما أن نتائج النورات التدريبية لا يمكن الحكم لها أو عليها، إلا في ضوء ما يتيح للمتدرب من فرص، لاختباره للمهارات المكتسبة، واحادث التغيير السليم في اتجاه رفع مستوى الاداء والسلوك، ويجب أن تلعب القيادة الادارية دورها في هذا المضمار، من حيث قيامها بتشجيع المتدربين على احداث التغيير المطلوب، مع مكافأتهم على ذلك.

قد يكون الجو العام لدى القيادة الادارية هو التسليم بأهمية التدريب وضرورة تعديمه، لكن نتائجه العملية تستوجب من هذه القيادات، المشاركة في دراسة المشكلات، وإيجاد الحلول الملائمة لها.

إن المعضلات التي تواجه الادارة ككل وعملياتها المتشعبة تفتقر إلى القوى العاملة المتخصصة، وإلى التجهيزات الفنية والمادية الضرورية، مع قلة الموارد المالية، الأمر الذي يؤثر أيضاً بشكل مباشر أو غير مباشر على نجاح العملية التدريبية المنشودة.

ج - في مجالات التحفيز والداعية:

إن العملية التعليمية وكذلك التدريبية في جوهرها، هي عملية تحفيز

لتطوير القراء المتوفرة. فالتدريب بحكم حداثته وبحكم صعوبة العودة بالموظف إلى صفو الدراسة، يستوجب اقامة نظم من الحواجز تشجع الموظفين على الانتساب للبرامج التدريبية، ومن ثم مكافأتهم مادياً ومعنوياً على تحصيلهم وعطائهم.

إذ لا بد لإنجاح البرامج التدريبية في وضع نظام للحواجز، يربط بين الجهد المبذول وإمكانية الترقية.

هذه بعض المشكلات المتصلة بالبنية الإدارية والمناخ الإداري التي تؤثر على العملية التدريبية في موقعها التقني، وحتى في حالة التغلب على هذه المشكلات فقد تبقى عملية التدريب قاصرة عن تحقيق أهدافها، إن لم توأكها محاولات من الاصلاح والتطوير تشمل المجتمع بكافة قطاعاته وتوجهاته.

٢) المشكلات المتصلة بالاصلاح والتنمية:

إن فكرة التدريب وإنشاء المؤسسات الملائمة بشأنها تتم بحد ذاتها عن وجود توجه اصلاحي، فالرغبة في الاصلاح متوفرة في مجتمع الامارات وبقوة لدى المعنين، وكذلك الانفتاح نحو تقبل الأفكار الجديدة وتطوير البنية الإدارية.

لكن هذه الأماني والتطلعات تواجه تقسيراً في وضع الدراسات والخطط الشاملة التي تهدف في جوهرها إلى الارتقاء بالوظيفة العامة بمفهومها وتوجهها العصري نحو خدمة المواطن، بتوفير الخدمات بالكافأة والفاعليه المطلوبتين وكذلك الالتزام بتنفيذها من قبل المعنين.

وتکاد الاهتمامات بالشأن الاصلاحي وبالتنمية الإدارية تعكس في كثير من الحالات مواقف عرضية أكثر مما تفترضه هذه الأهداف من وضع التنظيمات والخطط الضرورية في إطار خطة شاملة للتنمية والتطوير والالتزام بتنفيذها، ويشارك في هذه المشكلة العديد من الدول الناشئة من حيث انتشارها إلى المشاريع الاصلاحية الحقيقة والوسائل الكفيلة بتحقيق الاصلاح المنشود.

إن مسألة الاصلاح الإداري تشكل قضية تتحمل مسؤولياتها كافة قطاعات المجتمع من سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية، بحكم ماستوجبه هذه القضية من تغيير فعلى في التوجه والسلوك، ولذلك فإن برامج التوعية ضرورية للوصول إلى المواطن وإلى كل فرد في المجتمع، لاشراكه بعمليات التطوير والتنمية، ضماناً للدعم والتجاب المطلوبين^(٧).

رابعاً: الاتجاهات وامكانيات النجاح:

إن ابرز توجهات المعهد الجديدة والمأمول تنفيذها في عقد التسعينات تتحصّر في المجالات التالية:

- التوسيع في مجال برامج التأهيل والإعداد، وذلك تجاوباً مع أول أهداف المعهد، الملتزمة بتقديم برامج اعدادية للمواطنين الذين لم يلتحقوا بالخدمة من قبل، بهدف اعدادهم للعمل الاداري، وبخاصة في بعض الاجهزة، كشون الموظفين، ووحدات التنمية الادارية، والشؤون المالية، بحكم ما يمكن أن توفره هذه الاجهزة مستقبلاً من تحديث للادارة، ورفع لمستوى ادائها وفاعليتها.
- العمل على ربط برامج التدريب بعمليات الاحلال والتوطين، إذ ستتضح أكثر الحاجات التربوية الفعلية، وعلى ضوئها ستركز برامج المعهد في تطوير وتنمية قدرات المواطن.
- ربط أنشطة المعهد المتعددة، وبخاصة الاستشارية منها، بالتدريب والبحوث، بغية دفع عجلة التنمية الادارية بشكل علمي ومتكملاً.

أما في خلاصة هذه الدراسة فلابد من اباده الملاحظات التالية:-

■ في هذه الفترة الوجيزة من مسيرة الاتحاد، وما تضمنته من انشاء مؤسسات تعليمية وتدريبية على مستوى عال من التنظيم والتوجه المستقبلي السليم، فلابد من الاقرار بأن انجازاً وطنياً وحضارياً كبيراً قد تم تحقيقه. كما أن تطور الدول وبناء المؤسسات فيها عملية معقدة ومتواصلة، يصعب تقييمها والحكم عليها، إلا بعد مرور وقت كاف من الزمن عليها. لكن المهم في هذه المرحلة هو نقطة الانطلاق، والاتجاهات، ومن هذا المنظور بالذات فقد حق جهاز التدريب الشيء الهام، من حيث إنه بعث الاهتمام بشأنه كوظيفة ضرورية وهامة، ومن ثم بالتوسيع في الأنشطة التي تصب في العمل على تحقيق التنمية الادارية، المنشودة.

■ إن التدريب الاداري وسيلة وليس غاية بحد ذاته، ويعتمد التدريب في انجاح مهمته على توفير معطيات عديدة، عالجتها هذه الدراسة، ضمن إطار من المشكلات التقنية والادارية والمجتمعية، مبينة بالوقت نفسه مجالات وامكانات التحديث والتطوير.

استخلاصاً فلابد من الاقرار بصعوبة المشكلات التي تواجه العملية التربوية، ليس فقط في دولة الامارات العربية المتحدة، وإنما في الكثير من الدول النامية، وكمدخل لمعالجة هذه المشكلات فلابد من وضع خطة طويلة الأمد، متعددة

- الأهداف، وبذل جهود مكثفة ومحلصة للتغلب على هذه المشكلات.
- وقد ركزت هذه الدراسة في طروحاتها للحلول على ضرورة توسيع سياسة التدريب بالنسبة للألوبيات، مبينة أن البرامج الاعدادية ضرورية، لأنها تكون كواين الفد التي ستضطلع بمهام ومسؤوليات العمل الإداري، وكذلك أشارت إلى ضرورة توسيع عملية التدريب، لاشراك القيادة الادارية الحالية، تخيّلاً لاسهامها في حل المشكلات على أسس عملية، وقيامها بدعم الطاقات المتردية، لتحقيق التغيير والتطوير المنشود.
- وتبقى قضية تحديد الاحتياجات الفعلية وتلبيتها دون المطلوب، إن لم تقم العملية التدريبية على تضليل الجهات بين الادارات المعنية وأجهزة التدريب، في تحقيق عمليات الاحلال والتقطيع بمحتواها المهني والوطني.
- فتتجربة المعهد على حداثتها كانت غنية بالعبر والدروس، واتجاهاتها الجديدة تشكل تحديات بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه، وخاصةً في الارتفاع بالوظيفة التدريبية إلى مستوياتها المهنية الطموحة.

الهوامش

- ١ - راجع القانون رقم (٢) لسنة ١٩٨١ بإنشاء معهد التنمية الإدارية، المادة (٣).
- ٢ - محمد خليفة رأ. أحمد السركال «تقدير حول أنشطة معهد التنمية الإدارية من عام ١٩٨٣ - ١٩٨٨»، معهد التنمية الإدارية - أبوظبي.
- ٣ - معهد التنمية الإدارية، التقارير السنوية من عام ١٩٨٤ - ١٩٨٨، واحصائيات قسم القبول والتسجيل لدى إدارة التدريب لبرنامج سنة ١٩٨٩.
- ٤ - على ضوء نتائج هذه التقارير تقوم ادارة التدريب بشكل دوري بتزويد أعضاء الهيئة الفنية المهنية كل بمفرده بالنتائج بما يترتب منها من توصيات وتحجيمات تهدف إلى تصويب مسار العملية التدريبية وتطويرها.
- ٥ - يضع برنامج للأبحاث في خطة عام ١٩٨٩ حيث نفذ بمرجعه إنجاز أربع دراسات هي: «تعدد الرقابة المالية واساليب تشريعها»، «التدريب في دولة الامارات»، «تطور الوظيفة العامة في دولة الامارات»، ودور النماذج في تنفيذ سياسات صلبة الشراء والتغذية».
- ٦ - هذا الاستنتاج مستمد من مراجعة دقيقة للتقارير السنوية والقرنية العائدية لتقييم البرامج التدريبية من قبل المتدربين أنفسهم للبرامج المنعقدة.
- ٧ - راجع ملقتنا، اصلاحات الخدمة المدنية في لبنان، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٧٧.

بنك ديني الوطني المحدود

شِنْكُ دَنْيَ الْوَطْنِ الْمَدُودِ

«خدمة لتتلائم مع اسمنا...»

في العقد الثالث من عمرنا المصرفي اتنا نواصل تقديم نفس المستوى الرفيع من الخدمة والتقاني من اجل مصالح عملائنا الكرام والتي ارسينا قواعدها عند قيام البنك.

هذا... وتجدر الاشارة الى أن خدماتنا التي تشمل على جميع العمليات المصرفية تغطي كافة أنحاء دولـة الامارات العربية المتحدة وكذلك جميع القطرـار الرئيـسيـه في العالم.



بنك دنيا الوطن في المحدود

مكتب الرئيس سامي عزيز ياس ، ديرقدوم (١٤٢) ص ٢٧٧

هاتف: ٢٢٢٢٤٤١، ٢١٤١٣١، ٢٢٢٢٥٥، ٢١٥٩٣٩ فاكس: ٤٥٤٢١ ناتنال اي ام تلکس: ناسیونال برقا: ٤٥٤٢١

- مطار دبي الدولي • الحمرية • الحضيرية • شارع الفهidi • الكرامة • شارع مستشفى المكتوم
 - مركز دبي للطيران • حتا • جبل علي • الراشدية • مركز دبي التجاري العالمي
 - ابوظبلي. العين. ام القيوين. الفروع الخارجية. المملكة المتحدة. لندن - جيرسي



آراء وآفكار

* مستقبل الهوية الوطنية *

محاضرة

عبدالرحمن علي الجروان **

في هذه المحاضرة نلقي الضوء ولو بشكل مختصر على مستقبل الهوية الوطنية للإمارات العربية المتحدة، ونحن جميعاً نلاحظ مقدار العبث والتشويه للهوية الوطنية، حتى على مستوى الشارع فالفرد يحس بالغربة بل وفي كثير من الأحيان بالخوف أيضاً وأنت تحاول أن تشتري وتطالعك لوحات المحلات «الأعممية».

وبالمثل أيضاً عندما تتصل بالهاتف باللغة يرد عليك باللغة الإنجليزية - تكرر عليه العربية يغلق الهاتف في وجهك - وأذا طلبت حسابك من البنك الذي تتعامل معه يصلك حسابك باللغة الإنجليزية - وعندما تذهب للعلاج في أحد المستشفيات فلا تستطيع أن تبين للطبيب علتكم.

* محاضرة أقيمت بمقر جمعية الاجتماعيين بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٩٠

** وكيل وزارة الخارجية (سابقاً) المستشار بديوان صاحب السمو حاكم الشارقة.

وعندما تمشي في كثير من الأحياء تقابلك نظرة فاحصة، وتساؤلات كثيرة مازاها يريد هذا؟ إلى أين هو ذاهب؟.

إن تناول موضوع الهوية الوطنية لهذه البقعة من الوطن العربي ليس جديداً على الطرح بل الاهتمام به بدأ منذ ازدياد الهجرة إليه، فقد كانت القوى الوطنية في فترة السبعينيات تضع هذا الأمر في مقدمة مهامها كما وأن التخوف أيضاً كان أحد الأسباب التي حدت بالجامعة العربية لاتخاذ قرارها الخاص بضرورة الاهتمام بهذا الجزء من الأمة العربية وذلك في ينایر من عام ١٩٦٤ ومن ثم زيارة أمينها العام عبد الخالق حسونة في خريف نفس العام.

وعلى المستوى المطلي والرسمي فإن أهم التفاتة لهذا الأمر وردت في المذكرة المشتركة لمجلس الوزراء والمجلس الوطني بعد أن عقدا جلستين في ١٩٧٩/٢/٦ و ١٩٧٩/٢/١٢، والمعرفة للمجلس الأعلى للاتحاد.

وفي البند الخاص بالهجرة الأجنبية ورد مايلي «فقد أقتلت هذه الهجرة علينا اجتماعياً أثر في نقاط الوجه العربي الأصيل للبلاد».

ونجد أن نوضخ أن مانقصده من طرح هذا الموضوع هو نابع من شعور بالمسؤولية وإحساس بالولاء لهذا الوطن، ولأنريد أن تكون كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال في مواجهة الواقع.

وستركز في حديثنا على أربع نقاط هي:-

أولاً : تعريف.

ثانياً: التركيبة السكانية وأثرها على الهوية الوطنية.

ثالثاً: ماهو موقف المواطن من هذا الواقع.

رابعاً: كيف نعالج هذا الواقع.

أولاً : تعريف الهوية الوطنية:

هي مجموعة من المعتقدات والقيم والتقاليد الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي تميز مجتمعاً عن غيره والتي تكونت خلال فترة زمنية طويلة.

وقد أخذت الدول وبخاصة حديث الاستقلال التركيز على معالم شخصيتها الوطنية من خلال ابراز الجوانب الثقافية - كاللغة والفن والأناشيد الوطنية - وعاداتها التاريخية - عاداتها وتقاليدها - وطابعها

المعماري - ووضع مناهج وطنية للتربية والتعليم تجسد الهوية الوطنية، وكان لأجهزة الاعلام دوراً رائداً في هذا المجال.

بل إن بعض هذه الدول قد تجاوزت ذلك. وحاولت محاكاة واستذكار حقب تاريخية قديمة وهذا ما حاول ابرازه شاه إيران في السبعينات عندما أقام الاحتفالات الضخمة تخليداً لذكرى مرور الفي سنة على إقامة الأمبراطورية الفارسية وامبراطورها كوروش.

ولهذا نجد بأن الدول الاستعمارية أدركت أهمية العقبة التي تشكلها الشخصية الوطنية للأقاليم التي تستعمرها وأن السيطرة بل والضم أحياناً لا يمكن أن يتحقق إلا بالقضاء على هذه الهوية الوطنية وذلك من خلال محاولة إحلال ثقافته ولغته محل ثقافة ولغة الأقلين أو على الأقل تنويب الشخصية الوطنية باعتبار الثقافة واللغة هما الوعاء الأكثر أهمية لمكونات الشخصية. وسياسة فرنسا في الجزائر أكبر دليل على ذلك. بمحاولاتها في فرض اللغة الفرنسية بدل اللغة العربية والثقافة الغربية بدل الثقافة العربية الإسلامية، والنشاط المكثف لحملات التنصير... إلخ.

ولكن الشعب الجزائري البطل استطاع رغم كل ذلك أن يثور ويقدم مليون شهيد من أجل الاستقلال وأثبت ذاته وحمالية عقيدته ويعرف الشعب الجزائري بأن إيمانه وغيرته على عقيدته الإسلامية كانت من أهم دوافع نضاله.

وبالرغم من نيل الجزائر استقلالها عام ١٩٦١م، إلا أن.. آثار تلك السياسة الاستعمارية مازالت، وما زال الشعب الجزائري يعاني من المترفين الذين استطاع الاستعمار الفرنسي أن يغير من هويتهم وشخصيتهم الوطنية.

والأمثلة كثيرة عن هذه السياسة الاستعمارية في أفريقيا وأسيا. ننتقل إلى النقطة الثانية في البحث، وهي التركيبة السكانية.

ثانياً: التركيبة السكانية للamarat العربية المتحدة:

قبل أن نخوض في آثار هذه التركيبة السكانية على مستقبل الهوية الوطنية لابد من نظرة إحصائية سريعة على النمو السكاني.

تطور عدد السكان في الفترة ١٩٤٨ إلى ١٩٩٠

| السنة | الفرد | المصدر |
|-------|--------|--|
| ١٩٤٨ | ٩٥٠٠٠ | تقديرات الأمم المتحدة. |
| ١٩٥٨ | ٩٥٠٠٠ | |
| ١٩٦٣ | ٩٥٠٠٠ | |
| ١٩٦٥ | ١١١٠٠ | تقديرات الأمم المتحدة. مجلس التطوير. وزارة التخطيط. وزارة التخطيط. وزارة التخطيط |
| ١٩٦٨ | ١٨٠٠٠ | |
| ١٩٧٥ | ٥٥٧٨٠ | |
| ١٩٨٠ | ١٠٤٢١٠ | |
| ١٩٩٠ | ١٨٤٠٠٠ | |

جدول رقم (١)

تطور عدد السكان حسب الجنسية في الفترة من ١٩٦٨ - ١٩٩٠ .

| السنّة | الجنسية | ١٩٩٠ | ١٩٨٠ | ١٩٧٥ | ١٩٦٨ |
|---------|-------------|---------|--------|--------|--------|
| مواطنون | مواطنون | ٥٤٠٠٠ | ٢٩٠٦٠٠ | ٢٠١٥٠٠ | ١١٤٠٠٠ |
| | غير مواطنين | ١٣٠٠٠٠٠ | ٧٥١٥٠٠ | ٣٥٦٣٠٠ | ٦٦٢٠٠ |
| المجموع | | ١٨٤٠١٠٠ | ١٠٤٢١٠ | ٥٥٧٨٠ | ١٨٠٢٠٠ |

جدول رقم (٢)

١) يبين الجدول رقم (١) نمواً سكانياً أقرب إلى أن يكون طبيعياً وذلك من الفترة ٤٨ - ١٩٦٥ حيث زاد عدد السكان ستة آلاف شخص فقط.

٢) الزيادة الهائلة للسكان من عام ٦٨ إلى ١٩٩٠ حيث ازداد عدد السكان من ١٨٠ ألف نسمة إلى ٤٠٠٠٠٠، أي أن عدد المواطنين قد زاد من ١٤ ألف نسمة إلى ٤٠٠٠٥٤ ألف نسمة خلال ٢٢ عاماً أي أن عدد المواطنين قد تضاعف ٥ مرات، وعدد الأجانب قد تضاعف ٢٢ مرة.

وبحسب احصاء عام ١٩٨٠ م.

فإن نسبة المواطنين ٩٢٪.

والعرب ٢١٪.

ويتطبيق نفس النسبة على تقدير عدد السكان لعام ١٩٩٠ م.

فإن عدد المواطنين ٥٤٠٠٠٠٠.

والعرب ٣٨٧٠٠٠.

أي أن إجمالي السكان العرب = ١١٨٠٠٠، أي ما يوازي نصف سكان الإمارات لغتهم وثقافتهم عربية، وهذا يغير الواقع مما يجعلني اتحفظ على هذه النتيجة.

* بلغ معدل النمو السكاني للمواطنين في الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٠) ٦٪ (وهذا يزيد عن المعدل الطبيعي للنمو السكاني في العالم الذي لا يتجاوز ٤٪) أي أن الزيادة غير الطبيعية ناتجة عن سياسة التجنیس التي اتبعتها الدولة.

* ويبلغ معدل النمو السكاني لغير المواطنين ١٦٪ وهي معدلات مرتفعة جداً.

بعدها نأتي إلى قوة العمل :

* بلغ معدل نمو قوة العمل الموظفة خلال ٥ سنوات (١٩٨٠ - ٧٥) ٢٪.

* بلغ معدل قوة العمل الأجنبية ١٣٪.

وما دام الحديث عن حجم قوة العمل فإننا سنأخذ قطاعين من القطاعات الاقتصادية الهامة في الدولة للاستدلال على غياب العنصر الوطني بل والعربي أيضاً.

قطاع العمل المصرفي :

يبلغ عدد المصارف في الدولة ٥٩ مصرفًا منها ١٩ مصرفًا وطنياً، ٤٠ مصرفًا أجنبية.

يبلغ عدد العاملين المواطنين ٣٥٥ موظفًا.

يبلغ عدد العاملين الأجانب ٦٥٦١ موظفًا.

المجموع ٧١١٤ موظفًا.

وبحسب المعلومات المتوفرة المصارف فإن المصارف العاملة وفروعها تتعامل باللغة العربية بنسبة لا تتجاوز ٥٪ في الوقت نفسه فإن اللغة الانجليزية تستخدمنسبة ٩٥٪ في المعلومات اليومية.

مؤسسة الامارات للاتصالات:

| مؤسسة الاتصالات | | الجنسية | السنة |
|-------------------------|------|-------------------|-------|
| % | عدد | | |
| ٪ ٥٣ ٪ ١٠٠٠ ٪ ٨٤٧ | ٢٢٠ | مواطنون | ١٩٨٤ |
| | ٤١٨ | عرب | |
| | ٣٥٣٨ | جنسيات أخرى | |
| | ٤١٧٦ | المجموع | |
| ٪ ٧٧٧ | | نسبة إلى الاجمالي | |
| ٪ ٥٢ ٪ ١٠٥ ٪ ٨٤٣ | ٢١٤ | مواطنون | ١٩٨٥ |
| | ٤٣٨ | عرب | |
| | ٣٤٩٩ | جنسيات أخرى | |
| | ٤١٥١ | المجموع | |
| ٪ ٧٣١ | | نسبة إلى الاجمالي | |
| ٪ ٥٣ ٪ ١٢٣ ٪ ٨١٤ | ٢٢٠ | مواطنون | ١٩٨٦ |
| | ٥٥٤ | عرب | |
| | ٣٣٩٥ | جنسيات أخرى | |
| | ٤١٦٩ | المجموع | |
| ٪ ٥٩ ٪ ٩٤١ | ٢٤٧ | مواطنون | ١٩٨٨ |
| | ٣٩٢٧ | عرب وجنسيات أخرى | |
| ٪ ١٠٠ | ٤١٧٤ | المجموع | |

جدول رقم (٢)

- ١) مؤسسة الامارات للاتصالات مؤسسة وطنية مملوكة ٤٠٪ للدولة و ٤٠٪ للمساهمين.
- ٢) منذ أن صدر المرسوم الأميركي عام ١٩٧٦ وتخويلها سلطات احتكار إدارة مرافق الاتصالات في كافة إمارات الدولة فإن نسبة ازدياد عدد العاملين المواطنين تنمو بشكل بطيء للغاية. حيث انخفضت في عام ١٩٨٥ عن سابقتها ١٩٨٤ حيث كان هناك ٢٢٠ موظفاً ثم أصبح العدد ٢١٤ موظفاً.
- ٣) ازداد عدد الموظفين بين عامي ٨٦، ٨٨ حيث بلغ ٢٢٠ بنسبة ٣٥٪، ثم أصبح ٢٤٧ بنسبة ٥٩٪.

وهذا يدل على أن سياسة التوطين تسير بخطى شديدة البطء، حيث بلغت ٦٠٪ (يعني حوالي نصف في المائة).

وإذا ماطبقنا هذه النسبة لكم من الأعوام تحتاج حتى يتم التوطين؟.

كانت تلك ملامح سريعة عن تركيبة السكان، وعن القوى العاملة.

ثم نتساءل ماهي الآثار التي ستتركها هذه التركيبة السكانية على هوية هذا البلد، وعلى مستقبله ومستقبل أبنائه.

- ١ - ضعف الشعور القومي وتشويه الوجه العربي لهذا البلد.
- ٢ - تراجع استخدام اللغة العربية لصالح اللغة الانجليزية.
- ٣ - تشويه اللغة العربية من خلال تركيبات لفظية، وبروز اسلوب لغوي في التعامل يشتمل على كلمات غير عربية. (ولقد أصبح الكثير يستخدم هذا الاسلوب في التقاهم)
- ٤ - هذا الكم الهائل من أنماط الثقافات الأجنبية الذي يتجسد في صدور ٣ صحف أجنبية بالإضافة إلى مايزيد عن ٢٠ نشرة ومجلة شهرية ومحطتي تلفاز بث باللغة الانجليزية وذلك يوضح إلى أي مدى يمكن أن تؤثر هذه الثقافات على تفكير المواطن وأنماط سلوكه.
- ٥ - ضياع فرص عمل كثيرة على المواطنين نظراً لاستخدام اللغة الانجليزية وحدها في معظم الشركات والمؤسسات (ومثال البنوك ومؤسسة الامارات للاتصالات دليل على ذلك).
- ٦ - ظهور قيم وأنماط سلوكية تتنافي تماماً مع ديننا الإسلامي الحنيف فالاحتفالات بالمناسبات الدينية والاجتماعية لم تعد تقتصر على هذه الفئات الأجنبية، ولكنها جرفت أعداداً من المواطنين).
- ٧ - توجه المواطنين والعرب المقيمين إلى تعليم ابنائهم من الصفر اللغة الانجليزية

حتى يستطيعوا التعايش في هذا المجتمع. وما الدعوة بأن تتبني وزارة التربية والتعليم، تدريس اللغة الانجليزية من الأول الابتدائي إلا آخر إفرازات هذا الواقع.

ولايوجد أمة عبر التاريخ نهضت بلغة غيرها من الأمم.
وأمّا ماما تجربة مائة لا وهي اليابان.

وفي حقيقة الأمر فإن المخاطر كثيرة على مختلف جوانب الحياة، ولستنا بصدّ حصرها، بل إن هناك من تولى الأمر من خلال دراسات علمية وأكاديمية، وأوضحاوا مخاطر هذه التركيبة السكانية بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية. وكتاب الأخت موزة غباش «المهاجرون والتنمية» من المراجع الهامة في هذا الصدد.

ولكي نوضح حرص الأمم على لغاتها في العصر الحديث فإن أبرز الأمثلة ماحدث في هولندا في يناير من هذا العام عندما اقترح وزير التعليم العالي أن تكون الدراسة في الجامعات الهولندية باللغة الانجليزية حيث قامت تظاهرات عمت البلاد. واعتبروا هذا الاقتراح إهانة واحتراراً للفة الوطنية.

ثالثاً : ما هو موقف مواطن الإمارات من هذا الواقع؟
هل يرى بأن هناك خطراً يهدد هويته العربية الإسلامية؟.

وفي نظري فإن المواطنين ينقسمون إلى ثلاثة فئات:-

١ - فئة لاتغير لهذا الأمر أهمية بقدر ماتمس مصالحها الأنتيه.

٢ - الفئة الثانية التي لاتتخوف من هذا الوضع بل تجد فيه مصلحة.
بل أنها ترى بأن النشاط الاقتصادي الذي تشهده البلاد يعتمد اعتماداً كلياً على هذا الواقع السكاني. وأن أي تغيير في هذا الواقع السكاني يؤدي إلى تعرض مصالحها للخطر.

٣ - الفئة الثالثة وهي الفئة التي تحمل هموم الوطن وتتركز في عدد من المثقفين والمسؤولين، وهنا يبرز الدور الهام لهذه الفئة في تحمل مسؤولياتها، ولا يفوتنا أن ننوه بالدور المطلوب من الجمعيات المهنية وبخاصة جمعية الاجتماعيين.

رابعاً : كيف نعالج هذا الواقع؟

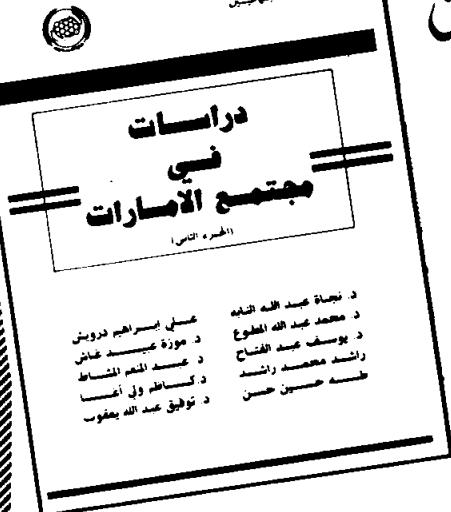
١ - التركيز على استخدام اللغة العربية، واتخاذ الترتيبات لفرضها على الأقل في المؤسسات الوطنية، والتدرج في الاستخدام في المؤسسات غير الوطنية.

- ٢ - التركيز على التربية الإسلامية باعتبارها الحصن المنيع أمام الغزو الثقافي والفكري.
- ٣ - تكثيف ما يقدم للطالب من «مادة التربية الوطنية» والعمل على غرس الشعور بالولاء للوطن.
- ٤ - توجيه وسائل الإعلام نحو المواطن لغرس القيم الأصيلة من الثقافة العربية، ولتعريفه بتاريخ وطنه وأمته.
- ٥ - اتباع سياسة متوازنة في الهجرة بين الجنسين والتخلص من العمالة الزائدة.
- ٦ - تسهيل الهجرة لأبناء الأمة العربية.
- ٧ - توجيه النشاط الاقتصادي للتقليل من اليد العاملة، واستخدام الميكنة.
- ٨ - فرض تعليم اللغة العربية على أبناء الجاليات الأجنبية.
- ٩ - التركيز على اظهار الطابع المعماري والهندسي العربي الإسلامي.
- ١٠ - استخدام الصحافة الأجنبية المحلية في نقل الثقافة العربية والإسلامية وتاريخ المنطقة إلى الجاليات الأجنبية.
- ١١ - عدم السماح للجاليات الأجنبية بالقيام بمعمارسات وأنشطة تتنافى مع القيم الإسلامية للمجتمع.

الخاتمة :

- * الغرض من إشارة هذا الموضع ليس لإثارة مسوم ولا هي رفاهية فكرية، ولهمي نظرة فوقيّة، ولكن هناك واقعاً وإدراكاً على حقيقته ومعرفته والاهتمام به واجب، كما إننا نقدر كل من عاش على هذه الأرض وساهم ويساهم معنا في البناء والتقديم.
- * لكن من حقنا أن ندافع عن هويتنا الوطنية وشخصيتنا المتميزة، كما أن من حقهم الاعتزاز بوطنهم وهويتهم.
- * وعلينا جميعاً أن نأخذ العبر من التاريخ والأمثلة كثيرة، فهناك شعوب مرت بظروف مثل ظروفنا إلا أنها استطاعت أن تتجاوز هذا الواقع، وبلدان أخرى لم تدرك مخاطر هذا الواقع السكاني وبالتالي استمرت معاناتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

صدر عن جمعية الاجتماعيين



الجزء الاول والثاني من

دراسات في مجتمع الامارات

يضم مجموعة من الدراسات والبحوث المختارة

الخاصة بمجتمع الامارات في المجالات

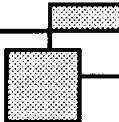
الاقتصادية والاجتماعية والتربيوية

جمعية الاجتماعيين - الشارقة - هاتف : ٥٤٨١٦٦

مكتبة القراءة للجميع دبي - هاتف : ٦٦٣٩٠١

توزيع

عروض الكتب



عالم من الأفكار

تأليف / بل مويرز

المحرر / بتي سو فلورز

الناشر / شركة «دبلي دبلي» نيويورك ١٩٨٩

عدد الصفحات / ٥١٢ ص

دكتور
أحمد بدر *

أجرى الصحافي الأمريكي الشهير «بل مويرز BILL MOYERS»، عدداً من المحادثات الصحفية المطولة مع واحد وأربعين من أعلام الفكر أثناء الجولة التي جاب فيها أنحاء الولايات المتحدة في عام ١٩٨٨ - عام انتخابات الرئاسة في أمريكا - عرضت هذه المحادثات في خريف ذلك العام على شاشة التلفزيون العام PBS. وقد جاء الكتاب موضوع المراجعة سجلاً لهذه المحادثات بعد تحريرها.

* أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة.

شغل «بل مويرز» منصب المتحدث الرسمي للبيت الأبيض في عهد الرئيس السابق «لondon جونسون» وهو صحافي تلفزيوني لامع وصاحب كفاية يحظى بالتقدير والاحترام للأعمال التي قام بها من خلال مصلحة التلفزيون العام CBS وشركة CBS.

يمثل هؤلاء الذين أجرى «بل مويرز» حواراً معهم، مجموعة من اعلام الفكر في مختلف مجالات الحياة، فمنهم المؤرخ والعالم والأديب والفيلسوف والسياسي والتربوي والناقد الأدبي والشاعر الروانى... الخ. وهم أمريكيون ماعدا أربعة - منتج أفلام بريطاني، وروانى نيجيري، وناقد أدبي كندي وروانى مكسيكي.تناول هؤلاء في أحاديثهم مختلف مظاهر الحياة في المجتمع الأمريكي المعاصر والقيم السائدة فيه والمشاكل والأزمات التي تواجهه وتاثيرات ذلك على المستقبل.

سرعان مايدرك قارئ هذا الكتاب أن هؤلاء المفكرين ليسوا من أولئك القابعين في أبراجهم العاجية من يناقشون مشاكل مجتمعهم على المستوى النظري، ذلك أنهم خبروا المجتمع وعاشوا مشاكله وأزماته كل في مجاله وتكونت لديهم قناعات وموافق محددة. وهم نقاط يرون ببصরهم الثاقب نقاط القوة والضعف في مجتمعهم ومؤسساته. وهم ينتقدون نقد الحرير على مجتمعه المحب لبلده، فهم يتحدثون مثلأً - رغم انتقاداتهم - عن الدور الذي يمكن أن تقوم به الولايات المتحدة كرائد أخلاقي إذا ماتوفرت الرؤيا السليمة والأوضاع المناسبة.

يرى الكثير من هؤلاء المفكرين أن التغيير في العالم يحدث بسرعة كبيرة جداً حتى إن معاهد المجتمع ومؤسساته لم تعد قادرة على مجاراته والتكيف معه. ومع ذلك فهم ليسوا من المتشائمين، فهم يعتقدون أن المجتمع يمكن أن يواجه المستقبل ويتعامل معه بطريقة أفضل إذا مأخذ على عاته القيم بأعمال مشتركة متنوعة في مجالات مثل العلم والتربية والسياسة والحكم. ربما كانت حصافة وحكمة هؤلاء الاعلام سبب انطباع التفاؤل الذي يخرج به القارئ.

وبالطبع فلن نستطيع في هذه المراجعة السريعة التعرض لأفكار كل من هؤلاء الاعلام. سنتعرض فقط لبعض الآراء والأفكار التي وردت في أحاديث أربعة منهم وهم: المؤرخة «باربرا تكمان BARBARA TUCHMAN»، وعالم اللغويات «نوام تشامسكي SARA LAWRENCE»، واستاذة التربية «سارا لورنس لait فوت NOAM CHOMSKY»، وعالم الاجتماع «روبرت بيللا ROBERT BELLAH»، وعالم الاجتماع «لایتفوت لایتفوت LIGHTFOOT».

ترى المؤرخة «تكمان» أن من الأهمية بمكان أن تدرس الأمة ماضيها، ففيه ومن خلاله نفهم وندرك حاضرنا والأزمات التي تواجهنا. وهي ترى أن السبب الرئيسي للأزمة المعاصرة التي يمر بها المجتمع الأمريكي هو غياب الواقع الأخلاقي الذي يدفعنا إلى التمييز بين الصواب والخطأ واتباع الأول وتجنب الآخر. ومن مظاهر غياب

الوازع الأخلاقي في المجتمع الأمريكي غياب المبادرة الذاتية وعدم القيام بالنشاط الذي يؤدي إلى تحقيق هدف معين وما يؤدي إليه من قلة فاعلية الجهد ورتابة الحياة وقلة إثارتها.

تذكر «تكمان» كمثال للأزمة التي يعيشها المجتمع الأمريكي تجاهل الحكومة مشاكل المشربين والفقراه أو قيامها بعمل غير كاف في هذا المجال وهي ترى أن عامة المجتمع الأمريكي غير مهم بحل مشاكل الفقراء والمشردين والأولى بهم أن يهتموا، فقد تشكل هذه المشاكل في النهاية خطراً على حياة كل واحد منهم.

مظهر آخر من مظاهر الأزمة التي يعيشها المجتمع الأمريكي هو الانتخابات والمناصب العامة التي تولأها الناجحون فيها سواء كان ذلك على مستوى رئيس الجمهورية أو دون ذلك. تذكر «تكمان» أن منصب الرئاسة في الولايات المتحدة أصبح خطره أكبر من قيمته الحقيقة وأن المسألة لم تعد كما كانت في السابق الولاء للوطن سواء كان الوطن على صواب أو خطأ، بل أصبح الولاء للرئيس سواء كان مصيناً أم مخطناً. تستطرد «تكمان» فتصف المسؤولين الذين يتولون المناصب العامة بأنهم مزيفون خلقهم أكثر وسائل التكنولوجيا تخريبياً. فهم لا يتحدثون حديثاً عفويًا ولا يواجهون الواقع والأحداث بناءً على قناعاتهم الذاتية، بل يقرأون الكلمات التي صيفت لهم من قبل رجال العلاقات العامة. ومكذا فإن المسؤول الذي نراه أمامنا ليس هو الشخص الحقيقي. وقد مكن ذلك النظام الشخص الهزيل في أمور القيادة والسياسة من أن يظهر وكأنه يقرأ المادة التي اعدت له باعتباره ممثلاً تدرب على قراءتها. وكان صورة الرئيس السابق «رونالد ريجان» ماثلة في ذهن «تكمان» وهي تتنطق بهذه العبارات.

تضي «تكمان» فتقول إننا (الشعب الأمريكي) شعب تعود على الزيف والخداع منذ نعومة أظفارنا من خلال الدعاية. فنحن نسمع لأنفسنا بأن نخدع والدعاية مسؤولة عن كثير من الإفساد الذي ينتاب إدراكنا وأحساسنا.

أما «نوم تشامسكي NOAM CHOMSKY». عالم اللغويات الشهير في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا - فهو من أبرز منتقدي السياسة الأمريكية ومارساتها للقوة في علاقاتها الخارجية. فقد كان من أوائل من رفعوا صوتهم اعتراضاً واحتاججاً على الحرب في فيتنام أثناء عقد السبعينات. فقد وصف «تشامسكي» هذه الحرب كما هي عوناناً أمريكاً على الشعب الفيتنامي وليس كما كانت تدعى الحكومة الأمريكية من أنها كانت تدافع عن جنوب فيتنام لمصلحة الحرية والديمقراطية. وهو أيضاً من بين أولئك الذين رفعوا ويرفعون صوتهم احتجاجاً على التدخل الأمريكي الحالي في أمريكا الوسطى وكذلك التأييد الأمريكي الكاسح للسياسة الإسرائيلي العدوانية.

يرى «تشامسكي» ان الانشقاق والاحتجاج في المجتمع الأمريكي اليوم أكثر مما كان عليه في عقد الستينات، فالحركات المختلفة مثل حركة حماية البيئة والحركة المناهضة للأسلحة النووية والحركة النسائية وحركة السلام هي أقوى الان وأنشط مما كانت عليه في أي وقت مضى. ومن دلائل ذلك ظهور حركة احتجاج قوية وعفوية بمجرد ظهور بوادر دلائل على احتمال حدوث تدخل أمريكي مباشر في أمريكا الوسطى. ومن مظاهر قوة حركة الانشقاق والاحتجاج على السياسة الأمريكية، ان حكومة «ريجان» لم تكن تثق في موافقة الناس على سياساتها ولذلك لجأت إلى السرية في كثير من خططها وأعمالها وبخاصة في أمريكا الوسطى. وكذلك لجأت الحكومة في الداخل إلى الدعاية المفرضة بين صفوف الأمريكيين أنفسهم لاقناعهم بسياسة الحكومة.

يؤكد «تشامسكي» إلى أن الولايات المتحدة وإن كانت بلدًا يمقراطياً حراً تتغيرة فيه قيود على قدرة الدولة على ممارسة السيطرة والإجبار على الأفراد، إلا أن الأمريكيين لا يستخدمون الحريات المتأحة لهم. توجد الوسائل والطرق التي تمنعهم من استخدام هذه الحريات. هناك طرق للتحكم في الناس وتهميشهم ومشاركتهم في المؤسسات وإن اختلفت هذه الطرق عنها في الأقطار المكانتورية. في الولايات المتحدة حيث توجد حدود لسلطة الدولة في ممارسة الإجبار والإكراه هناك وسائل أخرى لتهميشهم دور الأفراد وتصنيع موافقتهم وجعل مشاركتهم في النظام السياسي مشاركة شكلية هامشية كمستهلكين وليس كمساهمين حقيقيين. من هذه الوسائل التلقين الدعائي-IN DOCTRINATION وتغييب دور المنظمات الشعبية مثل النقابات العمالية. من أشكال التلقين الدعائي ان يحدد النظام في قضية ما افتراضات معينة تعبر بصفة أساسية عن مصلحته وخدمته ثم تسمع بالحوار والنقاش ولكن فقط ضمن حدود هذه الافتراضات وليس خارجها. قد يكون هناك حمام وصقر ولكن كلامما ينافق ويهارب ضمن الافتراضات التي رسمها النظام.

تناقش «لايت فوت» استاذة التربية في جامعة هارفارد عدداً من الأفكار في العملية التربوية. فهي تذكر مثلاً أن أفضل ما يكون عليه التعلم عندما يتمتزج فيه الجانب الجدي بجانب المرح والهزل. فالتعلم يكون جيداً ومفضلياً عندما نعلم التلميذ كيف يلقي الأسئلة وكيف يفك ويبحث عن الأدلة والحقائق في موضوع ما. ولكن لكل جانب جدي جانياً مرحًا يستطيع المدرس استحضاره ومزجه بالجانب الجدي.

تنتقد «لايت فوت» تركيز المدارس على تعليم التلاميذ على الأجاية بسرعة على الأسئلة التي تلقى عليهم. فأمور الحياة أكثر تعقيداً من ذلك ولذا يجب أن نعلم الأطفال ونساعدهم على تحمل الفموضع في الأشياء واعتبار وتقدير كل الخيارات والإمكانيات قبل اتخاذ القرارات. وطرح الأسئلة التي لا أجابة لها.

تؤكد «لایت فوت» على ضرورة احترام ذاتية الطفل وموهبتة وتوجيه عبارات المدح والثناء له ليس فقط لتلك الأشياء التي يوافق ويشارك فيها أقرانه بل لتلك الأشياء التي يختلف ويتميز فيها عنهم. ذلك إننا إذا لم نشجعهم على إظهار مواهبهم وتميزاتهم الفردية والتي قد لا تتناسب جو المدرسة، سيصعب أحياها فيهم فيما بعد.

هناك صفة مشتركة في كل المعلمين الجيدين على حد رأي «لایت فوت» وهي أنها يعتبرون أنفسهم مفكرين يعيشون في عالم الفكر ويرغبون بل ويتحمسون دائماً لنقل الأفكار لطلابهم. وحتى يقوم المعلم بيده كاملاً يجب أن يشارك في العملية التعليمية مشاركة كاملة بما في ذلك اتخاذ القرارات التي تتعلق بالتعليم. كما يجب أن تتوفر لديهم الاستقلالية الضرورية للتعبير عن المعرفة والمهارة المتوفرة لديهم.

أما حديث «بل مويرز» مع عالم الاجتماع «روبرت بيلا ROBERT BELLAH» فيعتبر مشاركة هامة ورئيسية في هذا الكتاب لما تضمنه من أفكار واقتراحات قوية استحوذ على اهتمام «بيلا» - مدرب الاجتماع في جامعة كاليفورنيا، بيركلي - طيلة حياته الأكademية العلاقة بين الدين والسياسة والمجتمع. ففي كتابه «عادات القلب HABITS OF THE HEART» يوجه «بيلا» وعدد من زملائه عدداً من الأسئلة التي تكشف عن خصائص الشخصية الأمريكية وأنماط سلوكها وعاداتها. يتحدث الذين أجابوا على هذه الأسئلة عن مشاعرهم وعواطفهم وارائهم في الحب والزواج والاخلاص والوحدة والسعادة الشخصية والمصلحة العامة. يظهر الجزء الأول من الكتاب صورة قائمة عن الثقافة الأمريكية من خلال إجابات أولئك الذين يفهمهم بالدرجة الأولى اشباع رغباتهم الفردية دون اعتبار لعائلة أو لكتيبة أو لمجتمع. فالصواب الوحيد لدى هؤلاء هو ما يشعرون به أنه صواب. لكن الجزء الثاني من الكتاب يكشف عن شخصيات تعنى التزاماتها الاجتماعية وتحرص على المصلحة العامة.

«روبرت بيلا» رجل متدين درس الديانة واعترف بتاثيرها عليه. فهو يعتقد أن الإنسان يجد في الدين أعمق معانٍ لحياته، والذين فضلوا عن ذلك ينعد الإنسان بالثقة والأمل ليتسلح بهما في مواجهة ما يعرضه من مصاعب وأزمات. لكن تدين «بيلا» لا يعني عدم تعاطفه وتفهمه لأصحاب الديانات الأخرى خاصة وأنه درس هذه الديانات، فالتأريخ في هذا العالم على حد رأيه هو تاريخ مشترك.

يرى «بيلا» ان أكثر الأسئلة التي نواجهها في مطلع الألف الثالث أهمية ودقة هو كيف يمكن أن نعطي للاعتماد العالمي المتبادل - والذي هو واقع لا استغناء عنه - بعداً أخلاقياً يضفي عليه نوعاً من الترابط حتى تفهمه ويكون له معنى إيجابي لدينا. وهذا يعني إننا نحتاج لتطوير طرق تفكير مشتركة تزيل الخوف من هذا الاعتماد المتبادل ويتقلل من قسوة تأثير الاقتصاد العالمي على الناس. وهي مهمة ليست بالسلبية.

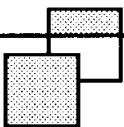
أما أولئك الأميركيون الذين يعتقدون أن الجمع بين التقدم التكنولوجي والحرية الفردية سيحل كل المشاكل فهم على حد رأيه لا شك واهمون. فالتقدم التكنولوجي وإن كان حقيقةً له نتائج إيجابية فإنه يخلق الكثير من المشاكل الحادة والمستعصية إذا لم تحكمه أولويات وإرشادات مدرستة. وما المشاكل التي نواجهها حالياً في مجال تلوث البيئة واحتناق حركة المرور في المدن إلا مجرد أمثلة على ذلك.

يؤكد «بيلاه» أنه لا غنى عن الحديث وال الحوار الجماعي لفهم المشاكل والأمور. فهي تشكل الخطوة الأولى للوصول إلى اتفاق في الأداء حول الأولويات التي لها ما يبررها اجتماعياً وأخلاقياً. أما الرغبات الفردية فيجب أن تخضع لهذه الأولويات. ولا بدile عن الاعتماد على الناس أنفسهم والأسلوب الديمقراطي للوصول إلى اتفاق حول الأولويات التي تخدم المصلحة العامة رغم ما في ذلك من مخاطرة. وهنا تبرز أهمية تعليم وتنمية الناس كي يكونوا فضلاء يقبلون المصالح الاجتماعية المشتركة على مصالحهم الذاتية الآنية. فالنموذج الاقتصادي – زيادة الكسب الشخصي إلى الحد الأقصى في كل الأوقات – وإن يكن مجدياً من «الناحية الاقتصادية» فإنه يكون هداماً إذا ماطبق على نواحي حياتنا الأخرى مثل العلاقات الاجتماعية والأسرية.

ورغم أن الكثيرين ينظرون إلى مصلحتهم الآنية الذاتية بالدرجة الأولى ويتجاهلون تبعات ذلك، فإن «روبرت بيلاه» غير متشائم. فهو يرى أن هناك اتفاقاً وجماعاً بين الناس على كثير من القضايا الهامة. فكلنا يؤمن بقيمة وكرامة الفرد في المجتمع. ونحن اليوم حساسون أكثر من أي وقت مضى للأشياء التي تؤذي الناس. وهناك تقريراً اجتماع بين الأميركيين فيما يتعلق بالمشاكل الرئيسية التي يواجهونها في عالم اليوم مثل «الحرب النووية»، «تلويث البيئة»، «تسخين الكرة الأرضية» بفعل التلوث و«حقوق الإنسان».

وبعد هذه المحادثات غنية بالأفكار التي تحتويها. والكتاب جدير باهتمام القارئ المتتابع لقضايا وشؤون المجتمع الأميركي المعاصر فضلاً عن القارئ المتتابع لقضايا والمشاكل والتحديات العالمية المعاصرة. ذلك أن كثيراً من القضايا والمسائل التي يتناولها هؤلاء المفكرون ترتبط وتشابك وتقرير على أوضاع وقضايا العالم بوجه عام والعالم الثالث بوجه خاص. لم يفارقني الشعور وأنا أقرأ هذه المحادثات أن مما لا شك فيه إن المجتمع الدولي سيكون أفضل وأكثر عدلاً وسلاماً وأمناً لو كانت مقاليد السلطة واتخاذ القرار بيد هؤلاء الحكماء والمفكرين أو بيد أمثالهم.

عروض الكتب



العمل في محو الأمية : النظرية والممارسة سياسات واستراتيجيات وأمثلة

تأليف / على حمداش ودانيل مارتن

عرض وتحليل
دكتور
محمد سيد حافظ **

الكتاب الذي نقوم بمراجعةه الآن، يضم بين دفتيه، عرضاً خاصياً مستنداً إلى بيانات احصائية حديثة لمشكلة الأمية في العالم : أوضاعها وتطوراتها، ويقدم طائفة من العوامل ذات الأهمية الخاصة لنجاح عمليات محو الأمية، ويركز نهجاً للعمل في محو الأمية، باعتباره عملاً متصللاً، وعنصراً من عناصر التعليم مدى الحياة، ويتعلق إلى برنامج مخطط لمحو الأمية، بكل ما يعنيه التخطيط من عمليات وسياسات وثيقة الصلة بالخطيط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمجتمع المعين... إلخ.

* مصدر الطبعة العربية لهذا الكتاب (١٩٨٩) بالمشاركة بين جامعة قطر، اليونسكو/المتعلمة الكندية للتربية من خلال التعليم، مكتب اليونسكو الأقليمي للتربية في الدول العربية (يوندباس) عمان الأردن.
** مدرس علم الاجتماع - كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر.

كما تقترح الوثيقة (الكتاب) ضرورة مشاركة المستهدفين من البرنامج، في طرح استراتيجيات التدريس والتدريب، تستند في الأساس إلى تحديد المشكلات ذات الأولوية، قبل تحديد محتويات وعناصر البرنامج وتحليلها، ووضع بنيتها منهجياً في تسلسل منطقي للتعليم. إن «التكنيك» الذي يقوم عليه الكتاب يبدأ بفهرس تفصيلي لمكوناته الأساسية، يحوي تقديمًا للكتاب، ومقدمة لموضوعه، وأربعة فصول متوازية، وخاتمة موجزة، فضلاً عن مجموعة مساعدة من الملاحق الإرشادية تبلغ في مجلتها ٢٨٠ ملحاً، تمثل ملحاً انتقائياً ملبياً، لبعض الوثائق الهامة التي صدرت عن بعض الدول الدولية لمحو الأمية، والحلقات الثقافية المستمدة من واقع الحياة اليومية (باتباع النهج الحراري)، كما تضمن الملحق أيضاً، تسجيلاً لبعض بطاقات التدريب الاجتماعي والاقتصادي، وكيفية إعداد البرامج (الأولويات والأهداف)، والرسوم البيانية المعبرة عن جوانب النظرية والممارسة حل المشكلات، وبطاقات الألعاب، وبعض الدروس المستقة من تجارب محو الأمية في بعض الدول، إضافة إلى ثبت بعض الاصدارات والنتائج المفيدة لتدريب المدربين على «تنظيم حلقة دراسية ميدانية» باشراف بعض الهيئات الدولية (اليونسكو - اليونيسيف - منظمة العمل الدولية).

وإذا كانت الفرنسية هي لغة الكتاب الأصلية، فقد ترجمه إلى الانجليزية (البستر كيرشو)، كما أنجز الترجمة العربية (كبسطوروس) باشراف مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية (يوندباس) عمان، بالاشتراك مع جامعة قطر (النوجة) دولة قطر، ١٩٨٩. وتقع الترجمة العربية للكتاب في مائتين وخمس وسبعين صفحة من القطع الكبير.

وفي عرضنا لهذا الكتاب، نؤثر البدء ببابراز أهم ماحواه وناقشه، من أفكار ومفاهيم، لنبدى بعدها ملاحظاتنا عليه، وتقييمينا له. في مقدمة الكتاب يتناول المؤلفان مشكلة الأمية باعتبارها مشكلة مستحکمة واسعة النطاق، ويحاولان النظر إليها في بعديها الكمي والكيفي، والتاكيد على أن انخفاض معدلات الأمية في أرجاء العالم من ٣٢٪ إلى ٢٧٪، مرده تلك الجهود المبذولة على جبهتين: التوسيع في تعليم الأطفال، وتنوع نشاطات محو الأمية بين الكبار. غير أن النظرية الصحيحة للمشكلة، لاستقيم إلا بالتعرف على الاعداد المطلقة للأميين في سن الخامسة عشرة فما فوق (وأليس في نسبتهم المئوية). حينئذ سنجد أن هذه الأعداد التي كانت تقدر بحوالي ٧٦ مليوناً عام ١٩٧٠، قد ارتفعت إلى ٨٨٩ مليوناً عام ١٩٨٥.

وفي تحليل دقيق للظاهرة (الأمية) يميل الكتاب إلى الانطلاق من التعليم الابتدائي

كمدخل رئيسي للقضاء على الأمية في مهدها، غير أن الواقع الاجتماعي والاقتصادي في كثير من مجتمعات العالم الثالث، يحول دون التوسيع في التعليم المدرسي (الابتدائي) أو تعديمه. وهكذا نجد أنه في عام ١٩٨٠ كان هناك حوالي ١٢١ مليون طفل بين سن السادسة والحادية عشرة، بينهم ١١٤ مليوناً في الدول النامية خارج المدارس. وما لم تتخذ إجراءات ما بشأن هؤلاء الصغار، فإن معظم هذه الأجيال الجديدة من الأميين، سوف تشكل ما يمكن تسميته بجيش الأمية الاحتياطي، الذي يكرس للانضمام إلى صفوف الأميين الكبار، إضافة إلى هذا، فإن المعدل الضعيف للبقاء الكامل في مؤسسات التعليم الابتدائي (والثانوي أحياناً) لا يزال يمثل مشكلة مقلقة للكثير من الأطفال، الأمر الذي يعني ارتداد هؤلاء الأطفال الذين قصرت فترة تعليمهم، إلى الأمية بشكل سريع. وعلى صعيد آخر، تؤثر الأمية بشكل رئيسي في المجموعات المغلوبة على أمرها في العالم كله. وكثيراً ما ترتبط بالفقر. وتوجد أعلى معدلاتها في المناطق الريفية والأحياء الهمashية في المدن الكبرى (بما في ذلك الدول الصناعية). كما توجد أيضاً بين الشباب المتعلمين. وتشكل النساء في العالم الثالث، القطاع السكاني الأكثر تأثراً بهذا البلاء، رغم أن مجتمعاتهن في أشد الحاجة إليهن. وأخيراً لا بد من ذكر العمال المهاجرين وأسرهم، والاقليات العرقية والثقافية، والبدو الرحيل واللاجئين... إلخ، فكل أولئك تمثل أمامهم إمكانية الانتفاع بالكلمة المكتوبة، حلماً كبيراً، لأنهم يظلون معزولين ومتبنون من قبل المجتمع، لأسباب تتصل بالجنس، أو الجنسية، أو العجز البدني، أو المكانة الاجتماعية/ الاقتصادية أو الانتفاء إلى ثقافة معينة. ومع هذا الحرمان من حق التعليم، فإن هذه المجموعات المهمشة هي نفسها الأكثر عرضة للمعوقات الأخرى التي تفرض عليها، وتغلبها بقيود الفقر والعزلة والعجز.

لقد حرص الباحثان، أن يقدما في بداية عملهما، بعض الاتجاهات الرئيسية التي تميز نشاط محو الأمية (فيما يختص بالنظرية والمارسة) على النحو الآتي:

- ١ - ضرورة النظر إلى توجيه «الوظيفية» نحو الانتاج، على أنه واحد من العناصر المكونة لمحو الأمية الوظيفي. يدخل في ذلك أيضاً مختلف عناصر الشخصية الإنسانية، وتنوع اهتمامات الناس، وطموحاتهم وتقعدهم... إلخ، وهي كلها عوامل تؤثر بدورها في عملية محو الأمية وتشكل مادتها، أهدافها، استراتيجيتها، تنظيمها، طرائقها... إلخ.
- ٢ - إن التسليم بأن الإنسان هو مركز التنمية، وهو الغاية والوسيلة في أن معاً، يفرض علينا ضرورة تزويده بالحد الأدنى من المعارف والمهارات التي تجعل من مشاركته في مجهودات التنمية فعالة ومثمرة.

- ٣ - من الضروري الإفادة في حملات محو الأمية، من النتائج الحديثة التي خلص إليها منظور «التعليم مدى الحياة» وبخاصة ما يتصل منها ببعض البرامج التعليمية وإدارتها. وذلك أن التعليم مدى الحياة، يمنع برامج محو الأمية معناتها الكامل، ويبقى لها التحكم والتوجيه في مختلف أنشطتها.
- ٤ - من الخطأ النظر إلى الأمية على أنها كارثة تصيب مجتمعات العالم الثالث وحدها. فالظاهرة موجودة في مجتمعات أخرى، تمتلك نظاماً تعليمياً عاماً الزامياً ومجانياً، وإن آثارها تمتد ليس فقط إلى جماعة المهاجرين إليها، وإنما إلى مواطنها أنفسهم، الذين يوضعن بصورة آلية في مرتبة دنيا، بالمقارنة مع القادرين على القراءة والكتابة، ويعزلون إلى هوا مش البيئة المادية والاجتماعية التي يتحركون بداخليها.
- ٥ - ان التوحيد الدولي للإحصاءات التربوية، يعد مطلباً أساسياً لتحديد الطبيعة النسبية لظاهرة معرفة القراءة والكتابة، والخروج عن حالة الأمية، والقضاء على الاختلافات السائدة بين الدول حول معايير «اللامية». ان ذلك من شأنه تكوين فكرة دقيقة عن أوضاع الأمية ونشاطاتها في أنحاء العالم، كما سيكون له تأثيره الهام في تحديد الأهداف والاستراتيجيات.
- ٦ - ان نجاح عمليات محو الأمية، لا تتوقف على نوعية الوسائل المستخدمة، ولا على تقانی العاملين وكفاءتهم، بلقد ما يتطلب تعبئة شاملة، تشتهر فيها القطاعات العريضة من السكان، وهذا يقتضي رؤية استراتيجية واضحة من جانب السلطة السياسية في المجتمع.

ومن التنظير والمارسة، ينتقل الكتاب إلى تتبع الجهود المبذولة لمكافحة الأمية، مؤكداً أن جانباً واحداً فقط من جوانب القضاء على الأمية، والمتمثل في انتظام الأطفال في المدارس، كان موضع اهتمام كافة المجتمعات، حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين. ولم تبدأ أول حملة شاملة لمحو أمية الكبار إلا في عام ١٩١٧ في الاتحاد السوفيتي. ويقدم الباحثان نماذج مختصرة للتجارب الوطنية لمحو الأمية في الاتحاد السوفيتي، وفيتنام، وكوريا، والصين الشعبية، وكوبا... إلخ، مؤكداً أن معظم هذه الحملات قد جرت على سياق التغير الاجتماعي العميق، توأكدها الارادة السياسية المعلنة بوضوح، كما أنها ترتبط في الغالب بارساء نظام لمرحلة مابعد محو الأمية، ويمد مظلة التعليم المدرسي.

وعلى الرغم من الاختلاف في السياق والمواقف، فقد أخذ نوع من التقارب، طريقه

إلى الظهور، وباتت «خطوط العمل» الرئيسية، أكثر قابلية للدراك السريع، وأصبح هناك فهم أعمق للعناصر المؤهلة للنجاح.

ويؤثر الكاتبان في هذه المقدمة الإشارة إلى تطور الاستراتيجيات الدولية لمحو الأمية، والتاكيد على جهود اليونسكو في هذا المجال، وذلك من خلال تشجيع «التربية الأساسية» (١٩٤٦)، وسيادة نوع من القناعة بأن الأمية ليست داء يمكن «علاجه» في عزله. وفي عام ١٩٦٠ أوصى مؤتمر مونتريال بتنظيم حملة واسعة للقضاء على الأمية بمساعدة الدول الصناعية، ودعى اليونسكو إلى «دراسة جميع نواحي... مشكلة القضاء على الأمية في العالم، حتى يتسعى اتخاذ إجراءات فعالة وملموسة على الصعيدين الوطني والدولي لقمع الأمية». وفي عام ١٩٦٢ حددت الدورة الثانية عشرة للمؤتمر العام لليونسكو، برنامج عمل دولي يربط بين تنفيذ خطط التعليم الابتدائي وبين شن حملة عالمية لمحو أمية الكبار في سياق عقد التنمية.

وفي عام ١٩٦٥ خلص المؤتمر العالمي لوزراء التعليم حول محو الأمية (طهران - سبتمبر ١٩٦٥)، إلى ضرورة الربط المتداول بين التنمية ومحو الأمية. كما تأسس مفهوم «محو الأمية الوظيفي» الذي تولى البرنامج التجريبي العالمي لمحو الأمية، تنفيذه فيما بين ١٩٦٧ و١٩٧٣، والذي كان له نتائج إيجابية على مفهوم العمل في محو الأمية، وطراحته. وبعد عشر سنوات من مؤتمر طهران، عقدت الدورة الدولية لمحو الأمية في بير سيبوليس (سبتمبر ١٩٧٥)، لتقويم نتائج عشر أعوام من التأمل والعمل الدوليين من أجل محو الأمية، وقد خلصت إلى أن محو الأمية يتعدى مجرد تعلم القراءة والكتاب والحساب، ليصبح أسلاماً في تحرير الإنسان وتنميته التامة.

وفي ٨ سبتمبر ١٩٧٨ (ال يوم الدولي الثالث عشر لمحو الأمية) تؤكد اليونسكو أن حل مشكلة الأمية يعتمد أولاً وأخيراً على إدارة سياسية أصلية. وعما أن انتهت الدورة الحالية والعشرون للمؤتمر العام لليونسكو في بلجراد (سبتمبر/أكتوبر ١٩٨٠) حتى أعلن المؤتمرون بأن حق التعليم من حقوق الإنسان، وإن القضاء على الأمية، مسألة ذات أولوية واللحاج. كما أكدوا كذلك على أهمية القيام بعمل يستهدف تعليم التعليم الابتدائي بالتزامن مع العمل على محو الأمية بين الشباب والكبار بشكل خاص.

وفي الفصل الأول المعنون «عوامل النجاح»، يفرق حمداش ومارتن بين عدد من العوامل التي يتوقف عليها نجاح عملية محو الأمية. فالقضاء على الأمية يفترض سلفاً وجود إرادة سياسية صلبة، صادقة، تؤدي إلى تعبئة كل الموارد المتاحة. وهو يعني أيضاً أن النضال ضد هذا البلاء يجب أن يتم على جبهتين: تنمية التعليم الابتدائي

وتتجديده، وتكتيف العمل في محو الأمية الكبار، وبالقدر الذي يكون فيه محو الأمية عملاً سياسياً يضرب بجذوره في الواقع الاجتماعي، فإن ثمة بنى اقتصادية واجتماعية وسياسية وإدارية، تصبح مؤهلة أكثر من غيرها للاضطلاع به.

كما يجب الربط بين عملية محو الأمية وبين خطة التنمية الشاملة، ومن جانب آخر يجب الربط بينها وبين النظام التعليمي القائم، الأمر الذي يتطلب ضرورة وجود تنسيق فيما بين الهيئات المعنية. وفضلاً عن ذلك يجب أن يتم تعظيم أنشطة محو الأمية للظروف والقيود التي تخون كل إقليم جغرافي أو مجموعة عرقية أو لغوية، مما يقتضي بالضرورة وجود بنية أساسية مرتنة. وأخيراً فإن ضرورة وجود قيادة، وسلطة، يعهد إليهما بمهمة اتخاذ القرارات اللازمة، وتعبئة الجماهير المعنية، وتجميع الموارد الازمة، لما يتطلب توافر «سلطة إشرافية» على أعلى مستوى.

وهكذا ينتقل المؤلفان من تلك العوامل التي تهم الحكومة في المقام الأول (العوامل السياسية) وتلك التي هي أساساً مسؤولية رجال الإدارة والتخطيط (العوامل التقنية)، إلى العوامل التي تهم الجميع في نهاية الأمر (المبادئ الأساسية). وفي الأخيرة، يتبعها الباحثان عدداً من المبادئ الأساسية من بينها: الوظيفية، والمشاركة، والتكامل، والتقويم.

ففي حين يشير اعلان «بيرسيبيوليس (١٩٧٥)» ان محو الأمية كمفهوم «وظيفي» إنما يعني ربط عمليات محو الأمية، بالوفاء بالمتطلبات الأساسية للإنسان، والتي تتردّج من حاجاته الحيوية المباشرة، والمشاركة الفعالة في التغير الاجتماعي، نجد أن الذين يتبعون مناهج التعليم غير النظامي، «يشاركون» بشكل أكبر نسبياً، في اتخاذ القرارات المتصلة بالعملية التعليمية. وهذه العملية مرتبطة بمبدأ أعم، يقوم على تحقيق العدالة مباشرة. إن انتصار المرء إلى مشاغله الخاصة الذي يمكن من تحسين مستوى معيشته، هو من أهداف أي برنامج لمحو الأمية، وهو التفسير الحقيقي لفكرة محو الأمية الوظيفي. وهنا يجب أن تفهم فكرة المشاركة بتوسيع معانيها ويعمل فيها الناس، حتى أكثر الأشكال أهمية، مثل تلك التي تتعلق بأهداف التنمية، وتشمل تحديد مضمون البرامج التربوية و اختيار بعض الأساليب والعلاقات الاقتصادية. أما «التكامل»، فينسحب إلى تكامل برامج محو الأمية في عملية التعليم مدى الحياة، وكذلك تكاملها في مجموعة واسعة من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي تتماشى مع متطلبات خطط التنمية الوطنية والإقليمية، مع ما يتطلب ذلك من تنسيق بين مختلف الهيئات المعنية في المجتمع... إلخ. كما ان «تنويع» المنهجيات والنظم هو أمر جوهري

لنجاح عمليات محو الأمية. فالثابت أن التعليم خارج المدرسة يتميز - مبدئياً بمزيد من التنوع، الذي يتعين عليه التكيف بمروره مع الاحتياجات، مثلاً يحددها المنتفعون أنفسهم، والظروف والسياقات الاجتماعية - الاقتصادية، والثقافية، والأوضاع المعيشية، وإن تستثنى من هذه الظروف الخاصة بالسكان المستهدفين ببعض البرنامج. ويجيء الفصل الثاني تحت عنوان: «محو الأمية: سلسلة مستمرة ومتصلة الحلقات» وتدور بنيّة هذا الفصل حول النظر إلى محو الأمية على أنها عملية متصلة وعنصرًا من عناصر التعليم مدى الحياة، التي تبدأ قبل مرحلة محو الأمية بالمعنى الضيق للكلمة، وتستمر بعد اكتساب المهارات الأساسية. وهي عملية تتبرأ كثيراً من التساؤلات الاستراتيجية حول سمات ومهام التعليم في مرحلتي ما قبل وما بعد محو الأمية.

ويعتبر مرحلة ما قبل محو الأمية، من أهم المراحل عند بدء تنفيذ برنامج لمحو الأمية، ويجب أن يوفر لها الوقت والاهتمام الكافيان. كما يمكن خلال هذه الفترة تهيئة الفرص لإعداد العملات المزعزم القيام بها، من التأهيلين الماديّة والتعليمية (إنتاج المواد التعليمية - تدريب رجال الإرشاد والمعلمين - إنشاء البنى الإدارية...). فضلاً عن أن هذه الفترة أيضاً تتزامن في كثير من الحالات مع مهمة الاعداد لمرحلة ما بعد محو الأمية، بانتاج ماسي يحتاج إليه المتعلمون الجدد من مطبوعات وتخزينها... إلخ.

أما العمل في مرحلة ما بعد محو الأمية، فيدور في تلك الفكرة المحورية الرامية إلى أن محو الأمية ليس غاية في حد ذاته، بل يجب أن يخطط وينفذ بطريقة تأخذ في الاعتبار، احتياجات وططلعات الكبار، والمجتمعات التي يعيشون فيها على مستويات مختلفة. فلا أمل في القضاء على الأمية، دون نظرة شاملة للموقف الذي يمتد عبر حقبة طويلة من الزمن . وهذا يعني أن تنظيم عمل المرحلة التالية لمرحلة محو الأمية، يعتبر اليوم جزءاًً جوهرياً من المجهود الحقيقى لمحاربة محو الأمية. فمحو الأمية الذي لا يصاحبه العمل للمرحلة التالية محكم عليه بالاعدام، وأثاره تذهب كلمح البصر. ومن ثم يجب أن تصمم برامج محو الأمية وأساليبها ومضمونها، على نحو يشير في الكبار والأفراد والجماعات، رغبة حقيقة في التعلم في مرحلة ما بعد محو الأمية. ولعل هذا يفرض علينا أن نتحقق منذ البداية من أن مانعمله مفيد، وأن مجموعات المتعلمين يعملون معاً في انسجام، ويحرزون تقدماً، وإن آفاقهم أكثر اتساعاً، وأنهم يستشعرون لذة التعلم والتغلب على الصعوبات الفكرية.

إن العمل في مرحلة ما بعد محو الأمية يتضمن التزود بالمهام والمهارات التالية: اقامة التنظيم الملائم، توفير الأبنية اللازمة، ضرورة توجيه سير العمل في هذه

التنظيمات، مواجهة المشكلات التي تحيط باعداد مواد القراءة للمتعلمين الجدد، وتوجيدها بينهم، وخصوصاً في ظل حالة الأموال المتاحة لمرحلة طباعتها، والافتقار إلى وجود روابط بمناهج المدارس الابتدائية، والدخل المنخفض الذي يجيئه «المنشطون» العاملون في المناطق غير الحضرية.

ويختتم المؤلفان هذا الفصل، بالاشارة إلى التعليم مدى الحياة على كونه الاطار العام الذي من خلاله يتم وضع تطور للكفاح ضد الأمية، والبدء في التصدي لها. إن من شأن هذه النظرة طرح الموجهات الأربع التالية:

أولاًً : ضرورة ربط العمل في محو الأمية، بكافة الجهود والمحاولات التي تستهدف تمكين الكبار من التعامل بصورة فعالة مع مختلف مواقف الحياة. فالامية خاصية، شأنها شأن غيرها من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسيكولوجية هي نتاج لمجموعة محدودة من العوامل التي نحاول من خلال القضاء عليها، إعادة الأميين إلى حظيرة المجتمع.

ثانياً: إن التكيد في نهج التعليم مدى الحياة، يتحول من المعلم إلى المتعلمين أي تزويد الناس الذين يجري تعليمهم، بكل ما يسيهم في بناء معارفهم الخاصة بهم، على اختلاف منابعها وأصولها، شريطة أن تؤدي في النهاية إلى دعم الشخصية (المستقلة) بينهم، وتزايد الاعتراف بدورهم الإيجابي في تعليم أنفسهم تعليماً ذاتياً.

ثالثاً: إن نجاح مجهودات محو الأمية، لا يمكن أن يتم - نظرياً ومنهجياً - في ظل غياب نظام فعال لتعليم الكبار، حيث يسود الاهتمام بلوضاع من يجري تعليمهم: اجتماعياً، وثقافياً، ونفسياً، والافادة من كافة الممارسات التي تحدث في بيئه التعلم اللا مدرسي.

رابعاً: لابد من وجود بيئه اجتماعية وثقافية، إذا ما أراد الناس أن يهتموا بمجهود محو الأمية، وأن يشاركونا في برامجها. يدخل في ذلك أيضاً، مسؤولية واضعي البرامج نحو إتاحة فرص المشاركة للدارسين في النشاطات التي تستهدف تطوير أنماط حياتهم المعيشية، ودعم احترامهم لأنفسهم، والتوصل إلى صيغ مقبولة لتحملهم مسؤولياتهم طواعية.

أما الفصل الثالث وعنوانه: «التخطيط لمحو الأمية واستراتيجياته»، فقد اختص بمناقشة ودراسة السياسات والاستراتيجيات المتعلقة ببرامج محو الأمية، وما يتطلبه ذلك من وقت كاف، لإعداد الدراسات الأولية، وتحديد المجموعات المستهدفة من

البرنامج، والتعرف على المشكلات في بيئة معينة، وتحليل الاحتياجات، وتحديد الأهداف بغية الوفاء بهذه الحاجات والأولويات وتدريب المخططين، والأشخاص الذين القائمين على التدريب، والمعلمين، واعداد المواد التعليمية، وتحديد الموارد المتاحة وتعبئتها، واقامة الهياكل اللازمة لتنسيق البرنامج وادارته، ووضع جدول تنفيذي، ثم وضع طرق التقويم... إلخ.

وبطبيعة الحال، ان التخطيط لمحو الأمية، غير منقطع الصلة بالتخطيط الاجتماعي الاقتصادي والثقافي، وهو وثيق الصلة بصفة خاصة، بالأهداف الاجتماعية للتخطيط التنموي، كالقضاء على الفقر، وتنويب الفوارق الاجتماعية. ومن الناحية النظرية، تعتبر السياسة الوطنية لمحو الأمية، نتاجاً للسياسة التي يتم ارساؤها في مجال التعليم. أما من الناحية العلمية - حيث لا توجد أهداف واضحة دقيقة - فشدة صعوبة بالغة في الالقاء من الاسهام الذي يقدمه محو الأمية في تحقيق غایيات التنمية.

لقد كشف المؤلفان بحق عن بعض البروس الهامة، من خلال تحرير هذا الفصل الممتع، إذ يؤكدان وجوب ارتباط العمل في تخطيط محو الأمية - ارتباطاً وثيقاً - بحاجات المجتمعات المعنية وطموحاتها، خاصة وأن محو الأمية يتوجه بشكل خاص نحو احداث تغيرات ضرورية في الظروف المعيشية، وفي المشاركة النشطة للدارسين في الاعمال التي تؤثر فيهم. ولذلك فإن تحقيق توازن معقول بين مطالب الأهداف التنموية الوطنية، وحاجات الأفراد والمجتمعات المحلية، هو أمر يتطلع إليه، وتحرص عليه أجهزة التخطيط لمحو الأمية.

على أن رضوح الهدف، يمثل أهمية بالغة، في تصميم استراتيجيات محو الأمية، ومن ثم تحديد الوجهات ذات الأولوية لسياسة محو الأمية. ومن المهم - فيما يرى المؤلفان - الاشارة إلى أن هذه الأهداف، قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، وفقاً للسياقات الخاصة بكل مجتمع، دون اخلال بالهدف العام وهو محو الأمية. يجب بعد ذلك محاولة تحديد مكان الهدف وإيصاله إلى أقصى درجة. إن تحديد مكان الهدف يعني الانطلاق إلى موارء الصيغ الضيقة للنواحي العملية، والتركيز على جمع مختلف البيانات عن النتائج المتوقعة لعملية التنمية، باستخدام الوثائق الإدارية والتقنية وغيرها من مصادر المعلومات المتاحة ومحاولة ربطها بمعرفة البنى الاجتماعية الشاملة. واستيعاب كافة المسوبيات المتوقعة، التي تظهر خلال تنفيذ أهداف البرنامج، على أثر اتاحة الفرصة للمستفيدين من البرنامج، في المشاركة والتعبير عن أنفسهم، إن ذلك يعني في التحليل الأخير، دراسة موسعة للبيئة.

والأهداف، والمشاركين، والنهج المتبع في المشاركة (تقنياً أم اجتماعياً)، وعلاقته بالأهداف والبيئة... إلخ، دراسة يتكامل فيها كل من النهجين مع الآخر، ويحاول كل منها جذب المشاركين بدرجة أكبر أو أقل، بمعنى تركيز البرنامج على نهج موجه نحو المشكلات، يأخذ في اعتباره، أهداف البنية التقنية، إلى جانب اهتمامات المشاركين وتطلعاتهم و حاجاتهم.

وفي إطار التخطيط نحو الأممية، واستراتيجيته، ينتقل المؤلفان بنا من تحديد الأهداف إلى تحليل المواقف ليزكدا ضرورة تحديد القطاع السكاني المستهدف (مجال برنامج حمو الأممية ومداه)، ومعايير انتقاء هذه الفئات، وأهمية هذه المعايير في انتقاء الجماعة المستهدفة، واختيار المناطق التي يراد تحقيق الهدف فيها، وصياغة أهداف أكثر تحديداً، والبدء بإجراء مسح للبيئة لجمع كل البيانات ذات الصلة، والتي يمكن أن تسهم في فهم الأوضاع، واقتراح (أو اتباع) الحلول المناسبة للمشكلات المتوقع ظهورها، ووضع الاستراتيجية المناسبة في مواجهتها. ومن المفيد كذلك، اطلاع سكان البيئة (المجتمع المحلي) بطريقة موضوعية محسوسة على طبيعة حمو الأممية الوظيفي وأهدافه، وعلى موضوع المسح. ومن الضروري أيضاً احترام عادات القطاعات السكانية المعنية، وتقاليدها ومزاعمتها.

على أن جانباً آخر من أهداف المسح البيئي، يتمثل في تحديد الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للفئات المستهدفة من البرنامج (اعنى الأميين)، فليست المسألة هي معرفة أعداد السكان الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، وإنما تصنيفهم من حيث السن والنوع والمهنة... إلخ. فضلاً عن الإمداد بالبيانات الاحصائية عن العاملين في حمو الأممية في قطاع معين، وتوفير الطرائق والمواد التعليمية والجداريات الزمنية، وتخطيط عملية حشد العاملين ونشاطهم، إلى جانب تحديد المراحل التدريبية اللازمة ومكانتها ومدتها... إلخ. وقد يكون مفيداً، ترتيب المشاركين على التقنيات الخاصة بعملية المسح (دراسة الوثائق، الملاحظة المباشرة، المقابلات، الاستبيانات.....)، إن ذلك من شأنه خفض احتمالات الخطأ إلى حد كبير، واختصار الوقت على نحو واضح.

ويستكمل المؤلفان عرض الفصل الراهن، بطرح مجموعة من الشروط والعوامل التي تؤدي نوراً فاعلاً في نجاح عمليات حمو الأممية: فلابد من تزويد هذه الحملة بالإطار القانوني والإداري، لضفاء قدر أكبر من الصفة الرسمية والالتزام، على نشاط حمو الأممية. كما أن اتباع سياسة رشيدة لتشجيع حمو الأممية، يجب أن يبدأ باللغة الأم المستخدمة في التعليم المدرسي النظامي، يرتبط بنجاح استراتيجية حمو الأممية أيضاً.

توافر الموارد المناسبة، والطريقة التي تتم بها تعبئة هذه الموارد (البشرية، المادية «المباني - المعدات - مساعدات التعليم...»، المالية). وكذا طرح البدائل الممكنة لتجنب بعض نواحي القصور في هذه الموارد. أما عن المعلمين، فلاشك أنهم يشكلون العنصر الرئيسي في تنفيذ برنامج ميداني لمحو الأمية. غير أن القضية التي تثيرها الكتاب هنا، هي نوعيات هؤلاء المعلمين المسؤولين عن التدريس، وكفايتهم، ومصادر الإمداد بهم، وما إذا كانوا مأجورين أم متقطعين، متفرغين لبعض الوقت أم طوال الوقت... إلخ.

وفي مواجهة هذه القضايا الأساسية، يطرح الفصل الراهن مجموعة من التجارب التي مرت بها بعض البلدان، موضحاً مزايا وعيوب كل نهج، من شأنه توفير وحشد المعلمين وتدريبهم في مجال محو الأمية.

ولم تخل رؤية الكاتبين في هذا الصدد، من مناقشة تلك المشكلات التي تثيرها فكرة استراتيجية العمل التربوي لتعليم الكبار بصفة عامة، ومحو الأمية بصفة خاصة. كمشكلات إثارة الواقع بين السكان، إزاء موقف غير مألوف لديهم، ورد فعل السكان الذي يمكن أن يصل إلى حد الرفض والعداوة في بعض الأحيان، واحتمالات اصابة الدارسين بالاحباط، واضطرارهم إلى «هجرة» مقاعد الدراسة باعداد ضخمة. كما أن معلمي محو الأمية أنفسهم، يمثلون قوة يصعب التحكم فيها كماً وكيفاً. وفضلاً عن ذلك فشلة مسائل أخرى لائق أهمية، مثل التكلفة، وطرائق التدريب والداول. ومن هنا ينبغي أن يقوم المفهوم الكامن وراء استراتيجيات محو الأمية، على دراسة منهجية للأهداف والنتائج التي يتم الخروج بها من مسح البيئة، والتعرف على الموارد... إلخ. كما يجب أن يصحبها إعداد بالغ الدقة للداول الزمنية للحملات.

ويشير المؤلفان هنا بعض الاعتبارات الأولية ذات الصلة باستراتيجية محو الأمية، لعل أهمها: النسبة بين عدد الدارسين وعدد المعلمين، وضرورة توجيه الاهتمام للوقت اللازم لاكتساب مهارات القراءة والكتابة والحساب في اللغة المختارة، مع ضرورة أن يتم اختيار هذه المعايير التي تحكم طول مدة التعليم، على أساس دراسة جادة، وأن يتم اختبارهم تجريبياً. وبالنسبة للأبنية، فليس هناك ما يحول دون استخدام المرافق الاجتماعية والثقافية الدائمة والموقته الموجودة في المجتمعات التي تعاني من ندرة الأبنية المدرسية. لا يقل عن ذلك أهمية، التخطيط للوسائل التعليمية المختلفة التي يحتاج إليها المعلمون والدارسون، وتدبير مايلزم من المعدات الأساسية، والأجهزة والآلات الدراسية، وأساليب تغيير هذه المواد، وهل من المقرر توفيرها بلا مقابل، أم بيعها؟

فأي المواد يمكن انتاجها محلياً؟ وأيها يتبعن استيراده إلى غير ذلك من تساؤلات تثير في واقع الأمر قضايا جوهرية حول سياسات واستراتيجيات محو الأمية في الدول النامية.

ويضيف المؤلفان، مالرحلة التقويم من أهمية في التخطيط لمحو الأمية. وسواء كان هذا التقويم خارجياً (في نهاية البرنامج أو عند نقطة معينة منه)، أو داخلياً (أثناء البرنامج)، فمن المؤكد أن هذا النوع من العمل التقويمي، يتطلب أشخاصاً ذوي كفاءة عالية، ولا يستطيع القيام به إلا القائمون على المشروعات واسعة النطاق ذات التمويل الجيد.

يتبقى في إطار هذه الاعتبارات الجوهرية للتخطيط لمحو الأمية، الاشارة إلى قضية البحث والدراسات لمختلف جوانب محو الأمية. ينتقد المؤلفان تطبيق نتائج البحث عملياً، ويعدانها من نقاط الضعف حالياً، في التراكيب الكلية للأنشطة الموجهة نحو تكثيف العمل في محو الأمية وتعجيلها في مختلف أرجاء العالم. ومن الضوري الاعتراف بأنها (أي البحث) قد اثبتت عدم كفايتها في حالات كثيرة، أو أن مشاركتها في حل المشكلات العملية التي ينطوي عليها تعليم الكبار والعمل في محو الأمية، جد متواضعة. ويطالب المؤلفان إذا ما أريد للبحث أن تحقق فعاليتها، بأن يشارك فيها كل المعنيين ببرنامج محو الأمية.

أما الفصل الرابع والأخير في هذه الدراسة، فيعكف على دراسة «استراتيجية التدريس» منطلقاً من قناعة أساسية، هي أن تحديد المشكلات هي نقطة انطلاق العمل التربوي. ومنذ البداية يعلن المؤلفان رفضهما لطريقة المدارس النظامية التقليدية في تعلم القراءة والكتابة والحساب، حيث يطبق على البالغين، نفس الطرائق والتقنيات المستخدمة في تعليم الأطفال. ويطالبان بتنظيم البرنامج الوظيفي لمحو الأمية، في ضوء أهداف محددة واضحة (لعل أهمها هو حفز الأفراد على التكيف مع التغير)، والكشف عن وسائل تحقيق هذه الأهداف، والمشكلات التي تعترضها من خلال دراسة البيئة، وبالتالي تصنيفها حسب أولويتها، ومن ثم تأسيس عناصر البرنامج المقابلة لها، ووضع بنيتها منهجياً في تسلسل منطقي للتعلم من منظور تعليمي.

ومن أجل هذه الغاية، يسعى العمل في محو الأمية الوظيفي - في السياق الخاص بكل موقف اجتماعي واقتصادي - لا إلى تنمية المهارات التقنية والمهنية للفرد، واستعداده الذهني التحليلي فحسب، وإنما تنمية قوى التصور والتواصل أيضاً، لتيسير تكيفه مع المعايير والظروف والقيم التي ينطوي عليها التغير الذي سينتعمن عليه

الاشتراك فيه. ومن المهم أن يظل عالقاً بالذهن، انه مهما كان نوع التدريس (سواء كان لاكتشاف المعرف أم المهارات أم القدرة على التواصل الشفهي والتحريري)، فإنه يجب أن يخضع للتخطيط والتوجيه، بحيث يترك آثاراً إيجابية في مجالات معارف الشخص، وتكيفه الشخصي.

غير أن دراسة المشكلات يقتضي فيما يرى المؤلفان، اتباع نهج يبدأ عوجياً له أصلع أربعة: فلابد من دراسة المشكلة من كافة زواياها، مع الادراك التام لخطوط التلاقي عند التقاء النقطة البذرية التي تمثلها (مبدأ التلاقي). أما المبدأ الثاني (التكامل)، فهو تكامل فروع المعرفة التقنية وجوانبها العملية والنظرية من ناحية، وتكامل القراءة والكتابة والحساب من ناحية أخرى. ثم المبدأ الثالث وهو (التنوع)، إذ تختلف أسس الخطوات المتواتلة، والمحتويات الخاصة بكل مشكلة. بالضرورة، بسبب الطبيعة الخاصة للمواقف والمشكلات في أي سياق محدد. وأخيراً يأتي (مبدأ المشاركة)، وأقل ما يمكن أن يقال فيه هو ضرورة مواجهة المشكلات، وتحديدها، واتخاذ الخطوات التي من شأنها القضاء عليها، عن طريق مشاركة المستهدفين من البرنامج أنفسهم.

أما المواد، وبصفة عامة وسائل التعليم، والتي يتم اعدادها محلياً في كثير من المجتمعات، فالحقيقة أن المشكلات في هذا المجال متعددة – التصنيف والاختيار، الدور، العمالة والتربية، الإدارة (الإنتاج، التوزيع، والصيانة في حالات معينة)، ومن الأفضل في هذا الصدد، أن تحدد بعض العناصر الازمة لطرح تصنيف حقيقي ملائم، وعملي.

إن أول ما يجب التفكير فيه هو «الكتاب المدرسي»، الذي يعتبر إعداده بالفعل عملية معقدة تتطلب على مشكلات فنية، وضرورات ينبغي أن تعنى بتوقعات المتفعين، لعل أهمها، مواء ملة الكتاب للجمهور المعني (الكبار)، المتطلع إلى التعرف على لغته وبيئته في الكتاب الذي يسمح لهم بتعلم القراءة. وما يسهل اختيار الأسلوب في هذا الصدد دعاماتان أساسيتان: اللغة (حينما تكون هي لغة المجتمع المحلي)، والعلامات الأبجدية (حينما تتنتمي إلى العالم البصري المألوف). لابد كذلك من التمييز بين المواد التعليمية الموجهة للمعلمين، وتلك الخاصة بالدارسين في صنوف محو الأمية أو حديثي العهد بالقراءة والكتابة. وضرورة أن يتم اعداد المادة وفقاً للخلفية المعنية للمعلم والطريقة البيداجوجية المتبعة. يدخل في ذلك أيضاً ضرورة أن نخطط لتوفير مجموعة متكاملة من المواد المطبوعة التي تتفق واحتياجات الدارسين وتعللاتهم وأنواعهم، كما يجب أن

تكون النصوص متنوعة بالقدر الكافي فتشمل على أدلة عملية وتقنية، وقرارات في التاريخ والرحلات والأساطير والعادات والتقاليد والفلسفة والديانات، مع ضرورة أن تعكس هذه النصوص، التفاوتات بين المبتدئين والمتقدمين من الدارسين. وأن يشارك حديثو العهد بالقراءة والكتابة، في إنتاج مواد القراءة بأنفسهم، ليس فقط لمعرفة أنواعهم، وإنما لتجنيد مشاركتهم الفعلية في إعداد هذه المواد وتشجيع الانتاج باللغات الوطنية.

أما عن دور وسائل اعلام الجمهور، وخصوصاً الراديو (وأحياناً التلفزيون) في عملية التربية المستدامة المرتبطة بمحو الأمية، فلا يوحى بقدر كبير من التفاؤل، مالم تخضع لقواعد ثابتة ، من شأنها استثارة الواقع (ما قبل محو الأمية)، أو استخدامها بشكل إيجابي في تدريب معلمي محو الأمية، والإفاداة من تسجيل هذه البرامج، على أشرطة صوتية أو بصرية (فيديو)، ثم توزيعها على مراكز التدريب، وبينما خلافاً لبعض الأمال، أنه لا يمكن للراديو والتلفزيون أن يغينا عن الوجود المادي للمدرب، وعن عنائه الخاصة. كما تبدو أهمية هذه الوسائل وضرورتها في مرحلة ما بعد محو الأمية، فالراديو وفي بعض الأحيان التلفزيون، أداتان قويتان لنشر الثقافة، حين لا يستخدمان لأغراض أيديولوجية أو تجارية صرفه. وبإمكانهما، إثارة الاهتمام، وحب الاستطلاع، والتعلّم إلى الدراسة، وهو مالا يمكن اشبعاه إلا بالقراءة والكتابة.

وعن منهجية العمل التربوي لمحو الأمية الوظيفي، يؤكّد حمداش ومارتن، أن «الطرق» أو «الوسائل» المستخدمة (بالمعنى الاشتراكي)، تعني الإشارة إلى الأسلوب المتبّع للوصول إلى الهدف، في سياق موقف معين. وتبعاً للموقف، توفر هذه الطرق، الوسائل لحل رموز الرسالة المكتوبة أو المطبوعة، وحل المسائل الحسابية البسيطة، التي تنشأ في الحياة اليومية في العمل والمنزل. ومن مزايا نظرية محو الأمية الوظيفي ومارسته، القاء الضوء على هذه العلاقة بين الجوانب المعيارية لتعلم القراءة والكتابة والحساب وبين المكونات الديناميكية الدافعة إلى اكتساب هذه التقنيات الجديدة.

ويقدم الباحثان، استناداً إلى البرنامج التجاري العالمي لمحو الأمية، مجموعة من العناصر التي تقيد في طرق التعلم الموجهة نحو الكبار: النهج الاستقرائي، الذي يسعى إلى الافتادة من خبرات الكبار، ويتخذ من احتياجاتهم نقطة بداية. نهج العروض الإيضاحية العملية، حيث يفيد من حقول العمل الميدانية، والورش، والمحطات التجريبية. نهج المزاوجة بين العديد من الطرائق والتقنيات لتتوسيع البواعث للبقاء على اهتمام الكبار وحضورهم، كما يمكن الافتادة من نهج إثارة «الوعي» الذي دعا إليه باولو

فرييري، والذي يشجع المشاركين على تحرير أنفسهم من القيود الاجتماعية والاقتصادية. ويحاول المؤلفان هنا الافادة كذلك من «المشاركة» و«التوجيه» و«القوعية» كاتجاهات مشتركة لربط محو الأمية، بادارة تغيير ظروف الحياة، وكذلك بمشاركة من تميّز أمتهم في التدابير التي تخصّهم. وهنا تكمن أهمية هذه المفاهيم، حيث يبيّنون من خلالها محو الأمية كعنصر، وأحياناً كقوة دافعة للنضال من أجل تحرير الجماهير. يحرص المؤلفان هنا أيضاً على الإشارة إلى طرق وأساليب «التعلم الذاتي» المختلفة، وإمكانية الافادة منها، وإن كان ذلك لا يعني قط الاستغناء على المشاركة الفعلية من قبل المعلم المؤهل.

ينقل المؤلفان بعد ذلك إلى استعراض بعض المبادئ العامة، والخطوط الرئيسية المتبعة في تعلم القراءة والكتابة والحساب، فيفردان مناقشة مستفيضة لبحوث القراءة، والطرائق التركيبية (أنجليزية - صوتية - مقطعيّة) والتعرف على مزاياها وعيوبها، والطرائق التحليلية، والطرائق القصصية، ويحاولان المزج بين الطريقتين التحليلية والتركيبية باتباع النهج الانتقائي، واعتباره أكثر النهج فعالية، واستثارة للدافع، ومن تعلم القراءة إلى تعلم الكتابة، فالكتابية جزء من التقديم إلى القراءة، ومن ثم يجب أن يتزامناً معاً. حول تعليم الحساب يؤكد الباحثان، ضرورة الاعتراف بالمهارات الحسابية للمواقف الفعلية المعبرة عن المشكلات، ومن ثم تيسير الانتقال من العملية المحسوبة، إلى الإدراك الرمزي.

وأخيراً، يولي المؤلفان في نهاية هذا الفصل، عملية تدريب العاملين (المقصود كل المشاركين في العمل في محو الأمية) أهمية خاصة. فعلى الرغم من اعترافهما بأن المعلمين الذين يتمتعون إلى بيئة المشاركين، يحققون نجاحاً أكبر من المعلمين الغرباء، فإنّهما يريان وجوب خصوصهم للتدريب على القيام بمهامهم، وتعريفهم بتقنيات التواصل البيداغوجي في أرحب معانيها، وخصوصاً تدريس القراءة والكتابة والحساب، حيث الطريقة المتبعة لا يمكن ارتغالها. مع منح الحلقات الدراسية الميدانية اعتماداً مماثلاً في عملية التدريب، فمن خلال مراحلها المختلفة، يستطيع المشاركون اكتساب المفاهيم المشتركة المتصلة بمحو الأمية الوظيفي، والتعرف على «سر الصنعة» الضروري للبدء في مثل هذه العملية، وإدارتها على نطاق شامل.

وفي خاتمة الكتاب، يؤكد المؤلفان ، ان محو الأمية يفترض منذ البداية، توافق إرادة سياسية صلبة، تؤدي إلى حشد كل الموارد المتاحة، وإن هذه الجهود الصادقة يجب أن

تم على مستويين: تنمية التعليم الابتدائي وتتجديده، وتكثيف العمل في محو الأمية الكبار. ويشيد الكتاب كذلك، بالدور التعليمي لليونسكو في تشجيع البرامج الوطنية لمحو الأمية ودعمها، وخصوصاً في البلدان الأكثر فقرًا، ويطالب بمزيد من الدعم المادي والمالي من المجتمع الدولي بأسره، للقضاء على الأمية، التي باتت الآن، تمثل واحدة من أكبر المشكلات الاجتماعية، وأحد التحديات الرئيسية التي تواجه أقطار العالم ككل، فضلاً عن كونها أخطر مظاهر التفاوت وعدم المساواة، التي تميز العالم المعاصر.

والآن، لابد من ابداء بعض الملاحظات العامة حول الكتاب:

- ١ - إن العمل الذي نحن بصدده الان، عمل يستحق التقدير بكل المقاييس، فهو يتناول قضية حيوية على جانب كبير من الأهمية لشعوب العالم الثالث، وهو بحث وثائقى تميز له فلسفة خاصة في تناول الموضوع منهجاً واسلوباً، وهذا ما تلمسه في ترتيب الفصول، ودقة العرض. وهو يعكس إلى حد كبير، الخبرات الطويلة للمؤلفين، والتي تبرز على طول صفحات الكتاب. ويرضاف لقيمة الكتاب أيضاً، قوام المراجع في نهاية كل فصل، والتي تدل بشكل قاطع، على الادراك الدقيق للموضوع، وامتلاك نواصيه النظرية والتطبيقية معاً، وكذلك ما اشتغلت عليه هذه المراجع من ملاحظات إيضاحية. وفي نهاية الكتاب ثبت بمجموعة من الملاحق الإرشادية المتنوعة، التي تمكن الإفاداة منها في وضع واعداد برامج محو الأمية، والتي تم اختيارها على نحو يحقق كل القائنة للعاملين في هذا المجال.
- ٢ - يعتقد كاتب هذه السطور، أن بعض المفاهيم الواردة بالكتاب، كانت في حاجة إلى مزيد من التقسير والتوضيح. فعلى الرغم من أن هناك صلة واضحة بين المفاهيم المحورية الثلاثة الواردة بالكتاب (الأمي - الأمية - محو الأمية)، إلا أن المستوى الدلالي والمعرفي لكل منها، يختلف عن الآخر، وتنسحب هذه الاختلافات بطبيعة الحال، على أساليب جمع البيانات (الاحصاء مثلاً)... إلخ. إن اقرار مثل هذه الصعوبات ومحاولة تقديم تصور بشأنها، يحظى بالقبول العام على الصعيد العالمي، هي خطوة أساسية يمكن الاستناد إليها (لو تحققت) كمعيار لقياس الظاهرة، واجراء بعض الحوارات المنهجية حول السياسات والاستراتيجيات والتجارب المجتمعية المعنية بها. وهذا مالم يفعله الكاتبان.

تنسحب هذه القناعة أيضاً حول بعض الاحوالات الواردة بالكتاب للبرنامج التجريبى العالمي لمحو الأمية - مثلاً - دون أن يوضح ماهية هذا البرنامج؟ وماهى الأسباب التي دعت الكاتبان إلى التوقف عنده في كثير من الأحيان؟

ولماذا هو عالمي؟ وكان من الممكن أن تزود صفحات الكتاب بهرامش توضيحية لمثل هذه البرامج أو المؤتمرات أو لتجارب العديدة التي تضمنها.

٢ - إن الدراسة وإن حاولت أن تعطي صورة متكاملة عن الأنشطة العديدة والمتنوعة لعدد من البلدان في ميدان محور الأمية، بالاعتماد على الوثائق والكتابات والمطبوعات التي أصدرتها اليونسكو، أو ساهمت في نشرها، إلا أنها على الجانب الآخر قد أهملت الروافد المعرفية الأخرى إلى حد كبير وخصوصاً، ما يتصل منها بتجارب المنطقة العربية في الشرق والمغرب، وكان من الأدفـقـ لوثيقة تـخـاطـبـ شـعـوبـ الـعـالـمـ الـثـالـثـ وـمـجـمـعـاتـهـ،ـ أـنـ تـحرـصـ فـيـ مـعـرـضـ مـعـالـجـتـهاـ لـسـيـاسـاتـ وـاسـتـرـاتـيـجيـاتـ الـعـلـمـ فـيـ مـحـوـ الـأـمـيـةـ،ـ عـلـىـ تـتوـيعـ أـحـكـامـهاـ وـتـجـارـبـهاـ،ـ فـيـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ.

٤ - المبالغة في تقدير ورقة الملحق: فقد تضمن هذا العمل (٣٨) ملحقاً، تختلف في مضامينها، وتتنوع في تصنيفاتها... توزعت على أكثر من ثلث صفحات الكتاب (١٢٠ صفحة من أصل ٢٧٥). ومع تسلينا، بأهمية الملحق الارشادية، لدراسة تستند أساساً على طرح بعض السياسات والاستراتيجيات، ومناقشة تجارب وخبرات بعض المجتمعات في مكافحة الأمية، إلا أن هناك افراطاً واضحاً في إعداد الملحق الواردة بالكتاب، وكان من الممكن اختصارها إلى حد كبير، دون أن يخل ذلك بمضمون الكتاب وأهدافه الأساسية.

وعلى الرغم من هذه الملاحظات الشكلية العامة التي امكنا توجيهها إلى الكتاب، فإن الرؤية الموضوعية التي تبيناها خلال هذا العرض، تجعل من الكتاب جديراً بالاطلاع والاقتناء، وتجعل عملية إعداده للنشر باللغة العربية، لفتة تربوية وعملية كريمة تحسب لصالح كل من مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية بعمان (الأردن) وجامعة قطر - تماماً فجوة حقيقة في دراسات محور الأمية وتعليم الكبار في المكتبة الاجتماعية والتربية.

إحصل على النت و الخدمات الأخرى بسرعة!



لماذا انت سيد سيدات الـ ATM ؟
المقدمة : اقتصاد الشريحة السريعة وأدوات الصرافات الذكية الحديثة.

إذ أنت أحدث الصرافات الذكية الحديثة تميزت لكم بأصول عما :

النقد السريع عاشر مدار ٤٤ ساعه في اليوم ٧٠ أيام
فيه السريع ويفضي النهر عن مكانه بغير ماء أيام

وتحمّل كل المستفادة من خدماتك التالي :

١- السبب الشعبي الفوري .

٢- طلاق كشف ماب

٣- التوصيل من الماين الماين الماين الماين الماين

وبالعكس .

٤- طلب دفع شيك .

٥- معرفة الرصيد على إيمال .

إذا سبقتم بالصوت عاصي بطاقات الصرافات الذكية أو الـ ATM
من جمع خدماتها المميزة والسرية تفضلوا زيارة أحد

فروعنا المتواجدة في دولتك الـ دولة الإمارات .

• دبي : شارع خور ، هاتف : ٥٦٣٣٥٥ • شارع بن ياس ، هاتف : ٢٧١٢١

• شارع شاهن العبر ، هاتف : ٤٤١٤٣١ • المقطف العسكرية الروسية ، صافيت ،

صافيت ، ٤٤١٤٨٢ ، المقطف العسكرية الروسية ، صافيت ،

صافيت ، ٤٤١٤٢٧ ، سوق الوصل ، دريم ، صافيت ، ٤٤٠٤٠٠

• كويه بيل باي ، هاتف : ٥٦٥٥٦ ، ٥٦٦٧ ، ٣٥٥٩١ ، الشارقة ، شارع البرج

٣٥٥٩١ ، ٣٥٥٩١ ، أبوظبي ، شارع الكورنيش ، هاتف : ٢٤٤٢٤٤ / ٢٤٥٧٠٠

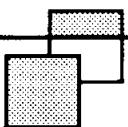
• رأس الخيمة ، شارع عمان ، هاتف : ٢٦٦٦



بنك دبي التجاري المحدود

THE COMMERCIAL BANK OF DUBAI LIMITED

**تقارير وندوات
ومؤتمرات**



نداء عَمَان

حول تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين

اعترافاً بالخطورة البالغة للتحديات التي تواجه الأمة العربية في وجودها وفي مصيرها.

وإقرار بأن الأمة يجب أن تعمل على تحديد مسارها والتحكم في مستقبلها، من أجل نهضة عربية مطردة في تقدمها وأبداًعاتها.

وتاكيداً للدور الحاسم الذي تضطلع به التربية في تحقيق الأمن القومي، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. وتمكن الأمة العربية من ممارسة دورها الإيجابي في إطار التفاعلات الحضارية والتكنولوجية المعاصرة، ومن احتلال الموقع الجدير بها في التكتلات الدولية.

- تنشر مجلة شرين اجتماعية هذا النداء المهم الصادر عن منتدى الفكر العربي وملتمر تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين وذلك تعزيزاً للنادرة.

تقارير وندوات ومؤتمرات

وادراكاً لمجموعة التغيرات الوطنية والعربيّة والعالمية في المستقبل القريب والبعيد، وما تتطلبه في تكوين الإنسان العربي، بصورة تؤثّر في فكره ووجوده وسلوكه ومهاراته، وتجعله قوة فاعلة، وطاقة متجددة ومتقدمة، تعمل على تطوير المجتمع العربي في مستوياته المحلية والقطرية والعربيّة، وتنبع له الالسهام الخالق في الحضارة الإنسانية، مستنداً إلى تراثه وهويته القوميّة المتميزة.

.. دعا منتدى الفكر العربي إلى عقد مؤتمر «تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين»، في عُمان في الفترة من ١٧ إلى ٢٠ شوال ١٤١٠هـ / الموافق ١٢ إلى ١٥ مايو ١٩٩٠م.

وشارك في هذا المؤتمر مائة وثمانون من صناع القرار وأساتذة الجامعات والخبراء والمتخصصون والمتقين، من المشتغلين في مجالات التربية والاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة.

وبعد عرض الدراسات التي تناولت مختلف جوانب الموضوع ومناقشاتها والتعليق عليها قدر المجتمعون إصدار هذا النداء:

لقد حققت أقطار الأمة العربية إنجازات ملحوظة في مجال التعليم خلال العقودتين الأخيرتين، إذ ارتفعت أعداد الطلاب والمعلمين في مراحل التعليم الثلاث، فيما بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٩٠ إلى ثلاثة أمثالها. وارتقت كذلك نسبة المتعلمين بين الكبار في خلال نفس الفترة من ٣٧٪ إلى ٥٠٪. كما بذلت جهود قطرية وقومية لتحسين نوعية التعليم، في مختلف أبعادها ومتطلباتها.

ومع التقدير لهذه الجهود، فإنها تظل دون مستوى الطموحات والاحتياجات لعدد الإنسان العربي - كما وزنعاً - للإسهام الفعال في تحقيق التنمية الشاملة والتقدم الحضاري، كما يتضح ذلك مما يلي:

.. لايزال هناك قصور كمي في استيعاب جميع الأطفال الملزمين، حيث يقدر عدد الأطفال خارج المدرسة بحوالي ٩ ملايين طفل عام ١٩٩٠. وما زالت نسبة الأمية بين الكبار تبلغ حوالي ٥٠٪، ويقدر عدد الأميين بحوالي ٨٠ مليون أمريكي في مختلف أقطار الوطن العربي.

ومن أبرز مظاهر القصور الكيفي التشوّه في السياسات والمعارضات، وفي المؤسسات التربوية العربية، مما يؤدي إلى ضعف الفاعلية والإنتاجية في نظام التعليم ومخراجهات.

تقارير وندوات ومؤتمرات

ومن الأسباب الأساسية لهذا التشوه أن الأنظمة التربوية العربية مازالت مشبوبة إما إلى الافتتان بالماضي وتقليد نمادجه، أومحاكاة نماذج الحضارة الغربية، التي قد لا تتناءّم في توجهاتها وفاعليتها مع التطوير الحقيقى لأوضاع المجتمع العربى.

ولذا كانت تحديات المستقبل الداخلية والخارجية تفرض نفسها بقوة والحاج على حركة المجتمع العربى، فإن استمرار المشهد الراهن للنظام التعليمي العربى سوف يؤدى إلى مخاطر جسيمة، تهدى طاقات الأمة العربية وثروتها البشرية.

ومن أبرز المتغيرات العالمية المعاصرة والتي سوف يكون لها تأثير متزايد على مصير الأمة العربية وتحديد موقعها في الخريطة العالمية ثورات ثلاث تمثل في: انفجار المعلومات والتكنولوجيا المتقدمة، وفي تعزيز الممارسة الديمقراطية والمشاركة الشعبية، وفي ظاهرة التجمعات الإقليمية الكبيرة بابعادها السياسية والاقتصادية.

ويحتم الوضع العالمي الجديد على الوطن العربى الاستجابة الواحة لمتطلبات التفاعل مع مؤشرات هذا الوضع وقواه، بصورة تحقق تقدمه ورخاه، وتدعم هويته الحضارية، وتزيد في مشاركته وإسهامه وعطائه للحضارة الإنسانية.

وسوف يكون تطوير التعليم القادر على صناعة هذا المستقبل، ضرورة حتمية، وشرطًا لازمًا في منظومة المتغيرات المجتمعية على النطاقين القطري والقومي.

وفي هذا السياق لابد لتعليم المستقبل من أن يطور بنائه ويراجع مناهجه ووسائله من أجل تحقيق المعاصرة الأصلية في نسج الحياة العربية، في قيمها ومثلها ومقومات تشكيلها للإنسان العربى.

وسوف يسعى هذا التعليم كذلك إلى دعم أسس الوحدة الوطنية والتنمية الشاملة المطردة وتعزيز مسيرة وحدة الأمة العربية، وتأكيد هويتها الثقافية.

ومن أهم العناصر الاستراتيجية التي يجب السعي إليها في تطوير تربية المستقبل مايلي:

- ١ - تأسيس بنية التعليم على مقومات تمكن المتعلم من النمو المستمر إلى أقصى ماتسمح به طاقاته وقدراته.
- ٢ - التركيز في العملية التربوية على تعليم كيفية التعلم بدليلاً عن أساليب التقين وثقافة الذاكرة.
- ٣ - إقامة الجسور التعليمية ونقاط العبور المتعددة بين حلقات النظام التعليمي ومراحله وأنواعه، بصورة تتيح للإنسان العربي فرصةً تمكنه من التعلم مهما كان

عمره أو مستوى تعليمه السابق، وتسمح له بمروره الانتقال من نوع إلى آخر أو من تخصص إلى تخصص آخر.

- ٤ - الاهتمام بالتعليم غير النظامي، والتعلم الذاتي والتدريب المتواصل، وتعليم الكبار، باعتبارها أنماطاً من التعليم المستمر الذي تتزايد الحاجة إليه في ضوء التناami المتتسارع للمعارف والمهارات والقدرات التكنولوجية لقوة العمل. وينبغي إيجاد صور شتى من التكامل بين التعليم النظامي والتعليم غير النظامي.
- ٥ - القضاء على الأمية مع نهاية هذا القرن من خلال جهود وطنية وقومية تعبىء كافة الموارد والامكانيات عن طريق خطة وطنية شاملة، تهدف في الوقت ذاته إلى استيعاب جميع الأطفال الملزمين.
- ٦ - فك الارتباط بين الشهادة والوظيفة، وبين الشهادة وتسعير أجراها.
- ٧ - وضع خطة طويلة الأمد للسياسة التعليمية تترجم إلى خطط زمنية على مراحل مختلفة.
- ٨ - توفير التمويل الكافي للتعليم باعطائه أولوية متقدمة في التخطيط، وأن يشارك المجتمع المدني أجهزة الحكومة في تحمل مسؤوليات التعليم: تخطيطاً، وتنظيمياً، وتمويلياً، وتقديماً.
- ٩ - التأكيد على تكوين القدرات الذهنية لدى المتعلمين لضمان حسن التعامل مع المجهول بديلأ عن مجرد الإلام بالمعلومات عن طريق التقني، وتبذل النظرية الكلية المتكاملة في تنمية الإنسان، وتأسيس التخصص على قاعدة عريضة من المعلومات بدلاً من التخصص الضيق.
- ١٠ - الحاجة الملحـة إلى التوحد، وتجاوز التباينـات في أنماط المؤسسات التربـوية، سعيـاً إلى ترسـيق ثقـافة قـومـية مشـترـكة ومنـها للـتـباـينـ فيـ التـوجـهـاتـ الفـكـرـيـ، والإـنـتـمـاءـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ لـمنـ يـتـخـرـجـونـ فيـ مؤـسـسـاتـ التـعـلـيمـ.
- ١١ - الاستفادة القصوى من قوى التعليم والتعلم المتاحة في وسائل الاعلام والتثقيف، وفي تكنولوجيا التعليم الحديثة.
- ١٢ - ولستـ بـ حاجةـ إـلـىـ تـكـيـدـ الـأـهـمـيـةـ الـبـالـغـةـ لـدـورـ المـعـلـمـ فـيـ إـحـدـاثـ التـطـوـيرـ النـعـيـ لـتـعـلـيمـ الـمـسـتـقـلـ، ولـذـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـعـدـ اـعـدـادـاـ رـصـيـنـاـ فـيـ مـادـتـهـ الـعـلـمـيـ وـفـيـ تـكـوـيـنـهـ الـمـهـنـيـ. وـيـنـبـغـيـ أـنـ يـشـمـلـ هـذـاـ إـعـدـادـ اـدـرـاكـهـ لـمـشـكـلـاتـ الـعـصـرـ، وـلـخـصـائـصـ الـجـمـعـ الـعـرـبـيـ، وـأـنـ يـدـرـبـ عـلـىـ اـسـتـعـمـالـ أـحـدـ وـسـائـلـ الـاتـصـالـ الـتـكـنـوـلـوـجـيـ فـيـ الـتـعـلـيمـ.

تقارير وندوات ومؤتمرات

١٣ - وفي هذا الإطار لابد أن يوجه اهتمام خاص لكتاب المدرسي، والمعامل والمكتبات المدرسية، والنشاط.

.. ويستدعي تطوير تعليم الأمة توفير موارد إضافية، تكفل جعله أداة فعالة تسهم في تحقيق المشروع الحضاري القومي، وذلك يستدعي تضافر الجهود الحكومية والشعبية وتكاملها، والاعتماد على العنون الذاتي في المستويات الوطنية وعلى قومية المعرفة في المستوى العربي، وذلك باشتراك رأس المال العربي في تكوين رأس المال البشري.

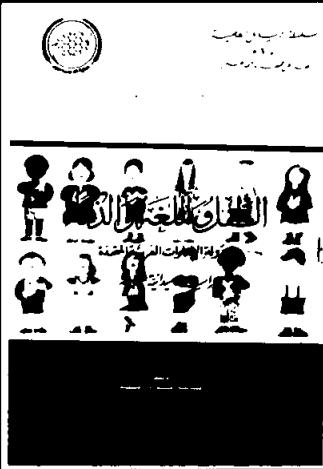
والعنون العربي بمختلف وسائله مدعو إلى دعم الانتفاضة في فلسطين المحتلة، وبخاصة في مجال تعليم الأجيال من الناشئة والشباب الذين حرموا الاحتلال الإسرائيلي من فرص التعليم باغلاقه المدارس والجامعات إلى أجيال غير معلومة. ومساعدة تلك المؤسسات في أداء دورها التعليمي.

ويأمل المشاركون في إصدار هذا النداء أن يخصص في وقت غير بعيد أحد مؤتمرات القمة العربية للنظر في الأبعاد القومية لقضايا التعليم، وما يستلزم ذلك من جهد عربي مشترك، باعتبار التعليم أداة فعالة للإسهام في صناعة المشروع الحضاري القومي المنشود.

تلك هي قضيتنا حول مستقبل الوطن العربي، وحول مستقبل التعليم، وتلك معالم الطريق التي تواصى بها المشاركون في هذا المؤتمر. وذلكم هو ندائنا، ليحمل كل منا مسؤوليته في مواجهة تحديات المستقبل ومقتضياتها في نظام التعليم وفي تنمية أجيال الغد المشرق باذن الله.

«وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرُى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ».

صدق الله العظيم



صدر الآن من جمعية الاجتماعيين
أول كتاب في سلسلة
الرسائل العلمية

الطفل واللغة والدكتاء

في دولة الإمارات العربية المتحدة

أول دراسة ميدانية مقارنة
وهو من الموضوعات الجديدة التي
بدأت تطفو على سطح
الدراسات الأكademie في مجتمع الإمارات



صدر الآن عن
جمعية الاجتماعيين

ظاهرة جناح الأحداث
في مجتمع الإمارات

صدر الآن عن
جمعية الاجتماعيين

أول كتاب في
«سلسلة الدراسات
الاجتماعية»

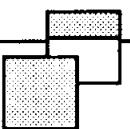
أحدث دراسة عن ظاهرة جناح الأحداث
أشمل دراسة صدرت في الإمارات

ظاهرة جناح الأحداث
في مجتمع الإمارات

سلسلة الدراسات، إصدار، دار نشر، ٢٠١٤
مكتبة الفردوس للطباعة والتوزيع، هدف، ٢٠١٤

توزيع

ببليوغرافيا مختاره



**ببليوغرافيا مختارة
(اصدارات حديثة)**

اعداد

* احمد عبدالحميد علوى

الاجتماع :

- ١ - ثريا التركي، مجتمع ما قبل النفط في الجزيرة العربية: فوضى قبلية أم مجتمع مركب، إعداد ثريا التركي، دونالد كول. - المستقبل العربي، ع ١٤١ (نوفمبر ١٩٩٠). - ص ص ٤١ - ٥٣.
- ٢ - خالد بن محمد العنقرى، تأثير توطين البايدية في التحضر بالملكة العربية السعودية. - المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج ١٠ (ربيع ١٩٩٠). - ص ص ١٥٨ - ١٨٦.

* أمين مكتبة جامعة الإمارات.

ببليوجرافيا مفتارة

٣ - سالم ساري. الإبداعية الجمعية: دراسة في الانتقاضية الفلسطينية. - المستقبل العربي، ع ١٤٢ (ديسمبر ١٩٩٠). - ص ٤ - ٢٣.

٤ - المختار الهراس. القبيلة والسلطة: تطور البنية الاجتماعية في شمال المغرب. - الرباط: المركز الوطني لتنسيق وتحطيم البحث العلمي والتكنولوجي، ١٩٨٨. - ص ٢٦٨

الادارة العامة :

٥ - أحمد ابراهيم أبوسن. إدارةقوى البشرية بدولة الامارات العربية المتحدة. - ص ٧٩ - ١٢٠.

في «الادارة العامة في دولة الامارات العربية المتحدة»، العين: المطبعة العصرية، ١٩٨٨.

٦ - أحمد مصطفى الحسين: ادارة الموارد المالية. - ص ١٣١ - ١٦٢.
في «الادارة العامة في دولة الامارات العربية المتحدة»، العين: المطبعة العصرية، ١٩٨٨.

٧ - سمير محمد فريد: التنظيم الإداري بدولة الامارات العربية المتحدة. - ص ٤٣ - ٧٨.
في «الادارة العامة في دولة الامارات العربية المتحدة»، العين: المطبعة العصرية، ١٩٨٨.

٨ - فوزي عبدالله العكش: ادارة المؤسسات العامة في دولة الامارات العربية المتحدة.
ص ٢٢١ - ٢٥٢.

في «الادارة العامة في دولة الامارات العربية المتحدة»، العين: المطبعة العصرية، ١٩٨٨.

٩ - قاسم جميل قاسم: الادارة والتنمية في دولة الامارات العربية المتحدة. - ص ١٦٣ - ١٨٩.
في «الادارة العامة في دولة الامارات العربية المتحدة»، العين: المطبعة العصرية، ١٩٨٨.

١٠ - مختار الأصم: بيئة الادارة العامة في دولة الامارات العربية المتحدة. - ص ٣ - ٤٢.
في «الادارة العامة في دولة الامارات العربية المتحدة»، العين: المطبعة العصرية، ١٩٨٨.

- ١١- الهادي عبد الصمد: مستقبل الإدارة العامة في دولة الإمارات العربية المتحدة. - من ص ٢٥٥ - ٢٧٧ .

في «الإدارة العامة في دولة الإمارات العربية المتحدة»، العين: المطبعة العصرية، ١٩٨٨.

الادارة المحلية :

- ١٢- رمضان محمد بطيخ: الإدارة المحلية في النظم الفيدرالية: دراسة تحليلية مع التطبيق على دولة الإمارات العربية المتحدة. - أبوظبي: مؤسسة العين للإعلان والنشر، ١٩٨٨ . - ص ٢١٤ .

- ١٣- فوزي عبدالله العكش: الإدارة المحلية في دولة الإمارات العربية المتحدة. - من ص ١٩٣ - ٢١٨ .

في «الإدارة العامة في دولة الإمارات العربية المتحدة»، العين: المطبعة العصرية، ١٩٨٨.

الأسرة :

- ١٤- صبيح عبدالنعم أحمد: أثر التنمية على الأسرة المتعلمة في مجتمع الامارات: دراسة ميدانية على عينة من المتزوجات في جامعة الامارات العربية المتحدة. - مجلة كلية الآداب - جامعة الامارات - ع ٥ (١٩٨٩) . - من ص ١٩٣ - ٢٥٦ .

- ١٥- معادي زينب: الأسرة المغربية بين الخطاب الشرعي والخطاب الشعبي. - الرباط: المركز الوطني لتنسيق وتنظيم البحث العلمي والتكنولوجيا، ١٩٨٨، من ٣٤٠ .

- ١٦- هدى نزيق. التركيب الاجتماعي للأسر المعيشية في مدن عربية: القاهرة، بيروت، عمان. - المستقبل العربي، ع ١٤٢ (ديسمبر ١٩٩٠) . - من ص ٥٧ - ٨٠ .

الإسلام والسياسة :

- ١٧- سيف الدين عبدالفتاح اسماعيل: التجديد السياسي والواقع العربي المعاصر: رؤية إسلامية. - القاهرة: مركز البحث والدراسات السياسية. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٩ . - ٤٨٣ ص.

- ١٨- عبدالمتعم المشاط: أصول ظاهرة التخلف في العالم الإسلامي. - السياسة الدولية. - س ٢٦ ، ع ٩٩ (يناير ١٩٩٠) . - من ص ٦٢ - ٧٧ .

- ١٩- علي نوح : السلفية: أنواعها وأهدافها في الفكر العربي المعاصر عبر رؤية معاصرة للتراث. - دراسات عربية (نوفمبر ١٩٩٠) من ص ٧٣ - ٨٣ .

- ٢٠- هشام جعيط: الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي. - بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٠.
- ٢١- وجيه كوشاني: أفكار باحثة عن سمات حضارية في المشروع العربي الإسلامي. المستقبل العربي. - ع ١٣٧ (يوليو ١٩٩٠). - من ص ٢٦ - ٣٦.
- الأطفال - علم نفس :**
- ٢٢- خولة شخشير صبري: التعرف على مشاعر الطفل الفلسطيني تجاه قضيته الوطنية وطريقة تعلمها. - المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ج ١٠ (ربيع ١٩٩٠). ص من ١٣٨ - ١٥٧.
- ٢٣- سلطانة عثمان يوسف: تعلق أطفال الإمارات بالمربيات الأسيويات في العامين الأولين من عمرهم وعلاقته بظهور الإضطرابات السلوكية عليهم في مرحلة ما قبل البلوغ. - القاهرة: جامعة عين شمس - معهد الدراسات العليا للطفولة، ١٩٩٠. رسالة ماجستير.
- ٢٤- عائشة عبدالله أحمد: الطفل واللغة والذكاء في دولة الإمارات العربية المتحدة: دراسة ميدانية مقارنة. - الشارقة: جمعية الاجتماعيين، ١٩٩٠. «سلسلة الرسائل العلمية».
- ٢٥- فيصل عبدالله الحجي: الدليل الببليوغرافي لكتاب الطفل العربي. - الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ١٩٩٠. - ٢٢٥ ص.
- ٢٦- محمد نهاد حموي: التغيرات التربوية في دولة الامارات العربية المتحدة وأثرها على الطفولة. - ص من ٧٧ - ١١٩.
- في «الطفولة في مجتمع متغير: دولة الامارات العربية المتحدة». العين: جامعة الامارات، ١٩٨٨.
- أمن الخليج :**
- ٢٧- حسن عليكم: مسألة الأمن الشمالي. - ص من ٤٣١ - ٤٦٦.
- في «قضايا ومشكلات دولية معاصرة». - أبوظبي: مؤسسة العين للنشر والتوزيع، ١٩٨٨.
- ٢٨- عبد المنعم المشاط: الأمن القومي العربي وأمن الخليج. - ص من ٨٥ - ١١٤.
- في محاضرات الندوة дипломасия الخامسة عشرة لعام ١٩٨٧. - أبوظبي: وزارة الخارجية، ١٩٨٨.

-٢٩- هاني رسن: دول التجمع الخليجي وإشكالية الأمن الذاتي. - السياسة الدولية. س.٢٦، ع ١٠٢ (أكتوبر ١٩٩٠). - ص ص ٤٩ - ٥٤.

انحراف الأحداث :

-٣٠- محمد رياض الخاني: جنوح الأحداث في دولة الإمارات العربية المتحدة: أسبابه وطرق علاجه: دراسة مقارنة - عجمان: جمعية أم المؤمنين النسائية، ١٩٨٩. - ٢١٥ ص.

-٣١- محمد هويدى «شرف» ظاهرة جناح الأحداث في مجتمع الامارات. الشارقة: جمعية الاجتماعيين ١٩٨٩. ٤٥٠ ص.

التاريخ :

-٣٢- ابراهيم خليل أحمد: بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي. - المقدمة العربية. - مجل ١٦، ع ٤٣ (١٩٩٠). - ص ص ٢٥ - ٣٠.

-٣٣- أحمد ذكريا الشلق. مصادر تاريخ قطر الحديث. - مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية. - بجامعة قطر. - س ١، ع ١ (١٩٨٩). - ص ص ٢٠١ - ٢٥٤.

-٣٤- جمال محمود حجر: المد والجزر في السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية: ملامح التغيير في العلاقات البريطانية السعودية ١٩١٥ - ١٩١٠. - مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر. - س ١، ع ١ (١٩٨٩) - ٢٨١ - ٢٥٥.

-٣٥- طارق نافع الحمداني: الملك عبدالعزيز وسياسة الموازنة بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ١٩٢٦ - ١٩٤٥. - المقدمة العربية. - س ١٦، ع ٤٣ (١٩٩٠). ص ص ٤١ - ٤٥.

-٣٦- ميمونة خليفة الصباح: وضعية الكويت الدولية بالنسبة للدولة العثمانية. - مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة. - ع ٤٨٨ (١٩٨٨). - ص ص ١٠٩ - ١٥١.

التراث الشعبي :

-٣٧- أحمد الريابي: المجتمع الأردني من خلال أغانيه الشعبية: دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية. - المجلة الاجتماعية القومية. - مجل ٢٦، ع ١ (يناير ١٩٨٩). - ص ص ٦٥ - ١٠٢.

-٣٨- حصة زيد الرفاعي: الطب الشعبي: مفهومه وتطور دراسته. - التراث الشعبي. ع ١ (شتاء ١٩٩٠). - ص ص ٤ - ١٤.

ببليوجرافيا مفتارة

- ٣٩- سيمون ابراهيم حصن: مع الأمثال الشعبية في بلاد الشام. - التراث الشعبي.
- ع (شتاء ١٩٩٠). - ص ص ١٣٩ - ١٤٩.
- ٤٠- شرف الدين الأمين عبد السلام: قواعد السلوك والمحاولات الميدانية في عملية جمع
المأثرات الشعبية. - المأثرات الشعبية. - مج ٥، ع ٢٠ (اكتوبر ١٩٩٠). -
ص ص ٤٦ - ٥١.
- ٤١- عبدالله محمد الطابور: الألعاب الشعبية في الامارات العربية المتحدة. - دبى:
المطبعة الاقتصادية، ١٩٩٠. - ٣٠٤ ص.
- ٤٢- عبدالمجيد الشاوي: الفن في تحكيل العين. - التراث الشعبي. - ع ١ (شتاء
١٩٩٠). - ص ص ١٣٣ - ١٣٨.
- ٤٣- علي ابراهيم الدرورة: الأمثال الشعبية الطبية في الخليج العربي. - المأثرات
الشعبية. - مج ٥، ع ٢٠ (اكتوبر ١٩٩٠). - ص ص ٩١ - ٩٦.
- ٤٤- محمد عباس ابراهيم. الطلب الشعبي والمعتقدات الشعبية: دراسة في
الأنتروبولوجيا الطبية في مجتمع الامارات العربية المتحدة. - العين: مؤسسة
العين للإعلان والنشر، ١٩٨٩. - ١٤٣ ص.
- ٤٥- محمد محمد اسماعيل فرج: خيال الطفل وتراثنا الشعبي. - التراث الشعبي. -
ع ١ (شتاء ١٩٩٠). - ص ص ١٣٣ - ١٣٨.
- ٤٦- محمود مقلح البكر: الزينة في العصور القديمة. - المأثرات الشعبية. - مج ٥،
ع ٢٠ (اكتوبر ١٩٩٠). - ص ص ٧٥ - ٨٩.
- ٤٧- ناصر حسين العبوسي: الأزياء الشعبية الرجالية في دولة الامارات وسلطنة عمان.
- الورقة: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٧. - ٢٣٨ ص.
- التعليم :
- ٤٨- أحمد حسين عبدالله اليانوي: دراسة تقويمية لجهود وزارة التربية والتعليم بدولة
الامارات العربية المتحدة في ميدان تعليم الكبار. - القاهرة: جامعة عين شمس
- كلية التربية، ١٩٨٩. - ٢٧٧ ص.
- ٤٩- ديفيد فوستر: مشكلة التكنولوجيا والتربية: مضامين هامة من أجل التخطيط
التربوي البعيد المدى / تأليف ديفيد فوستر، ترجمة عبدالعزيز جبريل. - مجلة
التربية. - مج ١، ع ٤ (يناير - مارس ١٩٩٠). - ص ص ١٢٥ - ١٣٥.
- ٥٠- عايش زيتون: تقصي أثر بعض العوامل في الإتجاه المخبري عند معلمي العلوم

- في المرحلة الثانوية. - مجلة كلية التربية بجامعة الامارات. - س، ٥، ع، ٥ (مارس ١٩٩٠). - ص من ١٥٣ - ١٧١.
- ٥١- عبدالله محمد الشين: تقويم مقارن للمستوى التحصيلي في مجال الرياضيات للامتحنات وتلميذات الصف الأول الابتدائي بدولة الكويت. - مجلة كلية التربية بجامعة الامارات. - س، ٥، ع، ٥ (مارس ١٩٩٠) .. - ص من ٩٣ - ١٢٧.
- ٥٢- عبدالعزيز السيد الشخص: الطلبة المولهوبون في التعليم العام بدول الخليج العربي: أساليب اكتشافهم وسبل رعايتهم. - الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٩٠. - ٢٦٩ ص.
- ٥٣- عبدالعزيز الجلال: تحديات تعليم الأطفال في منطقة الخليج العربي. - ص من ٦١ - ٧٥.
- في «الطفولة في مجتمع متغير: دولة الامارات العربية المتحدة». - العين: جامعة الامارات، ١٩٨٨.
- ٥٤- فتحي أحمد النمر: البحث التربوي: أهميته وأنواعه. - مجلة التربية، مج، ١، ع، ١ (يناير - مارس ١٩٩٠). - ص من ١٠٩ - ١٢١.
- ٥٥- فخرى رشيد خضر: التربية في مجتمع الامارات العربية المتحدة، تأليف فخرى رشيد خضر، محمود أحمد عجاوي، حسين محمد جمعة المطوع. - ط٢. - العين: مكتبة المكتبة، ١٩٨٨. - ٢٧١ ص.
- ٥٦- محمد حسن الحربي: تطور التعليم في الامارات العربية المتحدة: مقدمة توثيقية. الشارقة: اتحاد الكتاب والأدباء، ١٩٨٨. - ١٣٦ ص.
- ٥٧- محمد متولي قنديل رمضان: تأثير استخدام اللعب المجمعة والصورات والرسومات على مهارات المقارنة البصرية لدى أطفال ما قبل المدرسة. - مجلة كلية التربية بجامعة الامارات. - س، ٥، ع، ٥ (مارس ١٩٩٠). - ص من ١٩٩ - ٢٠٨.
- ٥٨- مهني محمد ابراهيم غنائم: الإمداد التربوي في التعليم بالدول الأعضاء: أسبابه وطرق معالجته. - الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٩٠. - ٣٢٩ ص.

التعليم العالي:

- ٥٩- ابراهيم عبدالله ناصر: تأثير خريج الجامعة بثقافة البلد الذي تلقى تعليمه فيه:

ببليوجرافيا مختارة

- دراسة مقارنة. - مجلة كلية التربية بجامعة الامارات. - س، ٥، ع، ٥ (مارس ١٩٩٠). - ص من ١٢١ - ١٤٩.
- ٦٠- حسين سليمان قورة: استاذ الجامعة في الوطن العربي: إعداده و اختياره في ضوء الحاجة إليه. - مجلة التربية، ج، ١، ع، ٤ (يناير - مارس ١٩٩٠). - ص من ٨٩ - ١٠٨.
- ٦١- عبدالحكيم بدران: تشجيع البحث العلمي على مستوى التعليم العام والتعليم العالي في دول الخليج العربي. - الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٩٠ - ٢٧٠ ص.
- التكنولوجيا :**
- ٦٢- أنطوان زحلان: حيازة القدرة التكنولوجية: دراسة عن المؤسسات الاستشارية ومؤسسات المقاولات العربية. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠. ٢٩٧ ص.
- ٦٣- حسين شبكة: نقل التكنولوجيا: توضيح المفاهيم. - ص من ٢٢٥ - ٢٤٩.
- في «التنمية الاجتماعية في أقطار الخليج العربية». - العين: جامعة الامارات، ١٩٨٩.
- التنمية الاجتماعية :**
- ٦٤- السيد الحسيني: البناء المهني والتنمية في قطر: دراسة للتركيب الاجتماعي للقطاع الحكومي. - التعاون. - س، ٥، ع، ١٨ (يونيو ١٩٩٠). - ص من ٥٠ - ٨٢.
- ٦٥- عبدالنعم شوقي: التنمية بين الأصالة والمعاصرة. - ص من ٥١ - ٧٥.
- في «التنمية الاجتماعية في أقطار الخليج العربية». - العين: جامعة الامارات، ١٩٨٩.
- ٦٦- فوزي الأسدي: دور توطين البدو في التنمية الاجتماعية لدولة الامارات العربية المتحدة. - ص من ١٦٩ - ٢٢٣.
- في «التنمية الاجتماعية في أقطار الخليج العربية». - العين: جامعة الامارات، ١٩٨٩.
- ٦٧- محى الدين صابر: التنمية الاجتماعية في أقطار الخليج: تنمية البيئة البدوية. - ص من ٢٣ - ٤٩.

- في «التنمية الاجتماعية في أقطار الخليج العربية». - العين: جامعة الامارات، ١٩٨٩.
- ٦٨- موزه عبيد غباش: التنمية البدوية الريفية في مجتمع الامارات العربية المتحدة. - مجلة كلية الآداب جامعة الامارات. - ع ٥ (١٩٨٩). - ص ٧ - ٢٢ . النص باللغة الانجليزية.
- ٦٩- ناصرا هديبو ثابت: الأوضاع والأنوار داخل اطار الأسرة في الخليج العربي وتأثيراتها على التنمية. - ص من ١٠٩ - ١٦٨ . في «التنمية الاجتماعية في أقطار الخليج العربية». - العين: جامعة الامارات، ١٩٨٩.
- الجغرافيا :**
- ٧٠- جعفر حسن الشايقى: أهمية المنهج الشبكي في جغرافية النقل. - مجلة كلية الآداب بجامعة الامارات، ع ٦ (١٩٩٠). - ص من ٢٢١ - ٢٧٥ .
- ٧١- حسن سيد أحمد أبوالعينين: حوض وادي دبا في دولة الامارات العربية المتحدة: جغرافية الطبيعة وأثرها في التنمية الزراعية. - الكويت: الجامعة، ١٩٩٠ . - ص ٢٢٨ .
- ٧٢- سعيد أحمد عبده: انتاج واستهلاك الطاقة الكهربائية في دولة الامارات العربية المتحدة: دراسة في جغرافية الطاقة. - القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٧ . - ٧٠ ص.
- ٧٣- موانئ دولة الامارات العربية المتحدة: دراسة في جغرافية النقل البحري. - الكويت: جامعة الكويت - قسم الجغرافيا، ١٩٨٩ . - ٧٥ ص.
- ٧٤- منير يوسف طه: اكتشاف العصر الحديدي في دولة الامارات العربية المتحدة. - البصرة: جامعة البصرة - مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٩ . - ٤١ ص.
- ٧٥- نبيل سيد امبابي، جيمور فولوجية منخفضات شبه جزيرة قطر: تأليف نبيل سيد امبابي، أحمد عبدالسلام علي. - الدوحة: جامعة قطر، ١٩٩٠ . - ٣٥٨ ص.
- السياسة الخارجية :**
- ٧٦- عبدالله مسعود القباع: السياسة الخارجية السعودية. - الرياض: دن، ١٩٨٦ .
- ٧٧- محمد السيد سليم: تحليل السياسة الخارجية. - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٩ . - ٤٨٤ ص.

-٧٨ - ناجي صادق شراب: السياسة الخارجية لدولة الامارات العربية المتحدة. - العين: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٧. - ٢١١ ص.

العلاقات الاقتصادية العربية :

-٧٩ - ابراهيم العيسوي وأخرين: الاعتماد المتبادل والتكامل الاقتصادي والواقع العربي: مقاربات نظرية. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠. - ٤١٣ ص.

-٨٠ - علي كريمي: النظام القانوني لانتقال رفوس الأموال بين الأقطار العربية. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠. - ٢٨٦ «سلسلة اطروحات الدكتوراه - ١٦».

-٨١ - محمد محمود الامام: التكامل الاقتصادي العربي بين عهدين. - المستقبل العربي، ع ١٣٨ (أغسطس ١٩٩٠). - ص من ٣٦ - ٥٩.

-٨٢ - محمود الحصبي: دور القطاع العام والقطاع الخاص في تحقيق التكامل الاقتصادي العربي. - المستقبل العربي. - ع ١٤٢ (نوفمبر ١٩٩٠) ص من ١٢٢ - ١٦٢.

-٨٣ - نزار الريبيعي: أزمة التعاون الاقتصادي العربي: المشاكل والحلول نموذج المشاريع العربية المشتركة. - التعاون. - س ٥، ع ١٧ (مارس ١٩٩٠). - ص من ٦٠ - ٧٨.

-٨٤ - يوسف يحيى طعماس: النقل والتكامل الاقتصادي العربي. - دراسات عربية (نوفمبر ١٩٩٠). - ص من ٤٠ - ٢٤.

العلاقات السياسية الدولية :

-٨٥ - ابراهيم البشير عثمان: العلاقات الدولية المعاصرة: الأسس النظرية، واقع الممارسة، مشارف المستقبل. - الرياض: دار العلم، ١٩٩٠. - ٢٤٥ ص.

-٨٦ - جون كنيث غالبرت: الرأسمالية والاشتراكية والتقارب السلمي، تأليف: جون كنيث غالبرت، ستانيلاف مينشيفكوف، ترجمة هشام متولي. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠. - ٢٦٣ ص.

-٨٧ - روبرت دكانتو: السياسة الدولية المعاصرة، ترجمة أحمد طاهر. - عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩. - ٥٢٨ ص.

-٨٨ - عبدالمنعم المشاط: تطور النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية. - ص من ٤ - ٣٨.

ببليوجرافيا مختارة

في «قضايا ومشكلات دولية معاصرة». - أبوظبي: مؤسسة العين للنشر والتدريج، ١٩٨٨.

علم النفس :

- ٨٩- سيد محمود الطواب: أثر تفاعل مستوى دافعية الإنجاز والذكاء والجنس على التحصيل الدراسي لدى طلاب وطالبات جامعة الإمارات العربية المتحدة. - مجلة كلية التربية بجامعة الامارات. - س٥، ع٥ (مارس ١٩٩٠). - من ص ١٩ - ٤٩.
- ٩٠- عبدالحليم محمود السيد وأخرون: علم النفس العام. - القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٠. - ٧٤٢ ص.

الفنون العراقية للكويت :

- ٩١- أيمن السيد عبدالوهاب: مصر ومحاولة احتواء الأزمة. - السياسة الدولية. - س٢٦، ع١٠٢، (اكتوبر ١٩٩٠). - ص ص ٢٩ - ٣٣.
- ٩٢- أيمن نور: اغتيال الكويت. - القاهرة: دار الإنسان للنشر ١٩٩٠.
- ٩٣- حسن بكر أحمد: الولايات المتحدة وإدارة عملية الحشد الدولي. - السياسة الدولية. - س٢٦، ع١٠٤ (اكتوبر ١٩٩٠). - ص ص ١٠٢ - ١٠٨.
- ٩٤- خالد السرجاني: جنور الأزمة بين العراق والكويت. - السياسة الدولية. - س٢٦، ع١٠٢، (اكتوبر ١٩٩٠). - ص ص ١٤ - ١٧.
- ٩٥- عبدالخبير محمود عطا: اليابان واعتبارات المصلحة القومية. - السياسة الدولية. - س٢٦، ع١٠٢، (اكتوبر ١٩٩٠). - ص ص ١١٢ - ١١٧.
- ٩٦- عبدالعظيم رمضان: الاجتياح العراقي للكويت في الميزان التاريخي. - القاهرة: الأهرام، ١٩٩٠.

القانون المدني :

- ٩٧- جاسم علي سالم ناصر: ضمان التعرض والاستحقاق في العقود: دراسة مقارنة في القانون المدني المصري وقانون دولة الامارات العربية المتحدة. - القاهرة: جامعة القاهرة - كلية الحقوق، ١٩٩٠. - ٦٦٠ ص.
- رسالة دكتوراه.

- ٩٨- محمد وحيد الدين سوار: الاتجاهات العامة في قانون المعاملات المدنية لدولة الامارات العربية المتحدة: دراسة موازنة بالملونات العربية. - العين: جامعة الامارات، ١٩٨٨. - ٤١٥ ص.

المراة العربية :

- ١٩١ - زينب الغنيمي: تطوير وضع المرأة الفلسطينية. - شؤون فلسطينية، ع ٢١٠. - ص ٥٨ - ٣٨. (ديسمبر ١٩٩٠).
- ١٠٠ - ليلى عبدالمجيد: موقع المرأة العربية على خريطة السياسات الإعلامية. - الدراسات الإعلامية، ع ٦٠ (يوليو - سبتمبر ١٩٩٠). - ص ٥٧ - ٨١.

المكتبات :

- ١٠١ - حشمت قاسم: دار الكتب الوطنية في أبوظبي، فكرة وتنفيذًا. - مجلة المكتبات والمعلومات العربية. - مج ٧، ع ٢ (أبريل ١٩٨٧). - ص ٢٨ - ٦٩.
- ١٠٢ - فؤاد عبداللطيف الرميحي: المكتبات ومراكم المعلومات بدولة البحرين: الواقع والتطلعات المستقبلية. إعداد فؤاد عبداللطيف الرميحي، ساره يوسف نقى. - مجلة العربية للمعلومات. - مج ١٠، ع ٢ (١٩٨٩). - ص ٥ - ٢٢.

النظم السياسية :

- ١٠٣ - رمضان محمد بطيخ: تطور الفكر السياسي والدستوري في دولة الامارات العربية المتحدة. - أبوظبي: مؤسسة العين للإعلان والنشر والتوزيع (١٩٨٩).
- ١٠٤ - سعيد بن أحمد آل حامد: المجلس الوطني الاتحادي: الامارات العربية المتحدة. - أبوظبي: دار المتنبي للطباعة والنشر، ١٩٨٨. - ٢٢٤ ص.
- ١٠٥ - محسن خليل: النظام الدستوري لدولة الامارات العربية المتحدة. - العين: جامعة الامارات العربية المتحدة، ١٩٨٩. - ٢٩٦ ص.
- ١٠٦ - ناجي صادق شراب، دولة الامارات العربية المتحدة: دراسة في السياسة والحكم. - ط ٢ - العين: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٧. - ٤٢١ ص.

وسائل الإعلام :

- ١٠٧ - عدنى سيد محمد رضا: الصحافة والراديو والتليفزيون في دولة الامارات العربية المتحدة. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨. - ص ٩٥.
- ١٠٨ - محمد عبدالعزيز الباهلي: التليفزيون والمجتمع. - الشارقة: مكتبة المسار، ١٩٩١. - ١٨٩. - ص ١٩٩.
- ١٠٩ - محمد علي العويني: رسائل جامعية في الإعلام. - القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٩٠. - ص ٢٤٢.

قواعد النشر في المجلة

☆ البحوث والدراسات :

- ١ - تنشر المجلة البحوث والدراسات ذات الصلة بالعلوم الإنسانية والتي تهدف إلى إضافة ما هو جديد في هذه المجالات وتخدم مجتمع الإمارات وخاصة المجتمع العربي بعامة.
- ٢ - يكون البحث المقدم للنشر في حدود ٢٠ صفحة مطبوعة من الحجم العادي (١٢٠٠) كلمة بما في ذلك الحواشي الازمة وقائمة المراجع والمصادر.
- ٣ - يعد البحث قابلاً للنشر إذا توافرت فيه النقاط الآتية:
 - (١) اعتماد الأصول العلمية في إعداد وكتابة البحث من توثيق وهامش ومصادر ومراجع.
 - (ب) الا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر في مجلة أخرى.
 - (جـ) يكتب الباحث باسمه وجة عمله على ورقة مستقلة ويرفق نسخة عن سيرته العلمية إذا كان يتعامل مع المجلة للمرة الأولى ويذكر ما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر لكنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.
 - (د) يوضح الباحث إن كان بحثه ملكاً لجهة بحثية معينة وفي هذه الحالة فإنه لابد من الحصول على موافقة تلك الجهة.
- ٤ - يبلغ الباحث باستلام البحث خلال أسبوعين من تاريخ الاستلام على أن يبلغ بقرار صلاحية البحث للنشر أو عدمه خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر.
- ٥ - يراعى في أولوية النشر ما يلى:
 - (١) تاريخ استلام البحث وأسبقية البحث للنشر إن كان قد طلب إجراء تعديلات عليها.
 - (ب) تنوع الأبحاث والباحثين لتحقيق التوازن بحيث تنشر المجلة لأكبر عدد من الكتاب ومن أكبر عدد ممكن من الأقطار في العدد الواحد وبأوسع مدى من التنوع.
 - (جـ) المواضيع المختصة بدولة الإمارات العربية المتحدة وذلك لما تعانبه المكتبة العربية من نقص واضح فيها.
- ٦ - (١) البحث المنشور في المجلة يصبح ملكاً لها ويؤول إليها حق نشره.
(ب) يحق للباحث إعادة نشر بحثه في كتاب وفي هذه الحالة لابد أن يشير إلى المصدر الأصلي للنشر.

☆ عروض الكتب :

- تنشر المجلة عروض الكتب التي لا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام بحيث لا يزيد حجم العرض عن عشر صفحات وأن يتناول إيجابيات وسلبيات الكتاب ويستهل العرض بالمعلومات الآتية:
- (١) الإسم الكامل للمؤلف. (ب) العنوان الكامل للكتاب.
 - (جـ) مكان النشر. (د) الإسم الكامل للناشر.
 - (هـ) تاريخ النشر. (و) عدد الصفحات.
 - (ز) تكتب المعلومات السابقة بلغة الكتاب إذا كان محرراً بلغة أجنبية.
 - (ح) اسم وعنوان عارض الكتاب.

☆ الآراء والأفكار.

- تنشر المجلة آراء و أفكاراً حررة تعالج قضيائياً مهمة ومعاصرة تهم المجتمع والفكر الإنساني والاجتماعي على لا يزيد عدد الصفحات عن ١٠ صفحات.

☆ ملخصات الرسائل العلمية :

تنشر المجلة ملخصات رسائل جامعية تمت مناقشتها وأجازتها في ميدان العلوم الإنسانية.

☆ تقارير وندوات ومؤتمرات :

- تنشر المجلة تقارير المؤتمرات والندوات على لا يتجاوز حجم التقرير ١٠ صفحات.
- ترسل البحوث والدراسات بعنوان رئيس تحرير مجلة شؤون اجتماعية - جمعية الاجتماعيين - دولة الإمارات العربية المتحدة - الشارقة - ص. ب : ٣٧٤٥

Journal of Social Affairs

No. 29 - Vol 8 Spring 1991

**A Quarterly Journal Published by the
Sociological Association of the U.A.E.
SHARJAH BOX 3745**

Annual Subscription

| | | | |
|---------------------|-----------------------|------------|------------|
| Individual : | U. A. E. | Dhs | 40 |
| | Arab Countries | \$ | 15 |
| | Elsewhere | \$ | 20 |
| Institutions | U. A. E. | Dhs | 100 |
| | Elsewhere | \$ | 40 |